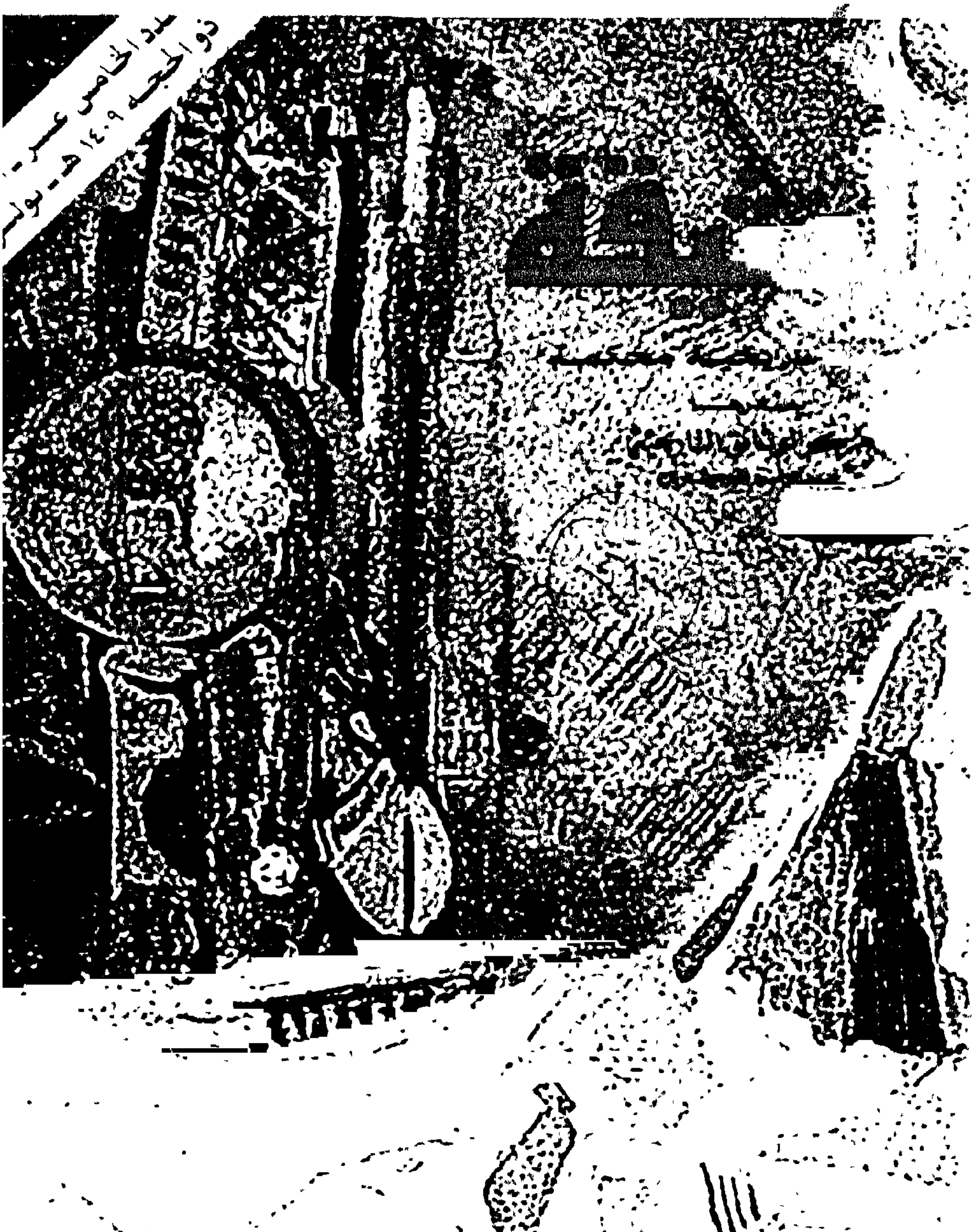

الخامس عشر
ذو الحجة ١٤٠٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

2 - AL WATHEEKAH

الوثيقة

دورية نصف سنوية

تصدر عن

مركز الوثائق التاريخية

بدولة البحرين

رئيس التحرير

الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

العدد الخامس عشر - السنة الثامنة

ذو الحجة ١٤٠٩ هـ - يوليو ١٩٨٩ م

العنوان مركز الوثائق التاريخية ص ب ٢٨٨٨٢
تليفون ٦٦٤٨٥٤
جميع المكاتبات ترسل باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف :

لوحة على الشاطىء
للفنان السعودى عبدالحليم رضوى

جميع الابحاث المنشورة فى هذا العدد تمثل وجهة نظر كاتبها

(الوثيقة)

الفهرس

القسم الانجليزي

كلمة العدد

بقلم : الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

ان القارىء للتاريخ سوف يدهشه الدور البارز الذي قام به بعض الصهاينة في التمهيد والاعداد لحركة الاستعمار التى انهالت على منطقة الشرق عامه والشرق العربي خاصة لقد كانت عصور الاستعمار هي المأساة الحقيقيه التى عانت منها شعوب الشرق في العصر الحديث فقد حولت هذه المناطق الى مزارع تمد أوربا بكل ما تحتاجه من مواد أولية، وتوفر لها الاسواق الضخمة لما تنتجه من سلع وكانت النتيجة فقر هنا ورخاء هناك اضافه الى مسخ شخصية الكثير من الشعوب المستعمرة وتمييع هويتها واضعاف شخصيتها واسلامها لحالة من التخلف جعلتها في نهاية الركب الانساني بعد ان كانت حضاراتها هى المشاعل التى اضاءت للبشريه طريقها والتى اشعت على الكون طوال العصور القديمة والوسيطة

لقد افتتح البرتغاليون عصر الظلام الذي خيم على شعوب الشرق ابتداء من اواخر القرن الخامس عشر الميلادي اذ سقطت الشعوب بعدها في براثن القوى الاستعمارية الغازيه التى تتابعت جيوشها بالنار والدمار وانقضت اساطيلها من وراء البحار حاملة معها الموت والخراب الى كل مكان حلت به وكل ارض وطئتها أقدام الغزاة واختلفت الصور بين جنسيات المستعمرين ولكن بقى الهدف واحدا وبقيت الغايه واحدة وهى ابتزاز الشرق واخضاعه لكل ألوان العسف والقهر والظلم والهوان والغريب فى الأمر ان الصهاينة كانوا وراء هذا المد المشئوم

فقبل ان يفكر البرتغاليون في ارسال اساطيلهم الى الشرق بوقت طويل كانوا قد جمعوا من المعلومات عن شعوب المنطقه وعاداتها وقوتها وامكانياتها ونقاط الضعف فيها وسبل السيطرة عليها ولغتها ودينها ومصادرها وثرواتها كانوا قد جمعوا عن كل ذلك من المعلومات ما جعل المنطقه كلها عاريه امامهم وساعدهم على ان يرسلوا اساطيلهم وجيوشهم وهم يعرفون جيدا اين يضعون اقدامهم وكيف يحكمون سيطرتهم هذه المعلومات الوافية زودهم بها افراد من الصهاينة وضعوا انفسهم وامكانياتهم في خدمه هذه الموجة الاستعمارية

قبل عصر الاستعمار عرف ما اطلق عليه عصر الكشوف الجغرافية وبالنسبه للشرق عهد اكتشاف الطريق الى الهند او كشف طريق التوابل ونشط من اطلق عليهم اسم الرحاله الذين لم يكونوا في واقع الامر سوى مجموعه من المغامرين او الجواسيس الذين اتقنوا لغات المنطقه والموا بطرف من طرق الحياة فيها واتقنوا اكثر وسائل التخفي والتلون في ثياب تجار او اطباء او علماء وامتازوا بامكانيات رصد كل ما تقع عليه اعينهم مع الاستعانة بكل سبيل للوصول الى معرفة كل ما في المنطقة وافضل السبل للسيطرة عليها ومعظم هؤلاء كانوا من الصهاينه

ونستعرض الان بعض من اشار اليهم في بحث ممتاز الدكتور طارق نافع الحمداني من كلية التربيه بجامعة بغداد عن «الرحالة البرتغاليين في الخليج العربي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر» ففي عام ١٤٨١م وعندما تولى الملك جوان الثاني حكم البرتغال اتجه هذا الرجل بانظاره الى الشرق واخذت جهوده سبيلين الاول الرحلات البحرية التي تصدى لها بعض المغامرين من البحارة وفي مقدمتهم بارتلوميو دياز ثم فاسكو دى جاما وهي الرحلات التي قادت البرتغاليين الى الهند والثاني البعثات السريه لجمع المعلومات وكان في مقدمتها بدرو دي كوفلهام وافونسو دي بايفا وقد اقلع الرجلان او الجاسوسان عام ١٤٠٠م عن طريق برشلونه نابولي ورودس ثم القاهرة ولبسا زى التجار سا ..س جماعه من التجار مسافرة الى الطور ثم الى سواكن وعدن انفصلا فاتجه بايفا الى الحبشة حيث مات بعد قليل وواصل ..رد نحو الهند حيث وصل الى كنانور وكلكتا وجوا ثم اندس ..موعه من التجار العرب متجها الى هرمز ثم الى عدن وزيلع

فسفالا تم الى القاهرة و في القاهرة كان في انتظاره صهيونيان هما ابراهام بيا ويوسف لاميجو سلم احدهما تقريرا طويلا عن رحلته يشتمل على كل التفاصيل حمله الى البرتغال واصطحب معه الثاني عائدا الى هرمز وفي هده المرة فاده الصهيوني الى جده ومكة والمدينة وسيناء التى أبحر منها الى عدن تم الحبشة حيث حبسه فيها ملك الحبشة ومنعه من معادرتها ولكن تقاريره كانت قد عرفت طريقها الى البرتغال على يد الصهيوني المرافق

تم ياتى انطونيو تيريرو وهو صهيونى برتغالي جاء الى الشرق عام ١٥٢٠م وقد بقى تيريرو في هرمز خمس سنوات ارسل فيها الى ملك البرتغال مجموعة من الرسائل الهامة وهو أول أوروبي يستعمل الطريق الصحراوي البري (طريق البصرة - حلب) وقد ركب في طريق عودته من طرابلس سفينه حملته الى ايطاليا ومنها الى البرتغال بعد أن حمل معه طوال هده السنوات التى عاشها في المنطقه مجموعة من التقارير غاية في الاهمية

وبعد تيريرو جاء بيدرو تكسيرا وهو ينتمى لاحدى الأسر اليهودية البرتغاليه وكان من اكثر المبعوتين او الرحالة البرتغاليين خبثا فقد ادعى انه مسيحي وتنكر مرة في زى طبيب واخرى في زى مضارب وثالثة في زى تاجر جواهر. وقد تنقل تكسيرا في كل أرجاء المنطقة في الهند وهرمز ومسقط والبصرة وسواحل بلاد الشام وكان من اكثر البرتغاليين دقة في كتابه التقارير عن المناطق التى مر بها وعاش فيها ولم يكن يمر بالمدن مرورا عابرا. وانما كان يعيش في كل مكان يحل فيه المدة التى تلزمه ليعرف كل شيء عنه ويسجله بدقة وافاضة تم هو يمارس عملا ما سواء في التجارة أو الطب وقد تمكن من أن يجمع تروة كبيرة ضاعت منه في أواخر أيامه وعندما وافته منيته في منتصف القرن السابع عشر أعلن انه يهودي وانه يموت على اليهودية

هده نمادج من هؤلاء الصهاينه الدين كانوا عيون الاستعمار ولا يستطيع احد ان ينكر ان ما قدموه للقوى المعادية للشرق كان اخطر بعشرات المرات من كل الاسلحة التى استخدمتها القوات الغازية وهو دور يتقنه الصهاينة جيدا ويحسنون القيام به ببراعة فذة

عبدالله بن خالد ال خليفة

شروع خطة عثماني
في التصدي للأطماع الاستعمار
أواخر القرن



يعتمد هدا البحث رئيسيا على الوثائق الموجودة بأرشيف رئاسة الوزراء باسطنبول [١] وخاصة على وثيقة تبدو ذات أهمية بالغة اذ هي عبارة عن تقرير مطول (١٢ صفحة من الحجم الكبير) كتبه أحد ممثلي الدبلوماسية التركية بلندن الى السلطان العثماني [٢] يعرض فيه المطامع الاستعمارية وخاصة الانجليزية والروسية بالخليج العربي ، ويقترح خطة عمل للتصدي لهده الأطماع وقد كتبت الوثيقة فيما بين ١٨٩٧ ـ ١٨٩٨ ، أي في فترة ...ـة بالنسبة للامبراطورية اذ بدأت ...ـا تتداعى ، بل ان أواخر القرن ...ـرجا لتنامي الشعور القومي ...ـوعي بالذات ، وعرفت ... داخليا وخارجيا هزات عنيفة كان التدخل الأجنبي وتكالب القوى الاستعمارية على تفكيك تركة «الرجل المريض» أهم معالمه ولئن لم تقدر الامبراطورية العثمانية على ايقاف الزحف الاستعماري على بعض الأقطار العربية التي كانت تحت نفودها (احتلال الجزائر ، وتونس ، ومصر) فانها رغم ذلك ، لم تعدم الخطط التي تمكنها نظريا على الأقل من المحافظة على بقايا المناطق العربية المرتبطة بها ولو اسميا فالى أي مدى استطاع الباب العالي التصدى لهذا الزحف ؟ وبأي الوسائل ؟ وما مدى فعالية أساليبه المعتمدة ؟

أ ـ الخليج والصراع الدولي

تعتبر منطقة الخليج العربي من أشد المناطق حساسية من حيث موقعها كحلقة تربط ثلاث قارات فيما



...ليج العربي
...سع عشر

بقلم الدكتور :

الكرّاي القسنطيني

(تونس)

…ـها وهي تبعا لذلك محل اهتمام كل …طماع الاستعمارية وقد تضاعفت …ه الأهمية منذ اكتشفت حقول النفط …نطقة فترايد بذلك تكالب القوى …هيمنة للسيطرة عليها

١ ـ الانجليز : الخليج «بحيرة» بريطانية

لقد نجحت انجلترا الاستعمارية في أن تجعل من الخليج العربي «بحيرة»

تابعة للتاج البريطاني ، منذ أن أبعد البرتغاليون والهولنديون والفرنسيون من المنافسة ، ومنذ أن دخلت شركة الهند سنة ١٦١٦ الى السواحل لتقيم بها مراكز تجارية وفي الواقع فان انجلترا ومنذ ان فتحت لها قنصلية بالبصرة (١٧٦٤) ، كانت تسعى لربط هذه المنطقة نهائيا بمصالحها الاقتصادية والسياسية فهي لم تعد تمثل ذيلا ملحقا ، أو رافدة هامشية في دورة المصالح البريطانية فتطور المعاملات مع سكانها ونمو تجارتها واهمية موقعها الاستراتيجي كحلقة اتصال ضرورية بين انجلترا ومستعمراتها الشرقية (الهند) وكمعبر ضروري وسريع لها نحو المناطق الأوروبية (اختصار المسافات) كل هذا صير لها أهمية بالغة فضلا عن ذلك فإن الأرباح التي ضمنتها البرحوارية التجارية والصناعية الانجليزية - الهندية من مصالحها بالمنطقة قد ضاعفت هذه الأهمية اذ أصبحت ٩٠٪ من التجارة الخليجية لصالح حكومة الهند منذ مطلع القرن التاسع عشر [٣] كما ان ... كميات اللؤلؤ المستخرج من مياه ... وغيره من الموانيء المطلة على ... طريقه الى الانجليز عبر ... هذه الأهمية هي التي تفسر ... الذي أولاه الانجليز للمنطقة وشراسة دفاعهم المطلق عن امتيازات يعتبرون أنفسهم أحق بها ألم يحوّن كرزون (Curzon) - أشد الدبلوماسيين الانجليز دفاعا عن الافضلية البريطانية بالخليج ، كل متسامح مع أية قوة أجنبية بالمنطقة » [٤] أفلم يبين أن وجود أي منافس للأنجليز بالمنطقة سيحطم تجارة «بملايين الجنيهات الاسترلينية» [٥] ؟

ولئن تركز نشاط شركة الهند الشرقية بصفة رئيسية على الساحل الايراني [٦] الا أن أهمية المنطقة تتجاوز بكثير بعض المراكز التجارية الحساسة لتتعلق «بأمن» التجارة في الخليج بصورة عامة ، وتبعا لذلك صارت بريطانيا تربط الدفاع عن الجزء بالكلّ ، وأصبح دفاعها عن هذه المراكز ونشاطها فيها يمرّ حتما وبالضرورة عبر «سلامة» سفنها ومراكبها ، ومن هذا المنطلق صار للخليج موقع خاص يتجاوز دور «الجزء الفرع» لكي يصبح مع مطلع القرن التاسع عشر كوحدة تقوم بذاتها ، ونعتقد تبعا لذلك أنه من «التجني» القول بأن الخليج لم يحظ بالأهمية لدى الدبلوماسية البريطانية الا منذ فتح قناة السويس (١٨٦٧) أو منذ احتلال (مصر) (١٨٨٢) والحال أن العديد من المحطات في تاريخ

الخليج أثبتت عكس ذلك ان عقد سلسلة من الاتفاقات الجائرة مع شيوخ وسلاطين الساحل العربي للخليج منذ أواخر القرن الثامن عشر [٧] ومع مطلع القرن التاسع عشر [٨] وفتح حكومة الهند وكالات لها بهذا الساحل في فترة مبكرة [٩] لم تمثل في الحقيقة سوى البوابة الكبيرة التي دخل منها الانجليز لتدعيم المسار التجاري الذي انطلق قبل هذا التاريخ أضف الى ذلك أن إنجلترا كانت ترفض السماح لأية قوة أجنبية بمنافستها الأفضلية في المنطقة، بل ان سعي السياسة البريطانية كان يتجه نحو رفض أحقية وجود بعض القوى الأخرى، فلقد قوبل بالرفض طلب الباب العالي (١٨٤٨) مشاركة بريطانيا في مكافحة تجارة الرقيق في الخليج [١] وتشبث الانجليز بأحقيتهم وحدهم في مراقبة السفن ومعاقبة «الجناة».

وفي واقع الأمر فان القوى المهتمة بشأن الخليج كانت تعلم أن ما تقدمه انجلترا من تعلات للتدخل وفرض هيمنتها على سكان المنطقة والحدّ من تجارتهم البحرية وتخويفهم لا تستقيم ان ادعاءات بريطانيا بحماية المنطقة من القراصنة تارة ومنع الاتجار بالرقيق طورا وايقاف تهريب الاسلحة الى بلدان الخليج تارة أخرى لم تثن طموح البعض الآخر من الدول في التواجد بالمنطقة، ولذلك فان النصف الثاني من القرن التاسع عشر مثّل فترة دقيقة بالنسبة للوجود البريطاني في الخليج، ومن المفارقة أن نقر أيضا بأن هذه الفترة مثّلت أهم فترة تحققت فيها سيادة بريطانيا بالمنطقة [١١] اذ أجبرت بريطانيا في اطار المنافسة العالمية، على تدعيم مواقعها أكثر فأكثر فركزت مقر الوكالة السياسية البريطانية ببغداد منذ ١٨٦٩ [١٢] وقد كانت مقامة من قبل على سفينة قديمة من سفن أسطول ما بين النهرين، ورفعت سنة ١٨٧٩ في درجة التمثيل البريطاني في البصرة من نائب قنصل الى قنصل [١٣] وصارت مسائل الخليج تحظى بأهمية كبرى لا سيما منذ أصبح التاج البريطاني يشرف بصورة مباشرة على المناطق الهندية وازداد هذا النفوذ الانجليزي منذ أن نجحت الدبلوماسية البريطانية في فتح نهر قارون للملاحة (١٨٨٨) وبدء فورا في تشييد طريق بري يربط العاصمة الايرانية بنهاية الخط الملاحي [١٤] ان هذه «النجاحات» الانجليزية على الضفة الشرقية رغم منافسة «الدب الروسي» ستزداد رسوخا بفعل انهيار السلطة المركزية في ايران لا سيما منذ وصول مظفر الدين شاه الى الحكم

سنة ١٨٩٦

اما على الواجهة العربية من الساحل الخليجي ، فان بريطانيا ولئن كانت تراهن كذلك على ادخال بعض العادات الاستهلاكية الجديدة الى المناطق العربية حتى تصبح سوقا رائجة لبضاعتها ، فانها كانت تهتم اكثر في هذه المواقع بالجوانب الاستراتيجية والسياسية اذ لم يكن السوق العربي من حيث العدد بحجم السوق الفارسية ، ورغم ذلك فان بريطانيا كانت حريصة على ربط هذه الدويلات والمشيخات بعقود ومواثيق تضمن لها الولاء السياسي من جهة وتضمن امتيازاتها الاقتصادية الآنية والمستقبلية من جهة أخرى

فكانت سلسلة تلك المعاهدات الجائرة[16] التي تقيم صلحا لا نهاية له بل ان بريطانيا امعانا في مزيد احكام قبضتها على الساحل فرضت على شيوخ وأمراء المنطقة خلال سنوات ١٨٩١ و١٨٩٢[16] معاهدات تصبح بمقتضاها هذه الامارات تحت الاسرة الفعلية للانجليز وان حافظت ...ا على استقلالها[17] فضلا عن ...بريطانيا بفعل هذه المعاهدات ...نفسها احقية التصرف في ...دويلات وتاريخها ، بل ...الاتصال والتعامل مع

قوات اجنبية عداها أو بدون مشورتها زيادة عن ذلك فان إنجلترا قد منعت آية امكانية لتسيطر سياسة موحدة بين هذه الامارات المتفرقة وذلك بتأييد حالة الانقسام فيما بينها وحرمانها من أية امكانية لتأسيس كيان موحد يسطر سياسة داخلية وخارجية مستقلة ومنسجمة مع ذاتها

وفي واقع الامر فان بريطانيا استطاعت باعتماد تكتيكين مزدوجين مختلفين (الترغيب والترهيب) أن تفرض نفسها كأعظم قوة في الخليج فتصير الدويلات العربية القائمة على سواحله خاضعة لنفوذها فلم يقدم البريطانيون اعانات مالية ومبالغ هامة الى سلطان مسقط منذ ١٨٧٣ لقاء ولائه ، وأنذروه بقطع الراتب عنه سنة ١٨٩٥ ان هو تخلى عن تعهداته[18] ، أفلم يضعوا على عرش مسقط السلطان «تركي» وكان مخلصا للانجليز (٧١ ـ ١٨٨٨) على حين غضوا الطرف عن تقديم العون للسلطان فيصل حينما هزت عرشه انتفاضة ١٨٩٥ ؟

على أن سيطرة الوجود البريطاني على الخليج لا سيما خلال العشرين الأخيرة من القرن التاسع عشر لم تمنع تزايد المنافسة الدولية على المنطقة

بحثا عن مواقع وملء لفراغات خلفتها بعض القوى التي بدأت تهترىء وتتاكل

٢. روسيا . البحث عن منفذ نحو البحار الدافئة

لا بد ان نبرز في البداية ، أن هذه القوى المهيمنة كانت تربو الى الخليج وثرواته رافضة أن يكون للأنجليز الاحتكار الكلي والوحيد في المنطقة فالتنافس من أجل اقتسام العالم كان على أشدّه بين الدول الرأسمالية ، كما ان البلدان التي وصلت متأخرة في مسارها التدريجي نحو مرحلة الامبريالية ، دعت الى ضرورة اعادة اقتسام العالم حتى تتحصل على نصيبها من القسمة وصارت هذه القوى الاستعمارية ـ التقليدية منها و الحديثة العهد ـ تبعا لذلك تتنافس على منطقة الخليج العربي وتنكر أن تكون لانجلترا أي «ظل حق» لتنصيب نفسها حارسا وحكما في المنطقة(١٩)

وفي الواقع ، فان هذه القوى سابقها شأن انجلترا لم تكن لتتقدم في مواقع نفوذها الجديدة الا بالقدر الذي سمح به «اعتلال» الامبراطورية العثمانية وتقهقر النظام الفارسي ضعف الامارات العربية بل ربما عتمدت دول المنطقة تكتيكا خاطئا تقضي باستثارة الدول العظمى بعضها ضد بعض معتقدة أن في ذلك من الحنكة ما يجعل في صراع القوى المهيمنة مناعة لذاتها ، والحقيقة أن هذه القوى ، ولئن بدت تناقضاتها المصلحية كبيرة ، الا أنها تبقى دوما ثانوية اذ مهما اشتد الخلاف بينها فانها تنتهي الى الاتفاق حول تقسيم التركة «وترتيب البيت» فيما بينها وتبعا لما تقدم فإن هذه القوى الاستعمارية كانت تتحد لها مجالا للنفوذ بقدر الفراغ الذي تتركه دول المنطقة

ولقد حاول قياصرة روسيا في هذا المجال البحث عن مجال حيوي يمكن الراسمال المحلي الروسي من التغلغل في أسواق جديدة ، بفعل التطور الاقتصادي الحاصل بروسيا مع أواخر القرن التاسع عشر وخاصة بتنامي دور البرجوازية الرأسمالية الروسية المتحالفة مع الراسمال العالمي وقد تدعمت سياسة القياصرة خاصة منذ وصول (Witte) الى وزارة المالية وفتحه المجال واسعا للتعاون مع الرساميل الأجنبية

ولئن فشلت روسيا في الوصول الى البحار عبر الامبراطورية العثمانية (عبر المضايق ـ عبر العراق) بسبب معارضة الدول الاوربية ، فانها كانت قد فشلت أيضا من قبل في هذا المسعى عندما حاولت اختراق آسيا

الوسطى حيث دخلت في مواجهات عدة مع انجلترا (افغانستان) وهو ما دفع بالروس الى التركيز اكثر على التوسع عبر بلاد فارس عملا بوصية امبراطورهم بطرس الأكبر «توغلوا حتى تبلغوا سواحل الخليج (العربي) فتعيدوا الحياة الى الطرق التجارية القديمة مع الشرق الأدنى»[٢٠]

وليس من باب الصدفة أن يتزامن التوجه الروسي نحو الخليج والصدام الروسي العثماني في حروب القرم (٥٣ - ١٨٥٦) من جهة والمواجهة الروسية البريطانية في وسط اسيا من جهة أخرى وهو ما يجعلنا نعدّل بعض الآراء التي تقرن بين اهتمام روسيا بالمنطقة وفتح قناة السويس فحسب[٢١] ذلك إن بداية الاهتمام بالحصول على بعض الامتيازات لاقامة خطوط سكك الحديد شمال بلاد فارس[٢٢] لم يمثل في واقع الأمر سوى تمهيد لهذا التسرب الى منطقة الخليج

وقد تكثف الاهتمام الروسي بصورة مباشرة بالخليج منذ انشاء وكالة وسيا ببغداد سنة ١٨٨١[٢٣] وتتالى ... البحرية الروسية لموانيء ... ذلك أن زيارة الضابط (Vonblumer) في ربيع ... وسيرار وبوشهر لم

تكن سوى مدخلات لزيارات البعثات الروسية والقطع البحرية للخليج ، بل لقد اقترحت على الفرس اتفاقية منذ ١٨٨٨ ومفادها اتخاذ موقف موحد ضد بريطانيا[٢٤] وفي واقع الأمر فان النظام الايراني عجز عن المحافظة على لعبة الموازنة الخطيرة التي أراد تطبيقها ، فالتفويت في امتياز فتح نهر قارون للملاحة لصالح بريطانيا (١٨٨٨) حتم أيضا التنازل للروس عن اقامة شبكة من خطوط السكة الحديد شمال بلاد فارس بل أن الروس قد تجاوز طموحهم هذه الحدود الى البحث عن قاعدة بحرية لهم لتموين سفنهم بالفحم بل ، ولم لا ، تركيز مركز تجاري للبيع والشراء ونقل البضائع والمعدات

ومن البين أيضا أن مثل هذا المطمح صار ممكن التحقيق منذ أن تدعم التعاون الاقتصادي الروسي - الفرنسي في مستوى الاستثمارات وبرزت هذه الكتلة المعادية للأفضلية الانجليزية بالخليج ، وفي الحقيقة فان التعاون الفرنسي - الروسي في الخليج يتجاوز هذه الحدود الجغرافية والظرفية ليصل الى «تناغم» في المصالح أكثر اتساعا وشمولية[٢٥]

وقد تزايد قلق الانجليز بسبب الوجود الروسي في الخليج مع مطلع العشرين الاخيرة من القرن التاسع

ر حيث بدأت البواخر العسكرية
وب بعض السواحل الخليجية اذ
. الطراد الروسي (Nizhny
novgoc عمان سنة ١٨٩٣ وقابل
باطه الامام فيصل سلطان عمان ،
ان السفن الروسية كررت الزيارات
المنطقة مرات عدة[٢٦] وتوجت
ه «الفتحة» الروسية بزيارة الروس
جزيرة هرمز عبر بندر عباس وقيام
ابط مهندس بعمليات مسح للجزيرة
ربيع ١٨٩٥[٢٧] وتلميحهم بامكانية
ـة مخزن للفحم بالمنطقة ، وهو ما
ل تهديدا للمصالح البريطانية نظرا
اهمية موقع الجزيرة في مدخل
لخليج ، بل ان بعض منظري
بلوماسية البريطانية اعتبروا ان
ح أي امتياز للروس في أي موقع من
طقة الخليج يعني «اهانة عظمى»
يطانيا لا يمكن السكوت عنها[٢٨]

مطامح اوربية اخرى

ترامت هذه «الفتحة» الروسية
هدها فيما بعد[٢٩] وعودة بعض
ى الى الخليج واطلالتها مجددا
، فقد عاد الفرنسيون الى
تمام بالمنطقة[٣٠] مع النصف
ي من القرن التاسع عشر لا سيما
منتصف الستينات ، حيث تقدمت
ـة فرنسية بطلب للحصول على
ار حرية الملاحة بانهار العراق على
ما انتفعت به إنجلترا[٣١] كما
لقناصل فرنسا ببغداد والبصرة
دور هام في تثبيت النفوذ الفرنسي ودعمه بالمنطقة لا سيما عبر تشجيع الارساليات العلمية والأثرية بشكل خاص[٣٢] ، كما قدمت مشاريع عدة لتنشيط الميادين الزراعي والصناعي في اقليم عربستان «وبدأ الوكلاء والتجار الفرنسيون بالاستقرار بالمحمرة»[٣٣] على أن أهم النشاطات بالمنطقة ، كانت تلك التي تقوم بها فرنسا على ساحل مسقط وعمان حيث استغلت الاتفاق الحاصل بينها وبين إنجلترا (١٨٦٢) لكي تنشط تجارة الرقيق والاسلحة النارية والذخيرة سامحة لأصحاب السفن من العرب برفع راية العلم الفرنسي فوق بواخرهم للافلات من الرقابة البريطانية

وما من شك في أن معارضة بريطانيا للوجود الفرنسي ورفضها لأي توسع مستقبلي من أية دولة ، قد دفع البرجوازية الفرنسية الى العمل على تنسيق نشاطاتها بالمنطقة مع حليفتها الروسية من أجل فك الحصار البريطاني المضروب على المنطقة ، فضلا عن ذلك ، فان الدبلوماسية الفرنسية لا سيما منذ وصول هانوتو (Hanotaux) الى الخارجية الفرنسية (مايو ١٨٩٤ - يونيو ١٨٩٨) صارت تعادي بوضوح الهيمنة البريطانية المطلقة وتلوح في اطار تناقضاتها معها الى ما أطلق عليه «بالبرنامج الكبير» وهو القاضي بمنازعة إنجلترا امتيازاتها في المناطق العربية

وافضليتها فيها لا سيما احتلالها مصر[٣٠] وأصبحت التحركات الفرنسية خلال هذه الفترة مطبوعة بهذا التوجه باحثة لها عن موطىء قدم بالمناطق العربية وبداهة بالخليج العربي ، فمنذ ١٨٩٣ وقع التفكير في انشاء مخازن للفحم غير بعيد عن مسقط العاصمة[٣٥] وتدعم هذا المسعى بوصول العديد من السفن الحربية الفرنسية الى مرفأ مسقط واقامة وكالة قنصلية بها محددا في نوفمبر ١٨٩٤[٣٦] واعطاء الجنسية الفرنسية لسكان منطقة صور ورفع العلم الفرنسي على سفنهم[٣٧] ولم تمنع الخلافات بينها وبين إنجلترا حول هذه المسألة[٣٨] وغيرها من ان تثني عزمها عن ان تبحث لها عن مكان تحت شمس الخليج

وخلال نفس الفترة تزايد الاهتمام بأمر الخليج وأوضاعه فكثرت زيارات البواخر الأمريكية والايطالية والنمساوية له[٣٩] منذ أواخر الثمانينات وهو ما زاد في قلق بريطانيا على امتيازاتها بيد أن هذا القلق صار الى خشية منذ دخول القوة الألمانية ميدان المنافسة في الخليج وان كان ذلك بصورة متأخرة

... ساهم التقارب الألماني ... وتطور العلاقات بين البلدين ... ميدان الاستثمار (مدّ سكك ... الجيش ، في فتح باب الخليج أمام البرجوازية الألمانية الناشئة ، فمنذ ١٨٩٤ افتتحت قنصلية ألمانية ببغداد وهي التي ستمثل رأس جسر نحو التسرب الألماني الى الخليج العربي ، لا سيما بانجاز مشاريع تربط آسيا الصغرى بالمنطقة وذلك بمد خطوط سكة تمر عبر الأناضول ، وتمثل سكة اسكدار - بغداد عمودها الفقري ، كما قدمت مشاريع ألمانية أخرى يربط فيها خط حديدي المنطقة بالبحر الابيض المتوسط ، وقد ترامن هذا التسرب من الاجزاء الشمالية الى الخليج وتحركات الأسطول البحري الألماني بالأجزاء الجنوبية ، حيث بدأت زيارات البواخر الى مسقط وأنشئت وكالة بحرية ألمانية بها ، والحال أن عدد الرعايا الألمان لا يتجاوز ستة أنفار[٤٠] كما عرفت سنة ١٨٩٥

انطلاقة قوية للمصالح التجارية الألمانية ببوشهر إذ قام أحد تجار همبورغ ببعث مركز تجاري له ، على حين فتحت احدى شركات برام (Breme) مصلحة لها لبيع الفحم والأسلحة والسكر والحديد واقتناء القمح والشعير والجلود[٤١] وقد تدعم هذا الوجود التجاري الألماني بتكثف زيارات البواخر الألمانية لموانىء بوشهر والبصرة وذلك في اطار اثبات الوجود من جهة وتبيان أحقية التواجد من جهة ثانية

وتبعا لكل ما تقدم فقد بدت لنا [منـ]طقة الخليج مع أواخر القرن التاسع [عشـ]ـر بؤرة للصراع بين القوى [المـ]هيمنة ، وهو ما يفرض علينا الوقوف [عنـ]ـد الملاحظات الهامة التالية

* ان القوى الاستعمارية التقليدية منها (إنجلترا ، روسيا ، فرنسا) أو الحديثة العهد (ألمانيا) قد وجدت في منطقة الخليج مجالا آخر للتنافس من أجل اقتسام أسواقه أو اعادة اقتسامها وقد ازداد هذا التنافس حدة بفعل حصول بعض الدول على امتيازات داخل حدود الامبراطوريتين «المريضتين» وقد دعمت هذا المنحى التنافسي رغبة الدول الرأسمالية المتزايدة في الاستئثار بالدول المهيمنة عليها وذلك نتيجة لتطور الرأسمالية العالمية النوعي

* مثّل أواخر القرن التاسع عشر فترة حاسمة في تاريخ المنطقة واخر التنافس الشديد بين الدول الاستعمارية من أجل مناطق النفوذ والتمركز بها ، عمليات التقسيم وذلك بصورة نسبية ، فما كان يمكن بأي حال أن يعيقها

* سيزداد نفوذ القوى الأوروبية المهيمنة داخل منطقة الخليج بفعل الامتيازات التي ستحصل عليها من القيادات السياسية المحلية بطريقة أو بأخرى (الترغيب ، الترهيب) وهي امتيازات يتزايد حجمها حسب العجز عن التصدي لهذه القوى

* لم تكن دول المنطقة بفعل عوامل تاريخية واقتصادية وسياسية مالكة لزمام أمورها الداخلية والخارجية ، وهذا ما لم ييسر عملية التصدى والمواجهة ولا يعني ذلك سوى الاقرار بتفاوت موازين القوى واختلالها في صالح الدول الغازية دونما تبرير أو تورية لذلك ، اذ أن الغاية المثلى تكمن في فهم الأحداث وتفسيرها وليس في الاكتفاء بكشفها

* عمدت هذه القوى الاوربية كذلك الى سدّ فراغات ــ والفراغات كثيرة ــ خلفتها القوى التقليدية بالمنطقة (الأمبراطورية العثمانية ــ ايران) وهذه الفراغات كانت نتيجة حتمية نظرا للضعف الذي طبع الدولتين لا سيما انهيار أوضاع الباب العالي السياسية والاقتصادية وذلك اثر فشل محاولات الاصلاح

ب ـ العثمانيون والقوى المهيمنة في الخليج أواخر القرن التاسع عشر

ان اعتبارات متعددة تجعل الاسراطورية العثمانية تهتم اواخر القرن التاسع عشر بالخليج العربي اهتماما متزايدا وهو اهتمام يتجاوز الروابط التقليدية المتعارف عليها بين بلد مهيمن وبلد مهيمن عليه ، ولذلك فان لنا في ابراز خصائصها جوانب عميقة

١ ـ موقع العثمانيين في الخليج

ترى الدبلوماسية العثمانية ان ما بين الخليج والامبراطورية العثمانية من تجاوب يتعدى العلاقات الظرفية المؤقتة ويتعدى الانبهار بالجو اللطيف الذي يميز المنطقة[٤٢] ليقترن باهمية المنطقة ديمغرافيا وتجاريا واستراتيجيا فضلا عما بين سكان المنطقة والامبراطورية من علاقات خاصة[٣]

فمن الناحية الديمغرافية تعتبر منطقة الخليج خالية أو تكاد من السكان مقارنة ببقية مناطق الامبراطورية التي كانت تعرف مع أواخر القرن التاسع عشر ضغطا ديمغرافيا سيما في الاجزاء ... واهتمام الدبلوماسية ... بمنطقة الخليج من هذه ... اكثر من دافع فهل وقع التفكير في عمليات تهجير جماعية الى هذه المنطقة أم في توطين السكان بهذه البقاع؟ مهما كان الامر فان المنطقة كانت تغري ، لا سيما وأن نسبة الكثافة السكانية بها لا تتجاوز في أحسن الأحوال ١٣ ساكنا بالميل المربع[٤٥] ويبدو أن الدبلوماسية العثمانية كانت تسعى الى استغلال هذا الفراغ السكاني[٤٦] لا سيما أن برامج قسرية كانت أقيمت في عهد بعض ولاة البصرة أواخر القرن التاسع عشر غايتها توطين القبائل عنوة وهو ما يسمح بحصر السكان واجلاء بعض الفضاءات الفلاحية وتعمير بعضها لجلب أعداد جديدة من القبائل القابلة للاستقرار وفلح الارض

فضلا عن ذلك ، فان اهتمام العثمانيين بالمنطقة ، يرتبط بأهميتها الاقتصادية ولا سيما بأهميتها التجارية[٤٧] فهي القلب النابض في التجارة بين اسيا وافريقيا وذلك لأنها من أهم مراكز المبادلات لكونها موطن التقاء القوافل والتقاء البواخر القادمة من القارتين والذاهبة اليهما ويوليها الباب العالي أهمية خاصة لأنها تمكنه من الاشراف على هذه التجارة والاستفادة منها ويتعاظم هذا الدور لدى الدبلوماسية العثمانية بالنظر الى الموقع الاستراتيجي للخليج كخط رابط بين العراق من جهة ومصر من جهة

حرى[٤٨] فهل هو الحبس الى حط تليدي كان يربط منطقتي نفوذ تمانيتين قبل احتلال مصر ، لا متقد ذلك ان فتح قناة السويس قد تعل من الخليج العربي محطة سرورية بل ورئيسية في المبادلات لعالمية وهو ما استفاد منه حرئيا لعتمانيون بعيد ١٨٦٩[٤٩]

وبداهة يهتم الباب العالي بالخليج قضاياه لوجود جزء منه تحت الهيمنة لعتمانية اذ يسيطر من خلال ولاية لبصرة التي بعثت محددا سنة ١٨٨٤[٥٠] على قرابة ١٣٠ ألف كلم مربع[٥١] بل ربما أكثر من ذلك[٥٢] مقسمة الى ٤ سناجق وهي سنجق لبصرة (٢٠,٠٠٠) كلم مربع وسنجق المنتفك (٢٠,٠٠٠) كلم مربع والعمارة (٤٠,٠٠٠) كلم مربع وسنجق الاحساء أو نجد (٥٠,٠٠٠) كلم مربع ، وهذا السنجق يمتد جنوبا على الساحل العربي من الخليج لكي يضم مناطق نجد وقطر والقطيف حيث يتاخم في الجنوب ما اصطلح على تسميته في الأدبيات والمراسلات الرسمية البريطانية ساحل القراصنة أو فيما بعد بداية القرن التاسع عشر بالساحل المهادن[٥٣] ويتم تسيير المنطقة اداريا من قبل وال مقرّه البصرة ، وهو في نفس الوقت المسئول على سنجقها ويستعين بثلاثة متصرفين يرأس كل واحد منهم سنجقا وأحد عشر (قائمقاما) يشرفون على الأقضية (ج قضاء) ومديرين يشرفون على النواحي (ج ناحية)[٥٤] ويعود كل هذا الاطار الاداري بالنظر - اسميا على الأقل - الى الوالي باستثناء منطقة الكويت التي يتمتع المشرفون عليها (آل صباح) بشبه استقلالية نسبية وفي اطار مزيد من الضغط على المتساكنين استحدثت منذ ١٨٩٣ وظيفة جديدة وهي وظيفة «التحصلداريون» أو «المحصلون» ومهمة المكلف بها الاشراف على «المختارين» ومراقبة صحة وورود الاتاوات واتخاذ الاجراءات القانونية لجباية الضرائب المتأخرة الخ[٥٥]

ويعتقد العثمانيون أن دورهم في المنطقة وتأثيرهم فيها يتجاوز الـ ٩٣٥,٠٠٠ ساكن عربي[٥٦] المنطوين تحت نفوذها لكي يشمل بقية متساكني المنطقة من المسلمين[٥٧] وهو خلط مقصود بين الاسلام من جهة والمسلمين من جهة أخرى عمدت اليه الدبلوماسية العثمانية لتبرير هيمنتها على مناطق عربية باسم الدين ، كما أنها محاولة لتوسيع جبهة التصدي للاستعمار الاوربي المتكالب آنذاك على المنطقة الخليجية ومحاولة حشد أقصى ما يمكن حشده من متساكني المنطقة ضد المشاريع التوسعية لا سيما منها الانجليزية

وفي واقع الأمر . فان الباب العالي وخصوصا في عهد عبدالحميد الثاني . صار يلوح بهذا الشعار ليس فحسب تصديا للقوى الاجنبية ، وانما للقضاء على أي نفس قومي يطالب بالانفصال عن الامبراطورية من اجل ضمان استقلاله الذاتي . لقد استعمل هذا الشعار في اتعس فترات القمع الحميدي ضد أي نفس اصلاحي أو مشروع ليبرالي متنور داخل الامبراطورية فصارت «الجامعة الاسلامية» قميص عثمان» لتبرير عمليات القمع والهيمنة الحميدية

ان القول بان الدول الاوربية ـ وخاصة إنجلترا ـ تخشى تزايد نفوذ الخلافة الاسلامية وتأثيرها في المسلمين مستقبلا[٥٨] بدليل «ما اثارته الانتصارات العثمانية ضد اليونان[٥٩] من هيجان لدى المسلمين في بلوشستان وهندستان»[٦٠] ان مثل هذا القول فيه الكثير من المغالاة ، بل ربما يحمل الكثير من المغالطة كذلك ، ذلك أن الاحداث الواقعة في الهند وبلوشستان لها أسبابها الخاصة بها [٦١] ولا يمكن باي حال أن تعزى الى انتصارات الباب العالي الظرفية المحدودة في معاركه مع ... بجزيرة كريت كما أن الدعوة ... جامعة الاسلامية أو الى عصبة ... قد تمنع ـ ولن تمنع البتة ـ ... ربية من تقسيم «تركة ... فضلا عن ذلك فان هذه الدعوة لم تمثل لا في المستقبل القريب ولا المستقبل البعيد خطرا على الدول الامبريالية التي كانت في نفس الوقت الذي تعمل فيه على تدعيم مصالحها بالمنطقة ، تنفخ في تنور الدعوة الى القوميات وادكاء النفس القومي الساعي الى الانسلاخ عن الباب العالي

وفي الحقيقة فان الايديولوجية العثمانية الرسمية قد وظفت لأغراض خاصة بعض تعاليم جمال الدين الأفغاني ومناداته بوحدة الشعوب الاسلامية ، فدعت لاقامة دولة اسلامية يحكمها عبدالحميد الثاني نفسه بوصفه أميرا للمؤمنين ، وفي هذا المجال فان الدول الاستعمارية لم تقلقها مثل هذه الدعوات بل ان إنجلترا كانت تعتقد أنه من الطبيعي جدا أن يحاول السلطان العثماني أن يجعل من نفسه خليفة للمسلمين وأن ينظر اليه المسلمون كخليفة لهم[٦٢] وتبعا لما تقدم الا يمكن أن نبرر سلوك الأرمن في تلك الفترة ـ وسلوك غيرهم من القوميات ـ التي لا تدين بالاسلام ؟ وهل يمكن أن نتفهم المذابح التي أقيمت ضدهم خلال ١٨٩٤ ـ ١٨٩٦ ؟ بل كيف لنا أن نمنطق سلوك الباب العالي المزدوج تجاه جمال الدين الأفغاني نفسه ، فبعد الحاح عبدالحميد عليه للقدوم الى اسطنبول وذلك تكريما له(؟) منع حتى من حريته الشخصية ورفضت

لباته المتعددة لمغادرة الاستانة حتى
فاته

. القوى المهيمنة في ميزان الدبلوماسية العثمانية

تركزت تقييمات الدبلوماسية العثمانية عند الحديث عن الأوضاع الخليج على حقيقة تبدو لها بديهية، مفادها أن سكان المنطقة - كل السكان - يحبون الباد شاه (السلطان العثماني) ويلهجون له بالدعاء»[٦٣] د كانت سياسته» حكيمة تجاه كل المسلمين الا أن وجود دولتين متنافستين تنازعان الامبراطورية سلطتها على المنطقة هو السبب في تأزم الأوضاع

. الأطماع الأنجليزية :

حسب المصدر الدبلوماسي الذي اعتمده، اتضحت مطامع انجلترا الاستعمارية منذ أواخر ستينات القرن التاسع عشر أي منذ ١٨٦٩ يوم احدث مقر للوكالة السياسية ببغداد دار من الهند وقد بدأ تأثيرها يمتد الى منطقتي عربستان والبصرة وما حواليهما[٦٤] وقد ازدادت هذه المطامع رسوخا منذ «سقوط» مصر بأيدي بريطانيا[٦٥] اذ كان المطمح الاستيلاء على البحر الأحمر من جهة خليج البصرة من جهة ثانية

وتعتقد الدبلوماسية العثمانية - عن صواب - أن هذه المطامع الانجليزية تتجاوز هاتين المنطقتين لكي تشمل مناطق أخرى أكثر أهمية واتساعا، فلا تصبح منطقة الخليج سوى معبر هام ضمن مشروع ضخم لمد سكة حديد تربط مصر بالحجاز في اتجاه البصرة ومنها الى ايران وبلوشستان فبلاد الهند[٦٦]

وفي الحقيقة، فقد راود مثل هذا المشروع الأوساط المالية والسياسية البريطانية حيث عبر عنه الكولونيل ميد (Meade) المقيم السياسي البريطاني بالخليج حينما دافع عن موقع الكويت متخوفا من سقوطها بين أيدي قوى أجنبية أخرى غير الأيدي البريطانية وقد اقترح آنذاك أن تكون الكويت نهاية مرحلة أولى لسكة تبدأ من بورسعيد[٦٧]، فهل كان المقترح مجرد مناورة إنجليزية لمقاومة المشروع الألماني - الروسي ؟ ترى الدبلوماسية العثمانية عكس ذلك مؤكدة أن الموضوع كان محل بحث مرات عدة بلندن، كما أن الأمر يبدو لأنجلترا من السهولة بحيث يكون أقرب للتحقيق[٦٨]

ويتدعم ذلك التوجه تجاه إنجلترا بالنظر الى الحملات التي كانت تقام بلندن ضد الحضور العثماني بالخليج لا سيما من قبل مستشار الخارجية البريطانية كرزون الذي كان يوصي بلاده بأن تقف حاجزا أمام التوسعات العثمانية في اتجاه دولة الامارات

وخاصة في اتجاه سلطنة مسقط وعمان[٦٩]

وفي واقع الأمر ، فان الدبلوماسية العثمانية كانت غير مطمئنة الى تعاظم دور بريطانيا في الخليج بل وفي شتى البقاع التابعة للامبراطورية وتدخلاتها المسترابة لا سيما منذ احتلال قبرص (١٨٧٨) ، بل ان الباب العالي كان محقا في تقديراته القاضية بأن الاستراتيجية الانجليزية كانت تذهب أواخر القرن التاسع عشر في اتجاه الاطاحة بالامبراطورية العثمانية[٧٠] وتفكيكها وذلك للإعتبارات التالية

* ان الدولة العثمانية أصبحت من الضعف بحيث لا تقدر على الدفاع عن حدودها وهي بالذات لا تستطيع أن تمنع توسعا روسيا مرتقبا[٧١]

* ان الباب العالي أصبح فاقدا لجيش قوي وأسطول بحري قادر على التصدي للتقدم الروسي في البحر الأسود في اتجاه المضائق[٧٢] ولعلنا لا نجانب الصواب حين نبين أن عدم احتلال الروس لاسطنبول يعود في بعض المرات الى تدخل القوى الاوربية الحاسم

* المساندة المطلقة التي تجدها بريطانيا من الرأي العام الاوربي في محاربة القرصنة!! وتجارة الرقيق[٧٣] لا سيما بمنطقة الخليج وهي دعوى باطلة عملت الدعاية البريطانية على ترويجها فضلا عن قلة المؤسسات القرصنية منذ مطلع القرن التاسع عشر ، وتقلص نشاطاتها بالمنطقة فان بريطانيا قد نصبت نفسها وصية وحدها على محاربة الظاهرتين والحال أن الباب العالي ذاته قد طالب مرارا بالمشاركة في ذلك دون أن يسمح له به

* المساندة البريطانية المطلقة للقوميات الموجودة تحت النفوذ العثماني ودعمها المستمر لانتفاضاتها ، واثارة النعرات ضد الباب العالي لأنه حسب زعم الدبلوماسية الانجليزية «يمحو حرية الشعوب والأقوام»[٧٤] ، والحال أن إنجلترا كانت في نفس الوقت تقتحم أسواقا وتحتل دولا وشعوبا وتسعى لمزيد من السيطرة والنفوذ في شتى بقاع العالم

* قيام بريطانيا بحملة دعائية واسعة في أوساط المثقفين والرأي العام عموما ، «لكسر ناموس الدولة العثمانية»[٧٥] بدعوى «توحش الممالك

العتمانية» وصرورة «سر المدنية بها»[٧٦] معاصمتهم اسطنبول في حراب وفي عير نطام»[٧٧] والأتراك ليس لهم أي نصيب من التمدن[٧٨]

وما من شك في ان المد الاستعماري كان يحتاج الى وسيلة دعائية لتبرير تسلطه على السعوب واحتلاله أحراء كبيرة من العالم ولئن كانت اسطنبول تعاني فعلا أواحر القرن التاسع عشر حالة اضطراب وفوضى نتيجة للارهاب السياسي الحميدي وايقاف العمل بالدستور وقمع الحصوم السياسيين وتدحل الدول الاوربية المباسر في مالية الباب العالي وهيمنتها المطلقة على حلب الدواليب الاقتصادية العتمانية (ادارة الدين العتماني، وكالة التبغ) لئن كان هذا هو حال الامبراطورية فان ذلك لا يعطي أي تبرير لأي تدحل أحنبي لاحتلال بعض المناطق والتوسع في مناطق أحرى كما انه لا يمثل بأي حال تعلة لاضفاء سرعية للتسلط على شعوب بدعوى «تحضيرها» و«تمدينها»

وعلى ضوء هذه المواقف والاعتبارات يتبين لنا أن الدبلوماسية العتمانية لم تكن غافلة عن النوايا البريطانية الحقيقية، بل انها كانت تعتقد ـ عن صواب ـ أن تدخلات إنجلترا في شتى أطراف الامبراطورية، ومن ضمنها منطقة الحليج، لا يعني في واقع الأمر سوى السعي للاجهاز على «الرجل المريض» حين تواتي الفرصة ومثل هذه النتيجة تحتم تبعا لذلك اتخاذ تدابير حازمة للتصدى لهذه الاطماع والحيلولة دون تحقيقها خصوصا أن الدفاع عن الامبراطورية يمر بداهة عبر الدفاع عن أطرافها

ب ـ الأطماع الروسية

ان عداء الباب العالي لإنجلترا لا يعادله سوى عدائه لروسيا القيصرية التي كانت هي الأحرى تسعى للهيمنة على أجزاء هامة من الامبراطورية ولئن بدت مساعي إنجلترا غير شفافة ومقنعة، فان مطامح روسيا ومطامعها لم تكن خافية عن الرأي العام العتماني والعالمي، وحروب روسيا مع الباب العالي وتدخلاتها في المناطق التابعة للأمبراطورية معروفة وغير خفية وهدفها لم يتمثل الا في الحصول على أكبر حصة من «التركة» في اطار منافسة دولية حادة من أجل هذه القسمة وتعتمد الدبلوماسية العتمانية للاقرار بهذه الحقيقة على المعطيات التالية

* ان احتلال اسطنبول ومراقبة المضائق كان مطمح الروس منذ زمن بعيد[٧٩] وتاريخ الصراع بين الامبراطوريتين في هذا المجال طويل

* ان روسيا لعليمة بضعف الحيوش العتمانية وتحطم اسطولها البحري فلن يستطيع الباب العالي تبعا لدلك الدفاع عن سواحله لا سيما سواحل البحر الأسود[٨] أو عن اية منطقة حدودية اخرى

* ان العداء الذي طبع العلاقات بين روسيا وإنجلترا قد انتهى منذ إستيلاء إنجلترا على مصر[٨١] ومنذ وقع السعي فعليا الى اتحاد الكنائس بغاية استعادة ايا صوفيا (القسطنطينية) معبدا للنصارى[٨٢]

ويبدو لنا ان في متل هذا القول مغالاة ، ذلك أن تنافسا حادا كان يوجد بين القوتين الإنجليزية والروسية ويطبع العلاقات بينهما بل أن الصدام كان قائما بينهما في مناطق شتى من العالم ، لا سيما بأجزاء من أوربا الوسطى (مسكلة الأقليات القومية ، صربيا) وخاصة بالمناطق الوسطى من روسيا حيث كانت الحروب بينهما سجالا حتى اتفاقية بلمير (١٨٩٥) بل ان تنافرا في المصالح كان يطبع علاقتهما بمنطقة المضايق خاصة بيد أن محاولة كل من العونين التوسع على حساب الإمبراطورية وسعيهما الى الهيمنة على اطرافها قد جعل الدبلوماسية العتمانية تعتقد أن اتفاقا مسبقا حصل ويحصل بينهما من أجل الاجهاز على السلطنة

* ان روسيا تسعى لاتارة مسألة القوميات الموجودة تحت نفوذ الباب العالي ، وتراهن على اتارة النزعات القومية لدى الأقليات العرقية ، وآخر ما قامت به حتتها الأرمن على الانتفاضة[٨٣] ، اذ هي المتسببة في تأليبهم ضد السلطنة العتمانية[٨٤] وهو ما يساهم في نظر الدبلوماسية العتمانية، بطريقة أو بأخرى في التعجيل بتفكيك قوام الامبراطورية وقد متلت هده المسألة (مسألة القوميات) رأس حربة اعتمدتها روسيا اذ جعلت من نفسها «حامية» هذه الأقليات داعية مند مطلع القرن التاسع عشر الى «تحرير الأرمن» من عبودية الأتراك والفرس[٨٥] حاثة اياهم طيلة ١٨٩٤ ـ ١٨٩٦ ، رغم القمع الحميدى على مواصلة الانتفاضة ومنبهة الضمير العالمي الى الاوضاع السيئة التي يعيشونها والحال أن القوميات التي كانت ترزح تحت نظام القياصرة لم تكن بأحسن حال

وتحصيصا على منطقة الحليج ، فان الدبلوماسية العتمانية كانت متنبهة الى النوازع التي تتشد روسيا الى هده المنطقة اد هي «تريد عبر عحمستان (ايران) أو العراق أن تنفذ الى المحيط الهندي»[٨٦] ، أي اعتماد ما اصطلح على تسميته عالميا بتكتيك الوصول الى المياه الدافئة ، وهو ما كان يمتل في نفس الوقت حطرا على المصالح الحيوية للقوى المهيمنة في العالم وبالخصوص على إنجلترا ، وتبعا لدلك فان الباب العالي يعوّل على معارضة هده الدول لهدا المشروع ، اد ان حروح «الدب الروسي» الى البحار الدافئة واستيلائه على مناطق شرق آسيا العتمانية سيقلق أساسا إنجلترا ومصالحها بحوص الخليج العربي[٨٧] ويضع أفضليتها في المنطقة موضع الشك

ومن البيّن أن الباب العالي ولئن كان عارفا بطموحات قيصر روسيا ، الا أنه كان يعتمد على التنافس الدولي الحاد لابعاده عن المنطقة وافشال مشاريعه بها بل انه تكشف حتى على مستقبل الأوراق السياسية في فسيفساء الرقعة الدولية وتنبأ بأن إنجلترا في سعيها لابعاد الروس عن الخليج وازالة تأثيرهم ، ستستعد مجددا لاثارة القلاقل داخل روسيا الوسطى عبر الهند وأفغانستان حتى تجبر روسيا على تقسيم قواتها على كامل حدودها الجنوبية وهذا ما يساهم في تشتتها وهو ما يسمح بالتالي بسد الطرق والمنافذ أمام خروج روسيا الى الخليج[٨٨] فهل يعد هذا من قبيل التقييم الصائب والدهاء المحنك ؟! أم هو حيلة من لا قوة له ؟!

مهما كان الأمر فان الدبلوماسية العتمانية تقر بأن الأمر خطير في منطقة الخليج ، وأن من واجب الباب العالي اثبات وجوده بالمنطقة وحاكميّته عليها ، ولا يتم له دلك الا بضبط خطة مواجهة للأطماع الأجنبية بالمنطقة وتبعا لما تقدم ، وعملا بمبدأ الاقصاء ، يتبين لنا أن الدبلوماسية العتمانية قد أقرت جملة من الثوابت ، فاذا بالخطر الأكبر الداهم على الخليج العربي أواخر القرن التاسع عشر لا يتأتى من روسيا القيصرية (معارضة إنجلترا لخروجها عبر الخليج للمياه الدافئة) ولا يتأتى من فرنسا (تطور برامج استتمار فرنسية بالأمبراطورية[٨٩] ، خط هانوتو) كما لا يتأتى حتما من ألمانيا (فترة صداقة وتعاون !!) وانما الخطر ، كل الخطر يتأتى من إنجلترا التي بدأت تزحف تدريجيا نحو المواقع التي سلبت سكانها حريّة التحرك في الخليج ، فكيف ستكون المواجهة ؟ وكيف سيتم التصدي ؟

٣ ـ خطة المواجهة العثمانية

يرد البعض اهتمام الدولة العثمانية المجدد بمنطقة الخليج الى

فترة انسحاب القوات المصرية من شبه الجزيرة العربية ـ ١٨٤٠ ـ (٩٠)
اذ تبين للعثمانيين خطر اهمال هذه المنطقة البعيدة عن مركز الخلافة والحال انها منطقة ذات موقع استراتيجي هام فصارت عرضة لطموحات البعض (محمد علي) وطموحات البعض الآخر (إنجلترا) ويبدو ان هذا الاهتمام قد كان محدودا في الزمان والمكان ولم يتجاوز الطور الانفعالي الا بقليل ، ذلك أن بريطانيا قد تقدمت أكثر في اتجاه ربط علاقات وطيدة جدا مع شيوخ المنطقة وسكانها واحكام قبضتها على الساحل العربي للخليج بتوقيع اتفاقيات تضمن لها حرية التجارة ومقاومة القرصنة البحرية «المعيقة» لنمو تجارتها

ويرى البعض الآخر أن اهتمام الامبراطورية بالخليج لم يتخذ شكلا اكثر جدية سوى سنة ١٨٧٠ (٩١) اثر فتح قناة السويس اذ اصبحت المنطقة بفعل ذلك محطة هامة في التجارة العالمية ، فضلا عن نمو التجارة بها . كما كان للتطورات السياسية الحاصلة داخل الامبراطورية (الاصلاحات ، نمو الشعور القومي لدى الأقليات بأوربا) وخارجها (تطور المنافسة العالمية ، موت فيصل بن ... سلطان مسقط ومشكلة ...) المرحلة الثانية اعادة ... على بعض المناطق من الخليج وكان منطلق ذلك تعيين مدحت باشا واليا على العراق (٦٩ ـ ١٨٧٢) تم انشاء ولاية جديدة هي ولاية البصرة لأول مرة (١٨٧٥) وذلك باقتطاع أقاليم من ولاية بغداد وضم اقليم الحسا اليها وتعيين حاكم عربي المولد والقبيلة عليها (الناصر باشا) (٩٢) ، الا أن تمرد القبائل ضد السلطة المركزية في صائفة ١٨٧٧ ، وانتفاضات بغداد شتاء ٧٧ ـ ١٨٧٨ ، والصراعات القبلية ٧٨ ـ ١٨٧٩ وحذف ولاية البصرة ـ ١٨٧٩ ـ والصراع السياسي المفتوح بين الموظفين الأتراك على مراكز النفوذ (٩٣) ورفض التبعية العثمانية من قبل بعض المناطق كل هذه العوامل وغيرها جعلت العلاقات بين الباب العالي والخليج تعود الى الفتور مجددا بل تعرف شللا وهو ما مثل مدخلا لبريطانيا لتدعيم مواقعها أكثر فأكثر

ويقر جانب كبير من المؤرخين بأن مرحلة ثالثة في علاقة الباب العالي بالخليج انطلقت اثر احتلال مصر (١٨٨٢) اذ تبين للباب العالي طمع الانجليز في السيطرة على أجزاء من الخليج العربي فكانت هذه المرحلة الدفاعية تحسبا لتوسع مرتقب وقد انطلقت هذه المرحلة داخليا ببداية اقامة بعض التحصينات الدفاعية وبناء بعض الاستحكامات العسكرية (انطلاق أشغال بناء قلعة الفاو ١٨٨٣) والسيطرة على بعض الجزر في

شط العرب ، مرورا باعادة بعث ولاية البصرة ، وتتويجا بعودة المبادرات العثمانية الى التنسيق مع شيوخ المناطق والامارات أما من الناحية الخارجية فقد عمدت الدبلوماسية العثمانية في هذه الفترة الى ربط الصلة محددا بالمناطق التي فترت علاقاتها بها وفي هذا الاطار جاء مثلا دعمها لآل الرشيد ، وتشجيعها اياهم منذ ثمانينات القرن التاسع عشر على الاطاحة بأسرة آل سعود الحاكمة بالحجاز اذ يعتبر العثمانيون أن لها ارتباطات ببريطانيا فصار الباب العالي تبعا لذلك يعمل على تحصين نفسه باقامة بعض الأسر الأكثر ولاء له ، أو بالأحرى الأكثر وضوحا في عدائها للانجليز

ويمكن أن نعتبر فترة تسعينات القرن التاسع عشر تواصلا لهذه المرحلة الدفاعية السابقة الا أن الاحداث قد تسارعت فيها بدرجة لم يعد الباب العالي قادرا على مواكبتها ومجاراتها فرغم التلويح بأحقية السلطان العثماني في ضم دولة البحرين ، انكفأت في الواقع الامبراطورية الى مواقعها الترابية للدفاع عنها واتمام بعض الاستحكامات بها (اتمام حصن الفاو ١٨٩٤) أو للمطالبة بها (كثرت خلال هذه الفترة المشاكل الحدودية مع ايران المحمّرة . شط العرب وهي المشاكل المرتبطة حقيقة بفتح نهر قارون للملاحة البريطانية) أو لمزيد من ابتزاز شعوبها وخيراتها (منذ ١٨٩٣ ايجاد وظيفة جديدة «تحصلداريون» - لاحكام جمع الاتاوات والضرائب) على حين تنامي الشعور القومي لدى العرب برفض الهيمنة العثمانية اذ تكاثرت الانتفاضات المناوئة للأتراك (قبيلة أبو محمد[٩٤] والرافضة لسيطرتهم (انتفاضة قطر ١٨٩٣) والمتبرمة من وجودهم (حلب ١٨٩٥) وهذا ما شجع أكثر الانجليز على التمادي في نهجهم ومواصلة سياستهم التوسعية فكبلوا الجماهير العربية بمزيد من الاتفاقيات (اتفاقية مع مسقط ١٨٩١ ، اتفاقيات مع شيوخ الساحل المهادن ١٨٩٢) بل سعوا الى مزيد من التوسع في المناطق التابعة اسميا الى الباب العالى (سعى الى ضم قطر ، بداية اتصالات مع شيخ الكويت ١٨٩٥)

ومن الأكيد ، أن الباب العالي الذي كان يعيش مشاكل مالية واقتصادية واجتماعية وسياسية لم يكن يعير أطراف الامبراطورية اهتماما خاصا الا عند حدوث اهتزازات كبرى ولذلك انعدمت الخطط المبرمجة المنظمة كما لم تقدر السلطنة على ضبط توجه حقيقي فعال وناجز للتصدى للأطماع الاستعمارية وهو ما شجع القوى الاوربية خاصة منها إنجلترا على مواصلة سعيها الى اكتساح مواقع جديدة على حساب الباب العالي وعلى

حساب متساكني المنطقة العربية فكان هذا التوسع الاقتصادي والسياسي البريطاني بالأساس مدخلا لربط تاريخ المنطقة، ولأمد طويل، بتاج المملكة

فضلا عن ذلك فان العثمانيين لم يستطيعوا اشراك سكان المناطق الخاضعة لنفوذهم في عملية المواجهة وربما هم لم يرغبوا في ذلك، فسهل على القوى الاستعمارية الانفراد بالأتراك فكالوا لهم الهزائم السياسية والعسكرية ومما زاد الأمر سوءا أن بعض المشاريع الاصلاحية التي بدأ السعي الى تطبيقها بالخليج لم تكن في واقع الامر سوى خطط فردية المبادرة والانجاز يرتبط وجودها باسم بعض الولاة أو الاشخاص، فما أن يغيبوا او يغيبوا حتى ينهار الصرح المشدود

زيادة عن كل ما تقدم، فان هذه البرامج الاصلاحية والخطط التي اريد لها أن تكون عنوانا للمواجهة كانت بالضرورة محدودة الفعالية اذ هي لم تندرج في اطار مواجهة عامة للقوى الاستعمارية، فقد كان من العبث العمل على فتح السوق العثمانية للرساميل من جهة، وترك أمور خزانة الامبراطورية وماليتها وديونها في ايدي القوى الأجنبية من جهة، والدعوة الى التصدي للأطماع البريطانية في الخليج، والمطامح الروسية في ارمينيا ووسط أوربا، ورغبات فرنسا في احتلال بلاد الشام ونزوع ايطاليا الى التوسع في ليبيا من جهة أخرى

ان القول بأن أخطارا كانت تحدق بالامبراطورية ومتساكنيها يعني بالضرورة ضبط خطة شاملة كاملة، وهذا ما لم يتوفر، وبقيت الخطط - ان وجدت - محليه التوجه، فردية المبادرة، آنية النتائج، محدودة المفعول ومن البين ايضا أن بعض الخطط التي اقترحت[٩٥] لم تكن كافية بالمرة بل ان الدبلوماسية العثمانية بلندن ذاتها تقر بمحدوديتها فهي لا تتماشى وعظمة الامبراطورية رغم حسن النية والحماسة[٩٦] ويعني ذلك بداهة الاقرار بفشل التجارب السابقة والشك في فعالية المشاريع المستقبلية ما لم تتزامن مع الأخذ بأساليب التقدم واكتساب القوة الكافية والضرورية ولا تتأتى هذه القوة الا بتعلم فنون الدفاع الحديدة وحذقها وامتلاك التجهيزات العسكرية الحديثة على غرار ما يوجد في أوربا[٩٧] واعتماد التطور التقني والعلمي المعمول به بهذه البلدان[٩٨] ومثل هذا القول يؤكد أن بعض المتنورين كانوا موجودين داخل الهياكل المسيرة للإمبراطورية وأنهم مافتئوا يدعون الى ضرورة تجاوز العقم الذي طبع أوضاع الباب العالي وتحركاته

ولا غرو في أن نقرّ بأن منصب

الدبلوماسية العثمانية بلندن كان يفسح مجالا واسعا للاطلاع على واقع الدول الاوربية المتقدمة وخلق مجال للمقارنة والتشوّف وتبعا لذلك يعتبر منصب لندن من أدق المناصب وأخطرها لا لاشرافه على المسائل الدولية فحسب، وانما لأنه يمكن من القيام بدور فعال في توجيه السياسة الخارجية والداخلية للأمبراطورية(٩٩) ومن الطبيعي أن يكون المشرف على هذا المنصب ملما الماما كبيرا بالاوضاع الدولية وتطورها من جهة وعارفا بخبايا الأوضاع الداخلية من جهة أخرى وهذا ما يعطي لمواقفه، ومقترحاته مصداقية تتفاعل فيها المعطيات الداخلية مع الأحداث العالمية ومتغيراتها، وتندرج هذه الخطة حسب رأينا في هذا الاطار ولئن بدت الخطة متكاملة، ترتبط عناصرها بعضها بالبعض الآخر، الاّ اننا لأسباب منهجية قسمناها الى محاور متعددة يستقيم كل واحد منها عنصرا تاما

١. العمل على تطوير التجارة

يعتبر الخليج العربي محورا هاما للتجارة العالمية بالشرق الآسيوي، وقد تعاظمت هذه الأهمية منذ فتح قناة السويس، حيث صارت البواخر المحملة بالبضائع تقدم على الموانىء لتفرغ حمولتها من البضائع وتبتاع ما ترغب في اقتنائه، ويكفي الاطلاع على مختلف كتب الرحّالة والتجار ومراسلات القناصل، حتى نكتشف أهمية التجارة بهذه المنطقة ودورها في تنشيط بقية القطاعات الاقتصادية ولسنا نجازف ان صرحنا بأن القطاع التجاري أصبح يتحكّم في بعض القطاعات في أواخر القرن التاسع عشر(١٠٠)

على اننا لا بد ان نثبت منذ البداية، أن التجارة الانجليزية كانت تحتكر كليا او تكاد نشاط الخليج العربي، وأبعد التجّار العرب والاتراك عن هذا القطاع تدريجيا، ففي الأقطار العربية غير الخاضعة للعثمانيين، سيطر الانجليز تقريبا على النشاط التجاري تاركين للتجار والملاحين العرب بعض الفتات، وقد مثلت هذه السيطرة البريطانية تتويجا لمسار كان البرتغاليون والهولنديون والفرنسيون وغيرهم ضحيته فلم ترس بميناء مسقط من السفن العربية سنة ١٨٩٣ سوى ٢٦٨ سفينة والحال أن عددها كان قبل خمس عشرة سنة (١٨٧٧) يربو على ٧٩٠ سفينة(١٠١) ويعني ذلك أن التجار العرب بدأوا يفقدون تدريجيا ما حذقوه وتفننوا فيه على مدى قرون عدّة واستعاضت الشركات والمؤسسات التجارية في نقل بضائعها عن السفن العربية بالبواخر

البريطانية التي كانت أكثر صلابة (صارت حديدية) واكثر حمولة ففقدت الدول العربية بذلك قدرتها على المنافسة والوقوف أمام كفاءة اساطيل الدول الاوربية ، فاذا بالأسطول البحري العماني يفقد ٣/٤ قطعه فيما بين ٧٥ ـ ١٨٩٥ (٢ ١) ويعود ذلك اساسا الى بداية اعتماد الانجليز على السفن البخارية منذ مطلع ستينات القرن التاسع عشر واتخاذ بعض المراكز العربية (البحرين) محطة بريطانية لتجميع البضاعة واعادة تصديرها من جديد بكامل مناطق الخليج(٣ ١)

اما بالمناطق التي كانت تحت النفوذ العثماني ، فان الأوضاع التجارية لم تكن بأحسن حال فقد هيمنت بميناء البصرة مثلا ثلاث شركات بريطانية(٤ ١) على الجانب الأكبر من التجارة حتى مطلع تسعينات القرن واستحوذت أربع مؤسسات أجنبية أخرى(٥ ١) على قسط آخر من هذه التجارة على حين لم ينتفع ٤ تجار عرب الا بالفتات اذ كانت تجارتهم تقوم حسب العادة لا غير

بالاضافة الى ذلك فان الحركة التجارية ذاتها أصبحت تضمنها بالميناء السفن والبواخر الأجنبية

حركة السفن الشراعية بميناء البصرة ـ ١٨٩١ ـ (٦ ١)

	عددها	نسبتها	وزن حمولتها (طن)	نسبته
السفن الانجليزية	١٢١	١٣,٩٪	١١٨٨٥	٢٥,٩٠٪
سفن فارسية	٣٨٥	٤٤,٣٪	١٩٤٥٠	٤٢,٣٩٪
سفن عثمانية	٣٦٣	٤١,٧٧٪	١٤٥٤١	٣١,٦٩٪
الجملة	٨٦٩		٤٥٨٧٦	

ان السفن الشراعية الأجنبية مثلت قرابة ٣/٥ السفن النشيطة بالميناء (٥٨,٢٢٪) فضلا عن أنها تكفلت بنقل أكثر من ٣/٢ حجم المبادلات مع العالم الخارجي (٦٨,٣٠٪)

ويزداد الدور اتساعا حين نتبين الحركة التي تقام بالبواخر اذ لم ترتد ميناء البصرة خلال نفس السنة سوى باخرة عثمانية واحدة حملت ١٣٢٦ طنا على حين ارتادت الميناء نفسه خلال السنة عينها ١٣٦ باخرة انجليزية حملت ١٢٢,٥٤٠ طنا وهو ما مثل ٩٨,٩٢٪ من مجمل حمولة

لبواخر النشيطة بالميناء ، وان في ذلك
كبر دليل على التباين الواضح في
ستوى المعاملات التجارية فضلا
عن تأخر العدد الاجمالي للسفن
والبواخر العثمانية (٣٦.١٨٪)
ولا سيما البخارية منها (٠.٠٩٪)

فان طاقة حمولتها (٩.٣٤٪) لا تنبيء
الا بالاختلال في موازين القوى
التجارية ، وهو اختلال انتفعت منه
القوى الأجنبية والانجليزية خاصة
(٧٩.١٩٪ من مجمل الحمولة)

جملة حركة السفن والبواخر بميناء البصرة ـ ١٨٩١ ـ (١٧)

	عددها	نسبتها	وزن حمولتها (طن)	نسبته
السفن والبواخر الانجليزية	٢٥٧	٢٥,٤٩٪	١٣٤٤٢٥	٧٩,١٩٪
السفن والبواخر الفارسية	٣٨٥	٣٨,٢٧٪	١٩٤٥٠	١١,٤٥٪
السفن والبواخر التركية	٣٦٤	٣٦,١٨٪	١٥٨٧٦	٩,٣٤٪
الجملـــة	١٠٠٦		١٦٩٧٤٢	

والى جانب الأسباب التي سبق
كرها ، يعود هذا الاختلال أيضا الى
عتبارات متعددة (تخلف تقني ،
قص تشجيع) لعل أهمها وأخطرها
ا يتعلق بالرسوم الجمركية حيث
انت تعفى الصادرات العثمانية التي
شتريها التجار الانجليز من الرسوم
عفاء كاملا على حين لا يدفع التجار
نفسهم على البضائع التي يبيعونها
سوى ٣٪ وهي نسبة «أقل من الـ ٧٪
لتي يدفعها التجار العثمانيون على
ضائعهم التي سيبيعونها»(١٨)

ان هذه الأوضاع التجارية السيئة
بالخليج لا سيما هيمنة الانجليز
وغيرهم من التجار الأجانب على هذه
التجارة هي التي حفزت الباب العالي
والدبلوماسية العثمانية على النظر في

الأمر بحزم وتعتمد الخطة أول ما
تعتمد على الدعوة الى تطوير التجارة
بمنطقة الخليج ، والاهتمام بهذا
القطاع الحيوي لكسر الهيمنة
البريطانية وتنشيط الحياة
الاقتصادية بالمنطقة وتقوم مبادىء
الخطة على تشجيع كل من يرغب في
ارتياد الميدان التجاري وتسهيل
الامكانيات له ، وحماية التجار واعانة
المتاجرين وازاحة كل ما من شأنه أن
يعرقل هذا النشاط(١٩) كما نادت
الخطة بالتخلي عن «البغضاء
والحسد» اللذين يعتبران المانعين من
تكوين الثروات الشرعية
المشروعة(١١)

وفي الحقيقة ، فضلا عن طابع
الخطة الاخلاقي ، فانها لم تقدم عمليا

الأدوات الفعلية التي يمكن ان تنمي التجارة بالخليج وتطورها فاية وسائل وطرق يتم اعتمادها ، وما من شك في ان انصباب اهتمام الدبلوماسية العثمانية بالنتائج قد اساءها الانكباب في البحث عن الوسائل ان ما كان يلفت نظرها أكثر هو ثراء السكان وإذا ما أصبح السكان أغنياء تصبح الدولة أكثر ثراء»[111] بفضل ما توفره لها شتى اشكال الضرائب والاتاوات

٢- من أجل إدارة عادلة ومنظمة

تكاثرت الانتفاضات في المنطقة العربية ضد الحكم العثماني مع أواخر القرن التاسع عشر تبعا للعداء الذي طبع الصلات بين العرب والأتراك ونتيجة لاعتماد سياسة قمعية تجاه كل نفس قومي ولتصفية الخصوم السياسيين ، ولا نغالي اذا قلنا ان الولايات العربية كانت تعيش زمن السلطان عبدالحميد في حالة غليان وفوضى زادها عمقا سلوك بعض الولاة العثمانيين وتعنتهم وسوء تصرف الموظفين وأخلاقيتهم المتسيبة ولعلنا لا نخفي سرا حين نعلن أن هزات عنيفة قد نبتت سوء العلاقة بين الاتراك والعرب في الفترة الحميدية ولا سيما في العشرين الاخيرة من القرن التاسع عشر فمع مطلع التسعينات (١٨٩١) نشبت في اليمن انتفاضة شعبية كبيرة ضد السيطرة التركية وقد قادها الامام محمد بن يحيى وهو احد ممثلي الاسرة الزيدية (آل حميد الدين) وقد تمكن المنتفضون من محاصرة العاصمة صنعاء وحاصة الحامية التركية بها وقد أجبرت النجدات التركية على الانتقال إلى اليمن لفك الحصار[112]

وقد عرفت قطر ما عرفته اليمن اثناء انتفاضتها ضد الحكم العثماني سنة ١٨٩٣ تحت قيادة قاسم بـ محمد بن ثاني وقد أجبرت القوا العثمانية على الانتقال الى شبه الجزيرة بقيادة والي البصرة نفسه محاولة لاخماد الانتفاضة الا انهزام الجيوش التركية جعل البا العالي يعدل من مواقفه فيبعث بممث عنه لتقصي الأوضاع وتقديم تقرير هذا الشأن[113]

وفي واقع الأمر فان العشـ الاخيرة من القرن التاسع عشر مـ منعرجا حاسما في الشعور القو العربي ، اذ تعاظمت انتفاض المحلية (قبيلة أبو محمد ٨٩٢ وغيرها) والجهوية (حلب ٩٥ والقطرية (اليمن ، قطر) في مـ لاثبات الذات أمام القمع الحميـ ومنفذي الخطط الحميدية في الا العربية

ونعتقد واضع مشروع الخطة نحن بصدد دراستها ، أن الأوضاع السيئة لا بد لها من الر

اذ لا يمكن أن تدار الولايات العثمانية «بالامنيات» لا سيما الولايات البعيدة نسبيا عن مركز السلطنة مثل ولايات اليمن وطرابلس الغرب والعراق وضواحيها[١١٤] وترى الدبلوماسية العثمانية في هذا الشأن أنه لا بد من وقف العنف نهائيا حتى يؤخذ السكان «باللين والطواعية والعدالة والمساواة[١١٥] ويتخذ صاحب الخطة إنجلترا نموذجا له اذ هي «تسير أمور الطوائف والعشائر والبدو في مناطق متعددة بلين ولطف تاركة لهم الحرية التامة دون عراقيل ولا تدخلات»[١١٦] فهل اتعظ الباب العالي بدروس الماضي وحصيلة الحاضر ؟ أم هو يرغب في تجنب المشاكل التي يجلبها القمع المتتالي للمناطق التي هي تحت نفوذه ؟ أم هو تكتيك لجلب أكبر قدر من المتعاطفين للتصدي للاطماع الاستعمارية الاوربية ؟

وبداهة ، لا بد من أن نتبين في هذا المجال التجديد في الخطاب السياسي العثماني وهو تجديد فرضته أوضاع الامبراطورية الداخلية وعدم قدرتها على صدّ النفس القومي الذي بدأ يتبلور أواخر القرن التاسع عشر ، وهو نفس وان كان يرفض تسلط الأتراك وهيمنتهم فانه يرفض في نفس الوقت الاحتماء بالمظلة الإنجليزية (موقف قاسم بن محمد بن ثاني سنة ١٨٩٣ مع الانجليز ، موقف محمد الصباح مع مقترحات الانجليز سنة ١٨٩٥)

كما فرضت هذا الموقف الأوضاع الدولية العالمية ، اذ كانت الدول الاوربية ولا سيما إنجلترا تتحين الفرص للانقضاض على الأقطار الخليجية مستغلة أخطاء الدولة العثمانية من جهة وأخطاء ممثليها في هذه الأقطار من جهة ثانية وتبعا لما تقدم كانت دعوة الدبلوماسية العثمانية تقضي ايضا باعتماد الموظفين سلوكا مثاليا ومحترما

ويبدو أن الادارة التركية كانت تشكو هي الاخرى ، أوضاعا سيئة ، تمثل السرقات[١١٧] والرشوة[١١٨] وتجاوز السلطة[١١٩] أحد أعمدتها الرئيسية وغير ذلك كثير[١٢٠] ويظهر أن بعض الموظفين سيئي السلوك ، كانوا يرغبون في العمل بولايات البصرة والعراق لبعدها النسبي عن مركز السلطة والمراقبة (اسطنبول) حتى يتمكنوا من تغطية سرقاتهم[١٢١]

وفي واقع الأمر فان العديد من الوقائع والأحداث تثبت لنا صحة مثل هذا التمشي فتؤكد لنا بعض المصادر على تفشي الرشوة مثلا في دار الجمارك بالبصرة والعراق[١٢٢] وفي غيرها من الأماكن ، اذ كان بالامكان ابتياع ضمير أي واحد من أصحاب الذوات حتى السلطان نفسه[١٢٣] كما تنص بعض المصادر الاخرى الى استبداد الولاة[١٢٤] واستنكار الأهـ

لأعمالهم[١٢٥] بل ان البعض الآخر اقر بهابيا بان الادارة في العراق كانت سيئة فلم يعدها تنبيه أو تهديد لا في ايام (بشري باشا) ولا في ايام غيره من الولاة[١٢٦]

ونعتقد من ناحيتنا ان سوء اوضاع الادارة بالعراق وبالبصرة

لا يمثل استثناء فالادارة بالأقطار التابعة للامبراطورية العثمانية كانت تعيش تقريبا نفس الأوضاع اذ يشير «بول كومبون» سفير فرنسا الى وزير خارجيته سنة ١٨٩٤ في معرض حديثه عن المسألة الأرمينية قائلا «انهم (الأرمن والجالية اليونانية .

والألمان ، والعرب) جميعا يشكون من فقدان العدالة ومن فساد الموظفين الحكوميين ، ومن عدم الأمان الذى يهدد سلامة السكان»[١٢٧] وعلى الرغم مما يبدو في هذه الاشارة من تحامل غير خفي ، الاّ إننا لا بد من الاقرار بسوء وضعية الادارة العثمانية ، وهو ما يتطلب الاصلاح والتغيير

وتقر الدبلوماسية العثمانية ، هي الاحرى بهذه الأوضاع السيئة وتعمل على تجاوزها في اطار هذه الخطة
... الى وقوف السلطة بحزم ضد
... الموظفين السيء الخلق لتلافي
... والتعديات[١٢٩] حتى لا
... ورسيون وخاصة إنجلترا «عدو

الامبراطورية الأكبر» تعلة يستغلونها للدعاية[١٣٠] بل ان الخطة تقضي ايضا بان يصبح الموظفون الأتراك مثالا للعمل والعدالة وفي تطبيق القوانين وهو ما يمكّن الامبراطورية من الاشعاع[١٣١] بالمناطق تحت السيادة العثمانية وبالمناطق المجاورة لها مثل مسقط وبلوشستان[١٣٢]

ولئن بدت اعترافات الدبلوماسية العثمانية شيئا ايجابيا في حدّ ذاته ، اذ هو اقرار بمختلف الأخطاء التي ارتكبتها الادارة العثمانية في حق جماهير المنطقة الا أن الحلول لم تخرج عن الطابع الاخلاقي ذلك أن نداء الاصلاح هذا يصطدم في الحقيقة بواقع حياتي يعيش على الرتابة فضلا عن اصطدامه بقوى تسعى للحفاظ على مصالحها بمحافظتها على الوضع الراهن

٣.توجه جديد في العلاقات مع العرب

لقد كانت وضعية مناطق مسقط وعمان بدرجة أولى ومنطقة الامارات العربية بدرجة ثانية مثار قلق الدبلوماسية العثمانية ، اذ يتبرم الباب العالي من عزوف هذه الامارات عن الدخول تحت حمايته وفي الواقع ، فقد حرصت هذه المناطق على استقلاليتها لولا الضغوط التي كانت تعيشها والمتأتية من قبل الدول المهيمنة ، على أن ضعف الامبراطورية

وعدم قدرتها على ملء الفراغ الذي كانت تشكوه المنطقة ، قد جعلها مسرحا لتهافت القوى الاستعمارية ، وقد حرصت إنجلترا على ربط هذه المناطق بها حسب عقود واتفاقيات سلبتها حرية تصرفها وألزمتها الامتثال الى ضوابط يحددها التاج البريطاني وتعتقد الدبلوماسية العثمانية أنه من المفارقة حقا «أن تعادي البلدان المسلمة دولة الاسلام (اقرأ السلطنة العثمانية) على حين تقبل بعدو الاسلام (اقرأ إنجلترا) صديقا لها»[١٣٣]

وفي واقع الأمر ، فان المسألة تتجاوز التجاوب الديني والميولات العاطفية لكي تنبني على قدرة هذه الدول على مواجهة التحديات الاستعمارية بذاتها ولذاتها ، وعلى مدى مساهمة الامبراطورية في هذه المواجهة ان بلدان هذه المنطقة كانت تعيش تشتتا سياسيا زادته الخلافات الداخلية في الأسر الحاكمة تارما ، وهذا ما كان يقعدها فعليا عن المواجهة بل لقد وجد البعض منها في المظلة البريطانية ملجأ لفض قضايا التوريث والاستخلاف ان تدخل بريطانيا المباشر في حل قضايا داخلية قد سمح لها فيما بعد بالظهور بمظهر الحكم بين الفرقاء بل والوصي عليهم وقد اتسم موقف الباب العالي في هذا الخضم اما بمزيد تأجيج للفتن تارة أو بالصمت المشفوع بالتسليم بالأمر الواقع تارة أخرى ، ولم يتبين للباب العالي من مواقف حازمة تجاه العنجهية البريطانية عدا بطاقات الاحتجاج ترسل بين الفينة والاخرى الى الخارجية البريطانية عندما لا تحسن الدبلوماسية الانجليزية تغطية تعدياتها بالمنطقة وقد شجع مثل هذا الوضع الانجليز على مواصلة غزوهم للمنطقة واخضاع شيوخها بالقوة أحيانا (حملات ارهابية) وبالأساليب الدبلوماسية أحيانا أخرى (دعم مالي ، اتفاقيات) مع الايهام دائما باستقلالية السلطة المحلية عنها

وفي واقع الأمر ، فان الدبلوماسية البريطانية ، ولئن كانت تقر رسميا بأن حدود السيادة العثمانية تمتد على طول الساحل من البصرة الى القطيف[١٣٤] فانها تعتبر عمليا كامل منطقة الخليج منطقة نفوذ بريطانية مواجهة في ذلك كل القوى الطامحة لاثبات مصالح لها بالمنطقة أفلم تحاول بريطانيا ضم قطر الى دائرة النفوذ البريطاني والحال أنها كانت تخضع آنذاك (١٨٩٣) للادارة العثمانية[١٣٥]

ان العجز الذي طبع التحركات العثمانية مثل عاملا اضافيا سمح بتسرب بريطانيا الى بعض المناطق بيد أن المسئولية تبقى للقيادات السياسية بالأقطار العربية فقد

عاشت مثلا مسقط وعمان صراعا اثر سنة ١٨٥٦ بين ابناء سعيد بن سلطان وهو ما مكن بريطانيا من التدخل بدعوى فض الخلاف[١٣٦] وقد تعهدت بريطانيا فيما بعد (منذ ١٨٧٣) بدفع مقادير مالية الى سلطان مسقط تعويضا عن ايقاف تجارة الرقيق وكوسيلة ضغط تعتمدها بريطانيا كلما عن لها ذلك. وقد ابقت بريطانيا في هذه المنطقة على الاسر الحاكمة العربية السائدة والمولد بل واقرت باستقلال نفوذها (اتفاقية ١٨٦٢ مع فرنسا) شريطة توقيعها على اتفاقيات تسلب هذه الاسر تصرفها السياسي. كما لم تتوان في التدخل مع مطلع السبعينات لتضع على العرش احد المخلصين لها السلطان «تركي» (١٨٧١ - ١٨٨٨)

ان الدبلوماسية العثمانية التي كانت دوما تعتبر منطقة مسقط وعمان دولة مستقلة عن الخلافة[١٣٧] اصبحت ترى مع أواخر القرن التاسع عشر ضرورة جلب هذه السلطنة الى دائرة التأثير العثماني. فما هي اسباب هذا التعديل؟ وما هي وسائل ذلك؟

ان الباب العالي أصبح يرى من الضروري تجميع كل القوى لمواجهة الهيمنة البريطانية وللوقوف ضد توسع نفوذها ولا يتأتى له ذلك الا بتجميع كل القوى ضد السيطرة البريطانية المطلقة بالمنطقة. فضلا عن ذلك فان الباب العالي ما انفك يلمح الى ضرورة تجميع كل المسلمين رافعا شعار «انما المسلمون اخوة» للتصدي للقوى الغربية «المسيحية» ولا يتم له ذلك الا باستفزاز مشاعر السكان الدينية منبها الى «خطر المسيحية على المنطقة ودور المبشرين وفساد الرهبان وتجاوزاتهم»[١٣٨]

وفي الواقع فان الدبلوماسية العثمانية كانت ولا شك على علم بأوضاع السلطنة السياسية وبالتنافس الحاد بين فرنسا وبريطانيا على المنطقة وهو ما حفز الباب العالي على طرح هذه الورقة محددا. ففي فبراير ١٨٩٥، استطاعت انتفاضة عارمة احتلال العاصمة مسقط لمدة اسابيع وتهديد عرش السلطان «فيصل»، الذي ما ان مرّت «العاصفة» حتى عاد باللائمة على الانجليز متهما اياهم بالتقصير وبوقوفهم موقفا حياديا أثناء الاحداث[١٣٩] وما من شك في أن الدبلوماسية العثمانية كانت تحاول استغلال هذا «البرود» في العلاقات بين السلطان والانجليز لكي تدفع السلطان لاعادة النظر في الاتفاقية مع بريطانيا وعلاقته المتميزة معها

وتقتضي الخطة محاصرة بريطانيا في مناطق جنوب الخليج أيضا ورفع «النجمة والهلال (العلم العثماني)

بهذه المنطقة «(١٤٠) وذلك باقناع سلطان عمان بالانضمام الى الامبراطورية برتبة حاكم على المنطقة عن رضى منه[١٤١]

ويتبين لنا عند النظر الى هذا المقترح ، أن الدبلوماسية العثمانية قد تكون اتعظت بدروس الماضي ، ذلك أن تدخلاتها المباشرة بصورة عنيفة في فترات سابقة لم تكسبها المهانة فحسب (أحداث قطر ليست ببعيدة ، وهزائم الجيش العثماني أثناءها) بل أورثتها ضغينة السكان وحقدهم كذلك فضلا عن الخسارة السياسية فمن الأكيد أن الباب العالي أصبح يقر بأن أحسن الوسائل التي تحفظ له ماء الوجه من جهة ، وتمكنه من الابقاء على النفوذ المعنوي ودعم جبهة التصدي للوجود البريطاني في الخليج من جهة ثانية ، تتمثل في استدراج شيوخ الخليج وأمرائه وسلاطينه تحت المظلة العثمانية مع المحافظة على استقلاليتهم وذاتيتهم

ومن الأكيد أن مثل هذا المشروع ، ولئن بدا منطقي المنهج متعظا بالتجارب السابقة الا أنه يخلو من مثالية عند الانجاز فهل كان يكفي «تأثير السلطة المعنوي» لاعادة أقطار المنطقة الى الحظيرة العثمانية ؟ وهل كان من الممكن أن تتخلى إنجلترا بسهولة عن مناطق نفوذها التقليدية ؟ لا نعتقد ذلك فقد كان باب «استسهال» الأمور وتبسيطها اقرار الخطة بأن وضع بعض الموظفين البرهاء «ونظيفي اليد» في المناطق يكفي وحده لاعادة التأثير العثماني عليها فالتجارب المعاشة والسيرورة التاريخية كانت أفصح من الأمنيات

٤. ايجاد قوة بحرية في الخليج

لئن بقي الجيش العثماني منظما ومهيكلا في سبعة ألوية[١٤٢] حتى أواخر القرن التاسع عشر ، فان البحرية العثمانية قد بدت هزيلة وغير ذات قيمة بفعل الضربات التي تلقتها أثناء حروبها الاخيرة مع روسيا ومع اليونان (حرب كريت) فلا يتجاوز عدد جنود البحرية ثلاثين ألفا في أقصى الحالات اضافة الى عشرة الاف من النوتية ، ذلك أن أغلبية التجهيزات البحرية كانت ما تزال شراعية تقليدية فضلا عن ذلك فان جل هذه السفن كان معطوبا وغير قادر على النشاط ولم يكن مرفأ اصلاح السفن الوحيد الموجود باسطنبول قادرا على تشغيلها وما من شك في أن الحروب المتتالية والخسائر العسكرية الناجمة عنها ، وعدم القدرة على تجديد الأسطول وتعويض قطعه ، قد جعلت منه أسطولا محدود الفاعلية وهذا ما دفع بالبعض الى القول بأن الامبراطورية لئن كانت تملك تجهيزات بحرية فانها لا تملك

اسطولا[١٠٣]

زيادة على ذلك فان الاسطول العثماني المتكون من بعض الوحدات كالحراقات وسفن النقل، والمدرعات والطرادات، (وهي المانية وانجليزية الصنع) لم يكن مجال اهتمامه يتجاوز مضيقي البوسفور والدردنيل وربما بعض الموانيء المتوسطية (ازمير) ويعني ذلك ان نشاط هذه الوحدات لا يشمل أطراف الامبراطورية الا لماما فلم تعرف منطقة الخليج تبعا لذلك قوة بحرية عثمانية حقيقية وثابتة، وتم الاكتفاء بارسال بعض الزوارق الخفيفة التي لا يمكن لها باي حال مجابهة البواخر الإنجليزية ووحداتها الضخمة لقد طمانت هذه الوضعية الانجليز فلم يروا لهم من منافس سوى القوى الاستعمارية الاوربية وقد اكتشفت الدبلوماسية العثمانية هذه الثغرة مؤخرا فاقرت بالأوضاع السيئة لأسطول الخليج[١٤٤]، وتبعا لذلك اقترحت التفكير بجدية في بعث أسطول بالخليج يتكون من بعض الزوارق الحديدة السريعة وبعض القطع الحربية الموجودة بالمنطقة بعد ترميمها[١٤٥] ويسهم مثل هذا المسعى بتعزيز شعور الاطمئنان لدى السكان في اطار الخطة المرسومة، اذ سيتنبهون الى ان عناية السلطان تحرسهم»[١٤٦] اذ ستقوم هذه الوحدات بزيارات الى الموانيء العثمانية وغيرها من موانيء الخليج وتعمل كذلك على التنقل حسب المواسم حتى الى بحر الهند رافعة العلم العثماني كما تقوم هذه الوحدات بحراسة السفن التجارية من القراصنة[١٤٧] ومن الجائز أن يكون اعتماد مثل هذه النقلة الاخيرة للاستهلاك الدعائي فحسب

يبقى اشكال أخير ماثلا وهو الخاص بامكانيات الباب العالي في اقتناء بعض الوحدات فهل كانت امكانياته المالية تسمح له بذلك ؟ وهل كانت له الكفاءات القادرة على تسيير هذه الوحدات ؟ أم أنه سيضعها بين ايدي الضباط الألمان كما حدث في حربه الأخيرة مع اليونان حول جزيرة كريت ان الوثيقة التي بين أيدينا لا تجيب عن ذلك

٥. العمل على تطوير منطقة الرافدين وشط العرب

مثلت منطقة الرافدين وشط العرب مركز صراع دولي لا سيما بين بريطانيا والباب العالي وأصبحت الدبلوماسية العثمانية تعتقد - عن صواب - أن قضية الرافدين وشط العرب هي قضية مصيرية للوجود العثماني بالمنطقة وهذا ما يفسر أهمية المسألة القصوى[١٤٨]

ويتكون شط العرب من اقتران نهري دجلة والفرات في القرنة ،

فيجري من هناك في اتجاه الجنوب الشرقي (٢٠٥) لكي يصب في الخليج العربي وقد كان هذا الشط - وما يزال - مثار اهتمام القوى بالمنطقة لا سيما أنه يرتبط بأنهار قامت بها تجارة نهرية متطورة فقد سمح فرمان سلطاني منذ ١٨٣٤ بانزال باخرتين بريطانيتين الى نهر الفرات وبغض النظر عن الملابسات الجغرافية والقانونية[١٤٩] فان شركة «لنج» قد أصبحت تحتكر التجارة عبر النهرين منذ تأسيسها ١٨٦٢ تحت اسم «شركة دجلة والفرات للملاحة التجارية»[١٥٠] مستعملة باخرتين تربطان البصرة ببغداد ذهابا وايابا وقد اتسعت نشاطات هذه الشركة منذ فتح نهر قارون للملاحة (١٨٨٨) فصارت الشركة نفسها صاحبة الامتياز في استغلاله

ومن الأكيد أن الحكومة البريطانية كانت ترى بعين الرضى توسع نشاطات الشركة واتساع نفوذها ومشمولاتها بل ان الحكومة البريطانية كانت تقدم للشركة اعانات مالية حتى تواصل عملها[١٥١] ذلك أن إنجلترا تعتبر أن وجود هذه الشركة وغيرها من الشركات المستثمرة ستفتح الطريق أمام جيوشها عند الحاجة وتبعا لأهمية المنطقة ، تواصلت المفاوضات بين بريطانيا وتركيا أكثر من خمس عشرة سنة[١٥٢] حول المسألة وهو ما دفع الباب العالي مؤخرا الى اقامة بعض الاستحكامات الدفاعية على الشط في منطقة الفاو و(١٨٨٣ - ١٨٩٤) والدعوة الى اعادة النظر في الامتياز السلطاني الذي أسند للشركة

ان هذه الاعتبارات وغيرها قد تكون حفزت العثمانيين أيضا على الاهتمام بالنشاط التجاري على الرافدين وفي منطقة الشط ففي نفس السنة التي باشرت فيها شركة «لنج» عملها بالأنهار ، انشأت الحكومة التركية خطوط بواخر منتظمة بين بغداد والبصرة[١٥٣] ، كما تشير بعض المصادر الاخرى الى تأسيس شركة ملاحة عراقية برأس مال محلي وحكومي بدأت نشاطها بين البصرة وبغداد منذ ١٨٥٩ ، الا أن نشاطها كان محدودا اذ اقتصر على نقل المسافرين والبريد[١٥٤] ثم أعيدت التجربة مجددا سنة ١٨٦٧ باستخدام شركة الادارة النهرية لثلاث سفن[١٥٥] على أن مصير أغلب هذه الشركات كان الأفول فالبواخر كانت بطيئة في تنقلها مقارنة بالبواخر الانجليزية ، وكانت كذلك قليلة الحمولة ومنعدمة التعهد اضافة الى منافسة السفن الشراعية المحلية (٨٠٠) التي كانت تقوم بالتجارة على السواحل[١٥٦] لها

وقد عمل الباب العالي مجددا بمعية السلطة الجهوية العثمانية على بعث شركة ملاحة تضاهي الشركة

البريطانية وسابقيها ماعلى سنة ١٨٩٢ عن انشاء شركة عثمانية للملاحة التجارية في نهر دجلة[١٥٧] تركية من السلطان العثماني ذاته وبراس مال يناهز مليوني فرنك[١٥٨] الا ان العقبات ارجأت المشروع وربما اوقفته[١٥٩]

وتدعو الخطة التي نحن بصدد عرضها الى انشاء شركة ملاحة نهرية على النهرين وشط العرب وهي في ذلك تجدد العهد مع مختلف المشاريع السابقة وتعتبر بالانعكاسات الاقتصادية الطيبة لتلك هذه المشاريع كازدهار النشاط الملاحي ومن ثمة تكثيف مداخيل الدولة[١٦٠] اضافة الى امكانية تنشيط العلاقات مع المناطق المجاورة لا سيما المناطق المحاذية لنهر قارون ومدينة المحمرة[١٦١] على ان اكبر اهتمامات الدبلوماسية العثمانية ساعتئذ تتمثل في فتح النهرين وشط العرب للنشاط الحربي العثماني حيث يمكن النهران من نقل العتاد والجيوش من المناطق الداخلية (فيلق بغداد) الى خليج البصرة بأسرع وقت[١٦٢] ويبدو ان التوجه لم تفرضه الظروف الجغرافية وصعوبة التنقل البري فقط ، وانما الظرفية السياسية كذلك ان كثرة الانتفاضات ضد الوجود العثماني بالمنطقة ، والتسرب البريطاني لمناطق المجاورة (نهر قارون) قد حفزا الباب العالي والدبلوماسية العثمانية على استنباط وسائل للاسراع بتحويل الجيش الى المناطق الساخنة عند الحاجة

ومن الأكيد أن الدبلوماسية العثمانية العارفة بتدهور أوضاع المالية العثمانية قد أخذت بعين الاعتبار هذه المعطيات فقامت بدراسات متعددة حتى تتبين الأنسب من البواخر لاعتمادها في هذه التجربة الجديدة فاختارت أقلها تكلفة وأكثرها ملاءمة لحمل الجنود ـ أولا ـ [١٦٣] والامتعة والحيوانات والمسافرين ، وتعلن أن ثمن الواحدة لا يمكن أن يتجاوز ألفا الى ١٥٠٠ ليرة عثمانية على أن يتم اعتماد مرحلية في بنائها فتصنع أولا خمس سفن مزودة بمدافع و١٥ سفينة عادية[١٦٤] وفي ذلك كفاية ـ حسب واضعي الخطة ـ لتنشيط المنطقة ، ومراقبتها على أن تعود السفن بالنظر الى وزارة المالية[١٦٥]

ان هذه المسألة وان بدت واضحة في توجهها عملية في انجازها ، الا إنها محدودة في امكانياتها فهل يكفي ١٠٠٠ ليرة لاقتناء بواخر تنافس البواخر البريطانية ؟ وهل يمكن لهذه البواخر أن تكون متعددة النشاطات والاختصاصات ؟ فلئن أقرت الدبلوماسية العثمانية بأن الباب العالي وخصوصا وزارة البحرية لم

يفعلا شيئا من أجل المنطقة[١٦٦] فهل تقدر مثل هذه المؤسسة المزمع بعثها القيام بكل شيء ، وفي نفس الوقت ، ان حجم المواجهة يفترض في نظرنا حسن تدبير يتم ربطه أكثر بالواقع

٦. تطوير المواصلات بين الخليج ومركز الخلافة

لقد مثل ربط مركز الخلافة بأطراف الامبراطورية هاجس الدبلوماسية العثمانية نظرا لأهمية طرق المواصلات البرية من الناحيتين الاقتصادية والسياسية ، ولعلنا لا نذيع سرا حين نبين أن القوى المهيمنة قد استغلت هذا الانحلال في العلاقات بين الامبراطورية وولاياتها لكي تتسرب تدريجيا الى المنطقة ولا بد لنا أن نقر أيضا بأن طرقا برية كانت تربط هذه المناطق بعضها بالبعض الآخر (طريق التوابل والحرير وتربط اسطنبول بمناطق الشرق القديم) الا أن استعمال هذه الطرق كان غير مستمر فكان يحصل أن تتحول مواقع هذه الطرق واتجاهاتها حسب الفترات الزمنية ، من ذلك مثلا أن طريق الهند الذي يعتبر أهم المسالك على الاطلاق ، اتخذ مسلك الهضبة الايرانية في البداية لكي يغيّر اتجاهه فيما بعد نحو العراق عبر الخليج العربي ، ومنها الى الأناضول في اتجاه اسطنبول[١٦٧] ، الا أن هذا الممر ذاته لم يحافظ على نشاطه منذ فتحت قناة السويس وربما حتى قبل هذا التاريخ ، اذ أصبح طريق الهند بحريا يمر بالخليج فالبحر الأحمر ثم الى البحر المتوسط عبر القناة

وفي محاولة لتنشيط الطريق التقليدية وربط مركز السلطنة بمنطقة الخليج العربي تقترح الخطة تعهد الطريق «تيمور - الأناضول» واتمامه لكي يصل الى بغداد فالبصرة[١٦٨] وترى الدبلوماسية العثمانية - وهي محقة في ذلك أن تعهد هذا الطريق سيمكن من ربط أجزاء الامبراطورية بعضها بالبعض الآخر ويعيد لحمة الامبراطورية فضلا عن الامكانيات المتاحة لتنشيط الاقتصاد والمعاملات التجارية وقد راهنت الدبلوماسية العثمانية على أن الخط الرابط بين مركز الخلافة من جهة والخليج من جهة ثانية سيكون له أهمية قصوى لا تعادلها سوى أهمية الطريق الرابط بين منشوريا وبحر الصين مرورا بسيبيريا[١٦٩]

وفي نفس هذا التوجه ، اقتضت الخطة العمل على تطوير الطرق الحديدية لا سيما أن الامبراطورية كانت ساعتئذ حظيرة كبيرة وضخمة لانجاز مشاريع سكك الحديد ، وهي مشاريع كانت تصوغها بالأساس القوى الاستعمارية الاوربية لفائدتها الخاصة ولم يكن الباب العالي يجني منها سوى النزر القليل ، بل ربما لم

تستحث هذه المشاريع بالضرورة لمصالح الامبراطورية[٦٧]

وبغض النظر عن مختلف الملابسات الحافة بانجاز السكة الحديدية او اي مرحلة منها ، والظروف التي تمت فيها . وبغض النظر عن المنافسة الدولية بين القوى الاوروبية من اجل الفوز بامتياز اقامتها ، فان طول مسافة هذه الخطوط (٢٥٤٢ ميلا حتى ١٨٩٨) عبر مناطق الامبراطورية ، يكشف عن اصرار القوى المهيمنة على تكثيف تدخلها عبر هذا المنفذ وحرصها على تثبيت مصالحها بالامبراطورية ومن الجدير بنا أن نبين كذلك أن مد سكة حديد من الخليج العربي في اتجاه اسطنبول او البحر المتوسط قد كان محل صراع بين القوى الاستعمارية ، وقدمت في هذا الغرض مشاريع دولية متعددة[١٧١] وتماشيا مع هذا التوجه العام تعتقد الدبلوماسية العثمانية في ضرورة ربط المنطقة بالمركز (اسطنبول) وليس ذلك لاعتبارات اقتصادية فحسب وانما أيضا لاعتبارات سياسية وعسكرية ، اذ يريد الباب العالي بفضل هذه السكة أن يستعيد نفوذه بالمنطقة ويربط أطراف الامبراطورية ... سلطة ، فضلا عن الامكانيات ... لنقل العتاد والجنود عند ... وفي هذا الاطار يتنزل تأكيد

الخطة على ضرورة انجاز سكة حديد «حيدر باشا ـ البصرة»[١٧٢] وفي واقع الأمر فان جزءا من المشروع كان قد انجز فعلا منذ ١٨٩٢ حيث قامت «شركة حديد الأناضول» بفضل امتياز حصلت عليه منذ ١٨٨٨ بمد الخط ما بين حيدر باشا وأزمير ومن ثم الى أنقرة على امتداد قرابة ٥٧٨ كلم[١٧٣] ثم انتفعت الشركة ذاتها بامتياز ايصال الخط نفسه الى قونية (٥٣٥ كلم) وهو ما تم سنة ١٨٩٥ ، وتزايدت المطامع الالمانية أكثر للحصول على امتياز نهائي يقضي بايصال السكة الى بغداد ، وهو امتياز أثار منافسة حادة بين الدول مما أخرّ العمل على انجازه

خاتمـــة :

أحدث وضعية الامبراطورية العثمانية منعرجا خطيرا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وخاصة منذ ارتقاء عبدالحميد الى السلطة وايقاف العمل بالدستور اذ قصد الباب العالي صهر كل الطاقات في بوتقة واحدة وتذويب كل نفس قومي واعتماد سياسة القمع لانجاز هذا التوجه وما من شك في أن مثل هذا التوجه سيجد معارضة كبيرة حاول الباب العالي تفكيكها بالدعوة الى ما اصطلح على تسميته بوحدة المسلمين في اطار «الجامعة الاسلامية» فمنذ

أن اسندت الصدارة العظمى الى حير الدين التوسي (١٨٧٩) تبين للجميع أن السياسة الحميدية كانت تراهن على دعدغة الشعور الديني حتى تلقى المساندة والدعم فلئن كان عدد المسلمين بتركيا لا يتحاور ١٨ مليون فرد مع أواحر القرن التاسع عشر ، فان الحلافة كانت تطمح عند رفعها هذا الشعار الى مساندة ٢٥٠ مليون مسلم من محتلف الجنسيات والقوميات لسياستها فهدا الدعم هو الدي سيكفل لها حسب اعتقادها التصدي للمطامع الاجنبية ، لا سيما الانجليرية منها ان المسار الدي اتخده الباب العالي كان ينحو في الواقع الى تحميع كل القوى المعادية للعرب الاستعماري دون أن يقدم الى هده القوميات ما كانت تتوق اليه من مساواة وعدالة وحرية وقد تحادبت تركيا آنداك ثلاثة تيارات فكرية تيار يعتقد في صرورة وحدة كل القوميات داحل الدولة العثمانية ، وهدا التيار لم يعد يحظى بالانتشار الدي كان عليه في الفترات السابقة أما التيار الثاني وفيه اقلية فقد بدأ يطالب في احتشام بطغيان القومية التركية القائلة بتفوق العرق التركي على بقية الأحناس أما التيار الثالث وهو الأكثر رواجا يؤكد صرورة اقامة صرح الدولة على وحدة المسلمين وتكاثفهم وان أدى دلك الى قمع القوميات التي لا تدين بالاسلام(٢٧٤)

ولئن كشف الواقع التاريخي محدودية التيار الأول بل وبطلانه ، ولئن بدا طرح التيار الثاني حديثا واقصائيا ، فقد عملت السلطة العثمانية على ترويج «العملة» الاكثر رواجا وتداولا وقد بهرت هده «العملة» في البداية جرءا من العرب المسلمين الا أنه سرعان ما تبين زيفها اد عجزت الامبراطورية عن القيام باصلاحات قد تعود على متساكنيها بالفائدة بل ان العرب قد عاينوا عجز الباب العالي في الدفاع عن داته وردّ الطامعين في تركيا

أما العثمانيون ، فقد ساير حلّهم هده الدعوة واعتبروها حلاصا لأركان الامبراطورية وتتنزل هده الخطة في هدا الاطار ، حيث أصبحت الدعوة الى «لم المسلمين» وتوحيدهم تحت الراية العثمانية «الكلمة السحرية» التي ستنقد الامبراطورية من التداعي بيد أننا نجانب الصواب ان لم نثبت ان بالخطة تحديدا هاما لا بد من اقراره فهل كان الوصول الى مثل هده الرتبة الدبلوماسية كفيلا بالاجتهاد في حدّ داته ؟ ان المتأكد لدينا ان هدا المنصب كان يسمح بالاطلاع عن كثب على مجريات العلاقات الدولية وتطوراتها على أننا نعتقد أكثر أن الخطة تدخل في اطار هده الموجة الجديدة للفكر الاصلاحي بالامبراطورية هده الموجة التي ظهرت

منذ ستينات القرن التاسع عشر وتدعمت مع اواخر القرن بانشاء فرع سالونيك (١٨٩٥) وهي التي كانت نواتها تتمحور حول بعض الموظفين والضباط الأتراك وبعض المثقفين «الاحرار» . فقد ساء هؤلاء ما وصلت اليه الامبراطورية من حالة سيئة وساءتهم هيمنة الدول الاستعمارية على اطراف الامبراطورية وتغلغل الرأسمال الاجنبي وانتفاعه بامتيازات مذلة للامبراطورية فبادروا بتأسيس جمعيات كانت ذات نفس ليبرالي في البداية ثم تطورت مع مطلع القرن العشرين الى نعرة قومية تركية

ان النفس الاصلاحي الليبرالي يمكن لنا ان نستشفه في الخطة التي قدمت للباب العالي اذ أنها تقضي في المستوى الداخلي بالعمل على تطوير الاقتصاد وذلك بالاعتماد على الامكانيات الذاتية وابعاد المنافسة الأجنبية في المستوى الاقتصادي وتنظيم الادارة ، والقضاء على الفساد فيها ، وتحرير التجارة من القيود التي تعوقها الخ ، أما على المستوى الخارجي فالخطة تدعو الى التصدي للقوى المهيمنة والتعامل بندية مع القوى العربية المحلية المستعدة لمواجهة هذه القوى الاستعمارية والتخلي عن أساليب العنف في التعامل مع المناطق التي يتشرف عليها الباب العالي الخ إن مجمل هذه المقترحات لا تمثل في واقع الامر سوى صدى لمقولات «اليكي عثمانلر» (العثمانيون الجدد) بل أن البعض من هذه المقترحات قد شرع في انجازه لفترة وجيزة بعض ولاة العراق المحسوبين عادة على الاصلاح (مدحت باشا)

◇◆◇

الهوامش

١ - ان فهارس هذا الارشيف متعددة واعتمادنا في بحثنا هذا على بعض التقارير الموجودة بارشيف قصر يلدز الذي يشمل التقارير والمراسلات المبعوثة الى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني

٢ ارشيف قصر يلدز قسم ١٤ اوراق ٢٥٥ طرف ١٢٦ ، ملف ٨ بصرد كورفزي وحكومه بيه ابله انجلترا بك مناسباتي حقنده به لا نحه بنده طابه كتب التعرير خليل خالد «لوندره سهبندر وكيلي» في ٢١ سباط ١٣١٣ رومي (مالي) الموافق المنتصف فبراير ١٨٩٨م

٣ هادي طعمه الخليج العربي في الاستراتيجيات الاستعماريه والبريطانيه خاصه ١٩٧١ ، ص١٩ ٢٠

٤ C N Curzon The Persians and the Persian question, 1892, t II, p 465

٥ ارنولد ويلسن الخليج العربي مجمل تاريخي من اقدم الازمنه حتى اوائل القرن العشرين نقله الى العربيه عبدالقادر يوسف الكويت ص٤١٦

٦ محمد مرسي عبداله دوله الامارات العربيه المتحده وجيرانها الكويت ١٩٨١ ص٣٠

٧ - حول اتفاقيه انجلترا مع سلطان مسقط سنه ١٧٩٨ انظر مثلا هـ طعمه الخليج العربي ص٢٥

٨ حول هذه الاتفاقيات ونصوصها انظر كذلك هـ طعمه المصدر نفسه ص٣٠ وما بعد ذلك

٩ فتحت وكاله لها بالشارقه منذ ١٨٢٣

١٠ صلاح العقاد التيارات السياسيه في الخليج العربي القاهره ١٩٧٤ ص١٦١

١١ انظر في هذا الشان محمود علي الداود محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية (١٨٩٠ ١٩١٤) القاهرة ١٩٦١ ص١٨

١٢ - لوريمر (ج ج) دليل الخليج . ترجمه مكتب الترجمه بديوان حاكم قطر . الدوحه ١٩٦٧ ، ج١ ، ص٤٠٧

١٣ المصدر نفسه ص٤٣٣

١٤ - المصدر نفسه ص٤٤٦

١٥ كانت هده الاتفاقيات تباعا ١٨٣٩ ١٨٤٧ - ١٨٥٣ - ١٨٥٦ ١٨٨٠ وقد سلبت القيادات السياسية بالمنطقة العربيه بفعل هده العقود حرية حركتها

١٦ عقدت بريطانيا اتفاقا مع سلطان مسقط في مارس ١٨٩١ . ومع شيوخ ابو ظبي الشارقة دبي عجمان ، ام القوين وراس الخيمة في ٨ ادار ١٨٩٢ ومع شيخ البحرين في ٢٣ ادار ١٨٨٩ . وسيتم عقد نفس الاتفاق مع شيخ الكويت فيما بعد سنه ١٨٩٩

١٧ يتعهد السلطان او الشيخ في هده الاتفاقيات باسمه وبيانه عن ورثته ، وخلفائه بان

- لا يدخل باي حال من الاحوال في اتفاقية او تراسل مع اى حكومة فيما عدا الحكومه البريطانية
- لن يوافق على اقامه اي وكيل لاية حكومة اخرى في امارته بدون موافقه الحكومه البريطانية
- لن يتنازل مهما كانت الأحوال ولن يبيع ولن يرهن أو عدا دلك لن يفعل احتلال اى جزء من امارته الا للحكومة البريطانيه انظر النص في هـ طعمة الخليج العربى ص٣١ ٣٢

١٨ ـ محمد رشيد الفيل ، الأهمية الاستراتيجية للخليج العربى ، الخليج العربي في مواجهة التحديات بمحاضرات الموسمس الثقافيين ١٩٧٤ - ١٩٧٥ الكويت ص ٤٦

١٩ ـ عن بيان من مجلس النواب الفرنسي لسنة ١٨٩٣ اورده ا ويلسن الخليج العربي ، ص ٣٨٦

٢٠ ـ Sir Pery Sykes History of Persia, London 1951, I II, p 254

٢١ ـ محمد ر الفيل » الأهميه الاستراتيجيه ص ٥٥

٢٢ ـ انظر لوريمر دليل ص ٤٢٤

٢٣ ـ المصدر نفسه ص ٤٣٨

٢٤ ـ المصدر نفسه ص ٤٥٢

٢٥ ـ نشير في هدا المجال إلى بعض الاتفاقيات الاقتصاديه والعسكريه والسياسيه الموقعة مع مطلع التسعينات ونذكر منها خاصة إتفاقيات أوت ١٨٩١ ، اوت ١٨٩٢ وديسمبر ١٨٩٣

٢٦ ـ مصطفى عبدالقادر النجار دراسات في تاريخ الخليج العربي المعاصر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ص ٧١

٢٧ ـ لوريمر دليل ص ٤٧٧

٢٨ ـ C.N Curzon, The Persians op cit.p 495

٢٩ ـ حول تواصل هده المطامع الروسية انظر على سبيل المثال نوري عبدالبخيت روسيا ومشروع سكة حديد بغداد » المؤرخ العربي ، عدد ، ١٩٩

٣٠ ـ إهتم الفرنسيون بمنطقة الخليج منذ القرن السابع عشر حيث اسسوا سنه ١٦٦٢ شركة الهند الشرقيه الفرنسيه على غرار شركة الهند الشرقية البريطانيه وقد تواصل هذا الاهتمام مع وصول نابليون بونابرت إلى مصر ومحاولته تركيز موطيء قدم له بخليج مسقط وعمان
٣١ ـ محمود علي الداود محاضرات عن الخليج العربي ص ٢٢
٣٢ ـ لوريمر دليل ص ٤٢٩
٣٣ ـ المصدر نفسه ص ٤٣٧
٣٤ ـ حول « البرنامج الكبير » إنظر V. Bernard, Le sultan, l'Islam, et Les Puissances, paris, 1907, P. 41
٣٥ ـ ا . ويلسن الخليج العربي ص ٣٨٦
٣٦ ـ لوريمر دليل ص ٤٧٦
٣٧ ـ محمد مرسى عبدالله دوله الامارات ص ٣٥
٣٨ ـ حول قضيه الاعلام والخلافات في هذا الشان بين فرنسا وانجلترا انظر م ع الداود محاضرات ص ٨٧
٣٩ ـ لوريمر دليل ٤٥٣
٤٠ ـ المصدر نفسه ص ٤٧٩
٤١ ـ R. Vadala, Le golfe persique, paris, 1920, p 33
٤٢ ـ نصرة كورفري ص ١
٤٣ ـ المصدر نفسه ، الصفحه نفسها
٤٤ ـ تتراوح الكثافه السكانيه بالاجزاء الأوربيه حسب إحصاء ١٨٩٨ فيما بين ٥٤ ساكنا بالميل الواحد (البانيا) و ٤٢٠ ساكنا بالميل الواحد (القسطنطينيه) إلا ان المعدل العام بهذه الاجزاء حوالي ٨٨ ساكنا بالميل الواحد انظر دائرة المعارف تاليف بطرس البستاني
٤٥ ـ المصدر نفسه
٤٦ ـ حسب احصاء ١٨٩٨ ، تعتبر ولايتي الحجاز (٣ ساكن بالميل الواحد) والبصرة (١٣ ساكنا بالميل الواحد) اقل المناطق سكانا مقارنه بمساحاتها إنظر المصدر نفسه ، ص ٧٢٠ ـ ٧٢١
٤٧ ـ نصرة كورفرى ص ١
٤٨ ـ المصدر نفسه الصفحة نفسها
٤٩ ـ المصدر نفسه الصفحه نفسها
٥٠ ـ بعثت ولاية البصرة لأول مرة وانفصلت عن ولايه بغداد سنه ١٨٧٥ ، ثم اتحدت الولايتان سنه ١٨٧٩
٥١ ـ Vital Cuinet La Turquie d'Asie, geographie adminstrative, Paris, 1893 T.III, P.216
٥٢ ـ أورد أدموف ان مساحة الولايه قد تكون ١٥٠ الف كلم مربع انظر الكسندر

اداموف ولايه البصرة في ماضيها وحاضرها ترجمه هاشم صالح التكريتي بغداد ١٩٨٢ ج ١ ص ١٠

٥٣ ـ المصدر نفسه ص ٦٠

٥٤ ـ حول التنظيم الاداري لولايه البصرة والمناطق التابعه لها إنظر ١

Cumet La Turquie d Asie -Op-cit III.P 217

٥٥ ـ ١ ادامو ف ولايه البصرة ص ٧٩

٥٦ ـ المصدر نفسه ص ١٢٩ وحسب كويني (Cumet ١) يرتفع هذا العدد الى ٩٥٠ الف نسمه انظر 1 Cumet, La Turquie d'Asie, op cit. III, P 220

٥٧ ـ نصرة كورفري ص ١

٥٨ ـ المصدر نفسه ص ٤

٥٩ ـ خلال سنوات ٩٦ ـ ١٨٩٧ قام نزاع بين الاتراك واليونانيين من اجل جزيرة كريت وقد حقق فيه العثمانيون في البدايه انتصارات هامة ارجعها البعض الى تأطير الجيش العثماني من قبل الضباط الالمان

٦٠ ـ نصرة كورفزي ص ٤

٦١ ـ منذ ١٨٧٧ احتلت إنجلترا منطقه بلوشستان (اليوم مقاطعه في الباكستان) وقد تطور النضال في الهند وفي بلوشستان مع اواخر القرن التاسع عشر بظهور بعض التيارات الوطنية الراديكاليه الداعيه الى اعتماد العنف وسيله ضد الانجليز (قياده Talak)

٦٢ ـ جون كيلي «بريطانيا والخليج (١٧٩٥ ـ ١٨٧٠) ترجمة محمد امين عبدالله عمان، ج ٢ ٦٤٠

٦٣ ـ نصرة كورفري ص ١

٦٤ ـ المصدر نفسه، ص ٢

٦٥ ـ المصدر نفسه، ص ٥

٦٦ ـ المصدر نفسه، ص ٥

٦٧ ـ أورده م ع الداود محاضرات ص ١١٧

٦٨ ـ نصرة كوفري ص ٥

٦٩ ـ المصدر نفسه، ص ٦

٧٠ ـ المصدر نفسه، ص ٦

٧١ ـ المصدر نفسه، ص ٢

٧٢ ـ المصدر نفسه، ص ٣

٧٣ ـ المصدر نفسه، ص ٤

٧٤ ـ المصدر نفسه ص ٦

٧٥ ـ المصد نفسه ص ٤

٠ ـ المصدر نفسه ص ٤

٠ ـ المصدر نفسه ص ٣

ـ لمصدر نفسه ص ٣

٧٩ ـ المصدر نفسه ص ٣
٨٠ ـ المصدر نفسه ص ٣
٨١ ـ المصدر نفسه ص ٣
٨٢ ـ المصدر نفسه ص ٣
٨٣ ـ منذ مطلع سنة ١٨٩٦ تحدثت الصحف العالمية عن استعداد روسيا للتدخل في بلاد الارمن لتفكيك الامبراطورية وبالتالي تقسيمها ، انظر
T. G. Djuvara. Cent projets de Partage de La Turquie (1281-1913), Paris, 1914, P 430
٨٤ ـ نصرة كورفرى ص ٣
٨٥ ـ منذ القرن السادس عشر كان الجزء العربي من ارمينيا تحت النفوذ العثماني على حين كان الجزء الشرقي يخضع للفرس
٨٦ ـ نصرة كورفري ص ٥
٨٧ ـ المصدر نفسه ص ٦
٨٨ ـ المصدر نفسه ص ٦
٨٩ ـ انظر حول تطور هذه الاستثمارات الفرنسية بالامبراطورية العثمانيه
J. Thobie Interets et imperialisme francais dans Lempire Ottoman (1895-1914) Paris, 1977
٩٠ ـ مصطفى عبدالقادر النجار التاريخ السياسى لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي ، البصرة ، ١٩٧٥ ، ص ٤٩
٩١ ـ صلاح العقّاد التيارات السياسيه ص ١٧٣ ، ج ، كيلي بريطانيا والخليج (١٧٩٥ ١٨٧٠) ترجمه محمد امين عبدالله ، ج ٢ ص ٥٨٤
٩٢ ـ لوريمر دليل ص ٤١٤
٩٣ ـ نذكر على سبيل المثال لا الحصر الحادثة التي وقعت بالحسا سنة ١٨٨٠ ، اذ القى القائد العسكري التركى القبض على الحاكم المدني التركي وسجنه لوريمر دليل ص ٤٣٥
٩٤ ـ ان تاريخ منطقة الخليج بصورة عامه ملیء بالانتفاضات المتكررة ضد الحكم العثماني
٩٥ ـ انظر ارشيف قصر يلدز قسم ١٤ ، اوراق ٤١٣ ، ظرف ١٢٦ ، ملف ٩ وكذلك بنفس الارشيف قسم ١٤ ، اوراق ١٠/٨٨ ظرف ٨٨ ، ملف ١٢ تحت عنوان «بصرة سنجق احتياجات واصلاحات دائر لائحة در»
٩٦ ـ نصرة كورفرى ص ١ و٢
٩٧ ـ المصدر نفسه ص ٤
٩٨ ـ المصدر نفسه ١٢
٩٩ ـ لقد كان منصب لندن محددا ومقبولا لانه يفتح مجالا واسعا للدخول الى الميدان السياسي من بابه العريض افلم يكن رشيد رضا صانع فرمان

التنظيمات سفيرا بلندن انظر حول اهمية هذا المنصب

Ahmet Ali Developpement economique en Turquie Paris, 1981 P 30

١٠٠- حول التجارة واهميتها بمنطقة الخليج والبصرة انظر حسن احمد الفهواني اضواء على تجارة البصرة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، الخليج العربي مجلد ١٢ عدد ٢ - ١٩٨٠ وكذلك مصطفى عبدالقادر النجار شركة الهند الشرقية ملامحها وابرز سماتها في الخليج العربي ،مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية عدد ١٥ السنة الرابعة ١٩٧٨ وكذلك خالد خليفة الخليفة تجارة البحرين منذ فتح العتوب وحتى ظهور النفط الوثيقة عدد ٧ السنة الرابعة ١٩٨٥ وكذلك محمود طه ابو العلا اهمية النشاط البحري لدول الخليج العربي في مواجهة التحديات محاضرات الموسمين الثقافيين السابع والثامن . ١٩٧٤ ١٩٧٥

١٠١- Landev, R G. Oman since 1856, Princeton, New-Jersey, 1967 PP 125-131

١٠٢- محمود طه ابو العلا «اهمية النشاط» ص ٦٥٤

١٠٣- خالد خليفة الخليفة «تجارة البحرين» ص ٤٠

١٠٤- انظر اسماء هذه الشركات في V Cuinet La Turquie d'Asie, op cit III pp 246-247

١٠٥- المصدر نفسه ص ٢٤٦ - ٢٤٧

١٠٦- المصدر نفسه ص ٢٤٩

١٠٧- المصدر نفسه ص٢٤٩

١٠٨- هادي طعمه الخليج العربي في الاستراتيجيات الاستعمارية والبريطانية خاصة ١٩٧١ ص ٢١

١٠٩- نصرة كورفري ص ٧

١١٠- المصدر نفسه ص ٧

١١١- المصدر نفسه ص ٧

١١٢- حول اليمن وانتفاضة ١٨٩١ - ١٨٩٢ . انظر فاروق عثمان اباظة الحكم العثماني في اليمن (١٨٧٢ - ١٩١٨) القاهرة . ١٩٧٥ ص ١٢٧

١١٣- ارشيف قصر يلدز قسم ١٤ اوراق ٢٥١ ظرف ١٢٦ ملف ٨ قطر حادثة سلك واسباب وصورت وقوعي وكذلك احمد العناني «الوجود التركي في قطر من ١٨٧١ - الى ١٩١٥ المؤرخ العربي» عدد ١٢ - ١٩٨٠

١١٤- نصرة كورفري ص ٨

١١٥- المصدر نفسه ص ٨

١١٦- المصدر نفسه ص ٨

١١- المصدر نفسه ص ٧

- المصدر نفسه ص ٧

- المصدر نفسه ص ٨

١٢٠- المصدر نفسه ص ٧
١٢١- المصدر نفسه ص ٧
١٢٢- حسين احمد القهواتي «اضواء» ص ٢٩
١٢٣- لوتسكي تاريخ الأقطار العربية الحديث موسكو، ١٩٧١ ص ٣٨١
١٢٤- عباس العزاوي تاريخ العراق بين احتلالين (العهد العثماني الاخير بغداد، ١٩٥٦، ج ٨ ص ٨٣
١٢٥- المصدر نفسه، ص٣٤
١٢٦- المصدر نفسه، ص ١١٣
١٢٧- اورده Baron Ludovic de Contenson: Les re formes en Turquie d'Asie: la question arme nienne, la question syrienne, Paris, 1913, p. 3
١٢٨- نصرة كورفزي ص ٨
١٢٩- المصدر نفسه ص ٨
١٣٠- المصدر نفسه ص ٧
١٣١- المصدر نفسه ص ٨
١٣٢- المصدر نفسهص ٨
١٣٣- المصدر نفسه ص ٨
١٣٤- لوريمر دليل ص١٥٢٥ - ١٥٢٦ (مراسلة سفير بريطانيا في الاستانة الى الخارجية العثمانيه)
١٣٥- هادى طعمة الخليج العربي ص ٣١ - ٣٢
١٣٦- مثلت بريطانيا دور الحكم في هذا الخلاف حيث أسندت الى ثويني مسقط على حين احتفظ أخوه خالد بجزر زنجبار (التي كانت تحت نفوذ مسقط) على أن يدفع الثاني لأخيه تعويضا ماليا سنويا
١٣٧- ج كيلي بريطانيا ص٦٣٩
١٣٨- نصرة كورفزي ص ٩
١٣٩- لوريمر دليل ص ٤٨٠
١٤٠- نصرة كورفزي ص ٩
١٤١- المصدر نفسه ص ٩
١٤٢- ان القوات العسكرية بالخليج تنتمي الى لواء بغداد انظر حول القوات البرية بالخليج V.Cuinet La Turquie d'Asie, op. cit t.III, pp. 216-217
١٤٣- H. Mathieu La Turquie et ses diffe rents peuples, Paris t III, p 291.
١٤٤- نصرة كورفزي ص ١٠
١٤٥- المصدر نفسه ص ١٠
١٤٦- المصدر نفسه ص ١٠
١٤٧- المصدر نفسه ص ١٠
١٤٨- محمود علي الداود محاضرات عن الخليج العربي ص ٤١
١٤٩- انظر في هذا الشأن ج ١ القهواتي «أضواء» ص ٢٤

١٥٠- اربولد ويلسن الخليج العربي ص ٤٢٤
١٥١- لوريمر دليل ص ٤٩٠
١٥٢- م ع الداود محاضرات ص ٣٩
١٥٣- لوتسكي تاريخ الاقطار ص ١١٢
١٥٤- ج ا القهواتي اضواء ص ٢٥
١٥٥- المصدر نفسه ص ٢٦
١٥٦- V Cuinet La Turquie d'Asie, op cit t III, p 244
١٥٧- لوريمر دليل ص ٤٦٠
١٥٨- V Cuinet La Turquie d'Asie, op cit t III, p 246
١٥٩- لوريمر دليل ص ٤٦٠
١٦٠- نصرة كوركري ص ١١
١٦١- المصدر نفسه ص ١١
١٦٢- المصدر نفسه ص ١١
١٦٣- المصدر نفسه ص ١٠
١٦٤- المصدر نفسه ص ١٠
١٦٥- المصدر نفسه ص ١٠
١٦٦- المصدر نفسه ص ١١
١٦٧- Afet Inan A Percu ge ne ral sur l'histoire e conomique de l'empire Turc Ottoman, Ankara, 1976 (2 e dition), p 81
١٦٨- نصرة كوركري ص ١١
١٦٩- المصدر نفسه ص ١١
١٧٠- Afet Inan A Percu ge ne ral sur l'histoire e conomique, op cit p 85
١٧١- حول مختلف هذه المشاريع وما كان حولها من ملابسات انظر م ع الداود محاضرات ص ١٨٨ وما بعد ذلك وكذلك ع نوار تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٤٣٥ - ٤٣٦ وكذلك نوري عبدالحميد ,روسيا ومشروع سكة حديد بغداد, المؤرخ العربي عدد ١٥ ١٩٨٠
١٧٢- نصرة كوركري ص ١١
١٧٣- V cuinet, La Turquie d Asie, op cit IV, p 336
١٧٤- حول التيارات الثلاث وتطوراتها انظر
Franc ais Georgeon Aux origines du nationalism turc Yusuf Akc ura Paris, 1980, pp 17-18

صراع الدولتين العثمانية والبرتغالية في الخليج العربي "البصرة والحجاز"

بقلم: الدكتور

جاهد بلطه جي (تركيا)

ان ما يتمتع به الشرق من ثروات كبيرة كان مطمع الغربيين منذ القديم فاسترعى انتباههم الى هذه البقعة من العالم وحاولوا الاستيلاء عليها بشتى الطرق والوسائل في مختلف المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية، فقادوا حملات صليبية عديدة اشترك فيها مئات الألوف من ابنائهم فتصدى لها صلاح الدين الايوبي والسلاجقة والعثمانيون فأصيبت بالفشل الذريع واخفق الغربيون في تحقيق آمالهم بالغزو العسكري فراحوا يبحثون عن وسائل أخرى تمكنهم من السيطرة على الشرق ولا سيما على طرق البهارات والحرير.

والبرتغال من الدول الاوربية التي كانت قد حظيت بنصيب وافر من الغنى واليسار من مستعمراتها وتجارتها البحرية، فدفعها ذلك الى تحرى سبل أخرى للوصول الى



الشرق. مقام البحار البرتغالي فاسكو دوحاما عام ١٤٩٨ بمحاولة بحرية سلك فيها طريق راس الرجاء الصالح ووصل الى الهند كما هو معلوم عنه ومىد ذلك التاريخ ازداد اهتمـام البرتغاليين بالشرق فكانوا يهدفون الى تعيير الاتجاه في طريق التجارات القديمة ونقل السلع الهندية الى العرب الى طريق راس الرجاء الصالح بدلا من البحر الاحمر والبحر المتوسط ومن أجل تحقيق ذلك قام الربان [illegible] البرتغالي «البوكيرك» عـام ١٥١٥ [illegible] على كل من جزيرة سقطرة [illegible] البحر الاحمر ومضيق هرمز عند مدخل الخليج العربي فقطع السبيل على سفن المسلمين في نقل السلع الشرقية الى البحر المتوسط

وجدير بالذكر أن اقوى دولة في المنطقة في ذلك التاريخ كانت دولة المماليك في مصر وكان عليها التصدى للبرتغاليين وصدهم عن المنطقة وهذا ما وقع فعلا، فقام السلطان المملوكي «قانصوه الغورى» عام ١٥٠٨ بارسال اسطول بقيادة حسين بك تلبية لطلب النجدة من حاكم كجرات محمود خان الأول (١٤٥٨ ـ ١٥١١) ضـد الاعتـداءات البرتغـالية ثم بعث اسطولا آخر بقيادة «سلمان رئيس»

لا ان الاضطرابات التى وقعت في
يمن حالت دون تحقيق سلمان
ئيس، لمهمته فعاد دون ان يفعل
ىيئا والواقع ان دولة المماليك كانت
فقد سيطرتها على الأوضاع في
لنطقة، وكانت الانظار تتجه الى
دولة العثمانية لحل مشاكلها

وبعد ان استقر الحكم العثماني في
وريا ومصر والحجاز عام ١٥١٧
بغداد عام ١٥٣٤ والبصرة عام
١٥٣ وقعت المجابهة بين العثمانيين
البرتغاليين وذلك لأن اغلاق مداخل
بحر الاحمر والخليج العربي من قبل
برتغاليين أمر يتعارض مع المصالح
سياسية والتجارية للدولة العثمانية
تى اصبحت خادمة الحرمين
شريفين وتولت حمايتهما من كل عدو
احلي أو خارجي كما انها كانت قد
حت لنفسها بابا للجهاد في أوربا
سيحية، ولكي تتمكن من المضي
الاستمرار في جهادها كان عليها ان
سيطر على ينابيع القوة والثروة ومنها
رق البهارات والحرير

ومن ناحية اخرى كان حاكم
جرات قد لجأ الى طلب النجدة من
عثمانيين ضد الاعتداءات
برتغالية فبعث سلطان كجرات نادر
اه رسولا الى السلطان العثماني في
١٥٣ يطلعه على ما تعانيه بلاده من
عتداءات عليها من قبل المغول في البر
لبرتغاليين في البحر، حتى انه ذكر في
سالته الى السلطان العثماني انه
أودع ثلاثمائة صندوق ذهبا وفضة أمانة في مكة المكرمة وطلب منه صرف هذا المبلغ في تجهيز اسطول لمجابهة البرتغاليين

أما الدولة العثمانية فانها كانت على اتم ادراك بحاجتها الى اسطول كبير للوقوف في وجه التوسع البرتغالي في المحيط الهندي، وذلك هو الذي حملها على تقديم مساعدة للمماليك في انشاء ترسانة بالسويس وكان ذلك في عهد السلطان «بايزيد الثاني». ولما حكمت الدولة العثمانية مصر بادرت الى توسيع ترسانة السويس وبناء اسطول جديد اطلقت عليه اسم اسطول السويس من السفن الحربية التى تم انشاؤها في هذه الترسانة كما ان العثمانيين انشأوا اسطولا يعمل على نهر الفرات اطلقوا عليه اسم اسطول «بيره جك» لاستخدامه في صد أى عدوان قد تتعرض له بغداد سواء من البرتغاليين عن طريق خليج البصرة أو من غيرهم

وأول مجابهة بين العثمانيين والبرتغاليين كانت في جزيرة قمران فتصدى لهم سلمان رئيس الذي كان قد بذل طاعته وانقيادة للدولة العلية، وكان سلمان رئيس قد استرد هذه الجزيرة مع زميله «حسين بك» بجده من البرتغاليين في عهد الخائن أحمد باشا والي مصر والمجابهة الثانية بين الطرفين كانت في جزيرة «ديو» الواقعة في غرب الهند ونادر شاه الذي طلب

البحدة من العثمانيين ضد البرتغاليين كان قد لقى حتفه في مصادمة معهم بجزيرة ديو عام ١٥٣٧ وخلفه في الحكم ميران محمد شاه الفاروقي ثم آل الحكم الى احد اقرباء بادر شاه سليل الاسرة الحاكمة في كجرات وهو محمود الثالث وعندما قدم قائد الاسطول العثماني «خادم سليمان باشا» بقواته البحرية الى جزيرة ديو قاومه محمود الثالث المذكور ووقف في وجه القوات العثمانية بالاتفاق والتحالف مع البرتغاليين والقوات العثمانية التي نزلت في البر حاصرت قلعة ديو عشرين يوما واسقطت بعض مدافعها ولكنها اضطرت الى الانسحاب بسبب الاحوال الجوية وعادت الى ميناء مخا في اليمن

وبعد سلمان رئيس وخادم سليمان باشا استمر الصراع العثماني ـ البرتغالي مع «بيرى رئيس» حيث ان البرتغاليين اغتنموا فرصة عودة سليمان باشا الى مصر وحاولوا احتلال ميناء جدة الا ان محاولتهم هذه باءت بالفشل امام المقاومة العنيدة من محافظ قلعة جدة والامدادات التي بعث بها امير مكة المكرمة وفي اعقاب ذلك اتجهوا الى مصر وحاولوا احتلال ترسانة السويس واحراق الاسطول العثماني فلم يفلحوا في ذلك ايضا غير انهم احرقوا مدينة طور سينا، كما ... احتلوا عدن عام ٩٥٠ هـ ـ

وبعد مدة قصيرة من احتلالهم لعدن اجلاهم عنها «بيرى رئيس» قائد اسطول السويس

وفي عام ٩٥٨ هـ ـ ١٥٥١م توجه بيرى رئيس باسطوله المؤلف من ثلاثين سفينة الى الهند فمر على جدة ووصل الى عمان والحق مسقط بالحكم العثماني وتصدى لسبعين سفينة حربية للبرتغاليين فهزمهم والجأهم الى قلعة هرمز على مضيق هرمز

وبعد بيرى رئيس اسندت قيادة اسطول السويس الى «مراد رئيس» الذي كان امير لواء البحرين، فتسلم راية الكفاح ضد البرتغاليين الذين دأبوا في هذه الأونة على تقوية اسطولهم في بحر الهند وعدن، والتقى باسطولهم بالقرب من هرمز ودخل معهم في حروب بحرية عنيفة ولكنه لم يفلح في ذلك فاضطر الى الانسحاب الى البصرة

وبسبب اخفاقه في مهمته تم عزله من منصبه وتعيين «سيدى علي رئيس» في ٩٦٠ هـ ـ ١٥٥٣ م محله فاصبح قائدا لاسطول السويس، واستطاع ان يفك الحصار المضروب على الاسطول العثماني في البصرة والقضاء على ما لقيه من السفن البرتغالية ولكنه اضطر الى مكافحة العواصف الشديدة في البحر فافقده ذلك قدرته على الحرب ولجأ الى سواحل الهند

وبعد «سيدى علي رئيس» تم تعيين «قورد اوغلو خضر رئيس» في قيادة

اسطول السويس وفي ذلك الوقت كان السلطان علاء الدين يحكم جزيرة «سومطرة» وشبه جزيرة «ملاكا» باسم سلطنة احه الاسلامية، فارسل وفدا الى استانبول في ١٥٦٧/٩/٥ [١] برئاسة أحد رجاله واسمه «حسين» لطلب النجدة من الدولة العثمانية وجاء في رسالته الى السلطان العثماني ان البرتغاليين يحاربون الدولتين الاسلاميتين سيلان وكالكوتا، وانه بحاجة الى مدافع وبنادق وعساكر لمجابهتهم وطلب من السلطان العثماني تزويده بذلك فصادف مجيء هذا الوفد وجود السلطان العثماني في سفر (عروة) «زيغتوار» ووفاته وادى ذلك الى بقاء الوفد في استانبول لمدة سنتين

ورغم وفاة السلطان سليمان القانوني وافقت الدولة العثمانية على طلب النجدة للدولة الاسلامية، وقررت اسعافه باسطولها في السويس وجهزت اكثر من عشرين سفينة حربية بقيادة قبطان السويس «قورد اوغلو خضر رئيس» وفي الوقت الذي تأهبت فيه السفن العثمانية للابحار اندلعت ثورة الزيديين في اليمن بزعامة الامام مطهر واقتضى الأمر تكليف «خضر رئيس» بمهمة اخمادها، أما طلب النجدة للدولة الاسلامية «احه» فتم تحقيقه ايضا فارسلت سفينتان الى سومطرة تحملان الادوات والمعدات اللازمة والخبراء، وهؤلاء العثمانيون الذين ذهبوا الى سومطره توطنوا فيها واظن ان لهم احفادا لا يزالون يعيشون في جزر اندونيسيا حتى اليوم

ان المحاولات البرتغالية الرامية الى فرض السيطرة على هذه المنطقة وكذلك المظالم التى ارتكبها البرتغاليون في الخليج العربي يمكن الوقوف عليها ومتابعتها من وثائق الارشيف العثماني باستانبول

ومن هذه الوثائق العثمانية حكم صدر بتاريخ ٩٧٨ هـ - ١٥٧٢ م في عهد السلطان سليم الثاني الى أمير امراء مصر وجاء فيه

«أفادت المعلومات الواردة من البحرين ان الكفرة البرتغاليين لا يزالون يغيرون على جوانبها بسفنهم الحربية فيفسقون فيها باسر المسلمين ونهب أموالهم وقد يصل ضررهم الى جوانب مخا وعدن فقبطان مخا ليست لديه سفينة مطلقا والدفاع عن تلك البقاع من المهمات فعليك تجهيز سفينتين حربيتين من السفن المتواجدة في السويس تجهيزا كاملا بالالات والمعدات الحربية والرجال وارسالهما الى قبطان مخا لاستخدامهما في الدفاع عن نواحي عدن ومخا ومتابعة الاحوال والأوضاع في اليمن بارسال من يأتيك باخبارها في كل حين، فلا ينبغي ان يلحق ضرر من الكفرة الفجرة لمدن أو أى محل أخر فلا تهمل مهمة الدفاع

عن تلك النواحي والاصقاع واتخذ جميع التدابير اللازمة لحراستها ولا تفوتنك لحظة واحدة في باب الاهتمام بها. كما عليك اعلام استانبول عن كيفية تجهيزك للسفن وتاريخ ارسالها وما تحصل عليه من اخبار ومعلومات صحيحة عن الأوضاع السائدة في اليمن والبنادر الواقعة فيها وفي الحجاز في ١٥ جمادى الآخرة سنة ٩٨١ هـ» [٢]

وجاء في وثيقة اخرى يعود تاريخها الى هذا العهد ايضا ان البرتغاليين احتلوا بعض الاجزاء من ولاية الحبشة وقتلوا سكانها واستولوا على بعض القلاع في الهند وأغاروا على سواحل اليمن والحبشة والحجاز بسفنهم فصدر حكم الى أمير امراء مصر بانشاء عدد كاف من السفن الحربية في السويس وتم مده بالاخشاب السواكن وسائر المعدات اللازمة لانهائها وتزويد حسن بك أمير لواء السويس بتعليمات حول تجهيزه السفن والوقوف بها على أهبة الاستعداد وأمر السواقين بارسال المعدات اللازمة كما جاء فيها أمر صارم بعدم السماح للعدو باحتلال البنادر [٣]

ويبدو من ذلك ان البرتغاليين كانوا قد عقدوا العزم على فرض سيطرتهم على منطقتي الحجاز والبصرة، أما العثمانيون فكانوا مصممين على ردهم عن هذه المناطق لحماية وحراسة الحرمين الشريفين والحيلولة دون وقوع طرق نقل السلع الترفية الى العرب في أيد غير اسلامية

وهذا الموقف الحازم للعثمانيين حال دون وقوع الحجاز والبصرة في يد غير المسلمين فبقيت تلك المناطق تحت الاشراف العثماني فكان لهم التفوق في البحر المتوسط الا انهم لم يستطيعوا ان يحققوا ذلك في بحر الهند لان ترسانة السويس لم تكن كافية لتحقيق هذا الهدف، فكان الأمر يتطلب أما انشاء ترسانة كبيرة في السويس أو فتح قناة فيه تفسح المجال أمام الاسطول العثماني في البحر المتوسط للعبور الى البحر الاحمر ومنه الى بحر الهند واختار العثمانيون الحل الثاني وصدر حكم بتاريخ ١٢ رجب ٩٧٥ هـ الى امير أمراء مصر بأمره باعداد مشروع في فتح قناة السويس تربط بين البحر المتوسط والبحر الاحمر بارسال تقرير عنه الى استانبول [٤] ورغم كل ذلك فان العثمانيين كانوا يميلون الى عقد صلح مع البرتغاليين، والرسالة التي بعث بها السلطان العثماني الى ملك البرتغال «سبستيان» في شهر ربيع الآخر لعام ٩٧٢ هـ تدل على ذلك

ويقول السلطان العثماني في رسالته هذه

«ان كان قصدكم الصلح والسلام فكفوا أيديكم عن الاعتداء على الحجاج والتجار عند وصول رسالتنا

الهمايونية وابعتوا الينا رسالتكم مع مندوبكم المعتمد عليه ليصار الى تقرير النظام في تلك الاصقاع» (٥)

وهكذا كان العثمانيون يبحثون عن وسائل انزال اسطول كبير في بحر الهند من ناحية وامكانات عقد الصلح مع البرتغاليين من ناحية أخرى، لأن البرتغاليين كانوا يغيرون باساطيلهم القوية على الدول الاسلامية الصغيرة في المنطقة ويوقعون بها الاضرار

الهوامش

(١) دفتر مهمة ٧، الصفحة ٨٦ ـ ٩٠

(٢) دفتر مهمة ٢٢، الصفحة ٦٤

(٣) دفتر مهمة ٤٨، الصفحة ٣٣

(٤) دفتر مهمة ٧، الصفحة ٢٨٥

(٥) دفتر مهمة ٦، الصفحة ١٦٦

...صفحات من ت...
خلال ال...

بقلم : الدكتور



إن الصلة التاريخية بين البحرين والدولة العثمانية تبدأ منذ ان بدأت العلاقات العثمانية بالشرق الاوسط وذلك في القرن السادس عشر . ولا شك ان الوثائق تكون اهم مصادر التدوين التاريخي فلا تاريخ بدون وثائق فلقد كشفت لنا الوثائق العثمانية عن بعض الحقائق في تاريخ البحرين مما اغفل ذكره المؤرخون وسوف نستعرض طرفا منها سبق وان نشرنا بعضها فقد شهد القرن الخامس عشر نشاطا سياسيا سبق التدخل البرتغالي المسلح في ... الخليج العربي حين اوفد (بيدرو) ... شقيق (هنري الملاح) بعثة ... عثماني واخرى الى البلاط

الفارسي ... جراء اول عملية كشف واستجلاء للامور[1] وارسل ملك البرتغال (دون جوا الثاني) بعثات برتغالية متعددة في صدد البحث عن بلاد التوابل في الفترة ما بين ١٤٨١ ـ ١٤٩٥م ومن هؤلاء (دي كوامبلوا) و (ابراهيم البيجاوي) الذي اوفد الى كل من بلاد فارس والدولة العثمانية واغلب الظن ان بعض اليهود في شبه جزيرة ايبريا قد لعبوا دورا في نطاق هذه البعثات الاستطلاعية مستغلين فرصة الخلاف التاريخي بين الدولة العثمانية وفارس وبذلك خطط الغربيون خططهم لجذب فارس الى صف العرب في صراع محتمل مع المسلمين في الشرق بما فيهم العثمانيين والعرب وهكذا فان التفاهم

البحرين

باحسين (البحرين)

صل بين البرتغاليين والفرس
ة مساع سابقة قد ادى الى
ف الصفوي البرتغالي ضد
انيين والعرب خاصة والمسلمين
رة عامة [٢] وتأكيداً لذلك فقد
ت بعض المصادر التاريخية
الة التي بعث بها القائد البرتغالي
رنسو دي البوكيرك) الى شاه
في عام ٩١٥ هـ/ ١٥٠٩م والتي
فيها (انني اقدر لك احترامك
يحيين في بلادك واعرض عليك

الاسطول والجند والاسلحة
لاستخدامها ضد قلاع العثمانيين
واذا اردت ان تنقض على بلاد العرب
او تهاجم (مكة) فستجدني بجانبك
في البحر الاحمر امام (جده) او في
(عدن) او في (البحرين) او
(القطيف) او (البصرة) وسيجدني
الشاه بجانبه على امتداد الساحل
الفارسي وسأنفذ له ما يريد) [٣]
هذه الرسالة تدل على التحالف الاثيم
بين البرتغاليين والفرس ضد

العثمانيين والعرب المستقلين والموالين للعثمانيين والمسلمين كافة لانه تحالف موجه ضد اهم مقدساتهم وهي البلد الامين كما انها تعطي صورة عامة للمناطق التي كانت الهدف للاسطول البرتغالي كما تؤكد منطلقاتهم الصليبية التي احد يحققها (البوكيرك) لإقامة امبراطورية عريضة في الشرق بتحالفه مع الشاه الفارسي للقضاء على العثمانيين والعرب ومهاجمة مكة ومدن وجزر عربية اخرى وان لم يكن (البوكيرك) يثق كل الثقة في الاتفاقية المعقودة بينه وبين شاه فارس والتي كانت موجهه في جوهرها ضد العرب بسبب تضارب المصالح بين الفرس والبرتغال والتي ظهرت في احتلال البرتغاليين (لهرمز) التي كانت ترتبط بروابط مع فارس

وفكر البوكيرك ان احتلال مصادر واسواق التجارة العربية في الشرق الاقصى سيكون عنصرا فعالا ومساعدا في القضاء على القوة العربية في الخليج وتحطيم اقتصادياتها من اجل ذلك اتجه لاحتلال بعض مناطق الشرق الاقصى الا انه فشل في ذلك فعاد بقواته الى سواحل الخليج يسوقه حقده الصليبي كاشفا عن اتجاهه لتدمير مقدسات المسلمين في مكة المكرمة واتجه في طريقه الى (عدن) فاشعل النار في سفنها الراسية بالميناء الا انه لم يستطع ان يتقدم كثيرا صوب الحجاز وذلك لأن الدولة العثمانية والكثير من القبائل العربية المساندة لها هبوا جميعا للذود عن مكة المكرمة وحماية المقدسات الاسلامية بها فعادت حملة البرتغاليين خائبة الى الهند دون ان تتمكن من تحقيق اهدافها ولكن حملات البرتغاليين لم تتوقف ففي سنة ٩٢٠ هـ/ ١٥١٤م انتهز البرتغاليون فرصة انشغال الفرس في حرب مع العثمانيين وارسل البوكيرك ابن عمه (بيرو) الى (هرمز) ووصل بيرو الى (راس كاديفو) فصادف سفينتين تحملان حجاجا مسلمين في طريقهم لاداء فريضة الحج بمكة المكرمة فاسرهما وقد بيه ذلك نحو خمسين سفينة اخرى محملة بالحجاج فلجأت الى ميناء هرمز وبحث من السفن البرتغالية التي واصلت طريقها لاستطلاع جزر (البحرين)

وحدث ان استطاع العثمانيون انتزاع عاصمة الفرس (تبريز) في معركة حاسمة تسمى معركة (جالديران) في سنة ٩٢٠ هـ/ ١٥١٤م وهنا ظهر في الموقف ظروف جديدة حددت مسار الاطماع التي تداعت حيال القوى الكبيرة والمتواجدة بالمنطقة فبالنسبة للشاه

ماعيل الصفوي فقد ادى استيلاء
مانيين على اجزاء كبيرة من دولته
اتجاهه للساحل الآخر للخليج في
ولة لاستعادة الثقة بالاستيلاء على
طق جديدة يعوض بها ما فقده
حه تفكيره الى (البحرين)
القطيف) ولكنه لم يكن يملك
ص اللازمة لمثل هذه الحملات
رية اما بالنسبة (لافونسو دي
وكيرك) فقد ادى توقف
بحرين) عن دفع عائد بعض
ارات لهرمز في البحرين وهو العائد
ي نص عليه الاتفاق بين توران شاه
م هرمز واجود بن زامل الجبري
ن بعد ان اصبحت هرمز شبه
بعة للبرتغاليين بالاضافة الى
اعدة (البحرين) لهرمز بالرجال
ل لمقاومة النفوذ البرتغالي قدم
ذلك الذريعة للبوكيرك كي يتجه
يره الى (البحرين) خاصة وهي
ي قاعدة تجارية هامة واحتلالها
عده على تحقيق هدفه الكبير في
ليم قواعد وطرق التجارة العربية
خليج وازاء هذا الموقف الجديد
مال الشاه اسماعيل الصفوي
فارس الى اعادة دعم التعاون مع
تغاليين خاصة وقد اغمضت فارس
ها عن الهجوم البرتغالي على هرمز
ما يرسل الشاه الهدايا الى
كيرك وهي عبارة عن سيف له غمد

من الذهب والفي زيرافين (اشرفي)
مع سفيره لكي يبحث اسس التعاون
مع البوكيرك فبادر القائد البرتغالي
يرسل سفنه لاحتلال (البحرين)
لحساب البرتغاليين وقد قاوم (امير
البحرين والقطيف) مقرن بن اجود
بن زامل الجبري هجوم البرتغاليين
على البحرين [٤] الا انه جرح في
المعركة التي انتهت لصالح البرتغاليين
حيث احتل البرتغاليون (البحرين)
في ١٥٢١م ولم يركن اهل البحرين
للاحتلال البرتغالي وانما شهدت البلاد
وبعد فترة قصيرة من الاحتلال بعض
صور المقاومة حدثتنا عنها (الوثائق
العثمانية) وأولى هذه الصور بدأت في
عام ٩٢٨هـ/١٥٢٢م ايام كانت هرمز
تابعة للبرتغاليين وكان حاكمها
(توران شاه) قد قاوم قرار تعيين
موظفين برتغاليين في دار الجمارك
ببلاده محل المواطنين واخذ ينسق
المقاومة مع (البحرين ومسقط
وقريات وصحار) ضد البرتغاليين وفي
ليلة واحدة قامت جميع هذه المناطق
بترتيب من توران شاه وعلى حين غره
بالهجوم على البرتغاليين برا وبحرا
ففي هرمز هاجموا المدافعين
البرتغاليين وقتلوا الكثيرين منهم
وحاصروا (دوم جرسيا كويتهر) قائد
قلعة هرمز البرتغالي ولكن لم يفلح
الحصار اما في (البحرين) فقد

هاجم الاهالي القلعة وتحصنوا على قائدها البرتغالي وسيقود الا ان وصول المدد للبرتغاليين اعاد السيطرة على الموقف هذه الاحداث فصلتها المصادر العثمانية ' ' ولا بد لنا ان نستعرض طرفا من الاحداث التي مرت في البحرين كما اوردتها (الوثائق العثمانية) فقد بدات المنطقة تشهد تغييرا في موازين القوى الكبرى اذ جاء للحكم في الدولة العثمانية السلطان (سليمان القانوني) من (٩٢٦ ـ ٩٧٤هـ) وهو احد الحكام الاقوياء وقد تمكن من طرد الفرس من الاراضي التي احتلتها وكان ذلك في ٩٤١هـ ١٥٣٤م ولما كانت عواطف معظم العرب ابدا تميل الى الدولة العثمانية باعتبارها اكبر دولة اسلامية حاملة لواء الدفاع عن الاسلام فقد اقبلت وفودهم على السلطان (سليمان القانوني) تقدم له الطاعة والولاء مما شجع السلطان العثماني على بسط نفوذه على الاحساء والبحرين (وتذكر الوثائق العثمانية) انه في ٩٤٢هـ ١٥٣٥م منح السلطان العثماني لحاكم البحرين في ذلك ... واسمه (رييس مراد) لقب (... بك) لتقديمه الولاء وقد ... السنين اهتماما عثمانيا شهدت تواجدا اوضح

للقوات العثمانية جعل لها دورا بارزا ومباشرا في الصراع الدائر في الخليج مما كان له اثره على الاحداث القادمة فقد ارسل (شرف الدين) حاكم هرمز رسالة للسلطان يطلب منه ارسال مساعدة للتخلص من البرتغاليين في هرمز واستجاب السلطان فارسل اسطولا الى خليج البصرة بقيادة بيري بك [6] الذي توجه باسطوله ويقال انه احتل (البحرين) ثم انسحب منها دون ان يستطيع مهاجمة هرمز وعادت سفينة عثمانية محملة بالغنائم ولكنها غرقت قرب (البحرين) وجدير بالذكر ان التاريخ كان ضنينا علينا بذكر تفاصيل الدور الذي لعبته الدولة العثمانية على سواحل الخليج العربي بعد وصول العثمانيين الى سواحل الخليج ولم يتطرق لهذه الفترة احد من المؤرخين المعاصرين لتلك الحوادث امثال (جلال زاده مصطفى) و (بيجويلي ابراهيم) و (جليبو لولو مصطفى علي) اللهم الا (صفوت بك) الذي تعرض لبعضها ونشر بحثا مقتضبا عنها واذا كانت عملية التاريخ قد شابها قصور ملحوظ بالنسبة لهذه الفترة في هذه المنطقة الا اننا نلاحظ على العكس ان (الوثائق العثمانية) قد اسهمت في تفصيل الحوادث التي تتعلق بجزر البحرين وان كانت هذه الوثائق لم يتطرق احد

تها حتى الآن بحثا موثقا وربط ما
ا من احداث وسوف نحاول على
ء بعض الوثائق ربط الحوادث
ريحية قدر الامكان فان حاكم
طيف استعان بالعثمانيين للتخلص
النفوذ الهرمزي الموالي للبرتغاليين
ان البرتغاليين سرعان ما استعادوا
طيف واعادوا الحاكم الهرمزي
الي لهم خوفا من ان يؤدي احتلال
ثمانيين للقطيف الى زعزعة نفوذهم
البحرين وتذكر المصادر العثمانية
العثمانيين تمكنوا بعد ذلك من
ستيلاء على الحسا بواسطة شخص
مه (عبدالله) وهو ابن حاكم
سا السابق وتستطرد الوثائق
ثمانية في وصف الحملة التي
ردها العثمانيون في عام
٩هـ/١٥٥٢م بقيادة (بيري بك)
سا للاستيلاء على مسقط
البحرين) وهرمز اذ خرج بيري
في حملته من مصر ومعه ثلاثون
ينة من نوع (الباستارده)
القادرغه) و (القاليتة)
القاليون) ووصل الى جده ثم الى
ى فرأس الحد ولكن سفنه غرقت
ب الضباب الكثيف وتحطم
ضها بقرب (صحار) في عمان
ما توجه هو ببقية سفنه الى قلعة
قط وأسر من فيها وكان من بين
سرى احد القباطنة البرتغاليين تم

اعار على جزيرة (هرمز) وجزيرة
برخت ثم وصل الى البصرة حيث وردته
الاخبار بان البرتغاليين جمعوا سفنهم
وانهم يتجهون اليه في البصرة فخرج
متسللا بثلاث سفن من نوع القادرغه
قبل ان يصل البرتغاليون وفي الطريق
تحطمت واحدة من السفن الثلاث
بالقرب من البحرين وتوجه (بيري
بك) بالسفينتين الباقيتين الى مصر
تاركا بقية السفن بالبصرة وكانت هذه
نهاية (بيري بك) فقد امر السلطان
باعدامه بعد فشله للمرة الثانية في
الخليج مع البرتغاليين وعين
السلطان (سليمان القانوني) قائدا
جديدا للاسطول هو (علي شلبي) او
(علي رئيس) كما تسميه الوثائق
العثمانية وذلك في عام
٩٦١هـ/١٥٥٣م وامره بالتوجه الى
البصرة لاخراج السفن العثمانية من
هناك وتوجه (علي رئيس) الى الخليج
فهاجم البرتغاليين في مسقط ولكنه لم
ينجح في الاستيلاء عليها رغم
الخسائر التي تكبدها العثمانيون
والبرتغاليون ثم توجه بعد ذلك الى
القطيف فسأل عن البرتغاليين فلم
يعرف خبرا عنهم فعبر البحر الى
(البحرين) حيث اخبره حاكم
البحرين (مراد رئيس) بان
البرتغاليين ليسوا في البحر وكان
(علي شلبي) كما ترويه المصادر

العثمانية شاعرا واديبا وتقدم الوثائق العثمانية التي تحكي عن رحلته معلومات مفصلة عن البحرين ، وقد جاء فيها وصلت الى مدينة القطيف الواقعة بالقرب من الحسا (الاحساء) وهناك وجدنا دليلا فسألناه عن العدو البرتغالي ولم نتمكن من الحصول على خبر بهذا الشأن فاخترنا البحر الى (البحرين) حيث التقينا (بمراد رئيس) أو (رئيس مراد) وهو حاكم البحرين فسألناه كذلك عن العدو فقال ايضا ان العدو ليس بالبحر وفي (البحرين) وجدنا ويالها من حكمة عجيبة ـ العواصين وكل واحد منهم يمسك بيده رقا ويغوص في البحر حوالي ثمانية باعات (الباع حوالي متر ونصف المتر) او اكثر ثم يملأ ما بيده من رق بماء عذب من القاع وكان هؤلاء الغواصون يأتون بالماء العذب الى (مراد رئيس) دائما وفي ايام الصيف يكون هذا الماء اكثر برودة من المياه الاخرى واكثر عذوبة ايضا وحيث انه كذلك فقد كان (مراد رئيس) يكثر الشرب منه وقد ارسل مراد رئيس الى هذا العبد (الكاتب يقصد نفسه) من هذا - نوع من مظاهر الاحترام - ... ان هذا الماء ـ كما يقول ـ ... الآية الكريمة « مرج ... يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان » إنما تتحدث عن هذا وهم يعتقدون ان هذا الماء هو سبب اطلاق هذا الاسم على (البحرين) (٧)

ويستشف من الوثائق التي تتعرض لهذه الفترة ان علي شلبي ابلغ (رئيس مراد) قرار السلطان الذي اصدره بالنسبة للحكام الموالين وهو انه لا يحق لأي وال او مسئول كبير من العثمانيين ـ دون اخذ امر من السلطان ـ ان يقص بأي شكل من الاشكال مصالح الدول التي تدخل تحت حماية الدولة العثمانية واكد لحاكم (البحرين) ان علاقات الود والصداقة بين والي البحرين والدولة العثمانية ستستمر في طريقها المعهود وانه من الممكن لوالي البحرين التعايش الطيب مع الحكام العثمانيين في المنطقة وان السلطان يقظ لأي إعتداء برتغالي على سواحل البحرين وان الديوان السلطاني سيقدم كل عون ممكن كل ذلك يدل على ان البحرين في هذه الفترة كانت موالية للدولة العثمانية وان حاكمها اصبح يتمتع باستقلال محدود وانه جرى تبادل السفراء بين البحرين والدولة العثمانية كما جرى تبادل المراسلات ومنح حاكم البحرين لقب (سنجق بك) في ٩٦٦هـ/١٥٥٩م (٨) ولكن يبدو ان هذه العلاقة لم تستمر طويلا فقد حدث ما عكرها بسبب تصرف احد

صورة الصفحة الأولى من الوثيقة العثمانية الى مراد شاه مع ترجمة الوثيقة

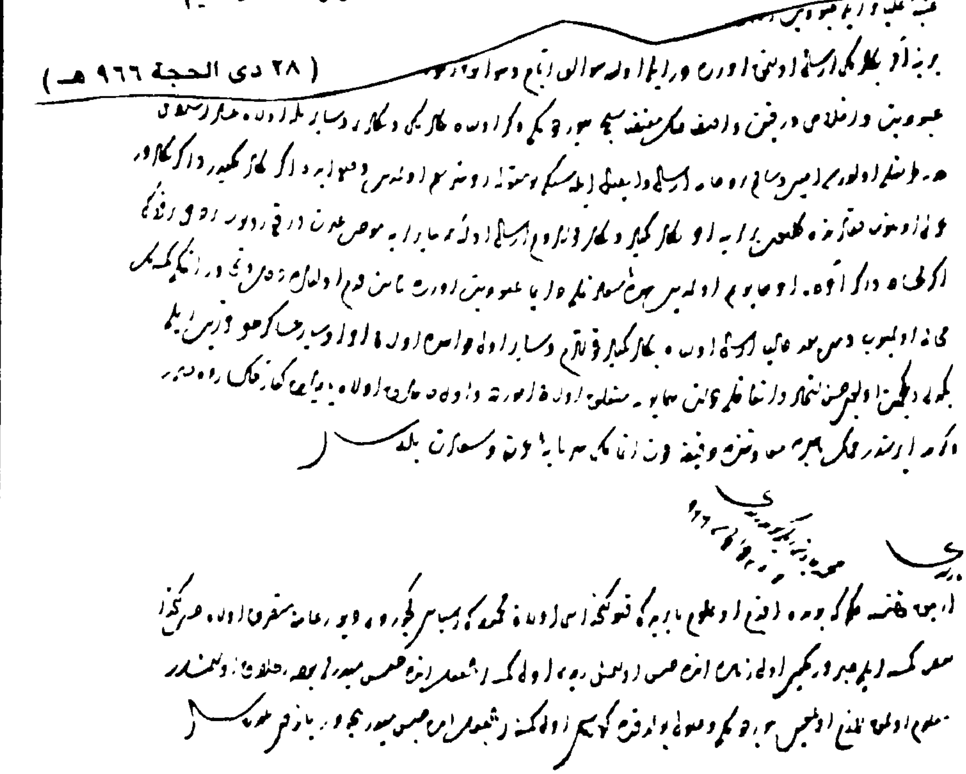
استنبول - باشاكالمك ارشيفى (الأرشيف الرسمى)

دفاتر الشئون العامة . المجلد ٣ - ص ١٣٩

امر سلطانى الى مراد شاه حاكم البحرين

انك ارسلت اشخاصا مرات عديدة الى بلاطنا السامى وعرضت علينا طاعتك لنا ومنحنا لك شهادة اثباتا بانا اعطيناك البحرين كولاية واخطرنا بدلك جميع المحافظين المجاورين وسمعنا الآن بان مصطفى باشا . محافظ الاحساء قام بغزو البحرين دون اذن منا وانك اتخذت بعض الاجراءات ضده وكذلك حجز البرتغاليون بعض السفن العثمانية وقد طردنا مصطفى باشا من منصبه بسبب هده الاعتداءات وعينا محافظا جديدا يحل محله وعليك ان ترد الجنود الى المحافظ فى الاراضى العثمانية وتعاقبهم بما يستحقونه وهكدا يكون محافظونا وموظفونا فى الاحساء (والاقاليم الاخرى) مجمعين على تنفيذ ارادتنا حتى لا يتمكن العدو (البرتغاليون) من الحاق اضرار بتلك الاقاليم

(٢٨ ذى الحجة ٩٦٦ هـ)



الحكام العثمانيين في المنطقة وهو ما سنراه فيما بعد

ويستمر في تتبع الاحداث وفقا لما تورده الوثائق العثمانية ففي ٩٦٦هـ ١٥٥٩م عثرنا على وثيقة صادرة من السلطان العثماني الى والي مصر يخبره بوصول البرتغاليين الى ناحية البحرين وهم محمولون في بعض السفن من نوعي (القادرغه) و (الغاليون) وان هؤلاء قاموا بالاغارة على المسلمين من اهل تلك البلاد واسروا بعضهم وعاثوا في الارض فسادا وطلب السلطان الامدادات من مصر وطرابلس وانطاكيه ورودس لبناء السفن في البصره وإرسالها الى البحرين لتخليصها من البرتغاليين كما وجه السلطان امرا الى امير امراء ديار بكر وبغداد لارسال المدافع والبنادق والبارود الى الحسا لان مصطفى باشا عندما غزا البحرين اخذ معه اكثر الأسلحة والعتاد الحربي الموجود في الحسا واصبحت بحاجة ملحة وعاجلة للاسلحة والعتاد وامر السلطان العثماني ان يكون امير امراء البصرة ا لحماية القلاع والرعايا من . البرتغاليين خاصة وقد اتفق ...ئذ (الدورق) معهم ضد ...ر الاحساء اغلى المدعو . الحاكم في الاحساء

بعد مصطفى باشا واخذ الاموال فاصدر السلطان امره الى امير الاحساء بالقبض على سعدون ومصادرة امواله [٩] والتاريخ حول هذه النقطة بالذات شديد الغموض ولا يملك الانسان الا ان يجهد ذهنه في استنباط ما يمكن ان يكون قد حدث فلا احد يعرف هل تعرضت البحرين لمحاولة غزو جديدة من البرتغاليين الذين كان اسطولهم ما يزال في الخليج وهل استنجد حاكم البحرين بالسلطان خاصة والبحرين كما قلنا في ذلك الوقت كانت تعتبر امارة مستقلة ولاؤها للعثمانيين وكيف تصدت البحرين لهذه المحاولة خاصة وقد وجدنا وثيقة هامة تحكي عن غزو (جزر البحرين) في عام ٩٦٦هـ/ ١٥٥٩م وهذه الوثيقة التي تقع في اربع صفحات لم يرد ذكرها في (دفاتر المهمة) بأرشيف رئاسة الوزراء العثمانية وهي موجودة في متحف (طوب كابو) باسطنبول في قلعة عوسلر تحت رقم ٣٠٠٤ وكاتبها الذي يتضح انه كان احد القادة الذين شاركوا في الحملة العثمانية على البحرين في هذه السنة وان لم يذكر اسمه وان كان يفهم انه كان رئيس سنجق تابع لايالة الاحساء هذه الوثيقة تحكي لنا ان حاكم الاحسا العثماني واسمه (مصطفى باشا

جهز حملة للاستيلاء على البحرين ولا ندري هل قام بذلك لانقاذ البحرين من الهجوم البرتغالي الذي اشارت اليه وثيقة السلطان الى والي مصر ام انه قام بهذه الحملة كمطمع شخصي دفعه لتوسيع ولايته بالاحساء على حساب القطيف والبحرين أم أنه قام بذلك بناء على أمر من السلطان نتيجة لقربه من البحرين الاسئلة مطروحة ولكن ايا كان السبب المباشر فان (مراد رئيس) حاكم البحرين كما قلنا كان يحكم البحرين باقرار من السلطان العثماني ولما كانت البحرين امارة مستقلة موالية للعثمانيين فقد ارعج (مراد رئيس) الهجوم العثماني الذي قام به (مصطفى باشا) والى الاحساء وهو ابن بيقلي محمد باشا المشهور بفاتح ديار بكر ويحتمل ان يكون قد دفن (بالبحرين) كما ان ولده (عمر) استشهد في البحرين في حربه مع البرتغاليين ونستشف من الوثيقة ان محاولة مصطفى باشا غزو البحرين واكبت نشاطا في المعركة بين العثمانيين والبرتغاليين يؤيد ذلك ما تذكره الوثيقة من ان المعركة كانت في اطار معركة اخرى او معارك اشتركت فيها قوات من انكشارية بغداد كما ان البرتغاليين حاولوا في اثنائها الهجوم على البصرة واصطدموا بالعثمانيين فوق مياه الخليج اذ جاءوا الى القطيف بستة مراكب من نوع (غراب) واستمرت الحرب شهرين ولم يتمكن البرتغاليون من السيطرة على القطيف وعادوا خاسرين [١] حقيقة ان السلطان العثماني تنصل في نفس الوثيقة مما فعله مصطفى باشا من هجومه على البحرين ولكن قد يكون ذلك نتيجة لفشل هذا الهجوم من ناحية وللتملص من مسئولية هجومه على امارة كانت مواليه للعثمانيين من ناحية اخرى ولكن عدم موافقة السلطان على طلب امير الاحساء ترقية بعض العسكريين الذين اشتركوا في حرب البحرين مع مصطفى باشا تدل على عدم علم السلطان وعدم رغبته في هذه الحرب ضد البحرين من قبل والي الاحساء مصطفى باشا وقد يكون من المفيد ان نعرض للوثيقة نفسها وقد كتب عنها الاستاذ (جنكيز اورهنلو) ونتيجة لدراستنا لكثير من الوثائق المعاصرة والتي اوردنا ذكر بعضها مع صوره بالبحث فانا نؤيد الاستاذ (اورهنلو) بخصوص تاريخ الواقعة وهو عام ١٥٥٩م بعد ان اقتبس الاستاذ (اورهنلو) من المراسلات والسجلات العثمانية المتبادلة بين المختصين في الدولة العثمانية والمتعلقة بها وخلاصة ما وقع بين المهاجمين لجزيرة البحرين بقيادة مصطفى

محل وجود الوثيقة : ارشيف رئاسة الوزراء

رقم الدفتر : ٣

الصحيفة : ٤٩

التاريخ : ٢٧ ذي الحجة ٩٦٧

الحكم موجه الى امير امراء لحسا

ما يفيد ان الامير المذكور بعث برسالة الى السلطان يطلب فيها ترقية بعض الموظفين العسكريين الذين اشتركوا في حرب البحرين بدون اذن مسبق من السلطان .

يصدر السلطان امره اثر عرض رسالة الامير بعدم ترقيتهم وطلب من الامير ابقاء رواتبهم على ما كان عليه قبل اشتراكهم في حرب البحرين .

٢٧ ذي الحجة ٩٦٧

صورة للوثيقة الخاصة وبعضها في دفتر مهمة رقم ٣ صفحة ٤٩ مؤرخة في ٢٧ ذي الحجة ٩٦٧ ومنها عدم موافقة السلطان على ترقية العسكريين الذين اشتركوا في حرب البحرين بدون اذن مسبق منه

باشا وكانت الوثيقة كما قلنا نصت اميرا للواء تابع لايالة الاحساء ويفهم من سياق الكلام ان مصطفى باشا توجه بدون علم السلطان العثماني [١١] وبدأت الحملة بمحاصرة (البحرين) مستهدفة القلعة (قلعة البحرين) في ١٣ رمضان ٩٦٦هـ/١٥٥٩م واستمر الحصار الى ٢٢ رمضان وبعد ثلاثة ايام أي في ٢٦ رمضان وصلت ٢٢ سفينة برتغالية من نوع غراب (قارب) للدفاع عن جزيرة البحرين اتجهت عشر منها نحو البصرة فتصدى لها العثمانيون سفينتين كبيرتين من نوع القادرغه وسبعين سفينة خفيفة مختلفة النوع وسفينة واحدة من نوع برجنتاين قدمت من البصرة وعليها ١٢٠٠ جندي بينهم عدد من انكشارية بغداد ارسلت لتعقب اثنتي عشرة سفينة برتغالية في البحر فلجأ البرتغاليون الى الخداع فتظاهروا بالانسحاب من الخليج وتبعهم العثمانيون وعندما توقف القائد العثماني عن مطاردتهم وعاد وجد بقية سفنه وذخيرته قد احرقها البرتغاليون وفقد العثمانيون بذلك تجهيزاتهم وعتادهم وسفنهم فلما توجه القائد العثماني الى البر هاجمه البرتغاليون وذلك في الثالث من شوال ٩٦٦هـ/١٥٥٩م وسيطروا على السفينتين العثمانيتين واسروا وقتلوا عددا من الجنود العثمانيين وكان مصطفى باشا يحاصر قلعة (المنامة) عاصمة البحرين وهنا يرد اسم (المنامة) لأول مرة في التاريخ ٩٦٦هـ/١٥٥٩م ولم نعثر على إسمها قبل ذلك في اية وثيقة اخرى سواء عثمانية او غير عثمانية قبل هذا التاريخ وحتى الآن)[١٢] واصبح البحر مفتوحا امام البرتغاليين فجمع مصطفى باشا ذوي الرأي من اصحابه واستشارهم فاشاروا عليه بحراسة جزر (البحرين) خشية الهجوم البرتغالي المفاجيء عليها ريثما يأتيه المدد من ولاية بغداد واحس مصطفى باشا بان الامور لا تسير في صالحه فالبرتغاليون على وشك ان يحكموا حصارهم البحري حوله والفرس سوف يسعدهم ان يشتركوا في الاجهاز على قائد عثماني ، وحاكم البحرين يرقب الامور وهو لا يستطيع ان ينسى ان مصطفى باشا غزا ارضه رغم ولائه للسلطان العثماني ورغم اقرار السلطان له على جزر البحرين كل هذه الظروف جعلت مصطفى باشا يتصل بامير البحرين (مراد رئيس) عارضا ان يترك الجزيرة بشرط ان يقدم له (مراد رئيس) السفن التي تنقله هو ورجاله وباجور يدفعها هو ولكن (مراد رئيس) رفض فانسحب

تقرير حول الحملة العثمانية على البحرين

سنة ١٥٥٩

[illegible]

وسحبه لهذه الاحداث رفع الحصار عن قلعة المنامة وانسحبت القوات الى موقع لا [illegible] المدمع . وبعد ذلك [illegible] امام [illegible] حربي [illegible] ، وتوجه نحو [illegible] جمع من الجنود [illegible] الذين كانوا تحت

[illegible] وبواسطة الجنود امام الاعداء عندما دارت المعركة من [illegible] الى التراجع وانسحبت عساكر الاعداء بالهزيمة . الا ان [illegible] عندما احدث [illegible] بغداد موقعا [illegible] و[illegible] . وفي هذه الاثناء خرج [illegible] من [illegible] ومعه [illegible] و[illegible] الاعداء وانتصروا عليهم واسروا منهم عددا كبيرا . شارك في هذه الحملة العسكرية [illegible] فارس من بغداد و [illegible]) [illegible]

[illegible] عام ١٥٢٩ [illegible] ١٣٨١ الجزء الاول ص ٢٢٢) [illegible] ٢٢ [illegible] عام ١٥٥١ (KK Ruus nu 212 S 76) [illegible] في البحرين خلال هذه الحملة عام ١٥٥٩ [illegible]

[illegible] (MD nu 4 S 103 hukum nu 1037)

[illegible] (MD nu 4 S 47 hukum nu 496)

[illegible] ١٥٥٥ [illegible] ١٥١٤ [illegible]

TD nu 20 IST 1965 S 45

[illegible] ١٥٥٥ [illegible]

(KK Ruus nu nu 2.3 S 18)

[illegible] عام ٩٦٦هـ/١٥٥٩م [illegible] السلطان ولم [illegible] بعنوان وثيقة حربية في البحرين رقم ٤٠٠٢ [illegible] العدد ٤٤ ص٢١٨ .

١

حكم الى امير أمراء لحسا ..

لقد ارسل امير امراء بغداد برسالة مفصلة الى مقام العالي بخصوص فتح قلعة بحرين طالبا فيها انشاء برجا قويا مواجه هذه القلعة يسمى (منامة) في البحرين وتأسيس مركزا آخرا في القطيف للمهمات والذخائر واللوازمات الضرورية لانشاء ذلك البرج في الميناء المذكور ولهذا يجب تأمين وتجهيز ٢٠ الف من القفف والزنابيل المعمولة من اوراق التمر لاستعمال ونقل المواد الانشائية في تلك الميناء ......

سنة ٩٨٣ هـ
١٥٧٥م

دفتر مهمة ٢٧
صفحة ١٩٧

[illegible]

بصره بكلربكیسنه حكم كه [illegible]

[illegible]

بغداد — لحسا بكلربكیسنه حكم كه [illegible] Muh 27 page 197

[illegible]

ترجمة الوثيقة العثمانية رقم ٢٧ / دفتر مهمة صفحة ١٩٧ مؤرخة في عام ٩٨٣ هجرية الموافق ١٥٧٥م وقد ورد فيها ذكر لـ (المنامة) بالبحرين

بارسال عشر سفن من البصرة لمواجهة الموقف في البحرين على اثر دخول السفن البرتغالية لمياه البحرين بقوة قوامها اثنا عشرة سفينة حربية وقطعتان من الغليون وانهم استولوا على سفينتين تجاريتين واسروا بعض الجنود المسلمين وقد تم انزال السفن من البصرة الى البحر استعدادا لمواجهة الموقف وورد في صفحة ٤٣ من دفتر المهمة رسالة تقول ان في البحرين اكثر من ثلمائة قرية وان ريعها السنوي سيكون اربعين الف فلوري وان من السهولة فتحها ويسأل الصدر الاعظم كيف يمكن فتح البحرين ومتى وكم العدد اللازمة لفتحها ثم يطلب تقصي الاخبار عن عساكر البحرين ومحصولها(١٦) والذي يلفت النظر في هذه الوثيقة هو نظرة امير امراء الاحساء للبحرين مما يشير الى طمعه في فتحها فاذا ربطنا هذه الرسالة بحملة مصطفى باشا السابقة فقد نخرج بما يدل على اتجاه عثماني قديم في ضم البحرين لاملاك الامبراطورية العثمانية ونخرج ايضا بما يدل على ان مصطفى باشا عندما هاجم البحرين لم يقم بذلك دون علم السلطان وان نتصل من ذلك فيما بعد او انه لا يعلم اهمية البحرين بدليل ان هذه الوثيقة تصف البحرين له بعد نحو عشرين عاما من حملة مصطفى باشا الفاشلة على البحرين المهم ان الوثائق في هذه الفترة غامضة ولا يعطي ما تم العثور عليه منها صورة كاملة لتفاصيل ما حدث

وهذه صفحة من صفحات تاريخ البحرين التى كشفتها الوثائق العثمانية مما لم تذكره الوثائق الأخرى المعاصرة وهى تكشف بداية تواجد (العتوب) فى الخليج العربى وذلك فى مستهل القرن الثانى عشر الهجرى أو الثامن عشر الميلادى

ولابد أن نلقى نظرة سريعة عن (العتوب) فالعتوب جمع عتبي وهو حلف يضم بطونا وأفخاذا كثيرة تنتمى لعدة قبائل هاجرت من مساكنها فى نجد واستقرت على ضفاف الخليج العربى بقرب البحرين وجدير بالذكر أن منطقة البحرين ليست غريبة على عشائر تنتمى لبنى وائل وتميم وعبد القيس فهى مساكنهم منذ القدم وقد تحالفت هذه القبائل مع بعضها البعض وتصاهرت فيما بينها وأصبحت تمثل قبيلة العتوب الواحدة وأقدم من ذكر ذلك عنهم الشيخ (عثمان بن سند الوائلى) المتوفى ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م حيث قال والذى يظهر أن بنى عتبة متباينو النسب لم تجمعهم فى شجرة أم وأب ولكن تقاربوا فنسب بعضهم لبعض وما قارب الشيء يعطى حكمه على

الفرص [١٧] ولقد كان التاريخ صنيبا علينا بمعرفة بدء هذا الحلف أو كيف ولماذا اختاروا اسم العتوب الذى أطلقوه على أنفسهم وهل اسم العتوب هو اسم لأقوى هذه العشائر فانتمى الآخرون اليها ؟ أو جاء ذلك مما أورده بعض المؤرخين الذين فسروا ذلك بأنهم عرفوا بتسميتهم هذه بعد ارتحالهم من مواطن اقامتهم أى بعد خروجهم أو عتبهم نحو الشمال ؟ والتسمية هنا حركية اشتقت من الفعل (عتب) أى إنتقل وارتحل [١٨] والذى نستطيع أن نقوله هو أن من عشائر العتوب من ينتمى لقبيلة عنزة وقبيلة تميم وسليم ومن العشائر التى تنتمى لعنزة آل خليفة وآل صباح والجلاهمة والفاضل ومن هاجر معهم من منطقة الافلاج وهم ينتمون الى (جميلة وائل) ولا يزال بعض أبناء عمومتهم يسكنون تلك الجهات وأهم العشائر التى تنتمى لتميم وسليم آل بنعلى جميع بطونهم وأفخاذهم وجدير بالذكر أن المؤرخين لم يضعوا حدا ثابتا لبداية هجرتهم ولا وصولهم الى ساحل الخليج العربى أو ربما معينا لحولهم قطر أو البحرين أو الكويت لا وقتا محددا لتواجدهم فى البحرين لعل السبب فى ذلك هو اعتمادهم على مصادر ووثائق غربية فى معظمها لم تذكر وقتا محددا يعتمدون فيه على تواجدهم فى الخليج العربى وبعد البحث فى الوثائق العثمانية عثرنا على وثيقة باللغة العثمانية وبالخط العربى وذلك فى ارشيف رئاسة الوزراء العثمانى فى دفتر مهمة (مهمة دفترى) رقم ١١١ وعلى الصفحة ٧١٣ منه وفيه وثيقة مؤرخة فى ٢١ رجب ١١١٣هـ الموافق ٢٣ كانون أول (ديسمبر) ١٧٠١م وهى رسالة أرسلها والى البصرة (على باشا) الى السلطان العثمانى والصدر الأعظم باسطنبول ومرفق نص ترجمة الرسالة مع صورة لها وقام بترجمتها أساتذة من جامعة اسطنبول منهم البروفيسور (خليل ساحلى أوغلى) والأستاذ (أحمد أغر أغجه والسيدة زليخة) المترجمة فى دار الأرشيف العثمانى وبعد المقارنة بين الترجمات انتهينا الى تحليل نصوصها والوصول الى الحقائق التاريخية الآتية

أولا تواجد العتوب فى مستهل القرن الثامن عشر فى منطقة البحرين كما تدل على تواجدهم فى منطقة الخليج العربى قبل هذا التاريخ حيث استقروا وتعودوا على ركوب البحر وبناء الأسطول وصيانته وقيادة السفن ومعرفة المسالك والممالك فى الخليج أو خارجه وهذا يحتاج لفترة زمنية ليست قصيرة حيث استطاع

العتوب وحلفاؤهم أن يتكاثر عددهم هناك لذلك لابد من فترة زمنية سبقت ١١١٣هـ ١٧٠١م لكي يتحول ساكن الصحراء الى ملاح ماهر في ركوب البحار ومحارب يجيد استخدام السلاح في عرض البحر خاصة وانهم عاشوا في الأفلاج وعرفوا السباحة في عيونها ووديانها الكثيرة والغوص فيها فليس ببعيد أن منهم من كان يأتي طلبا للرزق في ساحل الاحساء وجزر الخليج والأفلاج جمع فلج بفتح أوله وثانيه ويعني النهر الصغير والماء الجاري من العين لانفلاجه أي انفتاحه والأفلاج منطقة غزيرة المياه كثيرة العيون الجارية بحيث أن اماكنها تحمل معنى الماء الكثير أو الجاري او السريع فمثلا (الغيل) والغيل في اللغة ماء على سطح الأرض ثم (السيح) وهو ماء ظاهر يجري على الأرض و (الهدار) وهو سيل مجلجل متدفق و (سرك) و (سحاب) وهو الوادي الذي تقع عليه مدينة ليلى و (القمع) و (المعيذر) و (ناع) وطول منطقة الأفلاج نحو مائتي كيلو متر ومن وديان الأفلاج اكثر من ثمانية عشر واديا وفي الأفلاج "مديع ومثلها في البحرين قرية تسمى ... وجرير في الهدار ومثلها قلعة ... جرير في الزبارة التي بناها محمد بن خليفة

١٠٨٢هـ/ والزفاع في الهدار ومثلها في البحرين

ثانيا إن القوة البحرية التي أسسها العتوب للنقل (القطاعة) والغوص مزودة بأدوات عسكرية كالمدافع والبنادق مما جعلها قوة بحرية كان لها أثرها على مياه الخليج وسواحله في ذلك الوقت

ثالثا عدم وجود قوة بحرية ضاربة في الخليج إلا قوة العشائر العربية القاطنة على ضفافه بشطرية العربي والفارسي أما قوة عمان فقد وجهت نحو التوسع خارج الخليج في هذه الفترة التاريخية

رابعا في مطلع القرن الثاني عشر الهجري أو مطلع القرن الثامن عشر الميلادي كانت الدولة الصفوية قد دب فيها الهرم نتيجة للفوضى والاضطراب والفتور مما أطمع الشعوب الواقعة تحت نيرها أن تطالب بالاستقلال وأن تقوم بحركات عسكرية للتخلص من سيطرة الفرس كما دخلت في حروب مع الأفغان والترك [١٩]

خامسا شرحت لنا هذه الوثيقة العثمانية موضوع البحث بأن العتوب والخليفات ومن معهم قد خاضوا حربا ضارية في سبيل تحرير البحرين من العجم وقد خسروا في هذه المعارك اربعمائة قتيل ويمموا نحو البصرة تقلهم مائة وخمسون سفينة كل سفينة


لله الذي جعل النجوم ليهتدى بها في الظلمات
بها الاوقات والساعات ويهتدى بها لمعرفة القبلة التي
هي شرط للصلوات وصيرها علما على قدرته وبالغ حكمته ايات
بينات والصلاة والسلام على سيدنا محمد افضل الصلوات
واكمل التسليمات وعلى اله الهداة واصحابه الاعلام الثقات
وبعد فيقول العبد الفقير الى الله عبد الرحمن بن احمد الزواوي كان
الله له هذه زورنامة موضوعة لعرض بلد الزبارة التي انشاها
المرحوم المبرور الشيخ خليفة بن محمد بن خليفة اسكنه الله تعالى في
ظلال الجنة الوريفة وامنه يوم الفزع الاكبر من كل خيفة

تاريخ المحطوطة ١١٩٥ هـ وفيها ان الشيخ حليفة س محمد ال حليفة (اخ احمد الفاتح) سى مدينة الربارة اما والده الشيخ محمد س حليفة فهو الدى سى قلعة مرير واتم ساءها ١١٨٢ هـ

سم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حعل النجوم ليهتدى بها في الظلمات ويعرف بها الأوقات والساعات ويهتدى بها لمعرفة القبلة التي هي شرط للصلوات وصيرها علما على قدرته وبالغ حكمته ايات بينات والصلاة والسلام على سيدنا محمد افضل الصلوات واكمل التسليمات وعلى اله الهدات واصحابه الاعلام الثقات وبعد فيقول العبد الفقير الى الله (عبدالرحمن س احمد الزواوي) كان الله له هده زورنامه موضوعة لعرض بلد الزبارة التى انشاها المرحوم (الشيخ حليفة س محمد س حليفة) اسكنه الله تعالى في ظلال الجنة الوريفه وامنه يوم الفزع الأكبر من كل خيفه (١١٩٥ هـ)

قتنيها عبدالمحسن بن عبدالعزيز عقب وفاة والده عبدالعزيز س علي ال حليفة

... لكونه إحدى الخصال الثلاث التي ... ادا مت ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث ... بادر الى ذلك عين الاعيان ونادرة الزمان سيدنا الاكرم المكرم الامجد ... الشيخ ... بن المرحوم محمد ابقاه الله البقاء الجميل واعلى ذكره في كل قرن وجيل ... الدارين من اهل ... الحسنى والزيادة وبلغه من الخيرات مراده آمين فاوقف ... وحبس وابد ... شرح الارشاد ... لابن حجر الهيتمي في مجلدين ضخمين قطع الثلث وحاشية الشيخ خضر على شرح التحرير لشيخ الاسلام زكريا في مجلد من قطع النصف وحاشية الشيخ محمد الشوبري على شرح التحرير المذكور في مجلد قطع النصف وحاشية الشيخ محمد سليمان الكردي على شرح المختصر للشيخ ابن حجر في مجلد قطع النصف وحاشية الشيخ ... على شرح الجزرية لشيخ الاسلام زكريا في مجلد قطع النصف ... التصريح للشيخ ... في مجلد ضخم قطع النصف وحاشية العمادي على شرح ... قطع النصف وفتاوى العراقي ... في مجلد قطع الثلث وتهذيب الاسماء واللغات للامام النووي في مجلدين الاول قطع الثلث والثاني ... والمزهر في علوم اللغة للعلامة السيوطي في مجلد قطع الثلث ... في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ايضا في مجلد قطع ... والرياض النضرة في مناقب العشرة ... في مجلد قطع الثلث وحياة الحيوان الكبرى في مجلدين قطع الكامل وشرح المرادي على الفية ابن مالك في مجلد قطع الثلث ... اعراب القرآن العظيم ... في مجلد قطع الثمن وكتاب ... في مجلد قطع النصف ... الغاز المسائل ... في مجلد لطيف قطع النصف والجواهر الزهرية شرح المقدمة الحضرمية في مجلد لطيف قطع الربع ... الاشرف احمد بن عبد الرحمن ... ثم على ذريتهم ما تناسلوا ... على ... الموقوف عليهم ... عليهم من ... المسلمين الانتفاع بالموقوف ... من قراءة ومطالعة ... فان انقرضت ذريتهم ... المذكورين ولم يبق منهم احد والعياذ بالله تعالى ... كانت وقفا على عامة المسلمين ويكون الناظر عليه حينئذ من هو صالح لذلك من المسلمين وشرط على الناظر ... في حفظ الموقوف وصيانته عن المتلفات واعارة المحتاج لشيء منه واسترداد ما يعيره من المستعير واصلاح ما يحتاج الى الاصلاح من الاوراق والقطائع ... بدل ... فان كان المبدل لا ينتفع به فليحرق ... وان كان ينتفع به فليدفعه الى من ينتفع به ... واذا رأى المصلحة في ... الموقوف من ذكر لاجل الانتفاع به فليمكنه ... حياكته وحينئذ فليعطه ... واذا رأى المصلحة في ... احتاج الى ذلك ... ايضا ... صيانته او بعدم المبالاة به وقفا صحيحا منجزا مؤبدا ... لا يباع ولا يوهب ولا يرهن حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين فمن بدله بعدما سمعه ... في ابطاله او تغييره عن موضعه فاسمه حسيبه ... على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم ... ما ذكر على هذا الوجه الذي حرر ... في اليوم الخامس ... من ... الحرام احد شهور سنة ١١٩٥ ... بشهادة مولانا السيد ... عبد الرحمن بن ... احمد الزواوي والمكرم الشيخ ... عبد السيد والابن المكرم محمد ... بن سيدنا الشيخ خليفة ... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ...

ما نسب الي مما تضمنه هذه الحجه كله صحيح فقد صدر مني جميعه على هاذا الوجه المسطور في التاريخ المذكور بشهادة ... شاهد ... الشيخ خليفة حفظه الله وتقبل منه ...

هذه الحجة كلها على الوجه المزبور ... جميعه كتبه الاقل عبد الرحمن بن احمد الزواوي

اشهدني بما في هذه الحجه الشيخ خليفة وانا ... بن عبد السيد

وقفية كتب اوقفها الشيخ خليفة بن محمد آل خليفة بتاريخ ٢٤ رجب ١١٩٥ هـ

مزودة بمدفعين أو ثلاثة مدافع وتحمل السفينة أربعين مسلحا يحمل كل واحد منهم بندقية ووصلت هذه السفن الى البصرة واتصلوا بواليها طالبين منه المساعدة ضد الدولة الفارسية والسماح لهم بسكنى أية جهة تخضع لسلطة الدولة العثمانية فكتب والى البصرة (على باشا) الى السلطان العثماني رسالة شارحا فيها حال العتوب كما يتضح من الوثيقة المنشورة مع هذا البحث أنهم بهجرتهم انسحبوا وهم محافظون على قوتهم البحرية نحو البصرة لأنهم ومن والاهم من العشائر برعوا في ركوب البحر وصار لهم سفن تحمل المدافع والجنود المسلحين وأصبحوا من القوى التي تسيطر على الغوص والتجارة في الخليج العربي وقد اشارت الوثيقة الى أن سفن التجار لم تكن تستطيع أن تمر ببندر (ميناء) من موانيء الخليج العربي في طريقها الى البصرة دون أن تتعرض لقوتهم إلا من تصالح معهم بدليل ان الفتنة التي اندلعت بينهم عطلت التجارة مع ميناء البصرة كما ورد في نص رسالة الوالي العثماني في البصرة ولما كانوا هم أهل سفن وبحر فقد نزلوا (أم قصر) ومنها إرتحلوا الى الكويت كما تذكر الروايات التاريخية (٣)

وصفحة أخرى من تاريخ البحرين تحدثنا عن اتفاقية وقعت في ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م بين الدولة العثمانية وشيخ البحرين وقعها محمد رفعت أفندي معاون سر عسكر نجد ووكيلا مفوضا من طرفه مع الشيخ عبد الله بن أحمد آل خليفة صاحب البحرين وفيها أنه وقع الصلح والرأي بيني وبين عبد الله بن أحمد فصار العهد منه بطابق الوكالة عن سعادة أفندينا على أن شيخ البحرين صديق لصديق أفندينا خورشيد باشا وعدو لعدوه وأن عليه زكاة البحرين من حول السنة الى حول السنة ثلاثة آلاف ريال فرانسي لعبد الله بن أحمد منها خاصة سبعمائة وخمسين ريال والباقي الفين ومائتان وخمسين ريال يدفعها سنويا الى المشار اليه من إبتداء حول سنة ١٢٥٥ وعاهدناه على أن أمر البحرين في يده دون غيره وبأنه الذي يحطه من تحت يده وما كان من رعاياه سابق من أهل البحرين او غيرهم القاطنين بها وأهل بلدان ساحل بحر قطر تحت يده ليس لأحد غيره تسلط عليهم والقوانين التي له عليهم من سابق فهي له ولنا عليه أن يقوم بالمساعدة مع أفندينا المشار اليه فيما يتعلق به على قدر استطاعته والله على ما نقول وكيل

كتبت في القلعة الخاصة لشيخ البحرين في خور حسن شمال الربارة

محفظة ٢٦٧ عابدين.

صورة الورق العربي للوثيقة رقم ١٢٧

[illegible]

ى ساحل قطر وذلك في ١٧ جمادى
الأولى ١٢٥٥هـ الموافق ٣٠ يوليو
١٨٣٩م

ومن دراسة هذه المعاهدة أو الاتفاقية نخرج بالملاحظات التالية

١ ـ إن البحرين وقتئذ مستقلة وشيخها يتعاهد مع الدولة العثمانية على أن يدفع قسطا من الزكاة ويحتفظ بالباقي وهو صديق للدولة العثمانية وإن القسط الذي يدفعه وقتئذ عن كونه له السيادة على بلدان ساحل قطر

٢ ـ رغم أن شيخ البحرين مرتبط بمعاهدة ١٨٢٠م ١٢٣٥هـ مع بريطانيا والتي إرتبط بها جميع شيوخ الساحل المتصالح وتسمى بمعاهدة السلام فإن شيخ البحرين عقد اتفاقية مع الدولة العثمانية عام ١٨٣٩م/ ١٢٥٥ هـ مما يدل على أنه مستقل ويتصرف وفقا لمصلحة بلاده وهذا لا يعني أيضا نوعا من السيطرة والنفوذ وقتئذ على البحرين وتوابعها من قبل الدولة العثمانية وقد احتجت بريطانيه ضد خطة خورشيد باشا في البحرين واتفاقيته مع شيخها[٢١] وأرسل الحاكم العام الى حكومة بومباي تقريرا يطلب إصدار الأوامر اللازمة لقائد القوات البحرية لمواجهة الموقف ومنع خورشيد باشا من تنفيذ خططاته تجاه البحرين [٢٢]

وتطالعنا الوثائق العثمانية في مستهل القرن الرابع عشر الهجري وهي تحدثنا عن الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان آل خليفة الذي (رفع العلم العثماني) فوق سماء البحرين وراسل دار السلطنة العثمانية مبينا ولاءه وحسن صداقته وموضحا أحوال البحرين وطالبا تعيين شخص من الذوات المعتبرين لدى السلطان لأجل الإفادة والإستفادة وقد أجابه والي ولاية بغداد في شعبان ١٢٧٦هـ/ ١٨٦٠م بأن طلبه قد قوبل بمزيد من الاهتمام والممنونية من السدة العلية وأنه تم تعيين صاحب الرفعة محمد بك وهو من المميزين لدى أمير أمراء عسكرية القائمقام ومعه ذو الرفعة عبد القادر أفندي رئيس البوابين وأرسل دركاه على ملتزم مقاطعات البصرة الى الشيخ محمد بن خليفة رسالة في ٨ ذي الحجة ١٢٧٦هـ/ ١٨٦٠م يرحب بطلب الشيخ الذي أرسله الى الدولة العثمانية واعترافه بسيادتها وأنه وصل الى البصرة في الرابع من ذي الحجةواستطرد الملتزم بقوله وسوف يبلغكم عبد الله بن راشد ما ينبغي المذاكرة بشأنه معكم ويختم رسالته بتقديم تحياته الى الشيخ علي بن خليفة [٢٣] وكان موقف التعاون والصداقة بين الدولة العثمانية

والسيخ محمد بن خليفة قد اثار حفيظة السلطات البريطانية ضده وكان من اهم الاسباب التى ادت الى اعتقاله وارساله اسيرا الى الهند فى عام ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م ثم نقل الى عدن واخيرا اطلق سراحه ليستقر فى مكة المكرمة وقد حددت الوثائق العثمانية وصوله الى مكة فى الرابع والعشرين من شهر كانون الاول عام ١٣٠٢ رومية الموافق ١٣٠٤ هجرية [٢٤] وتوفى ودفن بمكة المكرمة فى الثانى من شهر ذى الحجة ١٣٠٧هـ كما اوردت ذلك الوثائق العثمانية [٢٥] بينما ذكرت تقارير انجليزية ان السيخ محمد بن خليفة توفى (بالمدينة المنورة) دون ان تحدد تاريخ وفاته [٢٦]

والباحث فى الوثائق العثمانية يلمس صراعا سياسيا حول البحرين بين الدولة العثمانية وبريطانيا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ويتمثل ذلك الصراع بتقارير ورسائل تبودلت بين الدولتين حول ايضاح الموقف بالنسبة لسيادة البحرين ففى عام ١٨٧م/١٢٨٧هـ ... حول ذلك بين بريطانيا ... الى عام ١٨٧٥م ... مستقلة تحت ... يوجد فى ... او حدود

يرابطون فيها من قبل العثمانيين ولما رفض المستوطنون فى البصرة من أهالى البحرين الالتحاق فى الخدمة العسكرية العثمانية كتب اللورد (دربى) تقريرا بتاريخ ١٤ نيسان ١٨٧٢م ذكر فيه أن الحكومة الانجليزية لن تقبل عائدية وبقاء البحرين تحت سيطرة الدولة العثمانية استنادا الى عدم رغبة أهالى البحرين للانخراط فى سلك الخدمة العسكرية فى الجيش العثمانى ولما سأل سفير الدولة العثمانية فى لندن النظارة الخارجية فى اسطنبول حول عائدية البحرين للدولة العثمانية أجابه الباب العالى بأن الدولة العثمانية لا تنوى أن تتعرض للقبائل المستقلة المتمكنة فى جوار خليج البصرة ولا تريد كسب التفوق عليها وأن الناظر العثمانى سرور باشا لم يعط أية تأمينات لبريطانيا بأن يكون لها حق الحكم فى جزيرة البحرين وتفيد المخابرات الجارية مع الحكومة البريطانية أن لا حق ولا شبه حق للحكم الانجليزى فى الجزيرة المذكورة وقد صدقت عليها الحكومة الانجليزية وبلغ بذلك السفير العثمانى بلندن ليدافع عن هذه الحقيقة وكتب الباب العالى الى والى بغداد تقديره لما ... حد من تدابير عسكرية ومن سعى ... لأن لا يسمح للمشايخ أن ...

أحد منهم للبحرين [٢٧] واستصوب الباب العالي ما اتخذه والي بغداد من تدابير لحماية سواحل البحرين وعمان والاحساء من أن يتعرض لها أحد وأن يسعى الى توثيق علاقة سكان المنطقة بالادارة العثمانية والمحافظة عليها وحماية سكانها من أي اعتداءات خارجية [٢٨] وكانت الدولة العثمانية تهدف الى عدم تدخل بريطانيا في شئون البحرين بينما سعت بريطانيا ان لا تحقق لها تلك المحاولات ومن أجل ذلك فقد ربطت بريطانيا البحرين بسان بعض مشيخات الخليج بسلسلة من الاتفاقيات وبالتالي كتبت الى الدولة العثمانية بأن البحرين لا تعود الى الدولة العليه [٢٩] وفي ٨ آب ١٨٧٢م ارسلت الحكومة الانجليزية تقريرا خطيا بتوقيع اللورد (غرانويل) وفيه ان الحكومة الانجليزية الى اليوم لم تتخذ اية إجراءات فعلية عسكرية أو غير عسكرية تجاه الدولة العثمانية بخليج البصرة وكونوا آمنين من هذه الجهة وقد بدأ الانجليز بإقامة مخافر عسكرية وأرسلوا موظفين لإنشاء الطرق والمياه وأخذت سفنهم تجوب السواحل بغية فرض السيطرة على البحرين وتوابعها [٣٠] وباشرت في التدخل في شئون البحرين الداخلية

ورغم ذلك فقد بقي الشيخ عيسى بن علي آل خليفة منذ توليه الحكم وفيا في ولائه محسنا ظنه بالسياسة ظناً منه أن بريطانيا لا تريد أكثر من نشاطها التجاري فوقف موقف المخلص الأمين للاتفاقيات ولم يحنث بالعهد حتى انه رفض مساعدة العثمانيين له على لسان مدحت باشا وقاله له (حسبي وبريطانيا صديقة وحليفة) كما فاوضته ألمانيا بواسطة مقيمها التجاري في البحرين فكان جوابه (لا أعاون عليها أحدا) [٣١] بينما لم تكن بريطانيا وفية معه إلا أن الشيخ عيسى بن علي حافظ على وفائه للعهود والاتفاقيات حتى وفاته [٣٢] وظلت الدولة العثمانية لا تعترف بالحماية البريطانية للبحرين بل واعتبرتها جزءا من ممتلكاتها ففي تقرير الى والي البصرة جاء فيه أن البحرين جزء من ممتلكات الدولة العثمانية على ساحل نجد وفي مذكرة وردت من النظارة الخارجية في اسطنبول وفيها عدم الاعتراف بحق الحماية البريطانية على البحرين بل أن للدولة العثمانية الحق في ذلك وأن إدعاء بريطانيا بخصوص حماية أهالي البحرين المتنقلين في خليج البصرة غير معترف به من قبل الدولة العثمانية [٣٣]

الهوامش

(١) الوبيقه ٤ ٨٤ دليل الحليج ١ ١١ القسم التاريحى
(٢) العنابي البرتغاليون و البحرين (الوتيقه) ٤/ ٨٤ و٨٥
(٣) اباحسين صفحات من تاريخ النفود البرتغالي في البحرين (الوتيقة) ١ / ١٢٠ والحصوصي د بدر الدين عباس دراسات و تاريخ الحليج العربي الحديث والمعاصر ١ ١٨ والعقاد
التيارات السياسيه و الحليج العربي ص١٧ و Miles, The countries and tribes, P.P 145-150-Belegrave, The pirate coast, p p 6 33
(٤) كاستانيدا ـ فربوا لوبير ص ٨٤٤ والوبيقه ١ /١٢٢ ـ ١٣٠
(٥) موعول محمد يعقوب السياسه العثمانيه و المحيط الهندى في عهد القانوني بين سنه ١٥١٧ ـ ١٥٣٨م باللغه التركيه ـ اسطنبول ١٩٧٤م واوربزان الاتراك العثمانيون والبرتغاليون و الحليج العربي ص٢١ و٢٥ و٢٦ ووتيقه احتجاج الى السلطان دار حوار البرتغالي برقم ٩٢٢ في مركز الوثائق التاريحيه بالبحرين وانظر الوبيقه ١/ ١٣٤ ـ ١٣٩ ولاوربزان الامبراطوريه العثمانيه وطريق الهند محله كليه الاداب باسطنبول العدد ١٩٧٨/٣١ مترجم من التركية للانجليزية
(٦) بيري محي الدين ريس ـ ملاح عثماني ورسام حرائط لعله من اصل يوناني صنف كتابا في الملاحه في بحر ايجه والبحر المتوسط وحريطة الجانب العربي من العالم قطع راسه بامر السلطان سنه ١٥٥٥م (المنجد ـ جزء الاعلام ص ١٥٩)
(٧) سيدي علي ريس مراد الممالك ص ٣٧و٣٨ الطبعة التركيه اسطنبول ١٣١٣هـ
(٨) الوبيقه في دفتر المهمه رقم ٣ ص ١٣٩ رقم الوتيقه ٣٦٤ مورخة في ٢٧ ذي الحجة ٩٦٦هـ (الحكم السلطاني موجه الى مراد شاد حاكم البحرين) ووثيقه في دفاتر المهمه رقم ٣ ص ١٤ برقم ٣٦٦ ومورخه في ٢٧ ذى الحجه ٩٦٦هـ (الحكم السلطاني موجه الى امير امراء البصرة)
(٩) دفتر مهمه ٣ ص ٢٥٨ حكم ٧٤٧ في جمادى الاولى ٩٦٧هـ و(د م) ٣ ص ٣٨٢/حكم ١١٣٢ و ١٨ شعبان ٩٦٧هـ و(د م) ٣ ص ٣٨٥ حكم ١١٤٣ و ٢٣ شعبان ٩٦٧ هـ و(د م) ٣ ص ٣٨٦ حكم ١١٤٦ في ٢٣ شعبان ٩٦٧هـ وهنا يلاحظ ان (سعدون) ربما هو من ال عريعر او الحميد وهناك سعدون بن محمد بن براك بن عريعر الذي خلف اباه محمد في ١١٠٣هـ وفي وثائق عثمانيه اخرى تذكره بسعدون بن حميد انظر ابن بشر عنوان المجد ص١٤ وتاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص ٦١و٧٣و٧٥ وجدير بالذكر ان (حميد) هو ابن اخت مقرن بن اجود بن زامل الجبري حاكم البحرين والذي دوخ البرتغاليين في دفاعه عن البحرين وجرح في المعركة ومات متاثرا بجراحه عام ٩٢٨هـ/ ١٥٢١م وخلفه ابن اخته (حميد) وربما ان (حميد)

الذي ذكرته الوثائق البرتغالية هو جد آل حميد وهو ابن الشريف بركات شريف مكة الذي دافع هو الآخر عن مكة ضد البرتغاليين انظر الوثيقة ٣/ص ٩٦ و٩٧ وحول سعدون يرجح الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة انه جد آل سعدون من قبيلة المنتفق اذ لا يوجد آل حميد في القرن العاشر وانما في القرن الثاني عشر وعلق الشيخ عبد الله على ذلك بقوله : ان تاريخ الوثيقه ٩٦٦ ـ ٩٦٧هـ تقارب عام ١٥٥٩م وآل عريعر بدا حكمهم ببراك بن عريعر واخيه محمد (الاصكه) اي الثقيل السمع فإذن محمد اخ لبراك وليس ابنه كما ورد في الهامش وآل عريعر يعرفون بآل حميد وانا ارجح ان حميد هو ابن اخت الشيخ مقرن بن اجود الذي خلف مقرن بعد موته في المعركه دفاعا عن البحرين وهو نفسه جد آل حميد الذين يعرفون به وينتسبون اليه ولا استبعد ان يكون سعدون المذكور في الوثيقة المشار اليها هو ابن حميد وهو الارجح الذي يمليه الواقع فحميد كانت له الرياسة بعد مقرن وقد انسحب من البحرين الى الاحساء والتحق بقبيلته فلا يستبعد ان يتعاون سعدون مع جيوش الدوله العثمانيه ضد البرتغال ثم يتحين الفرصة ليعلن نفسه حاكما على الاحساء . اما ان يكون سعدون هو جد آل سعدون شيوخ المنتفق فلا يستبعد ولكنه اقل احتمالا . وجد آل سعدون من اشراف مكه نزح عن اقاربه في مكة والتجا بقبيلة المنتفق في العراق واصبحت له ولابنائه مع مرور الزمن رئاسة قبيله المنتفق. انتهى تعليق الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفه وعلى ذكر آل سعدون ارى ان من الارجح ان سعدون بن ابراهيم هو جد آل سعدون وهو الذي انجب ولدا اسمه مالك ولمالك ولد سماه مانع وله ثلاثه اولاد هم شبيب ولشبيب هذا ولد اسمه معامس ولمانع ولد اسمه مهنا وابن ثالث هو بركات ومن هؤلاء الثلاثه انحدر آل سعدون وهذا ما يقوم بتحقيقه الباحث سعدون شهاب السعدون مشيرا الى مصادر منها (غايه الطالب في نسب آل ابي طالب) و (نهايه الارب في معرفه قبائل العرب) والتحفه النبهانيه وعشائر العراق

(١٠) دفتر مهمه ٤ ص ٣٨ حكم ٣٨٧ بتاريخ ٩٨٧هـ ودفتر مهمه ٤ ص ٧٢ حكم ٧٣١ في ٢٢ شعبان ٩٦٧هـ

(١١) انظر نص الوثيقه المرفقة وهي محفوظة في ارشيف طوبقبو سراي تحت رقم NE 3004 ولا تحمل اسم كاتبها ولا تاريخ تدوينها وقد نشر الوثيقه (اورهونلو) بعد ترجمتها من اللغه العثمانية الى التركية الحديثه وذلك في مجله التاريخ التي تصدرها كليه الاداب بجامعه اسطنبول المجلد السابع عشر العدد ٢٢ اسطنبول ١٩٦٨م كما ترجمها الدكتور الداقوقي للعربيه ونشرها في مجله دراسات الخليج والجزيرة العربيه في العدد ٢٤/ص/٢١١ ولكنه اورد في هامش رقم ٦ ان عمر بن مصطفى باشا تصرف بـ (تيمار) في ملاطيه على اثر وفاة والده مصطفى باشا ١٥٥٩م ولكن عمر استشهد بالبحرين كما ذكرته الوثيقة في دفتر مهمه ٤ ص ٧٢ حكم ٧٣١ مؤرخه في ٢٢ شعبان ٩٦٧هـ و(د م) ٣ ص٤٩ في ٢٧ ذي الحجة ٩٦٧هـ

(١٢) انظر نص الوثيقه التي تشير (للمنامه) عام ٩٦٦هـ/١٥٥٩م مرفقه بالبحث ضمن تقرير عن حمله الى البحرين / جنكيز اورهونلو ص ٣ وانظر وثيقة تذكر المنامة عام ٩٨٣هـ في دفتر مهمة رقم ٢٧/ص١٩٧ بالاصل العثماني وترجمتها باللغة العربية (والمنامة عاصمة البحرين وتقع في اكثر جزرها)

(١٣) ورد في تقرير البروفيسور (اورهونلو) المترجم من الدكتور الداقوقي ص ٢١٤ ان هذا الاجتماع قد حضره ممثل برتغالي وممثل من هرمز واخر يمثل الجيش العثماني

في الحريرد (كلربكي) الاحساء كانت هده الوتيقة سيكون مبعوتا يمتل حاب العتمانيين و(كلربكى) هو منصب لمصطفى باشا ولم يدكر اسم كاتب الوتيقه الدي كلفه كلربكي الاحساء بحرب المقاتلين القادمين من هرمز الى البحرين فظفر بهم وبعد شهرتو في بكلربكي الاحساء مصطفى باشا فانتحب كاتب الوتيقة للتفاوض مع حاكم البحرين

(١٤) الوتيقه رقم ص ١٤٠ وانطر (صفوت بك وقعه في البحرين (باللغة التركيه) ج٣ ص ١١٤٠ - ١١٤٢ واوربران ص ٥٣ وقد ورد في سجل الرؤوس دكر قطر ١٥٥٥م ٩٦٢هـ وقد جاء فيه ان العرب في قطر جميعا يشتغلون في الملاحه وهم اصحاب سفن من صغيرة وكبيرة يربو عددها على الف سفينة منهم يعملون في النقل ومنهم التجار والملاحون وعملوا على رفاه المنطقة وكان شيخهم (محمد بن سلطان بن مسلم) وله املاك في الاحساء لدا كانت صلاته مع الاحساء وتيقه انطر (اعلام في سفر البحرين) عن تقرير اورهنلو ترجمة الدكتور الداقوقي ص ٢١٨ العدد ٢٤ مجله دراسات الخليج العربي

(١٥) السياسه الدينيه للدوله العتمانيه في عهد القانوني ص ٢٤٩ و ٢٥٠ ووتيقه رقم ٢٣ مهمه دفتري ص ٦٤ حكم ١٣٤ مصورة من ارشيف رئاسة الوزراء العتماني في اسطنبول وحنكير اورهونلو وتيقه عن (وقعة حربيه في البحرين رقم /٣٠٠٤/ مصوره من ارشيف قصر طوب كابي وترجمها الدكتور اوربران والاستاد احمد اغر اغجه للعربيه وانطر صفوت وقعه في البحرين ج ٣ اسطنبول ١٣٢٨هـ معارك العتمانيين مع البرتغال في خليج البصره لاوربران طبع ١٩٦٣م وترجمه حسين الداقوقي اعداد اورهونلو ص ٢١١ و٢١٧ عن مجله دراسات الخليج والجزيرة العربيه العدد ٢٤ الكويت والاتراك العتمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ص ٥٣ الى ٥٥ وانطر صفحات من تاريخ النفود البرتغالي في البحرين للدكتور اباحسين الوتيقه ١/١٤٠ - ١٥ يوليو ١٩٨٢م

(١٦) (د م) ٢٢ص ٣١٧ في ١٥ جمادى الاولى ٩٨١هـ/وانطر (د م) ٢٢ص ٤٣ في ٢٣ محرم ٩٨١هـ و (د م) ٢٢ص ٣٢٠ في ١٥ جمادى الاولى ٩٨١هـ/ وانطر الوتيقة من دفتر المهمه رقم ٢٣ ص ٩٨ والمؤرخه في ٨ رجب ٩٨١هـ

(١٧) سبائك العسجد ص ١٨ طبع بومباى ١٣١٥هـ (وفي روايه ان سنه وفاته ١٢٥٠هـ/الموافق ١٨٣٤م) انطر الزركلي الاعلام جـ ٤/ص ٢٠٦

(١٨) لسان العرب ١/٥٧٩ وديكسون الكويت وجيرانها ص ٢٦ و د الخصوصى دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ١/٩٩

(١٩) خجارى تاريخ ايران ص ١٧٩ باللغة الفارسية ولؤلؤتي البحرين ص ٢٤٠ - ٢٤٣ النبلادى انوار البحرين ص ١٣٣

(٢٠) الرشيد تاريخ الكويت ص ١٠ و ١٤ الوتيقة ١/٨٦ و٨٧/ وانطر دراسة في تاريخ العتوب للدكتور على ابا حسين (الوثيقة) العدد ١/ص ٩٠ - ١٠١ وفي هده الدراسة دكر عن الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الفترة السابقة والمعاصرة لهجرة العتوب من قلب الجزيرة العربية الى اطرافها

(٢١) ١٨٩/٢٥٦/٥٠ في ١٣ مايو ١٨٣٩م/١٢٥٥هـ

(٢٢) وتقرير رقم ١٨٩/٢٥٠/٦٠/في ٢٥ سبتمبر ١٨٣٩م/١٢٥٥هـ

(٢٣) رسالة من عراق وجحار اردوى همايون مشيرى وبغداد ايالتى واليسى الى الشيخ محمد بن خليفة بتاريخ شعبان ١٢٧٦هـ ورسالة من ملتزم المقاطعات رئيس

الوانين (عبيد) الى الشيخ محمد بن خليفة في ٨ ذي الحجه ١٢٧٦هـ

(٢٤) ارادة/شورى الدولة العدد ٢٤٢ في ٣ رمضان ١٣٠٥هـ في ايار ١٣٠٤ رومية

(٢٥) ارادة/شورى الدولة ٤٩/١٠/شعبان ١٣٠٨هـ

(٢٦) من كرنل (راص) باليوز في الخليج العربي الى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة نمرة/٧١/١٨٨٧/وانظر الوثيقة رقم ٢٩ ـ هند ٤/ص ٢٦٢

(٢٧) دفتر العينيات رقم ٨٥١/٣٣٧/في ٦ جمادى الأولى ١٢٨٨هـ/١٨٧١م والنظارة الخارجية رقم ٤٥/في ١٤ رجب ١٢٩١ الموافق ٣٠ أغسطس ١٨٧٤م ومذكرة رقم ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ خ في ١٩ شعبان ١٣١٠هـ

(٢٨) دفتر العينيات رقم ٨٥١/٢١٩٠ في جمادى الأولى ١٢٨٨هـ/١٨٧١م وارادة داخلية ٤٦٩٩/٢٠ جمادى الأولى ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م

(٢٩) مضابط مجلس الوكلاء دفتر رقم ٢٨/ص ٦٩ جواب القنصل الانجليزي بتاريخ ٧ جمادى الآخرة ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م

(٣٠) النظارة الخارجيه ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ خ عن صورة التقرير الصادر من المستشار العثماني حول المطالبات الانجليزية بتاريخ ٨ ذي الحجة ١٣٠٩هـ الموافق ١٨٩٢م تحت رقم ٥٦٩٧

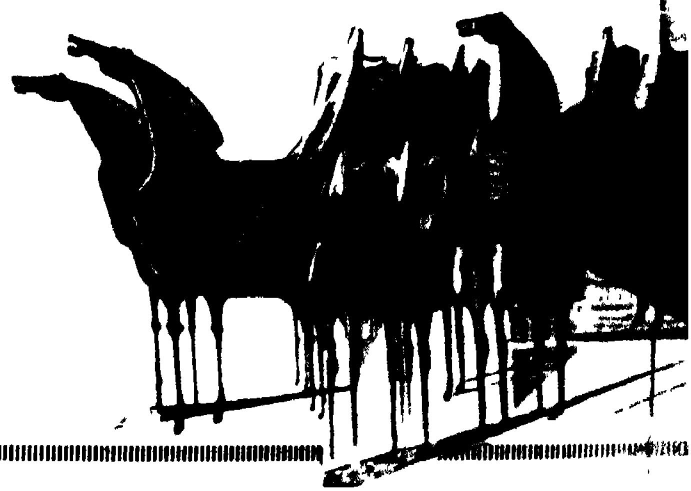
(٣١) الريحاني امين ملوك العرب ٢/٢٧٨ و ٢٨٠ طبع بيروت ١٩٦٧م

(٣٢) تولى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة زمام الحكم ١٨٦٩/١٢٨٦هـ وتوفي ١٩٣٢م/١٣٥١هـ

(٣٣) تقرير مؤرخ في ٢٨ شعبان ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م ومذكرة من النظارة الخارجية رقم ٤٦/في ١٣٢٩هـ/١٩١١م

الإدارة العثمانية في الخليج العربي

بقلم الدكتور/
مصطفى عبدالقادر النجار (العراق)





يعتبر شهر نيسان / ابريل من عام ١٨٧١ تاريخا بارزا في السياسة العثمانية ، فقد أعلن مدحت باشا في ذلك التاريخ سيادة الدولة العثمانية على الساحل
ربي للخليج العربي . ولكي يضع لانه موضع التنفيذ أعد حملة انية كبيرة[١] بقيادة نافذ باشا[٢] رعا باستنجاد عبدالله بن فيصل تركي[٣] به سنة ١٨٧٠ في صراعه أخيه سعود وقد خرجت الحملة البصرة متجهة نحو الكويت[٤] م شيخها عبدالله الصباح (١٨٦٦ ١٨٩١) مساعدات سخية[٥] للحملة شارك سفنه التي تزيد على لاثمائة سفينة عن طريق البحر[٦] بهد الى أخيه مبارك بقيادة سائر الكويت عن طريق البر وقد تم ملة التي نزلت في رأس تنورة في أيار ١٨٧١ والتي تتكون من حوالي ة آلاف جندي نظامي و١٥٠٠ من أفراد العشائر وتسعة مدافع - الهيمنة على القطيف والهفوف بسرعة كبيرة وبدون أية مقاومة تذكر فما كان والحالة هذه إلا أن أعلن السديري - عامل ابن سعود الذي تحصن في قلعة القطيف - الاستسلام وعندئذ رفع العلم العثماني على القلعة اعلانا بخضوع لواء نجد - وهو الاسم الجديد الذي اطلق على مقاطعة الاحساء - الى السيادة العثمانية وأخذ نافذ باشا يعين الحكام في المقاطعات المختلفة[٧]

وفي تموز سنة ١٨٧١ خرجت من الهفوف قوة عثمانية بقيادة شيخ الكويت سيطرت على قطر واتخذت من الدوحة قاعدة لها وبذلك تأكدت السيادة العثمانية على ذلك الجزء من الخليج العربي على ان تلك السيادة ظلت تراوح مكانها ولم تستطع بعدئذ الزحف نحو الجنوب ، ولا أن تظهر لها آثار تذكر في الساحل العماني .

وفي سبيل تثبيت دعائم الحكم العثماني وتأكيد الادارة المباشرة في الساحل العربي للخليج العربي وما يتبعه من جزر، قام مدحت باشا في أواخر تشرين الثاني / نوفمبر من نفس السنة بزيارة الاحساء ومكث فيها اربعين يوما - ليشرف بنفسه على نتائج حملته. وقد قدمها عن طريق البحر، ومنها سار في ثلاث سفن بحارية تحمل قوات كبيرة الى القطيف فوصلها في ١٤ تشرين الثاني ومنها اتجه في اليوم السابع من وصوله الى العقير في فرقة قوامها ثلاثمائة جندي ومنها سار الى الهفوف قاعدة الاحساء وقد نشر اعلانه الشهير الذي تضمن سياسته في المنطقة جاء فيه

«لقد أسقطنا الرسومات التي تؤخذ من الأهالي باسم الجهاد وخدمات المأمورين على تحصيل الزكاة والزيادة في الخرص (التقدير) المخالف للاحكام الشرعية - ومراد الدولة العلية ترفيه احوال التبعية وزيادة ثروتهم وأمرنا بالغائها وعدم اخذها ونبهنا المأمورين بعد تحليفهم على عدم الزيادة على الواجب الشرعي[8]»

وقد بدأ مدحت باشا في الحال اجراء تنظيماته فأعلن ان الاحساء اصبحت من ممتلكات الدولة العثمانية وعين نافذ باشا متصرفا عليها[9] وجعلها لواء - درجة ثانية بعد الولاية - من الوية البصرة[1] كما عين حكاما وقضاة شرع وقسم لواء نجد[11] الى ثلاثة أقضية هي قضاء الهفوف وقضاء القطيف وقضاء قطر وجعل الهفوف - واحة الحساء - مركزا للواء[12] - مقر المتصرف - وجمع في شخص المتصرف «متصرف - فلق» السلطتين المدنية والعسكرية[13] وقسم قضاء الهفوف الى خمس نواح هي الهفوف «المركز» والعيون، والمبرز، وباب الجفر، والعقير ولكن ذلك لم يشمل قضائي قطر والقطيف اللذين تركهما دون تقسيم واختار قضاء القطيف لأن يكون مركزا لتموين الأقضية الأخرى وعين شيخ الدوحة قاسم بن ثاني[14] - اكثر الرجال نفوذا - قائمقاما» «قائمقا ملق» لقضاء قطر واجرى له راتبا سنويا ويعاونه في ادارة شئون القضاء معاون له»[15]

ولتأكيد اجراءات مدحت باشا في قطر قدمت قوة عثمانية يصحبها عبدالله الصباح شيخ الكويت على الباخرة العثمانية اشور وغيرها لزيارة الدوحة وهبطت الى البر قوة قوامها مائة جندي مزودين بمدفع من مدافع الميدان الثقيلة[16]

وقد فكر مدحت باشا بعدئذ بالهيمنة على البحرين ليتخذها قاعدة عسكرية لوقف عمليات حاكم الرياض الذي اخذ يهدد العثمانيين في الاحساء وكان قد سبق أن قدم مدحت باشا سنة ١٨٧٠ صياغة

حددة لادعاءاته فقال «ان البحرين توابعها كانت تابعة لقائمقام نجد انها اصبحت بالتالي تابعة لإمبراطورية العثمانية[١٧]»

وبدل محاولات لاقناع شيخ لبحرين بالتبعية العثمانية ، وارسل ه عارف بك قائد بحرية البصرة ولكن سيخ البحرين رفض العرض بناء على عليمات المقيم البريطاني لذا فإن لحكومة العثمانية اضطرت الى اجراء سوية مع السعوديين ومع هذا فإنها ستمرت بعد مدحت باشا في اتحاد كل لوسائل التي توصلها للسيطرة على لبحرين[١٨]

والملاحظ ان اجراءات مدحت باشا د أكدت علاقة الدولة العثمانية بكل ن الكويت والاحساء وقطر عدا لبحرين التي لم يظهر فيها النفوذ اضحا - إلا في فترات قصيرة محدودة - شأنها في ذلك شأن مارات الساحل العماني[١٩] التي لم ستطع مدحت باشا فرض السيادة ليها

ولكن على الرغم من ذلك فإن حملة لاحساء تركت اساسا ارتكزت عليه لدولة العثمانية فيما بعد في تأكيدها تلك السيادة ولقد كان من الممكن ان ظهر فاعلية تلك الحملة لو استمرت دولة العثمانية في مواظبتها في الجهد ـي بذله مدحت باشا ، إلا انه من ـات ان ما قام به ذلك الوالي كان تمد الى حد كبير على طموحه الشخصي[٢٠]

ويبدو ان مدحت باشا كان مدفوعا بحملته أكثر مما كان يريد منه الباب العالي ويتضح ذلك من الاحتجاج الذي قدمته بريطانيا من احتمال تقدم قوات مدحت باشا الى الساحل العماني ومسقط حيث أشعر الجميع انه ينظر نظرة أكثر شمولا واتساعا الى حدود نجد ، مع ان هذه الحدود لا تضم منطقة الاحساء وحدها بل البحرين وقطر وساحل عمان وسلطنة مسقط ايضا[٢١] - لكن الحكومة العثمانية أكدت لبريطانيا انها اصدرت تعليماتها لمدحت باشا بعدم التقدم أكثر مما حققت حملته

ان اصرار مدحت باشا على تحقيق التوسع في الخليج العربي قد جره الى نزاع مع الحكومة البريطانية [٢٢] لذلك عندما حاول التطلع الى الامارات الاخرى في الخليج العربي حالت السفن البريطانية بينه وبين تحقيق غرضه [٢٣]

وقد جرت مراسلات كثيرة حول محاولات التوسع العثماني في الخليج العربي بين الحكومة العثمانية والبريطانية كانت الأولى تنفي باستمرار أن تكون لها نوايا توسعية أبعد من حدود نجد وعليه حددت بريطانيا خط حدود نجد بمناطق وكرة وبدعة وهما أبعد منطقتين وصلت اليهما القوات العثمانية على الساحل[٢٤] عندئذ اعترفت في سنة

١٨٧٨ بالسيادة العثمانية على ساحل نجد حتى تلك الحدود وذلك لما له من اهمية بالنسبة لبريطانيا في الابتعاد عن منازعات القبائل العربية في تلك الجهات ولكن على الرغم من هذا فإن الدولة العثمانية سرعان ما أغفلت هذه المنطقة ويلاحظ انها خففت كثيرا بعدئذ من قبضتها عليها فكان ذلك مدعاة لثورات سعودية متكررة

ومهما يكن من أمر فإن خطط مدحت باشا اثارت بريطانيا من امتداد السيطرة العثمانية على الساحل العربي وبذلك تكون قد احكمت السيطرة على سواحل الجزيرة العربية كلها وعندئذ سيتزعزع مركز بريطانيا في الجزء الجنوبي من الخليج العربي ، فكان رد الفعل البريطاني زيادة تشديد القبضة على الخليج العربي وذلك بعقد سلسلة من المعاهدات الجديدة مع شيوخ الامارات العربية كما انها استغلت قضية القرصنة في سبيل مقاومة التحرك العثماني الجديد وصارت تبالغ في خطورتها واستفحال أمرها بالنسبة للمناطق التي تخضع للعثمانيين في الخليج العربي وقد وجهت الى سلطات البصرة احتجاجات متكررة ومستمرة

وقد أخذت وزارة الخارجية البريطانية في هذا الوقت زمام السلطة [illegible] في قضايا الخليج العربي بدلا من اختصاص وزارة الهند

وحدها[٢٥] ومن دراستنا لطبيعة حكم العثمانيين في الاحساء يتضح لنا ان النظام الاداري فيها كان اقل احكاما عما هو عليه في ولايات العراق فهو يأخذ بعض الشيء سمات الحكم العسكري وفي الهفوف والقطيف أحكمت ركائزه جيدا[٢٦] ويعطينا لوريمر صورة واضحة لذلك النظام العسكري فيقول

«كانت الزراعة تدار بواسطة قوات عسكرية وفي أغلب القرى يوجد مشيخات وراثية والرئيس فيها هو المختار بوساطة اربع شخصيات محترمة وتتألف القوة العسكرية للمتصرفية من اربع حاميات منها حاميتان للمشاة واثنتان للمدفعية التي تجرها البغال وهذه القوة بمجموعها تكون الطابور الرابع لولاية البصرة[٢٧] وليس في المنطقة مكاتب للبريد والبرق

أما البريد الرسمي فيتم نقله بمساعدة قبائل عجمان وبني هاجر وبني خالد والمرة[٢٨] القاء ما يدفع لهم من معونات تقدر بـ ٤٣٧,٥٠ ليرة (ما يعادل ٤٠٠ جنيه استرليني) ويتبع في انحاء المتصرفية نظام النفي لكل من تسوّل له نفسه الاعتداء على السلطة وانتهاك حرمة الغير أما قوة الشرطة فتتألف من ست مفرزات أو فرق من الضابطية أو الجندرمة ورجال الضابطية ـ كما هو في العراق العثماني ـ معظمهم من

لأكراد والدخل في الاحساء معظمه
ن الزراعة وتفرض ضريبة نقدية
على التمر تتناسب مع عدد النخيل
الضرائب في المتصرفية لا تدار
بواسطة ادارات الضرائب العثمانية
كما هو الحال في ولاية البصرة ولكنها
سنوية كما ان هناك ضرائب على
قوارب اللؤلؤ وقد قدر الدخل السنوي
لمتصرفية الاحساء بستين ألف ليرة
صرف منها ٥٤ الف ليرة لتغطية
النفقات العسكرية والباقي ـ ٦ آلاف
ليرة ـ كمصروفات للخدمات الادارية
المدنية وقد فرضت القوانين العثمانية
على المتصرفية وفيها دائرة التعليم
العامة التي تدير مدارس بأماكن
مختلفة[٢٩]

وقد ادرك العثمانيون بعد تجربة حكمهم العسكري انهم لا يستطيعون الحكم بحد حكما مباشرا ـ كما اراد لها مدحت باشا ـ لاسباب عدة اولها النفقات المالية والعسكرية وثانيها قسوة المناخ في تلك الجهات[٣] وثالثها فقر المنطقة وابعدها بعدها عن مركز الخلافة هذه الاسباب وغيرها من الصعاب دفعت الدولة العثمانية لأن تتبع تجربة ـ لم تستمر طويلا ـ في الادارة الاقتصادية للاقليم وذلك بتخفيض عدد جنود الحامية الى أقصى حد ممكن وعهدت بأمور الاحساء ـ آل السعدون ـ شيوخ المنتفك ـ الذين كانوا يحكمون البصرة ـ وهؤلاء ـ همهم الوحيد اتباع سياسة تجعلهم يحافظون على المتصرفية بقدر الإمكان وعليه قرر ناصر باشا السعدون والي البصرة سنة ١٨٧٤ ادخال نظام قليل التكاليف محاولا أن يجعلها تسير في طريق الحكم المحلي وعمل على سحب معظم الحاميات العثمانية الى البصرة واراد ان يشرف على التجربة بنفسه فحضر على رأس وفد يصاحبه فيه أحمد باشا قائد ما تبقى من القوات العثمانية الى الاحساء[٣١]

وقد نقلت السفن العثمانية «اشور» و«انيس» و«لبنان» و«سيبوب» الوفد الى راس تنورة

وشهدت الهفوف عقد مؤتمر كبير اعلن فيه ناصر السعدون تعيين براك بن عرير[٣٢] شيخ بني خالد الذي يكون ناصر السعدون صهرا له متصرفا على الاحساء ووضع بعض الحاميات العسكرية تحت تصرفه ثم عاد الوفد العراقي الى البصرة مع معظم القوات العثمانية وعدد من الأسرى الذين يعارضون تعيين براك[٣٣]

ولكن اجراءات ناصر السعدون لم تأت بنتيجة تذكر فقد توالت الثورات ضد الحكم العثماني في نجد ولم يستطع الحاكم منع تجددها[٣٤] وقامت عدة معارك بين العثمانيين والسعوديين الأمر الذي أجبر ناصر السعدون على أن يتسلم زمام الأمور في متصرفية الاحساء

بنفسه وقد حصرها سنة ١٨٧٥ على راس قوة قوامها ٢٤٠٠ جندي واربعة مدافع استطاع بوساطتها ان يهدىء الأحوال فيها واتخذ عدة اجراءات رادعة وعندما عاد الى البصرة جعل ابنه فريد باشا متصرفا على الاحساء

ولكن والي البصرة[٣٥] الذي نجح في كبت المعارضة الداخلية في الاقليم لم يستطع ان يصد الاخطار الخارجية عنه وصار يتعرض الى غارات سعودية متوالية وقد شهدت الفترة ما بين ١٨٧٨ ـ ١٨٧٩ أعنف هجمة سعودية كادت تنجح في انهاء الوجود العثماني في الخليج العربي، لولا وصول الامدادات المتلاحقة من البصرة التي استطاعت ان تدعم الوضع القائم وتنقذه من الانهيار ويبدو ان الدولة العثمانية ـ بعد هذه الفترة ـ غيرت من اسلوب الصدام المباشر مع السعوديين وذلك بتعاملها مع ال رشيد الذين وجدت فيهم خير وسيلة للوقوف بوجه تحرشات السعوديين

عندئذ أمنت على مركزها في الاحساء وقد استطاعت بفعل اسلوبها الجديد هذا ان تتحاشى كل الهزات التي كانت تنتابها سابقا وبذلك وفرت عليها الكثير من الاستعدادات اللازمة لمثل تلك الأمور ... بعد تسمع بعدئذ انباء عن أي ... سعودي على الاحساء حتى قبيل الحرب العالمية الأولى أما الموقف البريطاني من التواجد العثماني في تلك الفترة فقد افصح عنه اللورد كيرزن سنة ١٨٩٢ عندما قال «ان السيادة العثمانية تمتد من القطيف الى الفاو[٣٦]

كما ان السفير البريطاني في الاستانة السير فورد (Sir Ford) كتب سنة ١٨٩٣ رسميا الى وزير الخارجية العثمانية يبلغه

«ان حكومة صاحبة الجلالة تعترف بحقوق الدولة العثمانية في السيادة على طول الساحل من البصرة الى القطيف[٣٧] وهذا تأكيد من بريطانيا لما سبق ان اعترفت به سنة ١٨٧٨ من ان سيادة الدولة العثمانية تمتد على طول ساحل نجد

وبالنسبة للسيادة العثمانية على قضاء قطر التابع لمتصرفية الاحساء ـ فلقد أعيد تنظيم الادارة العثمانية فيه سنة ١٨٨٩ على اثر زيارة متصرف الاحساء للدوحة في تموز ١٨٨٩ حيث أوصى باقامة دار حكومية تضم قوة عسكرية من الفرسان والمشاة للمحافظة على الأمن وان يعاد النظر في الضرائب المفروضة على تجار اللؤلؤ وأن يعين مدير للمياء مسئول عن تحصيل العوائد من السفن الوطنية كما عمل على فتح مكاتب بريدية في الزبارة والعديد وأمر بتسيير سفينتين بحاريتين بشكل منتظم بين الدوحة والعقير والقطيف واقترح اقامة

سحد في العقير وازاء تلك لاجراءات قدم الشيخ قاسم بن ثاني قائمقام قطر - استقالته معلنا ان حكم انتقل من بين يديه الى ايدي لمسئولين العثمانيين ولكن والي بصرة رفض استقالته ونصحه في وائل ١٨٩١ بالعدول عنها(٣٨) ومنذ لك التاريخ بدأت العلاقة تتأزم بين قائمقام والوالي وقد استطاع الشيخ اسم احباط مشروع اقامة الدار حكومية في الدوحة على ان الأزمة د تفاقمت سنة ١٨٩٣ اثر زيارة والي بصرة لمتصرفية الاحساء ومروره قضاء قطر وقد سير له والي البصرة حملة عهد بقيادتها الى محمد حافظ اشا قائد الجيش العثماني في لاحساء وحظيت الحملة بتأييد شيخ محمد الصباح وارسل اخاه بارك على رأس قوة من الكويتيين ولم سو المسكلة إلا بعد ان تدخل محمد سعيد نقيب البصرة في حزيران سنة ١٨٩' في الأمر واقنع الشيخ قاسم التنازل عن الحكم لأخيه الشيخ حمد(٣٩) ولكن رغم هذا فإن الشيخ اسم بقي هو الحاكم الفعلي في قطر يذكر لوريمر انه «منذ ذلك الوقت كان شيوخ قطر متهيئين للحماية بريطانية(٤٠)

والواقع ان الدولة العثمانية قد ت محاولات جادة لتقوية نفوذها في صرفية الاحساء وتوابعها في وقت ت تحس بوطأة الضغط البريطاني والسعودي الثقيلين عليها موقع اختيارها على السيد طالب النقيب سنة ١٩٠٢ لتجعله متصرفا على الاحساء(٤١) في محاولة لاصلاح الأمور وتهدئة الاوضاع والحيلولة دون تعرضها للقوى المناوئة ويبدو ان تعيينه جاء اثر تلقي الصدر الأعظم رسالة سرية من ابن رشيد(٤٢) حليف العثمانيين في الجزيرة - يحذر من محاولة اغراء الانكليز لشيخ الكويت مبارك بالاستيلاء على المواقع العثمانية في الاحساء(٤٣) ولكن عهد السيد طالب النقيب في متصرفية الاحساء كان قصيرا

ولم يترك أي أثر واضح في مجريات الأمور ورغم انه نجح في كبت المعارضة الداخلية للدولة العثمانية وقضى على اثار الفوضى الداخلية إلا انه كانت تعوزه الخبرة الادارية والحنكة السياسية في معالجة القضايا في مثل هذه الجهات لذلك فقد بان فشله بعد سنة واحدة من تسلمه منصبه الجديد على اثر حادثة ادارية(٤٤) أرغمت السلطات العثمانية على ايقافه عن عمله لكنه ظل يحتفظ بوظيفته اسميا حتى سنة ١٩٠٥ (٤٥)

ولم يستطع النقيب ان يحدث أي تغيير يذكر في الاحساء كما توقعت له الدولة العثمانية وكان حكمه فيها يقوم على التهديد والقوة ولذلك فقد عادت الفوضى تضرب اطنابها في المنطقة بعد تنحيته

ويمكننا ونحن ندرس التاريخ العام للمنطقة - ان نميز فترة شبيهة بفترة ولاية مدحت باشا في الخليج العربي من حيث توجيه الاهتمام الكامل لهذه الربوع، وتقوية نفوذ الدولة العثمانية فيها تلك هي فترة حكم الاتحاديين فقد شهدت البصرة في عهدهم نشاطا كبيرا لاعادة السيطرة العثمانية على مناطق الخليج العربي الذي اخذ النفوذ العثماني يتقهقر فيها وكان العثمانيون مدفوعين - بلا شك - بتاثير المشاريع الالمانية في الخليج العربي

واول خطوة اتخذها حكام الدولة العثمانية الجدد في الخليج العربي هو الايعاز سنة ١٩١٠ الى السلطات في البصرة بارسال فرقة من الجنود لاحتلال جزيرة الزخنونية[٤٦] اذ قامت هذه الفرقة برفع الراية العثمانية على تلك الجزيرة ولم يلق احتجاج الحكومة البريطانية على ذلك العمل اهتماما من السلطات العثمانية وانكر والي البصرة على القنصل البريطاني حقه في ان يناقش معه هذه المشكلة رسميا أو شخصيا[٤٧]

وقد أعقب الاجراء العثماني هذا خطوات أخرى أكثر جرأة وذلك عندما ... والي البصرة على تعيين اداريين ... الاتراك في كل من موانىء العديد ... و الزبارة وغيرها من الموانىء ... العثمانية كما ارسل الحاميات العثمانية بحجة حماية موسم صيد اللؤلؤ[٤٨] ولكن يبدو ان اندفاع ولاة البصرة وبغداد وتدعيم السيطرة العثمانية في الخليج العربي لم يستمر دعمه من قبل الاتحاديين وانما نستطيع القول ان هناك تفاوتا واضحا بين ما اتبعه ولاة العراق من الاتحاديين من تحمس شديد لاقرار نفوذهم في تلك الجهات وبين ميل الاستانة الى اسلوب التفاوض دوليا عليها

ومن المؤكد ان الذي ارغم الاتحاديين لاتخاذ هذا النهج هو متاعبهم مع ايطاليا في ليبيا وما صادفوه من مصاعب في البلقان وما جرته عليهم مشاكلهم مع روسيا فضلا عن ان الجيش العثماني كان مايزال تحت التنظيم الالماني وكان لا بد أن تمر سنوات عديدة قبل ان تستطيع الدولة توجيه سياستها الى هذه المناطق البعيدة[٤٩]

والواقع ان الادارة العثمانية في متصرفية الاحساء كانت تجر وراءها مشاكل سياسية كبيرة فلم تكن الادارة فيها من القوة والوعي بدرجة تجعلها تنهض بالمتصرفية ذات الموقع الاستراتيجي الخطير وقد كانت دائما عبئا ماليا ثقيلا وان محاولات المتصرفين في تحصيل عوائد الموانىء والضرائب الزراعية اصبحت سببا في القضاء على كل نشاط تجاري وزراعي وظل الصراع قائما بين اهالي الاحسا والحكام العثمانيين وهجر الاحساء

ى البحرين الكثيرون هربا من تقل
ضرائب المفروضة عليهم وقد
صبحت البحرين تنافس الاحساء في
جارتها كما ان القوات العثمانية لم
ستطع ان تحافظ على الأرض على
ول الساحل البحري حيث اصبح
ضطربا بصورة دائمة اما الاجراءات
عثمانية فهي اضعف من ان توقف

تلك الاضطرابات هذا اضافة الى ان
الثورات الداخلية كانت تسبب ازعاجا
دائما للحكام العثمانيين وقد شهدت
الاحساء غارات مستمرة كلفت
الادارة العثمانية الشيء الكثير والطرق
التجارية لم تسلم من هجمات البدو
الذين وجدوا في قوافل التجار موردا
اقتصاديا وفيرا

الهوامش

١ - تضم السفينة الحربية التجارية (بروبرد) مسلحة بخمسة وعشرين مدفعا والسفينة غير المسلحة (نيبور) وزودت باربعة مدافع وسفينة الحراسة (حوجه بك) وهي حسنية قديمة عليها ١٨ مدفعا قديما والى جانب تلك السفن هناك ثلاث سفن صغيرة من صنع البصرة تحمل بين ٤ - ١٢ مدفعا كما اضيف الى ذلك الاسطول العثماني سفينتان اخريان

٢ - سماه محمد انيس وسيد رجب حراز في كتابيهما الشرق العربي «حافظ باشا» وهو غير صحيح راجع ص ١٥٠

٣ - عن التفاصيل في ذلك راجع عبدالفتاح حسن ابو عليه - الدولة السعودية الثانية (١٨٤٠ - ١٨٦١) رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب جامعة القاهرة سنة ١٩٦٩

٤ - كان يرافق الحملة السيد / محمد سعيد ابن نقيب البصرة وشيخ المنتفق الشيخ منصور وغيره من شيوخ عرب العراق

٥ - يذكر سيد رجب حراز - الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ص ١٧١ ان ذلك كان بسبب منحه لقب باشا واراضي واسعة على شاطىء الفرات بالقرب من الفاو والواقع ان الفرات بعيد عن الفاو وان الفاو تقع عند مصب شط العرب في الخليج العربي ولا يمكن ان تكون تلك الأراضي والحالة هذه واقعة على شاطىء الفرات وهي في الوقت نفسه قريبة من الفاو

٦ - Lorimer, op cit vol I Part I P P 968-969 بينما يقدرها سيف مرزوق الشملان - من تاريخ الكويت ص ١٣٦ بثماني سفينة

٧ - Longrigg, op cit p p 302-303

٨ - راجع نص البيان في محمد سعيد المسلم - ساحل الذهب الاسود ص ١٨٩ - ١٩٠

٩ - Lorimer, op cit Vol. I part I P 970

١٠ - كان مدحت باشا قد اصدر نظاما جديدا للادارة في ٢٩ شوال سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧١ م جعل ولاية البصرة تتألف من اربعة الوية وهي

١ - لواء البصرة وقسمه الى اقضية البصرة والفاو والقرنة والكويت

٢ - لواء المنتفك وقسمه الى اقضيه الحى والناصريه وشطرة المنتفك وسوق الشيوخ
٣ - لواء العمارة وقسمه الى اقضية دويرج وشطرة العماره
٤ - لواء نجد (الاحساء) وقسمه الى اقضيه الهفوف والقطيف وقطر

١١- يذكر لوريمر - دليل الخليج جـ ٣ ص ١٤٥٩ ان تعبير نجد الذى يستخدمه مدحت باشا يشمل الشارقه ودبي وابوظبي ويذهب لوريمر الى قوله هذا بناء على قائمه نشرت في جريده بغداد الرسميه تحمل من بين بيوت وحدائق نجد تلك المدن

١٢- في سنه ١٩٠٥ استحدث سنجق القصيم الى جانب سنجق الاحساء وقسمته الحكومه العثمانيه الى قضائين هما بريده والرياض
راجع خالد محسن اسماعيل - فلم وربر - انار ابراهيم صالح شكر ص ٨٩

١٣- لوريمر - دليل الخليج - القسم الجغرافي جـ ٢ ص ١٠١٩

١٤- كان ابوه الشيخ محمد اميل للتفاهم مع بريطانيا منه الى العثمانيين ولكنه كان قد شاخ ويعوزه الحزم ولم يكن له صوت يذكر في الحياه العامه حتى توفى سنه ١٨٧٨

١٥- كان الاتراك يبذلون جهودا لتقديم موظف تركى لوظيفه مساعد للقائمقام وفي سنه ١٩٠٣ كان الباب العالي يحاول انشاء مديريات في كل من الوكرة والزباره للاعمال الرسميه التركيه واستمر اتصال الحاميه التركيه بالعالم الخارجي عن طريق مكتب البريد عبر الصحراء (شهريا) عن طريق الهفوف

١٦- لوريمر - دليل الخليج - القسم التاريخي جـ ٣ ص ١٢٢١

١٧- المصدر نفسه ص ١٣٦٢

١٨- للزياده في تفاصيل علاقه العثمانيين بالبحرين (١٨٧١ - ١٨٩٥) راجع نفس المصدر ص/١٣٧٨ - ١٣٨٦

١٩- للتفاصيل راجع عنها Donald Hawley, The Trucial States (London - 1970)

٢٠- جمال زكريا قاسم - المصدر السابق ص ٢٠٣

٢١- كيلي - ترجمه خيرى حماد - الحدود الشرقيه لشبه الجزيره العربيه صفحه ١٤٢

٢٢- للاطلاع راجع جمال زكريا قاسم - الخليج العربى ص ١٨٦ - ١٩٠ وللوقوف على تفاصيل وافيه عن الحكم العثماني في الاحساء واهميه الحمله والتطورات التى تركتها راجع الفصل الخامس - حملة الاحساء ص ١٧١ - ٢٠٤

٢٣- Curzon, Persia and Persian Question, Vol II p 545

٢٤- Aitchison, collection of treaties engagements and asanads relating to India

and Neighbouring Countries vol X P 115

٢٥- حمال ركريا قاسم - محتارات من وثائق الكويت والخليج - مقدمه

٢٦- Zwemer, Arabia "The Cradle of Islam" studies in the geography people and politics of the peninsula with an Account of Islam Mission p 117

ويمكن الرجوع الى الصفحات ١١٣ ١١٧ للزيادة في الاطلاع على طبيعه ذلك الحكم

٢٧- بجانب ذلك هناك حاميه في قضاء قطر بالدوحه الاحسا من حيث المواصلات البريديه مع العراق العثماني

٢٨- يتم نقل البريد الرسمي بواسطه الخيل ويختار حامل البريد من بين القبائل الموالية وهناك رحله اسبوعيه بين الهفوف والقطيف تستغرق ثلاثه ايام ورحله سهريه بين القطيف والدوحه في قطر تستغرق اربعه ايام والمواصلات بين الهفوف والبصرة كانت ترسل منذ سنه ١٨٧١ عن طريق البحر ثم احدث ترسل عن طريق البر للتفاصيل راجع لوريمر - المصدر نفسه ص ١٠٢٥

٢٩- نفس المصدر ص ١٠٣٠ - ١٠٢٤ وللاطلاع على تفاصيل النظام الاجنبي والاقطاعي يمكن مراجعه Lutsky, Modern History of Arab countries p p 10-28

٣٠- لوريمر - المصدر السابق ١٤٥٧

٣١- للتفاصيل راجع عبدالله فلبي - تاريخ نجد ص ٢٥٩

٣٢- يذكر لوريمر - المصدر السابق - هامش ص ١٤٦٢ ان الاسم يرد احيانا بريع او بارد ولكن الصحيح هو بركه وقد وقع في هذا الخطا ديكسون انظر كتابه الكويت وجاراتها جـ ١ ص ١١٩

٣٣- لوريمر - المصدر السابق ١٤٦١

٣٤- Langragg, op cit p 303

٣٥- تم فصل الاحساء وغيرها من الاقاليم التابعه للبصرة من بغداد سنه ١٨٧٥ واصبحت ولايه مستقله وبقيت كذلك حتى سنه ١٨٨٠ حيث اعيدت مره اخرى الى ولايه بغداد ولكنها انفصلت عنها فصلا نهائيا سنه ١٨٨٤ واصبحت دوله مستقله

٣٦- Curzon, op. cit Vol II p 462

٣٧- لوريمر - المصدر السابق ص ١٥٢٥ - ١٥٢٦

٣٨- نفس المصدر ص ١٢٢٧

٣٩- نقل الشيخ احمد سنه ١٩٠٥

- لوريمر المصدر السابق ص ١٢٥٠

٤١- عمر فوري كركوكلي - ارج الطيب في ماتر السيد طالب النقيب ص ١٣
٤٢- عبدالعزيز بن متعب بن رشيد حاكم نجد انذاك
٤٣- F O 7835252, No 282
رسالة من السفير البريطاني في القسطنطينية الى وزارة الخارجية البريطانية مؤرخة في ١٧ حزيران سنة ١٩٠٢ مع نص مترجم لكتاب عبدالعزيز الرشيد
٤٤ - راجع عنها محمد سعيد المسلم - ساحل الذهب الاسود ص ١٩١
٤٥- لوريمر - المصدر السابق جـ ٦ ص ١٩١
٤٦- تقع جنوب شرقي العقير
٤٧- جمال زكريا قاسم - الخليج العربي ص ٣٢٥
٤٨- نفسه ص ٣٢٦
٤٩- نفسه ص ٣٢٥ - ٣٣٠ حيث يمكن الرجوع اليه للوقوف على تفاصيل اكثر

توسع الدولة [illegible] شرقي

في القرن العاشر ومطلع القرن الحادي عشر ال

بقلم : ابراهيم خوري

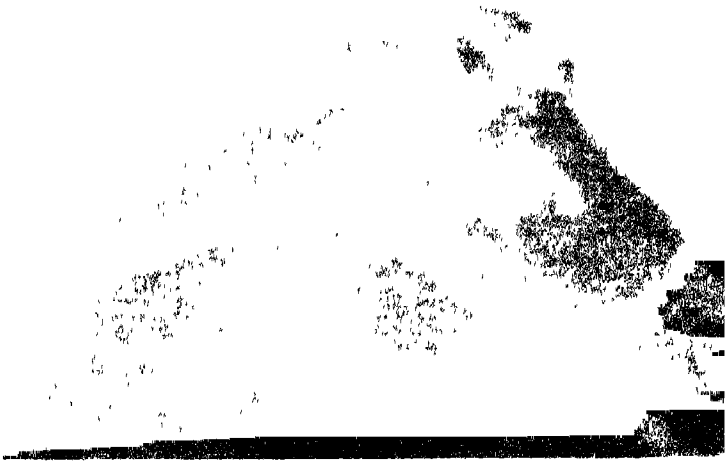
الحقبة البرتغالية

٩٠٤ - ١٠٣٥هـ • ١٤٩٨ - ١٦٢٥م



بدات الصلات التاريخية المباشرة بين الخليج العربي والدولة العثمانية بتقديم راشد بن مغامس مفاتيح البصرة الى السلطان سليمان القانوني في اواخر فصل ... سنة ٩٤١ هـ/ ١٥٣٤ م ، وانتهت باحتلال الانجليز للعراق ... الربع الاول من القرن العشرين (١٩١٤ ـ ١٩١٨) فدامت اربعة قرون تقريبا ، وتنوّعت ، فمنها الصلات الدينية ومنها العلاقات الثقافية والعلمية والحضارية والسياسية ومنها ايضا وحـ...

...دس عشر ...بع عشر الميلادي



المصالح الاقتصادية بين عرب جزيرة العرب عامة وعرب الخليج خاصة وبين العثمانيين

ا . سيطرة الدولة العثمانية على منافذ تجارة المرور الدولية بين بحر الهند والبحر المتوسط:

في غضون فترة قصيرة جدا تقل عن ربع قرن ، نهض العثمانيون من كبوتهم بعد تلقيهم ضربة قاصمة من تيمورلنك في معركة انقرة سنة ٨٠٥ هـ/١٤٥٢ م) واعادوا تكوين امبراطوريتهم فاحتلوا القسطنطينية (٨٥٧هـ/١٤٠٢ م) في عهد محمد الثاني الفاتح ، وتوالى توّسعهم في البلقان واوروبا وجزر البحر المتوسط وانتصروا على الصفويين في كردستان (جالديران ٩٢٠هـ/ ١٥١٤ م) وقضوا على دولة المماليك في سوريا (مرج دابق ٩٢٢ هـ/١٥١٦ م) وفي مصر (٩٢٣هـ/١٥١٧ م) في عهد سليم الاول . واحتلوا العراق (٩٤١ هـ/ ١٥٣٤ م) في عهد سليمان

القانوني

وبذلك سيطر العثمانيون على منافذ تجارة المرور الدولية من بحر الهند الى البحر المتوسط في الاتجاهين ، عن طريق الخليج العربي وعن طريق البحر الاحمر

ب . سيطرة العرب على طرف تجارة المرور الدولية بين بحر الهند والبحر المتوسط

اما عرب الخليج والبحر الاحمر ، فقد قاموا بلا منازع ، على مرّ العصور ، ومنذ الالف الثالث قبل الميلاد وحتى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، اي على مدى ستة واربعين قرنا ، بدور الوسطاء في التبادل التجاري في العالم المكتشف والمعروف انذاك ، بين سواحل بحر الهند والصين وبين سواحل البحر المتوسط ، وفي الاتجاهين من الشرق الى الغرب ، ومن الغرب الى الشرق

وتنوّعت السلع المتبادلة تنوعا كبيرا ، قديما وحديثا ، ولم تقتصر ابدا على التوابل ، بل شملت اصنافا كثيرة اشار اليها باسمائها كتاب الطواف حول البحر الاحمر في القرن الاول الميلادي ، وكتاب التبصّر بالتجارة [illegible] في القرن الثالث الهجري / [illegible] الميلادي ، وكتاب ثغر عدن [illegible] في القرن العاشر الهجري / [illegible] عشر الميلادي وتحدثت [illegible] الوثائق العربية والهندية والبرتغالية ومحفوظات مدن البندقية وجينوة ومرسيلية خاصة

وكانت تجارة تلك الاصناف تدّر ارباحا طائلة على منتجيها وناقليها والمتعاملين بها وعلى السلطات السياسية القائمة في الاماكن التي تمر بها وسادت قواعد سلوك في التعامل الحرّ بها ، كرّستها اعراف تجارية رضي بها الشرق ، وقبل بها العرب ، وتقيّد بها العرب فثبتت العلاقات الاقتصادية الدولية على اسس ثابتة ودائمة

وكان التجار يسلكون طريقين عربيين طريق الخليج العربي الى البصرة بتفرعاتها ، واهمّها بغداد فحلب او دمشق فاحد موانىء البحر المتوسط ، وطريق البحر الاحمر بتفرعاتها ، واهمها الانطلاق من عدن الى جدّة فالسويس فالقاهر فالاسكندرية

جـ . تهديد البرتغاليين وطريق الاطلسي وتجارة المرور الدولية بين بحر الهند والبحر المتوسط :

لكن طرأت احداث عالمية خطيرة جدا اثرت في تجارة المرور بين بحر الهند والبحر المتوسط فقد فتح البرتغاليون طريقا ثالثة ، وحاول جهد المستطاع حصر حركة التبادل بين الشرق والغرب فيها وحدها فهدّدوا مصالح العرب والعثمانيين

الاقتصادية تهديدا سافرا ومباشرا . ادّى الى نشوب نزاع مسلح متقطع بينهم وبين المعتدى عليهم ، دام قرنا وربع قرن (٩٠٤هـ/١٤٩٨ م - ١٠٣٥ هـ/١٦٢٥ م) ، أي من وصول داغاما الى الهند حتى طرد البرتغاليين من جزيرة هرمور ، وانتهى باقصاء البرتغاليين عن الخليج العربي والبحر الاحمر وبقى الطريقان العربيان عاملين طيلة مدة النزاع ، وسالكين حتى الربع الاول من القرن السابع عشر

د . خصائص الصراع العربي العثماني البرتغالي على تجارة المرور الدولية بين بحر الهند والمتوسط :

ادن امتدّ الصراع بين العرب والعثمانيين والبرتغاليين على تجارة المرور الدولية بين بحر الهند والبحر المتوسط على زمن طويل جدا وتميّز بثلاثة احداث كبرى

اولها فشل البرتغاليين في تحويل تجارة المرور عن مسارها التقليدي الى الطريق الاطلسية وبالتالي فشلهم في ضرب المصالح الاقتصادية العربية في الخليج العربي وفي البحر الاحمر

ثانيها فشل العثمانيين في حماية المصالح الاقتصادية المشتركة بينهم وبين العرب

ثالثها نجاح عرب الخليج في ابقاء العرب وسطاء حتميين في تجارة المرور بين بحر الهند والبحر المتوسط

هـ . اقسام البحث

ويتجلّى هذا الواقع التاريخي بوضوح في استعراضنا

١ ـ القوى العالمية والمحلية الفاعلة في تجارة المرور في الخليج العربي

٢ ـ والتوسع العثماني في الخليج العربي واثره في تجارة المرور في الخليج العربي

٣ ـ واستمرار وصول السلع الى الخليج العربي وشحنها الى البحر المتوسط او الى بحر الهند

ودام هذا الواقع التاريخي طيلة القرن السادس عشر وفي الربع الاول من القرن السابع عشر ويقتصر تحليلنا على هذه الحقبة التي نسميها حقبة الفتوحات البرتغالية ، او الحقبة البرتغالية باختصار ، التي اعقبتها حقبة اخطر منها بكثير ، هي الحقبة الهولندية الانجليزية الفرنسية الخارجة عن موضوعنا .

القسم الأول

القوى المحلية والعالمية الفاعلة في تجارة المرور في الخليج العربي

لا يمكن عزل النشاط التجاري في الخليج العربي عن التأثير الدولي القريب منه - او حتى البعيد عنه احيانا ، ولا عن ارادة اهل الخليج انفسهم فلهؤلاء مصالح اقتصادية مباشرة وأساسية بالتبادل القائم على ارضهم او المار عبر مياههم باتجاه البصرة او باتجاه عدن فالبحر الاحمر وللصفويين في فارس والعراق ، وللمماليك في سوريا ومصر ، او من يحلّ محلّهم في المستقبل ، مصالح مماثلة بحكم سيطرتهم على منافذ طريق الخليج على البحر المتوسط وللبرتغاليين ايضا نفس المصالح بعد سيطرتهم على بعض موارد التجارة الدولية وعلى بعض مسالكها في بعض انحاء سواحل الهند وفي بعض انحاء بحر العرب ، وبعد نجاحهم الجزئي والمؤقت بدخول الخليج العربي والبحر الاحمر

. تعقد بين الفرقاء المعنيين اي ... ضبط مصالحهم ، ويدرأ ... بعضها فظلّت متصارعة ،

... ، وتعقّد الصلات بين عرب الخليج والدولة العثمانية

وهؤلاء الفرقاء هم مملكة هرموز في الخليج ، والصفويون في فارس والعراق والمماليك والعثمانيون على سواحل البحر المتوسط ، والبرتغاليون في الهند وبحر العرب والخليج العربي

مملكة هرموز العربية

فمملكة هرموز سلطنة عربية ، كانت تشمل في القرن السادس عشر جزر الخليج العربي وسواحله من الاحساء وسيراف الى رأس مسندم وساحل عمان من رأس مسندم الى رأس الحدّ ويمكن بلا مغالاة اعتبارها بندقية العرب

وتأسست مدينة هرموز في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي على ساحل مكران ، شرقي بندر عباس ، على بعد ٣٠ ميلا منه لكن حوالي ١٣٠٠ م ، هددتها غارات التتار فانتقلت الى جزيرة جرون (اورغانا عهد نيارخس) على مسافة ١٢ ميلا تقريبا الى الجهة العربية ...

بعد خمسة اميال من الشاطىء تم حصعت اسميا وبطريا لشاهرح ميررا (١٤٠٥ ـ ١٤٤٧) ، ودمعت له اتاوة الا انها كانت عمليا مستقلة وقوية ماليا وعسكريا ويمتد نفوذها على مائة ميل حولها وكانت مركزا تجاريا كبيرا ، تسيطر على النشاط التجاري الدولي البحري مع الشرق الاقصى والهند ، والبري مع حراسان وفارس والعراق وقد ازدهرت في القرنين الحامس عشر والسادس عشر ازدهارا لا مثيل له فكانت ترسو في بندرها ٣٠٠ سفينة في آن واحد ، ويقطن فيها ٤٠٠ تاجر غريب ، يتاجرون بالحرير واللآلىء ، والحلى والتوابل على وجه الخصوص وتتعامل هرمور مع جزيرة العرب وكمباية وكاليكوت وسيول ودابول وبنحالة ، وفارس وعدن والقاهرة والاسكندرية والصين والعراق

ويجلب اليها من الشرق التوابل والعقاقير والحجارة الكريمة وسلع اخرى ، لا سيما الفلفل والزنجبيل والقرفة والقرنفل وجوز الطيب والفلفل الطويل والعود والصندل والبلسم والتمر الهندي والزعفران الهندي وسمع العسل والحديد والسكر والارز وجوز الهند واليواقيت والخزف والأمتعة وتحمل منها السلع الواردة الـ من جزيرة العرب ومصر وبلاد الـ ـ واوربا

ـدير شئونها مجلس مؤلف من التجار الاثرياء برئاسة سلطانها وكانت تابعة لها مسقط وقلهات وصحار وخورفكان وجلفار والقسم والبحرين والقطيف وغيرها

وقد وصفها بدقة ووصف نشاطها الفريد ماهوان في كتابه «الكامل في وصف سواحل المحيط» المنشور سنة ١٤٥١ بعد تداوله مخطوطا منذ عام ١٤٣٤ كذلك فعل دوارته بربوسة سنة ١٥١٧ واعطى احمد بن ماجد صورة حسية عن اهميتها ايضا

اذن كانت هرموز بندر مرور وسوق بيع وشراء سلع بلدان بحر الهند وبلدان البحر المتوسط على حدّ سواء بالتالي ، كل ما يعرقل وصول البضائع اليها من الشرق او الغرب ، يؤثر في التجارة العالمية ، ويلحق الضرر بمصالحها الاقتصادية الحيوية ومن هنا يتضح خطر وجود البرتغاليين في الجنوب على نشاطها ، وخطر وجود الصفويين والعثمانيين في الشمال والشمال الغربي البعيد عليه

الصفويون في فارس والعراق

توالت الاحداث العالمية بسرعة في فارس والعراق في القرنين الرابع عشر والخامس عشر واجتاحتهما قبائل مغولية وتركمانية لم تستطع اي منها ان ترسّخ اقدامها فيهما مدة طويلة

من هذه القبائل الجلائر وهم سلالة مغولية زعيمها حسن بزرك او

الشيخ حسن الجلائري . حكمت العراق من سنة ١٣٣٩ الى ١٤١١ . واتخذت بغداد عاصمة لها واتنزع ثاني سلاطينها المدعو اويس بن حسن بزرك . تبريز وادربيجان من القبائل الذهبية . وضم الموصل وديار بكر الى دولته

ومنها ايضا القبائل التركمانية ، المعروفة باسم قرة قويونلو او الخروف الاسود ، التي زحفت على الجلائر من منطقة بحيرة وان ، واخذت منهم الموصل (١٣٧٥) ثم تبريز (١٣٨٧)

واتى دور تيمور لنك ، فاقتحم اراضي الخروف الاسود ، واستولى عليها بعد انتصاره على زعيمهم قرة يوسف وهربه الى مصر (١٤٠٣) ولما توفي تيمور لنك ، خلفه نجله شاهرخ ميرزا (١٤٠٥ - ١٤٤٧) وفي عهده رجع قرة يوسف من مصر ، وسحق جيش التيموريين سنة ١٤٠٨ ، واستعاد سلطنته ، واحتل العراق العربي (١٤١٠) وبعد وفاته ، حارب نجله اسكندر شاهرخ واضطره ان يتنازل عن ادربيجان والجزيرة الى شقيقه جهان شاه الذي انتزع فارس العربية الواقعة على الخليج العربي من التيموريين (١٤٥٢ - ١٤٥٨)

الا ان اوزون حسن ،
... قويونلو او الخروف الابيض ،
... على ممتلكات الخروف
واخذ منهم ادربيجان

والجزيرة وفارس العربية سنة ١٤٦٨ ثم انتشرت الفوضى في العراق وفارس في اواخر القرن الخامس عشر

وكان الصفويون انذاك يعيشون في مقاطعة اردبيل التي اقطعهم اياها تيمور لنك وهم صوفية واصحاب طريقة ينتمون الى الامام موسى الكاظم ، رسخوا نفوذهم في ادربيجان، واستعان زعيمهم اسماعيل بقبائل تركية ، وهاجم الخروف الابيض وقهرهم واستولى على ادربيجان وفارس والعراق ، ولقب نفسه بالشاه ، واسس السلالة الصفوية التي اشتهر من سلاطينها ايضا في وقت لاحق طهماسب الاول (١٥٢٤ - ١٥٧٦) وعباس الاول (١٥٨٧ - ١٦٢٩)

وحكم اسماعيل شاه ٢٣ سنة (١٥٠٢ - ١٥٢٤) ، وامتدت امبراطوريته من العراق غربا الى خراسان وامبراطورية المغل شرقا ، ومن باكو وتفليس شمالا الى الخليج العربي جنوبا وازدهرت تجارتها في عهده لكنه اضطر الى مجابهة الشيبانيين في ما وراء النهر (مقتل محمد الشيباني ، خان الاوزبك سنة ١٥١٠) والعثمانيين في الغرب والشمال الغربي والبرتغاليين في الجنوب الشرقي وحكم بعده نجله طهماسب ٥٢ سنة ، ثم عباس الا...

٤٢ سنة ، بعد فترة اضطرابات
داخلية واحتياجات خارجية

المماليك في سوريا ومصر والحجاز

امتدت دولة المماليك على سوريا ومصر والحجاز في مطلع القرن السادس عشر وقبله وأصل المماليك ارقاء ، اخذوا اسرى في الحروب او اشتروا صغارا ودربوا على الفروسية وهم من القفقاس او من آسيا الصغرى احمالا وقد عملوا حرّاسا لايوبي مصر ، ثم تقووا واستولوا على السلطة سنة ١٢٥٠ م واختاروا شجرة الدر لتتولى امرهم وكان عددهم يتراوح بين ١٠٠٠٠ و١٦٠٠٠ فارس ويقفون دوما صفا واحدا ضد اعدائهم او حتى ضد الشعب مهما عظمت الخلافات بينهم ولا يتزوجون من عربية، ولا يتكلمون الا اللغة التركسية ، ولا ترتبطهم باهل البلاد الا رغبة استغلالهم وفي عام ١٥٠٠ ، كان على رأسهم السلطان قانصوه الغوري الذي حكم حتى عام ١٥١٦ ، وخلفه طومان باي الثاني آخر سلطان مملوكي وآخر المماليك الشرحية التراكسة

العثمانيون في آسيا الصغرى واوربا

ينتمي العثمانيون الى قبيلة غزّ (ترك) رحلت من خراسان الى الاناضول ، بزعامة ارطغرل بن سليمان شاه واقطعهم علاء الدين كيقباد السلجوقي اراضي قره جاه طاغ قرب انقرة ، فدعموه في حروبه ضد المغول وبيزنطية ، واجزل لهم العطاء ولما توفي ارطغرل ، بقي نجله عثمان وفيا لآل سلجوق ، فمنحوه الاستقلال ، واذنوا له ان يمتلك فتوحاته (٦٨٨ هـ/ ١٢٨٩ م) ، وان يسكّ العملة باسمه ، وفي عام ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩ م توفي علاء الدين الثاني آخر سلطان سلجوقي ، فاعلن عثمان قيام الدولة العثمانية وتوالى توسّع العثمانيين في القرن الرابع عشر في تراقية ومقدونية والاناضول ، الى ان جاء تيمور لنك ، وضربهم ضربة قاصمة سنة ١٤٠٢ م

الا ان العثمانيين نهضوا من كبوتهم في القرن الخامس عشر ، واعادوا بناء دولتهم ، واحتلوا القسطنطينية سنة ١٤٥٣ ، واستأنفوا توسعهم في البلقان ، في عهد محمد الثاني الفاتح وبلغوا قمة المجد في القرن السادس عشر في ايام سليم الاول وسليمان القانوني

البرتغاليون في بحر الهند

تحركت البرتغال في اتجاه بحر الهند في وقت مبكر جدا وبدأت مسيرتها الطويلة التي دامت ٨٣ عاما على طريق الهند الأطلسية باحتلال

مدينة سبتة سنة ٨١٨ هـ ١٤١٥ م في عهد ملكها حان الاول الكبير واندفعت في مجاهل بحر الظلمات ببطء وحذر وثبات . ووصلت الى طرفه الجنوبي اي الى حدوده الجنوبية مع بحر الهند بعد دورانها حول رأس العواصف فمررت امامها صعاب جديدة في بحر جديد لا تعرف سبيلا عنه مع ذلك . نزلت في كاليكوت في مليبار الهند عام ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م

وكانت دوافع مسيرتها الطويلة اقتصادية محضة ، تمثلت في تنافس البيوتات المالية الايطالية والممالك الايبيرية على احتكار التجارة العالمية التي كانت شرقية اصلا تعتمد على استيراد التوابل والحرير والبخور والعطور والسلع الاخرى من الشرق الاقصى والهند ، وجزيرة العرب وساحل افريقية الشرقية ، وعلى تصدير سلع اوروبا ومصر والشام وجزيرة العرب الى الهند

وشكّت البندقية في قدرة البرتغال المالية والفنية والتقنية على الوصول الى بحر الهند ، واذا وصلت اليه ، في قدرتها على البقاء فيه لتكاليفه الباهظة ومقاومة العرب وحلفائهم مسلمي ... المهيمنين على التجارة بين الشرق

... هذا التشكيك ، بلغ ... واقاموا متاجر لهم

وحصونا على ساحل افريقية الشرقية ، وعلى السواحل العربية والجنوبية في سنه جزيرة الذكر وجوررات اوكمباية ، وتوسّعوا باتجاه اندونيسيا ، وهاجموا الموانئ العربية الجنوبية ودخلوا البحر الاحمر والخليج العربي واصبحوا خطرا داهما يهدد المصالح الاقتصادية العربية في الصميم والهندية ايضا

وانتشرت اخبارهم في العالم اجمع ، وبادت ممالك ساحل الهند العربي المسلمة بالويل والثبور وعظائم الامور ، واستنجدت بالمماليك اولا (قانصوه الغوري) ، ثم بالعثمانيين بعدهم (سليمان القانوني) ولم يستغيثوا بالصفويين ولم يطلب عرب الخليج ولا هرموز العون من احد ، بل تدبروا امورهم انفسهم بانفسهم

اما المماليك والعثمانيون ، فقد استجابوا لنداء القاصي والداني ، لان مصالحهم الاقتصادية اصبحت في خطر هي ايضا ، ولأنهم رغبوا في توسيع نفوذهم وترسيخه في البحر الاحمر والخليج العربي

****

وهكذا يمكن ان نلخص اوضاع التجارة بين بحر الهند والبحر المتوسط واوضاع الدول الرئيسية ا ...

عليها في مطلع القرن السادس عشر ، ما يلي

١ ـ حافظت مملكة هرمور على كيانها ، وفدته بالمال فدفعت اتاوة سنوية الى التيموريين (شاهرخ) لقاء حرية تصرفها ، ثم الى الصفويين (شاه اسماعيل) بعدهم

٢ ـ اكتفى شاه اسماعيل بقبض المال من مملكة هرمور وتركها وشأنها تتصرف بتجارتها وسيطرتها على مناطق نفوذها ، وتفرغ للدفاع عن سلطته ضد الشيبانيين في الشمال الشرقي وضد العثمانيين في الشمال الغربي

٣ ـ كان المماليك ضعفاء ماليا وعسكريا ، يتهيّبون غزو العثمانيين لسلطتهم المتداعية ، ويعجزون عن حماية مصالحهم الاقتصادية من تعدّيات البرتغاليين المتواصلة

٤ ـ لم تكن للعثمانيين علاقة مباشرة بالتجارة بين بحر الهند والبحر المتوسط ، وكان يشغلهم الشاغل انتهاز الفرص للتوسع في الشرق والغرب والجنوب

٥ ـ كان البرتغاليون يصولون ويجولون في بحر الهند والخليج العربي والبحر الاحمر مستفيدين من تفوقهم بامتلاك سفن متطورة واسلحة فتّاكة (بنادق ومدافع) ، لم تصل بعد الى ايدي العرب المستضعفين او وصلتهم متأخرة وباعداد محدودة ونوعية رديئة

القسم الثاني

التوسّع العثماني في الخليج العربي
وأثره في تجارة المرور فيه

تغيّرت المعادلة الدولية كليا في الربع ... من القرن السادس عشر ، ... انيون قضوا على دولة المماليك في ... ومصر وحلّوا محلّها ، وابعدوا ... يين عن العراق وبالتالي عن احد منافذ تجارة طريق الخليج ، وحاولوا التغلغل في البحر الاحمر وفي الخليج العربي ذاته ، فنشبت بينهم وبين البرتغاليين حروب عديدة في مواقع متباعدة وبعيدة فشلوا فيها كلها

وتتجلى هذه الاوضاع الجديدة في النواحي التالية

١ ـ قضاء العثمانيين على دولة المماليك وحلولهم محلها في السيطرة على منافذ تجارة بحر الهند على سواحل البحر المتوسط وفي موانيء البحر الاحمر لا سيما جدة والسويس

٢ ـ ابعادهم الصفويين عن العراق ووصولهم الى البصرة والاحساء على الخليج العربي

٣ ـ قيامهم بحملات بحرية بعيدة على متاجر البرتغاليين في الديو وفي الخليج العربي

أولا ـ قضاء العثمانيين على دولة المماليك وحلولهم محلها

ا ـ العلاقات العثمانية المملوكية في النصف الاخير من القرن الخامس عشر.

كانت الازمات تتلاحق في دولة المماليك، عندما كان العثمانيون يتوسعون بفتوحاتهم ويزدادون قوة وطبّقت شهرتهم الآفاق بعد فتحهم القسطنطينية سنة ١٤٥٣ واصبحت امبراطوريتهم في عهد السلطان سليم الاول احدى الدول الكبرى المسلمة الثلاث في العالم العثمانيون، الصفويون، ... اولاها، واحدى الدول العظمى على مستوى اوربا ذاتها

وكثيرا ما كانت تتوتر العلاقات بين العثمانيين والمماليك وتنتهي بنشوب حرب بينهما، ويظهر المماليك عليهم في نزاعاتهم المسلحة

مع ذلك عندما خذل السلاطين المماليك حلفاءهم التقليديين في مطلع القرن السادس عشر، نصرهم العثمانيون ووقفوا الى جانبهم من بعيد ضد البرتغاليين

١ ـ الصراع البرتغالي ـ العربي المملوكي

ففي عام ٩٠٦ هـ/ ١٥٠٠ م، نشب قتال في كاليكوت بين التجار المسلمين وبين البرتغاليين احرق فيه الافرنج عشر سفن مصرية، فزاد العداء بين العرب والفرنج

(١) تصاريح المرور البرتغالية ٩٠٧ هـ/ ١٥٠١ م

وفي العام التالي، ٩٠٧ هـ، قرر البرتغاليون منع العرب من الحصول على التوابل، فاقاموا متاجر لهم في النقاط الرئيسية على ساحل شبه جزيرة الدكن العربي، واتخذوا اجراءات تقضي ان يحمل تصريح مرور كل تاجر يغادر احد البنادر الهندية والا وقع تحت طائلة عقوبة الاعدام او الاستعباد ولا تعطي تلك التصاريح الى القاصدين البحر الاحمر تجارا كانوا ام سفنا مع ذلك، ...

السفن تنقل التوابل «تهريبا» الى البنادر العربية

(٢) اعتراض البرتغاليين السفن الذاهبة الى البحر الاحمر ٩٠٨ هـ/١٥٠٢ م

وفي عام ٩٠٨ هـ/١٥٠٢ م، اخذ البرتغاليون يعترضون السفن الذاهبة الى البحر الاحمر ، واحتلوا البندر العربي في جزيرة كلوة على ساحل افريقية الشرقية . وتحالفوا مع ملكي كنور وكتشن ضد ملك كاليكوت وفي عام ٩٠٩ هـ/١٥٠٣ م ارسلوا اسطولا لمنع سفن المسلمين من دخول البحر الاحمر

(٣) تهديد بندر جدة ٩١١ هـ/١٥٠٥ م

وفي عام ٩١١ هـ/١٥٠٥ م ، توغل البرتغاليون في البحر الاحمر ، ووصلوا الى مستوى جدة وشعر قانصوه الغوري بخطرهم على الاماكن المقدسة المسلمة ، وقرر محاربتهم

(٤) احتلال جزيرة سقطرة ٩١٢ هـ/١٥٠٦ م

وفي عام ٩١٢ هـ/١٥٠٦ م ، احتل البرتغاليون جزيرة سقطرة ، وبنوا حصنا فيها ، وابقوا اسطولا في مياهها ، مهمته مراقبة السفن ومنعها من دخول باب المندب

ورغم جميع هذه الاجراءات ، ظلت التوابل تصل الى الشام والاسكندرية ، غالبا عن طريق الخليج العربي فقرر البوكيرك سدّ هذا الطريق ايضا

(٥) احتلال مملكة هرموز ٩١٣ هـ/١٥٠٧ م

لذلك هاجم مملكة هرموز بلا مبرر ودون سابق انذار او اعلان حرب خلافا لجميع الاعراف الدولية وبدأ باحتلال بنادرها الواقعة على ساحل خليج عمان لا سيما مسقط وصحار وخورفكان ثم استولى على هرموز ، واغلق عمليا مدخل الخليج العربي في وجه السفن الذاهبة الى البصرة فاصبحت الآمال معقودة على قانصوة الغوري وعلى حملته البحرية التي طال انتظارها

٢ ـ امتناع البنادقة عن مدّ يد العون الى المماليك

كانت البندقية الدولة المستفيدة الكبرى من المماليك والموزعة الرئيسية لسلع الهند والشرق الواصلة الى الاسكندرية وكان مفروضا فيها ان تقف الى جانب حلفائها المماليك ضد البرتغاليين لأنها تضررت من تصرفات البرتغاليين مثلما تضررت مصر وسوريا لكنها لم تفعل بل تخلت عنهم ، واتصلت بالصفويين عساها توفق بفتح طريق برية من فارس الى الامبراطورية العثمانية ، فساحل

البحر المتوسط

٣ . حملة قانصوه الغوري البحريه على البرتغاليين ٩١٤ هـ ١٥٠٨ م

ادرك قانصوه بوضوح تام ان لا بد له من سحق البرتغاليين لتثبيت سلطته فعزم على ملاحقتهم في بحر الهند ، ومنازلتهم هناك

لكن اعترضت صعاب لا تحصى تجهيز حملته البحرية عليهم فمالية دولته سيئة جدا تعجز عن دفع رواتب الجند ، والمماليك فرسان برّ لا أسود بحر وكان لا بد من اعداد حوض حديد لبناء السفن في السويس لأن سفن البحر المتوسط لا تصلح لبحر الهند وينبغي ايجاد خبراء صنع السفن والخشب وحديد المدافع والاشرعة وكل ما يلزم وتخطى الغوري جميع هذه العقبات ، وبوشر بناء ١٩ سفينة سنة ٩١٢هـ/ ١٥٠٦ م ، وظهر الاسطول المملوكي في بحر العرب سنة ٩١٤ هـ/ ١٥٠٨ م وانتصر في البدء ، ثم قضي عليه سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩ م

ولم يثن هذا الفشل قانصوه الغوري عن عزمه فاستنجد بالسلطان بايزيد الثاني ، لكن انطلق فرسان القديس يوحنا من قاعدتهم في جزيرة رودس ، واعترضوا السفن ... ، واستولوا على شحنتها

ولا تعني هذه اليد البيضاء العثمانية ان الصفاء والوّد سادا العلاقات العثمانية المملوكية فالخلافات بينهما كانت عميقة والقضية قضية مصير ، واسباب الحرب كثيرة

ب . اسباب الحرب بين العثمانيين والمماليك

اسهمت اربعة اسباب رئيسية في اشعال الحرب بين العثمانيين والمماليك

١ ـ اولها انتزاع الاشرف قايتباي من رسول السلطان الهندي محمد البهمني معظم الهدايا المرسلة الى السلطان العثماني مما ادى الى نشوب حرب عثمانية مملوكية في عهد بايزيد الثاني . توّسط ، حاكم تونس ، المولى عثمان الحفصي ، في انهائها ، وانهاها دون ان ينهي ما في القلوب

٢ ـ ثانيها الخلاف المزمن على بلاد ذي القدرية ، الواقعة شمالي سوريا ، والفاصلة بين المماليك والعثمانيين فقد ضاق السلطان سليم ذرعا بفتنها ودسائسها فاحتلها سنة ٩٢١ هـ/ ١٥١٥ م ، وقتل امراءها لا سيما الامير علاء الدولة

- ثالثها تحالف المماليك والصفويين ، واتفاق الشاه اسماعيل وقانصوه الغوري على التآمر ضد آل عثمان

- رابعها ايواء قانصوه الغوري الامير علاء الدين ابن شقيق سليم الاول ورفضه تسليمه الى عمّه العثماني

.. المفاوضات والاحداث

- جهّز السلطان سليم الاول جيشا عظيما (١٥٠ الفا) سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦ م ، واتجه به الى الشرق وكأنه يريد استئناف الاعمال الحربية ضد الشاه اسماعيل واخبر الشاه اسماعيل حليفه قانصوه الغوري ان الاعمال الحربية متواصلة بينه وبين العثمانيين ، وحرّضه عليهم فاعدّ الغوري جيشا كبيرا ، وسار على رأسه الى حلب في ١٧ آيار سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦ م ، ونزل بها في ١٠ تموز سنة ١٥١٦ م

- ارسل سليم الاول الى قانصوه الغوري سفارة مؤلفة من مولانا ركن الدين وقراجا باشا ، عرضت عليه ، لتفادي الحرب ، التنازل له عن بلاد ذي القدرية ، فاشترط السلطان المملوكي عليها ارجاع القدرية الى نجل علاء الدولة وامتناع العثمانيين عن محاربة الصفويين ، فرفضت ، فسحبها ثم بعث في وقت لاحق بمندوب عسكري عنه وكلّفه بتبليغ سليم الاول شروطه ، فاستقبل السلطان العثماني السفير المملوكي في البستان ، وقتل معاونيه ، وحلق ذقنه وشاربيه ، واركبه حمارا أعرج ، وردّه الى المماليك فاصبحت الحرب حتمية بينهما

٣ ـ وخرج قانصوه الغوري من حلب بقواته (٦٠٠٠٠ محارب ، منهم ١٦٠٠٠) فارس مملوكي والباقي جند مصريون وسوريون) الى مرج دابق ، يصحبه خير بك نائب حلب وسباهي نائب الشام واتجه سليم الاول بجيشه الى حلب ايضا ، ومعه سنان باشا اعظم قواده والوزير يونس باشا

٤ ـ وصدّت القوات المملوكية طليعة الجيش العثماني في البدء الا انه كرّ عليهم ، واطلق عليهم نيران بنادقه بغزارة وقنابل مدافعه فارتعبت خيولهم وحملت وعمّت الفوضى صفوفهم وسارع خير بك نائب حلب الى خيمة قانصوه الغوري ، ونقل له ان العثمانيين دحروهم ، ثم انسحب الى حلب وانتشر خبر

الهزيمة بسرعة فائقة بين الجنود . فولوا الادبار . وقتل السلطان المملوكي دهسا بين الهاربين . ولم يعثر على جثته

٥ ـ وال النصر العثماني في مرج دابق (٢٦ رجب سنة ٩٢٢ هـ ٢٤ اب سنة ١٥١٦ م) الى خضوع باقي المدن سلميا . والى الحاق سوريا ولبنان بالامبراطورية العثمانية اداريا وماليا وسياسيا وبطش سليم الاول الملكية العقارية وجعلها اميرية وخاصة . وحمى التجار ، وخفض الرسوم الجمركية من ٢٠٪ الى ٥٪ لتشجيع التجارة

٦ ـ وامضى سليم الاول اربعة اشهر في بلاد الشام ، ثم استأنف مسيرته الظافرة ليفتح مصر وفعل وهزم طومان باي في الريدانية (٢٩ ذي الحجة سنة ٢٢ هـ/١٥١٦ م) ، ودخل القاهرة واقام في جزيرة الروضة (٩٢٣ هـ/١٥١٧ م) ولما القي القبض على طومان باي ، طيف به في شوارع القاهرة وشنق عند باب زويلة وانتهت بشنقه دولة المماليك

د. نتائج فتح العثمانيين سوريا ومصر

على فتح العثمانيين سوريا ومصر نتائج عالمية ، يهمنا منها ما يتعلق بالتجارة بين بحر الهند والبحر الاحمر

١ ـ فقد اصبحت الدولة العثمانية تسيطر على طريق البحر الاحمر العربية ، وعلى منفذي الاسكندرية وبلاد الشام بالتالي ، تقتضي مصلحتها الاقتصادية العليا مرور السلع بامان وبلا تعويق من مصادرها في الشرق الى اسواق استهلاكها في الشرق الادنى واوربا

٢ ـ وصارت مصلحتها الاقتصادية العليا متوافقة مع المصالح العربية الاقتصادية ومتضاربة مع المصالح الاقتصادية البرتغالية وهذا الوضع ينبغي ان يؤدي منطقيا الى التقارب بين العرب والدولة العثمانية والى محاربة الدولة البرتغالية في بحر الهند والبحر الاحمر والخليج العربي وقد حصل

ثانيا . ابعاد العثمانيين الصفويين عن العراق ووصولهم الى البصرة والاحساء

قضى العثمانيون بتصفيتهم المماليك على اثنين من اعدائهم دفعة واحدة ، امبراطورية

المماليك وبلاد ذي القدرية لكن نشأت عداوة جديدة لهم مع البرتغال عن فتوحاتهم في سوريا ومصر ، الى جانب عداوة الصفويين التقليدية ، وانهماكهم في حروب البلقان وحرر المتوسط وشاء القدر ان يتولى شئونهم في تلك الظروف التوسعية في جميع الجهات سلطانان عظيمان جدا ، اخذا على عاتقهما التوسع في الشرق على حساب الدولة الصفوية واقتطاع ما يقرب من نصف اراضيها وضمه الى امبراطوريتهما التاسعة ، نقصد سليم الاول وسليمان القانوني وتميّزت العلاقات بين الصفويين والعثمانيين بالتوتر الشديد على الدوام وكانت اسباب نشوب الحروب بينهما كاملة تنذر بالانفجار في اي لحظة

أ. اسباب الحروب بين العثمانيين والصفويين

اهمها اربعة

١ ـ ارسال الشاه اسماعيل دعاة الى الامبراطورية العثمانية ومحاولاته اثارة الفتن على الحدود

- وايواؤه الامير مراد بن احمد شقيق سليم الاول ورفضه تسليمه الى العثمانيين

٣ ـ اخيرا رغبة العثمانيين انفسهم بالتوسع باتجاه الشرق

لذلك كله حدثت نزاعات مسلحة بينهما في ايام السلطان سليم الاول وفي ايام السلطان سليمان القانوني

ب. الحروب العثمانية الصفوية في عهد سليم الاول والشاه اسماعيل

١ ـ في سنة ٩٢٠ هـ/ ١٥١٤ م ، عقد السلطان سليم اجتماعا في ادرنة ضمّ وزراءه وقوّاده، تم فيه التداول في اعلان الحرب على الصفويين ، فاقره المجتمعون ، وابلغ الى الشاه اسماعيل

٢ ـ تلاقي الجيشان في جالديران في ناحية تبريز ، وتفوق خيّالة الصفويين في البدء على الجناح العثماني الايسر لكن صرنهم العثمانيون بمدافعهم عندما انتقلوا الى الهجوم على الجناح العثماني الايمن ، فمزّقوا شملهم وتغلبوا عليهم ، وجرح الشاه اسماعيل ، وهرب جيشه وهزبه ولحق بهم العثمانيون ، واحتلوا مدينة تبريز

٣ ـ ثم قرر سليم الاول اخضاع بلاد كردستان ، فوقف في وجه الجيش العثماني اميرها قره خان الذي نصبّه الشاه اسماعيل ، ووقعت بينهما معركة حاسمة دارت رحاها قرب بلدة قوجحصار ،

انتصر فيها العثمانيون على جيش الشاه اسماعيل مرة ثانية ، وقتلوا قره خان ، فاعلن جميع الامراء الاكراد الطاعة لهم عندئذ عاد السلطان سليم الاول الى الآستانه (٩٢١هـ/ ١٥١٥) تاركا بعض قواده في كردستان على ان يعود الى تصفية الصفويين في وقت لاحق

٤ ـ الا انه انشغل بفتح بلاد الشام ومصر ، ثم رجع الى الاستانة ، وتوفي سنة ٩٢٦ هـ/ ١٥١٩ م وهو في طريقه الى ادرنة ، وخلفه نجله سليمان القانوني (٩٢٦ هـ/ ١٥١٩ ـ م ـ ٩٧٤ هـ/١٥٦٦ م)

جـ.الحروب العثمانيه الصفويه في عهد سليمان القانوني وطهماسب الاول خليفة الشاه اسماعيل:

لم تتوقف الحروب بين الصفويين والعثمانيين بوفاة الشاه اسماعيل وسليم الاول ، بل تجددت لتجدد اسبابها

فقد تحالف طهماسب الاول مع البرتغاليين ضد العثمانيين ، لأنه كان بحاجة لبنادقهم ومدافعهم ، ولأنهم كانوا بحاجة الى استبعاد العثمانيين عن النشاط الحربي في بحر الهند بحر الاحمر والخليج العربي

وبعث سفارات شارل الخامس ملك اسبانية وامبراطور الامبراطورية الجرمانية المقدسة وعدو العثمانيين في اثناء حصارهم مدينة فيينة سنة ٩٣٦ هـ/ ١٥٢٩ م) ، ووعود بدعمه في حربه مع سليمان القانوني

وتكررت غارات اكراد فارس الصفوية على الممتلكات العثمانية في دياربكر وولاية حلب فاعلن سليمان القانوني الحرب على طهماسب

١.احتلال سليمان القانوني بغداد وقبوله مفاتيح البصره ٩٤١ هـ/ ١٥٣٤ م:

وسار على رأس جيش عثماني قاصدا الامبراطورية الصفوية وعاصمتها الجديدة وفي اواخر خريف سنة ٩٤١ هـ/ ١٥٣٤ م بينما كان يفتش عن موضع ينزل فيه وهو وجيشه لتمضية فصل الشتاء اذ جاءه موفد من محمد خان ، حاكم بغداد الصفوي ، يحمل رسالة بقي مضمونها سريا ، لكن ظهرت اثارها عندما اتجه العثمانيون الى بغداد فقد غادرها محمد خان قبلهم واستقبلت الجيش العثماني بالرحبة والترحاب ، فدخلها بلا قتال واعلنت المدن العراقية خضوعها الواحدة تلو الاخرى ، لا سيما البصرة التي قدم اميرها راشد بن مغامس مفاتيحها للسلطان العثماني

وامضى سليمان القانوني اردة

هر في بغداد ، بني في عصوبها قلعة
ها ، وجعلها ولاية عثمانية ، ونظم
حكم المحلي فيها ، وعين سليمان
شا الالباني واليا عليها ، وترك له
امية تضم الفا من المشاة المسلحين
بنادق والفا من الفرسان وقرر
٣٢,٠٠ جندي لحماية الولاية ، ثم
ادر بغداد في ٢ نيسان سنة
٩٤ هـ/ ١٥٣٥ ، وذهب شمالا

ثورة البصرة الاولى سنة
٩ هـ/ ١٥٤٦ واخمادها.

حكم يحيي رئيس احدى العشائر
ربية البصرة بعد وفاة راشد بن
امس ، وارسل السلطان سليمان
انوني في ايامه حرّم بك ليبني قلعة
اف حصونا كانت قد اعطيت لبعض
رب مكافاة لانضمامهم الى جانب
ثمانيين فاستاءوا ، واستنجدوا
حيي حاكم البصرة ، فنجدهم بمائة
سية الا ان اويس باشا ، والي
اد العثماني ، ارسل الفي جندي
حرّم بك على وجه السرعة ، فهزم
م المتمردين

لكن رفض يحيى ، حاكم البصرة ،
خضوع فسيّرت بغداد جيشا
ده ولحق بالجيش الاول جيش
ن بقيادة والي بغداد نفسه
وجمت البصرة من الجنوب
شمال ، وانتصر العثمانيون على
شاة الذين هربوا الى الاحساء

ودخلوا البصرة في ١٥ كانون الاول سنة ١٥٤٦ م ، وعيّنوا بلال محمد بك حاكما جديدا لها واسسوا فيها دار صناعة لها حوض احتفظ فيه بـ ١٥ سفينة لاستعمالها ضد البرتغاليين

د. الاضطرابات في البصرة وبغداد في عهد السلطان العثماني سليم الثاني (٩٧٤ هـ/ ١٥٦٦- ٩٨٢ هـ ١٥٧٤ م):

١ ـ ثورة البصرة الثانية سنة ٩٧٤ هـ/ ١٥٦٦ م واخمادها

وفي عام ٩٧٤ هـ/ ١٥٦٦ م ، في اوائل سلطنة سليم الثاني ، اوقف حاكم البصرة شيخا من بني عليان ، وحاول ان يقتصّ منه بسبب بعض الجرائم التي ارتكبها بعض افراد عشيرته فهرب الشيخ ، وترقب الحاكم حتى توجه الى الاحساء ، فهاجمه وضربه واستعدّ ٢٠,٠٠٠ بدوي لحصار البصرة من البر والماء ونزلوا على اطواف نخيل في نهر دجلة ، وعجزت مدافع العثمانيين عن ايقافهم ثم ترك العرب الاطواف ، واضرموا النار فيها ، ووجّهوها الى الحصون التركية ، وسبحوا هم الى الشاطىء يترقبون الحصون ويطلقون النار على كل جندي يبين فاختنقت حامية احد الحصون بالدخان كذلك اوقع العرب فرسان الترك في الشرك ، وامعنوا تقتيلا بهم مع ذلك ، لما جاءت التعزيزات من بغداد ، انسحب

الدوسية ٩٧٥ هـ/ ١٥٦٧ م . وقبل ابن عليان أن يدفع ضريبة الى حربية البصرة مقدارها ١٥٫٠٠٠ ليرة ذهبية

٢ ـ ثورة بغداد سنة ٩٧٦هـ/١٥٦٨م وإخمادها

وفى بداية عام ٩٧٦هـ/١٥٦٨م جمع الأمير الصفوى القاص ميرزا شقيق طهماسب ، ١٢٠٠٠ محارب من جيورجية والقفقاس والمنفيين . وأخفاهم فى بعض الاودية القريبة من بغداد ودخل هو متسترا بثياب تاجر وتسلل ١٥٠٠ من رجاله الى داخل المدينة وكانت خطتهم تقضى بقتل الوالى وموظفيه وكل من يعترضهم لكن وشى بهم أحد الخارجين على القانون ، وأبيد المتآمرون ، وهرب ميرزا مع ٢٠٠٠ من فرسانه

هـ. نتائج إحتلال العثمانيين العراق :

وترتب على إنتصار العثمانيين نتائج كثيرة ، يهمنا بعضها فقط

١ ـ فقد أتم العثمانيون بامتلاكهم العراق ، سيطرتهم على دروب القوافل فى العراق والشام ومصر ، وعلى منافذ الطريقين البحريين العربيين اللذين تسلكهما تجارة المرور الدولية بين بحر الهند والبحر المتوسط

صارت مصلحتهم الاقتصادية ... تقضى بانعاش التجارة فى الأجزاء الحديدة من امبراطوريتهم ، لما تستوفى الدولة من رسوم على أصنافها وما توفر أعمالها من أسباب حياة لكثير من السكان

٣ ـ وأصبحوا بالتالى ملزمين بتأمين الملاحة فى الخليج العربى والبحر الأحمر وبحر الهند ومقاومة البرتغاليين بحد السيف لمحاولتهم سد الطريقين العربيين وتحويل حركة النقل بالقوة إ الطريق الأطلسية

وقضت هذه الاعتبارات أ يقوم العثمانيون بحملات بحر بعيدة على البرتغاليين وع متاجرهم فى ساحل الدكن العر وفى الديو وفى الخليج العربى

ثالثا. قيام العثمانيي بحملات بحرية بعيدة ع متاجر البرتغاليين فى الد والخليج العربى :

بلغ عدد الحملات الحربية البحـ أربع حملات ، جرت كلها فى . سليمان القانونى ، وانطلقت اثـ منها من ميناء السويس على الـ الأحمر ، واثنتان من مرفأ البصـ فقد أدرك هذا السلطان العثم العظيم أن ازدهار العراق وسو ومصر وبالتالى الأجزاء الحد والأساسية من الأمبراطور العثمانية الناشئة ، يتوقف على إ

ـشاط الى المواصلات المائية بين بحر
ـهند والبحر المتوسط عن طريق
ـخليج العربى أو عن طريق البحر
ـحمر أو عن كليهما لذلك كان لابد
ـ محاربة البرتغاليين وحلفائهم
ـين عرقلوا تلك المواصلات ،
ـولوها الى الجهة الغربية عن طريق
ـس الرجاء الصالح

وكان لابد من تلبية نداءات
ستغاثة الصادرة عن ملوك مصادر
ـلع في الهند مثل ملك كاليكوت
٩٣هـ/١٥٢٧م وملك الديو
٩١هـ/١٥٣٢م) وملك حوررات
ـماية) الذى تعهد بدفع نفقات حملة
ـانية قوامها ١٠٠٠٠ جندى

ورأى السلطان العثمانى أن
ـرصة مواتية له ، فأمر سليمان
ـا حاكم مصر بإعداد أسطول
ـهاب لقتال البرتغاليين ، وكتب له
ـلى عليك يا بيك البكوات بمصر
ـيمان باشا ، أن تقوم فور تسلمك
ـمرنا هذه ، بتجهيز حقيبتك
ـاجاتك ، وإعداد العدة للجهاد في
ـيل الله ، حتى إذا تهيأ لك إعداد
ـطول وتزويده بالعتاد والميرة
ـخيرة ، وجمع جند كاف ، فعليك
ـتخرج الى الهند ، وتستولى وتحافظ
ـ تلك الأجزاء ، فإذا قطعت
ـريق ، وحاصرت السبيل المؤدية الى
والمدينة ، تجنبت سوء ما فعل
ـتغاليون ، وازلت رايتهم من

أ. حملة سليمان باشا الخادم الملقب بالوزير (٩٤٥هـ/١٥٣٨م) ضد البرتغاليين :

١ ـ التعريف بسليمان باشا

أصل سليمان باشا انكشارى يونانى من شبه جزيرة موره ، عمره ٥٠ سنة فيما قيل ، وهو قصير ، بدين ، دميم ، قبيح الخلقة ، شر الاخلاق ، فتاك ، عدار ، لكنه جبان ، حوار ، حواف ، لم تعهد فيه شجاعة ولا اقدام

٢ ـ إعداد الأسطول في ميناء السويس

وكانت السويس ، ميناء اعداد أسطول الحملة وانطلاقها ، قرية بائسة ، شبه محرومة من المياه العذبة منذ ٨ قرون بعد ترميل القناة التى كانت تصلها بنهر النيل ، تعيش من خدمات القوافل الذاهبة الى القاهرة ، ومن مرور الحجاج المسلمين الى مكة والمدينة ، والمسيحيين الى سيناء ، لكن نشاطها كان يزداد في وقت اعداد الحملات البحرية فيها وقد وصفها الايطالى ف بيغافتا سنة ٩٨٤هـ/١٥٧٦م ، فقال السويس بلدة صغيرة ، فيها القليل من المنازل المنخفضة الفقيرة ، يسكنها الأتراك وبعض العرب والمسيحيين واليهود المهتمين بالمكوس وبعض المرتدين من الايطاليين المغامرين وتحوى عدة

حمامات وحوامع وسوق بيع كبيرة فيها المحارن والمون والسلع ولدار الصناعة فيها حوض ماء كاف العمق، يمكنه ان يستوعب ١٥ الى ٢٠ سفينة وشاهد بيغافتا فيها ١٦ سفينة. اربع منها فقط صالحة للعمل و ١٢ مدفعا لحمايتها وتبنى دار صناعتها زوارق تجارية صغيرة لحساب السلطان. تؤجر لبعض الناس لأن الباب العالي يحتكر الملاحة

ولم يكن بناء الأسطول فيها ميسورا فالخشب مفقود فيها وفي مصر وفي بلاد الشام، ويؤتى به من خليج اياس الى الأسكندرية في البحر، ثم ينقل في نهر النيل الى القاهرة، ويحمل منها على ظهور الجمال الى السويس واليد العاملة الخبيرة مفقودة أيضا، فاستعين بمهندس بناء سفن من جنوة والملاحون مفقودون، فجيء بـ ٨٠٠ بندقي و ١٥٠٠ بحار من جميع أنحاء الامبراطورية العثمانية

لذلك تأخر اعداد أسطول حملة سليمان باشا الى ربيع سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م ولما إنتهى بناؤه، بلغ عدد سفنه ٧٠ غرابا و ٣٠ برشته حسب النهروالي و ٧٤ الى ٧٦ سفينة حسب المصادر البرتغالية لكن لم تركب صواريها ولم تنصب مدافعها عليها في السويس

٣ ـ ذهاب أسطول الحملة الى الديو وهرموز ٢٣ حزيران ١٥٣٨م/٩٤٥هـ

وغادر أسطول الحملة السويس سنة ٩٤٥هـ/٢٢ حزيران ١٥٣٨، ومر بجدة وحرر كمران وعدن والشحر والديو وهرمور

ففي جدة، نصبت الصواري والمدافع، وأخذ سليمان باشا ١٠٠٠٠٠ أشرفي من حاكمها وفي كمران رسا الأسطول واستعد قبل أن يتجه الى باب المندب

وعبر مضيق باب المندب، وذهب الى عدن وكان عامر بن داود من بني طاهر ملكا عليها وقال النهروالي لما بلغه وصول سليمان باشا للغزو في سبيل الله وقطع جادرة الفرنج عن الاضرار بعباد الله، فتح له باب عدن، وأمر أن تزين، وجمع له من البلاد ما أراد من الازواد، وتوجه هو ووزيره للسلام عليه الى الغراب الذي هو فيه فمجرد أن رأى سليمان باشا باب عدن قد فتح، أمر عسكره بدخول عدن وأخذها فلما وصل اليه عامر المشه ومن معه خلعا، ثم أمر بصلبهم على الصاري في الغراب الذي هو فيه، ونهب العسكر داره، وشرعوا في نهب البلد

وقد وصف عدن أحد البنادقة الذين اشتركوا في الحملة، فقال عنها «عدن حصينة الى أقصى حد

قع على شاطىء البحر ، تحيط بها
ـال عالية ، وتحميها قلاع
حصون وليس من جهة البحر والبر
سوى منفذين يتمثلان في فتحتين
رضهما ٣٠٠ قدم وتحرسهما
حصون هلالية وأبراج وأسوار
يمتد أمام شاطئها جبل رملي يأتي
عده ميناء جنوبي تحميه قلعة يقع
سد أسفلها برج يحرس مدخل الميناء
لذي يبلغ عمقه ١٢ باعا وينتهي بقعر
ممتاز ويقع في شمالها مرفأ آخر
وسع بكثير من الجنوبي ويتوفر الماء
يها رغم جفافها وجدب أرضها
يأتي ماؤها من المطر ، ويجمع في
صهاريج عميقة جدا يسخن فيها ،
يبرد قبل شربه»

وغدت مدينة تجارية ، تقصدها كل
ام سفن كثيرة قادمة من الهند محملة
التوابل التي تنقل الى القاهرة وقد
رك فيها سليمان ثلاث سفن لحراسة
لميناء و ٥٠٠ انكشاري

ومر سليمان باشا بالشحر ، وأخذ
ن سلطانها ١٦٠ أسيرا برتغاليا و ٦
سفن ضمها الى اسطوله وذهب
مدها الى الديو ، ووصلها سنة
٩٤هـ/١٥٣٨م ، وكانت أنباء غدره
د سبقته وبلغت مسامع سلطان
جوررات

وكانت مدينة الديو ذاتها تابعة
لمملكة كمباية أو جوررات ويحكمها
خواجا صفر الملقب خداوندخان ،
. مرتد إيطالي ولا يسيطر

البرتغاليون إلا على القلعة التي بنوها
ووضعوا فيها حامية قوامها ٨٠٠
جندي بقيادة ف باشيكو ، ومعهم
ست سفن حربية

ونزل سليمان باشا في موضع إسمه
مظفر أباد قرب الديو ففتح له
خداوندخان أبواب الديو ، فسلبها
عسكره رغم ذلك اضطر أن يتعاون
معه في حصار القلعة البرتغالية الذي
دام خمسة أسابيع تقريبا وأصيب
فيه المدافعون والمحاصرون بخسائر
فادحة فقد شقت المدفعية العثمانية
ثغرات في أسوار القلعة ، هرب منها
كثير من الجند وباشيكو نفسه
وأسروا وأغرقت المدفعية البرتغالية
عددا كبيرا من أحسن أغربة الباشا
ولم يكن الحصار محكما فدخلت
تعزيزات بحرية برتغالية عديدة الى
المرفأ وفشل هجوم شامل لاحتلال
القلعة قام به الأتراك وخداوندخان
معا في ٣٠ تشرين الأول سنة
١٥٣٨

وخاف سليمان باشا من وصول
أسطول برتغالي جديد بقيادة
د غرسيا دي نورونها من بحر الهند
على حين غرة وأوحى له خداوندخان
أن البرتغاليين أوشكو ، مثلما اعترف
رسل من قبلهم وقعوا في أسره ، أن
يفاجئوا الديو بأسطول ضخم ليفكوا
الحصار عن قلعتهم فترك سليمان
باشا مدافعه الكبيرة لخداوندخان ،
وركب أغربته ، وأبحر بإتجاه هرموز ،

عساه يلتقى في طريقه بسفن برتغالية منفردة ليسيطر عليها ولما لم يعثر على أي سفينة كر راجعا الى السويس اما جداوبدجان ، فوقع مع البرتغاليين إتفاقا يحدد حقوقهم دون أن يضطرهم الى إخلاء قلعتهم

٤ ـ عودة اسطول الحملة الى القلزم ٩٤٦هـ/١٦ ايار ١٥٣٩م

ومر سليمان باشا على الشحر ، ووضع فيها حامية عربية ، لكن غرقت ثلاث من سفنه عندها وتوقف في عدن وقوى حاميتها فأنزل فيها ٢٠٠ انكشارى و١٠٠ مدفع وذخيرة وأبقى فيها خمسة اغربة

وغادر عدن ، وجاء الى مخا ، ونزل في بندرها ، وخلع الناخوده أحمد ، وأصر على قتوله بين يديه فتهرب الناخودة احمد ، وذهب الى زبيد فانتقل سليمان باشا بأسطوله الى جزر كمران (اخر كانون الثاني سنة ١٥٣٩م/٩٤٦هـ) ، وأبحر بسفن صغيرة الى البر ، وقصد زبيد ، ونصب خيامه عند أسوارها وقطع رأس الناخودة أحمد (٩٤٦هـ/٢٧ شباط ١٥٣٩) ورجع الى أسطوله ، وعرج على جيزان التى انتزعها من شريف مكة ابى نمي بعد أن احتلها هذا الأخير ، ثم ذهب الى جدة ، وسافر منها الى مكة حاجا ، وعاد فمر وعبر منها الى القلزم بعد أحد شهرا تقريبا من مغادرته السويس ١٦ آيار سنة ١٥٣٩م .

وعاد سليمان باشا من مصر الى الاستانة ، وعزل بعد فترة وجيزة بعد احمد ورد وانتحر سنة ٩٦٠هـ/١٥٥٢ ـ ١٥٥٣م

ب. حملة بيرى ريس ٩٥٨هـ/١٥٥١م :

شغل بيرى ريس منصب قبودان اى أمير بحر في مصر فكلفه السلطان سليمان القانونى بقيادة أسطول عثماني يضم ٣٠ سفينة تحمل ١٦٠٠٠ جندى من السويس الى الخليج العربى لقتال البرتغاليين

وغادر السويس سنة ٩٥٨هـ/١٥٥١م وقطع البحر الأحمر ، وعبر باب المندب ، وتوقف في عدن وعزز حاميتها ، ومر بالشحر وفقد بعض سفنه على شاطئها . ووصل الى مياه مسقط في مطلع ٩٦٠هـ/١٥٥٢م .

وكان جاوودى ليسبو قائد حامية مسقط فحاصرها بيرى ريس شهرا كاملا فاستسلمت له بعد أن أمن المحاصرين على حياتهم لكنه أخذهم عبيدا ، واستولى على مدافعهم ومؤنهم . وأجبرهم على التجديف في مراكبه

ثم ذهب الى هرموز ، وحاصر القلعة البرتغالية فيها شهرا أيضا ، وضربها بمدافعه ، والحق بها أضرارا كبيرة إلا أنه يئس من احتلالها ، فذهب ـ

ـا استطاع من المدينة والجزيرة ـرقت عاصفة شديدة أسطوله ، لكن ـحت منه ١٥ سفينة ذهبت الى ـبصرة ، ولم يبق معه سوى ثلاث ـفن تعاطى بها أعمال القرصنة في ـخليج العربى قبل أن يصل هو أيضا ـى بندر البصرة وقيل له فيه أن ـبرتغاليين يتعقبونه ، فحاول الخروج ـن الخليج بثلاثة مراكب ، فقد أحدها ـمام البحرين ، وتمكن من التخلص ـن أعدائه بالمركبين الباقيين وعاد ـهما الى السويس ومنها الى ـقاهرة بغنائم جمة

وهكذا فشلت حملة بيرى ريس ـشلا ذريعا ، فحوكم بتهمة التقصير السلب والنهب بناء على طلب والى ـبصرة العثمانى ، فحكم عليه ـالاعدام ، ونفذ به سنة ـ٩٦هـ/ ١٥٥٤م

ـ. حملة مراد بك : ٩٦١هـ/١٥٥٣م :

عين مراد بك أمير بحر في مصر سنة ١٥٥ـم خلفا لبيرى ريس وكلف ـعادة السفن الى السويس فذهب ـ البصرة . وأقلع بتلك المراكب في ـهر اب سنة ٩٦١هـ/١٥٥٣م إلا البرتغاليين اعترضوه مقابل ـرمز ، فأغرقوا أفضل سفينة ـه ، وخرج باقى سفنه الى خليج ـ محاربا صحار وقلهات وهناك ـه أسطول برتغالى كان مؤلف من ـسفينة بقيادة ف دى نورونها فكر راجعا الى البصرة ، وأبلغ الباب العالى بفشله

د. حملة على بن الحسين الخليجية سنة ٩٦٢هـ/١٥٥٤م :

لم يتخل السلطان سليمان القانونى عن محاربة البرتغاليين في الخليج العربى ففى عام ١٥٤٤م/٩٦٢هـ ، كان في مدينة حلب ، فعين عليا بن الحسين أمير بحر وكلفه بجلب السفن العثمانية من البصرة الى السويس فذهب على بن الحسين الى شط العرب واستلم قيادته البحرية وخرج بأسطوله الذى كان يضم ١٥ سفينة ، واتجه الى الجنوب فمر ببوشير والبحرين وجزيرتى قيس والقسم ، وجلفار ورأس مسندم ، وأصبح في خليج عمان

وهنا هاجمته قوة بحرية برتغالية أولى قوامها ٢٠ سفينة في شهر آب سنة ١٥٥٤م وتكبد بعض الخسائر ، لكنه أكمل طريقه محاربا شاطىء صحار ومسقط وقلهات فهاجمه أسطول برتغالى كان مؤلف من ٣٤ سفينة وقاومته الطبيعة أيضا ، إذ هبت عليه عاصفة عاتية ، بددت سفنه ، وقذفتها الى الشرق ، وساقتها رياحها نحو الديو وسرت ، واضطر القبودان أن يرمى مدافعه في البحر ليحمى مراكبه ، فأصبح عاجزا عن مجابهة البرتغاليين ، ولجأ الى مرفأ

دمن بعد ثلاثة اشهر من اقلاعه من البصرة وتخلى عن سفنه الباقية الى حداوبدحان الذى تعهد بإرسال ثمنها الى الاستانة

ولما سمح له بالعودة الى بلاده ، استصحب معه ٥٠ من رجاله . ورجع عن طريق البر الى تركيا ، ومر بالسند وما وراء النهر وخراسان وفارس ووصل فى شهر نيسان سنة ١٥٥٧م الى ادرينوبل حيث استقبله السلطان سليمان القانونى فقدم له كتابه المحيط المعروف وتوفى على بن الحسين سنة ١٥٦٢م فى السنة التى اعدم فيها بيرى ريس

وهكذا انتهت حملات سليمان القانونى البحرية على البرتغاليين الى الفشل مثلما أخفقت حملة قانصوه الغورى عليهم قبله بثلاثين عاما لكن هذا لا يعنى أن الفريج نجحوا فى إيقاف التجارة الدولية فى الخليج العربى أو البحر الأحمر على الدوام فقد ظلت أوضاعهم مضطربة الى أن تغلب أهل الخليج أنفسهم على جميع اجراءاتهم ، وعادوا الى مزاولة نشاطهم التجارى ووساطتهم بين بحر الهند والبحر الأحمر ، مثلما كانوا يفعلون قبل مجىء فاسكو داغاما الى بحر الهند

وعادت الأمور الى ما كانت عليه فى أقل من ربع قرن ، أى منذ النصف الثانى من القرن السادس عشر

القسم الثالث

استمرار وصول السلع إلى الخليج العربي وشحنها إلى البحر المتوسط وإلى بحر الهند

لم يؤثر فتح طريق رأس الرجاء الصالح على وصول التوابل والسلع الأخرى الى المياه العربية وبنادرها ↵ انتبه المؤرخون الألمان هذا الواقع سواهم ، لأن البندقية لم تتوقف ... من بلادهم بالتوابل وسلع ... بالتالى لم تستطع البرتغال أن تقطع جميع مسالك التجارة الدولية وطرق وصول أصنافها الى البصرة فبغداد فحلب فطرابلس أو بيروت ، او الى القاهرة فالأسكندرية ، ثم الى أوروبا الجنوبية والوسطى بسفن البندقية خاصة وسفن مدن أخرى كثيرة

ولا : انقطاع شحن التوابل الى
لأراضي العربية في الربع الثاني من
لقرن الـ ١٦ :

ولا شك أن نجاح البرتغال في البدء
الوصول الى مصادر السلع الشرقية
في شرائها من منتجيها مباشرة ، أثار
زمة خانقة في البنادر العربية في
لخليج والبحر الأحمر والبحر
لمتوسط وفي جمهورية البندقية خاصة
ن تجارها مالوا الى التشاؤم وأدركوا
تأخرين نتائج السياسة التجارية
برتغالية ، وتوقعوا حصول كارثة
قتصادية في مدينتهم بعد أن أحدث
أسعار تتعرض عندهم الى تقلبات
اجئة مدهلة نشأت عن الاجراءات
برتغالية وعن ردود فعل البندقية
سيدة الأسواق الأوروبية

- الإجراءات البرتغالية

وتلخصت التدابير البرتغالية فيما

- حدد الملك دون مانويل سعرا
رسميا واحدا لبيع الفلفل سنة
٩١٠هـ/١٥٠٤م ، وحصر تجارة
توابل بالتاج البرتغالي وحده
- قطعت التوابل قطعا شبه كامل
. أسواق الأسكندرية وبيروت
طرابلس والأسكندرونه ففي عام
١٥٠٠م وجدت أربع بالات فلفل
في بيروت ، ولا شيء البتة في بيروت
لا كندرية سنة ١٥٠٤ و ١٥٠٦
العثور على حمولة توابل لأي
سفينة في تلك السنوات

٣ - حلت لشبونة محل البندقية في
كثير من الأسواق الأوروبية ،
فسيطرت البرتغال على سوق هولندة
سنة ١٥٠١ ، وسوق انكلترة سنة
١٥٠٤ بعد وصول خمس سفن
برتغالية مشحونة بـ ٣٨٠ طنا من
الفلفل والتوابل من كاليكوت مباشرة ،
وسوق ألمانيا الشمالية والوسطى سنة
١٥٠٧ ، وسوق فرنسة العربية
وقشتالة بعد سنة ١٥٢٤

٤ - وأخذت السفن البرتغالية
ذاتها توزع التوابل على موانىء البحر
المتوسط مثل جنوة (١٥٠٣)

ب - ردود فعل البندقية

حاولت البندقية أن تقاوم توسع
البرتغاليين في أسواق التصريف بشتى
الوسائل

١ - فسمحت في شهر أيار سنة ١٥١٤
بنقل التوابل من مرافىء المشرق بسفن
غير سفنها وأعفتها من الرسوم
الجمركية عند دخولها الى أراضيها

٢ - ولم تقف عند هذا الحد ، بل
تقربت من البرتغال ، فجلبت سنة
١٥١٥ ما ينقصها من التوابل من
لشبونة ذاتها

٣ - وفي عام ١٥٢٧ . عرض مجلس
شيوخ البندقية على ملك البرتغال أن
يشتري كل التوابل الواصلة الى
لشبونة من الهند ، ما عدا الكمية
اللازمة لاستهلاك البرتغال ، ويوزعها

فى اوروبة . مما يدل على وضع البندقية الحرج وعلى احتلال لشبونة الأسواق الأوروبية على نطاق أوسع مع مرور الزمن وقبول العرض بالرفض البات

لكن لم يدم النصر البرتغالى الأولى طويلا فسرعان ما عادت تجارة التوابل الى ما كانت عليه قديما . وذلك منذ النصف الثانى من القرن السادس عشر

ثانيا . استئناف شحن التوابل الى الأراضى العربية فى النصف الثانى من القرن السادس عشر :

مع ذلك ، لا يجوز أن نتصور أن شحن التوابل وغيرها من السلع الى البنادر العربية انقطع إنقطاعا تاما فى وقت من الأوقات ، لأن الاف الوثائق المصرية والأوروبية ، خاصة وثائق البندقية ومرسيلية ولشبونة ، تثبت وجود تنافس شديد بين التوابل المتوسطية اى الواردة عن الطريقين العربيين والتوابل الأطلسية أى الواردة عن الطريق العربية ، وإزدهار حركة التجارة الدولية فى المياه العربية فى الخليج والبحر الأحمر ، ودوام عبور السفن المحملة بالسلع فيهما بانتظام حتى نهاية القرن السادس عشر

...تنافس بين التوابل المتوسطية ...بين الأطلسية :

...توقف إرسال التوابل

المتوسطية الى مرفأ انفرس وبلجيكا فى النصف الأول من القرن السادس عشر وربما بعد هذا التاريخ

١ ـ ففى عام ١٥١٠ ، كانت إحدى السفن تنتقل بين الأسكندرية وانفرس حاملة التوابل

٢ ـ وفى عام ١٥٤٠ ، اثرت التوابل المتوسطية فى أسعار سوق انفرس ففرض الايبيريون (البرتغاليون واسبانيا) حصارا «توابليا» على فرنسة مما أدى الى تنشيط حركة مرسيلية التجارية بأنواع التوابل

(١) بالفعل شحنت مرسيلية سنة ١٥٤٣ فلفلا الى مدينتى ليون وطولوز

(٢) وتبادل الفرنسيون والانكليز شراء وبيع التوابل فى منتصف القرن السادس عشر ، لا سيما فى روان ولاروشيل وبوردو

(٣) وفرضت قشتالة عام ١٥٥٩ ، رسوما جمركية مقدارها ١٠٪ من قيمة التوابل الداخلة الى أراضيها فتضرر الفلفل البرتغالى

(٤) وفى عام ١٥٦٥ ، وصلت شحنات فلفل من مرسيلية الى روان (نورماندية) ونافست فى طولوز الفلفل البرتغالى الذى كانت تبيعه مدينة بوردو

(٥) وارتفعت أسعار التوابل فى لشبونة عام ١٥٩١ لعدم وصول ... سفينة اليها من الهند ، وبقيت اسعار الفلفل ثابتة لأن البندقية تلقت كم...

كبيرة منه من المشرق (تواصل سطحية)
٦) وتبين في آخر القرن السادس عشر ... الفلفلين الأطلسي والمتوسطي يتنافسان دون أن يستبعد احدهما الآخر

وتعني هذه الوقائع المادية أن العرب استأنفوا ترويد مرافئ البحر المتوسط بالتوابل عبر طريقيهم المائيين. وقد استفاد من هذا النشاط المستحد التجار الأوروبيون. وفي طليعتهم البنادقة، وبعدهم تجار مرسيلية وتجار راغوز في صقلية. استقر تجار البندقية في الأسكندرية القاهرة ودمشق وحلب، واستعانوا ب الوسطاء اليهود المحليين الأثرياء. ويدل وجود التجار الأوروبيين في مرافئ التجارة الدولية على البحر المتوسط دلالة قاطعة على ازدهار التجارة الدولية بين الشرق والغرب عن طريق الخليج العربي في معظم الأحيان وعن طريق البحر الاحمر أحيانا أخرى

ـ. ازدهار حركة تجارة المرور الدولية في الخليج العربي والبحر الأحمر:

يتصور بعض المفكرين أن الطريقين العربيين، طريق الخليج وطريق البحر الأحمر، يتنافسان ... حمان، وأن انتعاش احدهما ... م الركود في الآخر والحقيقة أن الظروف الدولية هي التي كانت تفرض على التجارة الدولية اختيار هذا الطريق أو ذاك أو امكانية سلوكهما معا

١ ـ فالحركة التجارية تباطأت في الخليج العربي في أثناء الحرب بين العثمانيين والصفويين في عهد سليم الأول وفي عهد سليمان القانوني، وفي أثناء الحروب البحرية البرتغالية العثمانية. وأدى ركودها الى توقف القوافل عن الذهاب الى حلب التي يرتبط نشاطها بنشاط مملكة هرموز. وقد يئس أحد التجار الراغوزيين من هذا الوضع، فقال في شهر تموز سنة ١٥٥٧ لا أظن أن السلع فقدت في حلب مثلما فقدت في هذه الأيام فليس فيها سوى الصابون والرماد وسعر العفص ١٣ الى ١٤ دوكا وسوف تقفز الأسعار قفزا الآن لأن أربع سفن فرنسية وصلت الى طرابلس التي ترسو فيها أكثر من ثماني سفن أخرى تشتري السلع بالسعر المعروض. وسوف ينكسر جميع التجار

٢ ـ على النقيض، أعلن سفير البندقية في الاستانة في شهر تشرين الثاني سنة ٩٧١هـ/١٥٦٣م أي بعد انتهاء الحروب البحرية البرتغالية العثمانية، أن سفن البندقية الضخمة أقلعت من طرابلس الى أوروبة. وأشار تقرير من البندقية أيضا (٩٧٠هـ/١٥٦٢م) ان ٥٠٠٠

عامل يعملون في الحياكة في مدينة حلب وتعبر هذه الأقوال عن انتعاش حركة التبادل التجارى عن طريق الخليج بعد زوال أسباب توقفها ، أى الحروب

٣ ـ أخيرا إزدهرت الحركة التجارية في البحر الأحمر في أثناء الحرب العثمانية الصفوية في البر والحروب العثمانية البرتغالية في البحر وعند مدخل الخليج العربى أو فيه

وموانىء التجارة الدولية كثيرة في البحر الأحمر ، منها جدة وسواكن والطور والسويس . إلا أن أهمها جدة فمن جدة تنطلق السفن والزوارق محملة بالسلع الى الطور وتنقل القوافل تلك السلع الى القاهرة في غضون ٩ أو ١٠ أيام ويصل ألف الى ألفى طن من التوابل سنويا الى جدة في شهر أيار وشهر تشرين الثانى . وتشحن كلها الى القاهرة فالأسكندرية حيث تباع الى الأوروبيين

(١) ففى عام ٩٦٢هـ/١٥٥٤م اشترى البنادقة وحدهم ٦٠٠ بالة توابل أى ٣٠٠ طن أو ما يعادل نصف مبيعات مصر

(٢) وبين عامى ٩٦٨هـ/١٥٦٠م و ٩٧٢هـ/١٥٦٤م ، قدر تقرير أحد جواسيس البرتغال حركة بيع وشراء الفلفل ما بين ١٢٥٠ و ١٥٠٠ طن في شهر أيار سنة ١٥٦٥ ، ذكر ... البندقية في القاهرة أن

١٠٠٠ طن من الفلفل وصلت الى جدة ولابد أن يضاف اليها ما يأتى في تشرين الثانى من حوررات وكاليكوت

ولا تتضمن هذه الأرقام ما يشحن عن طريق الخليج العربى في أيام السلم لذلك يستنتج العارفون أن نصيب الطريقين العربيين من شحن السلع يعادل ما يشحن عن طريق المحيط الأطلسى الى لشبونة ، بل يزيد عليه

ولا تشتمل هذه الأرقام أيضا على العقاقير الطبية (الأفيون ، البلسم) والحرير والعطور والحجارة الكريمة واللآلىء وغيرها ، ولا على السلع المنقولة من البحر المتوسط الى بحر الهند

ففى عام ١٥٦١ ، انطلقت سفينة اسمها كروس ، حمولتها ٥٤٠ طنا من البندقية الى المشرق مشحونة بالنحاس الخام والأجواخ والمنسوجات الصوفية والحريرية والمرجان والعنبر والطرف والورق والنقود ، وعادت بحمولة من الفلفل والزنجبيل والقرفة وجوز الطيب والقرنفل والبخور والصمغ العربى والسكر وخشب الصندل

٤ ـ نتائج إزدهار تجارة الطريقين العربيين

ترتبت على إزدهار الطريقين العربيين ثلاث نتائج كبرى

(١) النتيجة الأولى تضاءل وصـ ـ

ج. دوام عبور السفن المحملة بالسلع في الخليج والبحر الأحمر :

مهما يكن ، بقي الطريقان العربيان ، طريق الخليج العربي وطريق البحر الأحمر ، يستقبلان السفن المحملة بشتى السلع من عام ١٥٨٠ الى آخر القرن السادس عشر ، ويستدل على ذلك من الوثائق التي تتحدث عن النشاط التجاري في موانئ البحر المتوسط ، التابع لنشاط الطريقين

١ ـ انتعاش تجارة بلاد الشام تبعا لانتعاشها في الخليج العربي

(١) فوثائق مرسيلية لصيف عام ١٥٧٨ تذكر شراء جوز الطيب من سورية

(٢) وتشير احدى رسائل تاجر من تجار حلب ، محررة في شهر كانون الثاني سنة ١٥٧٩ ، الى شحن سفينتين كبيرتين من سفن البندقية بالسلع من طرابلس الشام ، في حين تتأهب سفينة كبيرة ثالثة لترسو في بندرها في الشهر ذاته وانخفضت أسعار الأحواج في طرابلس لكثرة ما وصل اليها من أوربة

(٣) ونصت رسالة من تاجر حلبي آخر تاريخها ١٢ أيار سنة ١٥٧٩ ، على وصول قافلة حلبت ٢٠٠ حمل من الحرير و ٢٥٠ حملا من التوابل يصحبها تجار فرس ومسيحيون

(٤) وفي ٤ تموز ١٥٧٩ أيضا ، ورد في

...لفل والتوابل الى لشبونة ففي ...هر تشرين الثاني سنة ١٥٦٠ قال ...سفير البرتغالي في رومة لا عجب ا قلت كميات التوابل الواصلة الى ...بونة ، لأن مقادير هائلة منها ...ملت الى الأسكندرية وفي شهر ...سان سنة ١٥٦١ سر السفير ...رنسي في البرتغال لندرة التوابل في ...بونة ، وقال إذا استمر شحن

...توابل الى البحر الأحمر على هذا ...نوال ، فسوف تفرغ مخازن ملك ...رتغال الذي يخشى هذا الاحتمال ...د ان جارت مدة طويلة لملئها

٢) النتيجة الثانية فقدت التوابل ... الأسواق التي تتعامل مع ...رتغال وأخذ تجارها يفتشون عن ...صادر تموين في لشبونه

...) النتيجة الثالثة في أواخر سنة ١٥٦... ، جرت مفاوضات صلح بين ...رتغال والسلطان سليمان القانوني ... عدل عن التورط في التوترات ...سائدة بين الهنود والبرتغاليين في ...هند ، فخلع خلعا على السفراء

...رتغاليين مع الباب العالي وطلب ... حق إدخال السلع الهندية الى ...اهرة والأسكندرية وسورية عن ...ريق البحر الأحمر معفاة من ...سوم فرفض طلبه ولم يمنح هذا ...يار فهل كان في نية البرتغاليين ...ل عن سلوك الطريق العربية ؟

قـائمـة سلـع مستـريـات سفن توسكانية ١٧ قطعة انسوس (٢٠٥ ليرة) . سكر (٩٣٦ ليرة) . بالة حرير صغيرة (١٠٢ ليرات) . بخور (١١٨٥ ليرة) . حور طيب (٢٣٦ ليرة) . فلفل (٦ ٧٧ ليرات)

(٥) وفي سهر اب سنة ١٥٧٩ ، اعلن قنصل البندقية في سورية عن سفر سفينتين كبيرتين بندقيتين ، مسحونتين بالحرير والتوابل الى بلاده

٢ ـ ازمة نشاط تجاري عابرة في بلاد الشام

لكن حصلت ازمة تجارية في عامي ١٥٨٢ و ١٥٨٣

(١) ففي كانون الأول سنة ١٥٨٢ ، تتحدث إحدى رسائل حلب عن صغر حجم الأعمال التجارية وعن خسائر عقودها الفادحة ما عدا الحرائر

(٢) وفي سهر تمور سنة ١٥٨٣ ، ساءت الأعمال حتى فقدت رؤوس الأموال ٨ من قيمتها ولوحظ وجود الأزمة ذاتها في الأسكندرية

٣ ـ تجدد النشاط التجاري في بلاد الشام

إلا أن الأوضاع تبدلت بعد سنة ١٥٨٣ ، وعاد النشاط التجاري الى سابق عهده

(١) فقد قال أحد تجار مرسيلية المقيم ... في شهر نيسان سنة ... أن أسعار الفلفل إرتفعت كثيرا رغم وجود كميات كبيرة منه

(٢) وذكر جوهن الدريد سنة ١٥٨٣ أن التجار الأوروبيين يقصدون طرابلس بكثرة ، وأن حلب مزدحمة بالسكان

٤ ـ النشاط التجاري في البصرة والأسكندرية

وشاهد جوهن الدريد نفسه في العام ذاته ١٥٨٣ ، ٢٥ عرابا عثمانيا في البصرة ، وقال أن عدة سفن تأتي اليها من هرمور شهريا ، تتراوح حمولتها بين ٤٠ و ٦٠ طنا ، محملة سلعا هندية تسمل التوابل والعقاقير والنيلة وأقمسة كاليكوت وعندما رجع الى حلب ، سافر في قافلة مؤلفة من ٤٠٠٠ حمل تنقل التوابل والسلع الأخرى كذلك كان بالامكان الحصول على جميع أنواع التوابل من الأسكندرية

٥ ـ النشاط التجاري في هرموز

وبين سنة ١٥٨٤ و ١٥٨٧ ، رفع تقرير الى فيليب الثاني ملك أسبانيا والبرتغال وخليفة شارل الخامس ، وصف أوضاع هرمور في أواخر القرن السادس عشر على الوجه التالي

«تستقبل هرمور جميع المهاجرين وتتعاطى جميع أنواع التجارات والتهريبات ويأتي اليها السادة والأرمن والعثمانيون والبرتغاليون المرتدون ، ويذهبون الى الأمبراطورية العثمانية حيث تخدم معارفهم التمـ...

عن الهند تجارة التهريب وتجارة التوابل واللؤلؤ والراوند وصمغ جاوه وخشب الصندل باتجاه العرب، والسلع المهربة كالذخائر والأسلحة الحديثة باتجاه الشرق»

٦ ـ النشاط التجارى فى البحر الأحمر جدة

ويبدو أن نشاط التجارة فى البحر الاحمر كان لا يقل عن نشاطها فى الخليج العربى، خاصة فى بندر جدة

(١) ففى سنة ١٥٨٦، بلغت الرسوم الجمركية ١٥٠٠٠٠ دوكا نصفها للسلطان ونصفها لشريف مكة وكانت ٤٠ الى ٥٠ سفينة ترسو فى جدة سنويا، وتجلب اليها التوابل

(٢) وفى سنة ١٥٨٧، كانت سفن تمطرة تسافر مباشرة الى جدة

(٣) تم انتقل التجار الذين كانوا يتعاملون مع جدة وهرموز من الديو وجو الى شيول وكان ذلك سنة ١٥٩٠

خاتمة

فشل قانصوه الغورى وسليمان القانونى فى ابعاد البرتغاليين عن الخليج العربى والبحر الأحمر فى القرن السادس عشر لكن نجحت اعمالهم الحربية والسياسية فى إنهاك الفريح ماديا ومعنويا رغم محافظتهم على مراكزهم فى الخليج العربى

وعجز البرتغاليون عن منع تدفق السلع الشرقية على موانئ البحر المتوسط عبر الطريقين العربيين

ومع اطلالة القرن السابع عشر، سادت أوضاع دولية جديدة فى بحر الهند وفى الخليج العربى شكلت خطرا حقيقيا على المصالح الاقتصادية العربية، بل مثلت بداية الاستعمار الأوروبى

فقد جاء الانكليز والهولنديون الى الخليج، وتحالفوا مع شاه فارس عباس الأول وقضوا على البرتغاليين، فساعدوا الشاه الفارسى على احتلال هرموز، وصفوا مواقعهم الأخرى

وثبت العثمانيون هيمنتهم على العراق، وقسموه الى ولايات عثمانية، منها ولاية البصرة التى شملت عشرين سنجقا، وامتدت نظريا حتى رأس مسندم

ولعبت عمان دورا أساسيا فى الاجهاز على المواقع البرتغالية فى أراضيها

وهكذا طوى التاريخ الحقبة البرتغالية، وبدأت الحقبة الأوروبية وإقامة ركائز الاستعمار الأوروبى فى المحيط الهندى وفى أنحاء العالم

مراجـع مختـارة

مراجع عربية

أحمد ، محمد عبد العال ، البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه ، نصوص جديدة ، الأسكندرية ، ١٩٨٠

الأصفهاني ، محمد بن محمد بن حامد ، تاريخ دولة آل سلجوق ، بيروت ١٩٨٠

الباز عريني ، المماليك ، بيروت ، ١٩٦٧

سرهنك ، اسماعيل ، تاريخ الدولة العثمانية ، بيروت ١٩٨٨

قلعجي ، قدري ، الخليج العربي ، بيروت ، ١٩٦٥

النهروالي ، قطب الدين محمد بن احمد ، غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة المسمى البرق اليماني في الفتح العثماني ، الرياض ، ١٩٦٧

مراجـع أجنبيـة

Braudel, F., La Me diterrane´e et le Monde Me´diterrane´en a` l'e´poque de Philippe II, Paris, 1982.

Da mes, M.L., The Book of Duarte Barbosa, Nendeln, 1967.

Kammerer, A., *La Mer Rouge, l'Abyssinie et l'Arabie depuis l'Antiquite* , 3 vols., Le Caire, 1947-1949.

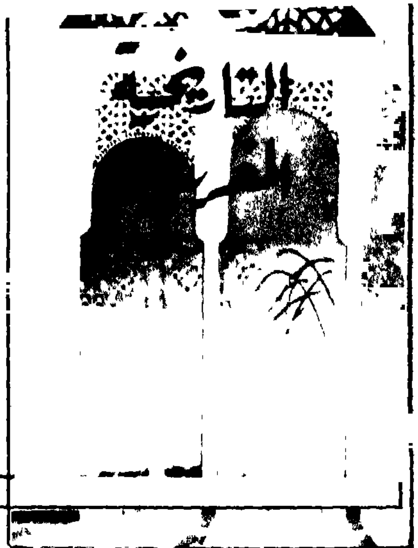
Mills, J.V.G., The Overall Survey of the Ocean's Shores (1433), Cambridge, 1970.

Planhol, Xavier de, Les Fondements Ge´ographiques de l'Histoire de l'Islam, Paris, 1968.

Yule, Sir Henry, Cathay and the Way Thither, Nendeln, 1967.

وأحداث ال

في ظل الح



اتناول في دراستي هذه نقطتين رئيسيتين هما
اولا معالجة بعض المصادر التاريخية الخليجية لموضوع عوامل انهيار الاحتلال البرتغالي بالخليج العربي في ظل الحكم العثماني
ثانيا أوضاع الخليج العربي في مطلع القرن التاسع عشر كما جاء في مصدر تاريخي مغربي معاصر

أولا : معالجة بعض المصادر التاريخية الخليجية لموضوع عوامل انهيار الاحتلال البرتغالي بالخليج العربي في ظل الحكم العثماني :

ان القاء نظرة عامة على الادوار ...سية التي قام بها جناحا الوطن ... في المشرق والمغرب عند مطلع العصور الحديثة بوجه خاص، تؤكـ لنا الحقائق التالية

١ ـ لأول مرة يرتبط الجناحان مباشـ عن طريق الرحلات البحرية التـ قام بها الرحالة الاوربيو والبرتغاليون والاسبانيون بصـ خاصة

٢ ـ لقد تعرض جناحا الوطن العر في المغرب والمشرق لاخطـ خارجية بسبب الموقع الجغر وغنى المنطقة واستهـد

ليج العربي
كم العثماني

بقلم : الدكتور

عبدالكريم

كريم (المغرب)

الحملات العسكرية البرتغالية عند احتلال مدينة سبته سنة ١٤١٥م ومهاجمة الخليج العربي سنة ١٥٠٨م التوغل في قلب الوطن العربي لاستغلال الارض واستعباد السكان وتهديد المنطقة في مقوماتها الدينية والروحية والقومية

- ظلت جبهتا الوطن العربي قلعتين حصينتين في مواجهة التحديات الاستعمارية الخارجية وبذلتا من التضحيات بالنفس والمال والأهل والولد ما خلده تاريخنا العربي في صفحات مشرقة ناصعة

- لقد أفسد صمود الجبهتين العربيتين في المشرق والمغرب على الغزاة كل محاولة للتدخل والتمركز والاحتلال، فكان ان نجا الوطن العربي من اخطار كانت تهدده في وجوده ومصيره

٥ - نجاح المجاهدين المغاربة في القضاء على الحملة البرتغالية التي قادها الملك البرتغالي (دون سباستيان Don Sibastian) بوادي المخازن قرب مدينة القصر الكبير يوم الاثنين ٣٠ جمادى الاولى عام ٩٨٦ هـ الموافق ٤ اغسطس ١٥٧٨ م اراح الخليج العربي والجزيرة العربية من عدو خطير ظل يتوعد المنطقة ويهددها طوال ثلاثة ارباع القرن السادس عشر ومكن المجاهدين في الخليج العربي من القضاء على قواعد احتلاله وتصفية وجوده

والمؤرخ المغربي المعاصر عبدالعزيز الفشتالي في كتابه «مناهل الصفا في مواليا الشرفا» خير من يتحدث لنا عن معركة وادي المخازن وأهم نتائجها وكيف انتهى الأمر بعد القضاء

على الحملة البرتغالية ومقتل الملك البرتغالي بتدخل الملك الاسباني فيليب الثاني حال الملك البرتغالي على راس حملة عسكرية وضم الامبراطورية البرتغالية وتوحيد شبه جزيرة ايبريا عام ١٥٨٠م كان لمعركة وادى المخازن صدى كبير في المشرق العربي. وقد دون الرحالة المغربي المعاصر أحمد بن القاضي في مخطوطه «المنتقى المقصور» جانبا من ذلك «ومما شاهدته من سيرة اهل المشرق باهل قطربا حينئذ لما انتهى اليهم خبر العروة العظيمة مايكل عن وصفه اللسان قائلين هذا من اهل العروة المشهورة بما لا يدركه الا من شاهد ذلك، وصار لنا بذلك بينهم حظ عظيم» (ص ١٠١) ويضيف قائلا

«ان امرها عظيم على الترك (العثمانيين) جدا غيرة منهم أن يكون مثلها على يد أمير عربي فامتلأوا منها غيظا وامتلأ العرب منها فرحا وسرورا» (ص ١٠١) ومن جهة اخرى فقد سجل أحد الشعراء المعاصرين بالمغرب الكثير من هذه الاحداث السياسية والآمال التي اصبح المشرق يعلقونها على الخليفة احمد المنصور السعدي ... وادي المخازن

١) ان شرق البلاد يرحول شوق... مثلما يرتجى طلوع الهـ...
فادرك مصر والعراق ويمـ... حرم الحي الكم حير

(الشاعر عبدالعزيز القشتالي مناهـ... القشتالي ص ١٥٧)

٢) وهدي الشام وهدى العراو... ستمسي لكم وهي دار الـ...

(الشاعر علي بن أحمد المسفيرن مناهل الصفا ص ١٦١)

٣) وتحقق بالوادي المقدس راد... عليك وتلوى فيه الوبة ...

(الشاعر محمد علي الهورالي مناهل الصفا ص١٤٢)

٤) ومما يؤكد صدى معركة وادى المخازن في الخليج العربي البيت الشعري التالي للشاعر المغربي عبدالعزيز القشتالي يخاطب الخليفة المنصور السعدى

فكم هنات ارض العراق بك العلا ... ووافت بك البشرى لاطراف ...

ان الدافع الذي جعلني اتعرض لذكر معركة وادى المخازن ونتائجها والصدى الذي احدثته في الشرق العربي خلال الربع الاخير من القرن السادس عشر، هو انني وقفت على مصدرين تاريخيين يتحدثان عن الاحتلال البرتغالي للخليج وعوامل انهياره الأول لصديقنا الاستاذ الدكتور مصطفى عقيل الخطيب الاستاذ بجامعة قطر وعنوانه «التنافس الدولي في الخليج العربي» وقد أهداني اياه عندما حضر «ندوة

محمد الخامس الدولية» في
ط بالمغرب (نوفمبر ١٩٨٧)
لثاني للاستاذة بالمملكة العربية
ودية نوال حمزة يوسف، نالت به
الماجستير في التاريخ الاسلامي
انه «النفوذ البرتغالي في الخليج
ي»
اء في كتاب «التنافس الدولي في
ج العربي» (ص ٤٥ - ٤٦) عند
ث عن اسباب تحرير هرمز ذكر
امل التى أدت الى نهاية
اطورية البرتغالية في الشرق
ة عامة، منها «ان الشعب
الي كان محدود العدد وان
المستعمرات كانت تكن لهم
هية وان عامل الوقت لعب دورا
في انهيار الامبراطورية الشرقية
ان البرتغال فقدت استقلالها
١٥٨٠ وانضمت الى العرش
اني»
يف فقدت البرتغال استقلالها،
سباب ذلك ؟ انها معركة وادى
ن وبالنسبة لمؤلف الاستاذة
النفوذ البرتغالي في الخليج
ي» (ص ١٨١) عند التحدث عن
ة التنافس بين القوى الاوربية
طرة على تجارة الخليج العربي»
مراحل هذا التنافس وكيف
قوى جديدة اوربية منافسة
ال في الخليج دون تعليل اسباب
الوجود البرتغالي في الخليج
سنة ٩٨٨ هـ ١٥٨٠ م استولى
فيليب ملك اسبانيا على البرتغال بعد وفاة ملكها هنري» فما الاسباب التي جعلت الملك الاسباني يستولي على البرتغال ويوحد الامبراطوريتين الاسبانية والبرتغالية ؟ إنها مرة ثانية معركة وادى المخازن التي تحطمت فيها القوات العسكرية البرتغالية وقتل فيها الملك البرتغالي دون سباستيان والآلاف من وجهاء القوم في البرتغال والملك هنري هو الكاردينال هنري عم دون سباستيان الذي تركه نائبا عنه في لشبونة عند قيادته للحملة العسكرية ضد المغرب

ثانيا : أوضاع الخليج العربي في مطلع القرن التاسع عشر كما جاء في مصدر تاريخي مغربي معاصر :

من المصادر التاريخية المغربية التي انفردت بتدوين معلومات هامة عن الخليج العربي في مطلع القرن الثالث عشر الهجرى التاسع عشر الميلادى كتاب

١ - الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا
٢ - مخطوط (الترجمان المعرب على دول المشرق والمغرب) - دار الوثائق بالرباط (د ٦٥٨) وهما لابي القاسم الزياني (١١٤٧ - ١٢٤٩ هـ) (١٧٣٤ - ١٨٣٥ م)

فقد ساعدته الظروف كسفير للسلطان محمد الثالث لدى السلطان العثماني في اسطنبول على الوقوف على كثير من اخبار المشرق العربي ومنطقة الخليج العربي بوجه خاص وهو يقول «واعتمدت فيما سطرت على ما طالعته من مصادر التاريخ وعلى ما طالعته بالقسطنطينية العظمى أيام سفارتي لها من سلطات المغرب بحضرة السلطان العثماني عبدالحميد رحمة الله عليه فقد أمر الوزير قيمها ان يفتح لي الباب ويطلعني على دفتر الكتب وكل كتاب تعلقت به همتي يبرله لي اطالع فيه واقيد وقد طالعت منها تواريخا متعددة كل واحد يشتمل على عدة مجلدات» (الترجمان ص ٢ ـ ٣)

يضاف الى ذلك مشاهداته وما سمعه ممن التقى بهم من الحجاج في موسم الحج حيث يقول «وانما رسمت فيها ما شاهدته في الاقاليم التي بلغتها وغيره نقلته ممن اجتمعت بهم بالحرم الشريف ومكة» (الترجمانة ص ٣٣)

فما أهم المعلومات التي دونها المؤرخ الرياني عن الخليج العربي في مطلع القرن التاسع عشر، يمكننا ان نرتب هذه المعلومات كالتالي

- معلومات عامة عن طبيعة المنطقة
- وصف عام لعمرانها وعناصر سكانها وبعض مذاهبهم
- الاقتصادية

٤ ـ الاوضاع السياسية

١. طبيعة المنطقة :

كان الخليج العربي يعرف بالخليج الاخضر، وكان ينقسم الى بحار داخلية عديدة تحمل اسماء المناطق التي تجاورها الابلة ومكران وكرمان الى ان ينتهي الى الابلة حيث عبادان فهناك ينتهي آخره ثم ينعطف راجعا الى جهة الجنوب فيمر ببلاد البحرين واليمامة ويتصل بعمان وهناك اتصاله بالبحر الهندي وطول هذا البحر اربعمائة فرسخ واربعون فرسخا) (١)

وهذا الخليج (بحر مبارك كثير الخير دائم السلامة وطي الظهر قليل الهيجان بالنسبة الى غيره) ويتميز بكثرة الجزر (وفيه جزائر كثيرة معمورة مسكونة) (٢)

وبارتفاع الحرارة (مدينة البحرين كثيرة المياه شديدة الحر كثيرة الرمال) (٣)

كما توجد به مناطق تتصف بالخصب وغزارة المياه (مدينة لار وهي حسنة كبيرة كثيرة المياه والبساتين) (٤)

ومدينة (قيس وهي المسماة سيرآن مدينة عظيمة ذات بساتين ومزارع ثم مدينة هجر وهي كثيرة الانهار والاشجار) (٥)

٢. عمران منطقة الخليج العربي :

وصف المؤرخ الزياني حصص

ج العربي واورد دكر عدد من
الواقعة على صفافه مقال
ناعدة أرض عمان مدينة بروا
ـدبها مدينة هرمر على ساحل
ويقابلها في البحر حزيرة هرمر
ـة وبها حروں يسكنها سلطان
وبعد مدينة هرمر مدينة جبح
ى ساحل البحر ايصا وبعدها
قيس وهي المسماة سيراں مدينة
، ثم بعدها مدينة البحرين
ا مدينة القطيف ثم مدينة
وتسمى اليوم الاحساء ' '

صيف في مكان آحر عند حديثه
ـمران في الخليج العربي
م مدن حريرة العرب أولها
ـاء تم مدينة الاحقاف تم مدينة
ب الاحدود تم مدينة ارم دات
تم مدينة اراص تم مدينة
ں تم مدينة حوهي اليمامة تم
الححر تم مدينة حارك بها
يصا تم مدينة الحط قرب عمان
ينة الرس قرب حلاحل تم مدينة
ں تم مدينة سلحين تم مدينة
، تم مدينة الشحر بعمان تم
هحر قرب عمان» (٧)

ں اجناس السكان بالخليج
، أكد الرياني عروبة المنطقة(٨)
ل «فهده عمائر حزيرة العرب
س الى القادسية ومدائنها وهي
ـرب» (٩)

دں حزيـرة العـرب أولهـا
ء » (١) مدينة هجر يسكنها

عرب بني حنيفة وهي بلدهم من قديم الرمان» (١١) «بمدينة قيس العرب هم الدين يغوصون على اللؤلؤ فيما بينها وبين البحرين» (١٢) كما أورد عنصر التركمان والعجم «ومدينة جبح بال على ساحل البحر ايصا وسكانها تركمان وهم الدين يعمرون تلك المغاور وهم أهل شجاعة وقسوة» (١٣) «ومدينة قيس سكانها عجم وبها بعض العرب» (١٤)

ومن بين هؤلاء السكان من هو على مدهب الاباضية «وقاعدة ارض عمان مدينة بروا واهلها اباضية» «ومدينة القطيف يسكنها العرب» (١٥) وهده البلاد كلها تسودها السلفية (١٦)

٣ - الناحية الاقتصادية :

وصف ابو القاسم الرياني في «الترجمانة الكبرى» ما حبته الطبيعة من خيرات لمنطقة الخليج العربي، فهو «بحر مبارك كثير الخير دائم السلامة به مغاص اللؤلؤ الذي خرج منه الحب البالغ الكبير وربما وقعت الدرة اليتيمة التي لا نظير لها» (١٧)

«وفي حزائره معادن أنواع الياقوت والاحجار الملونة النفيسة ومعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والسنادج والعقيق وأنواع الطيب والأفاويه(١٨) «وفي حزيرة هرمز الحديدة معدن الملح الاندراني في سباح بها» (١٩) وعن الظروف التي يتكون فيها الدر اللؤلؤ بمياه الخليج العربي ذكر

«يزعم البحريبيون ان الصدف الدرى لا يكون الا في بحر تصب فيه الانهار العذبة فاذا اتى الربيع كثرت هبوب الريح في البحر ورفعت الامواج ويضطرب البحر فاذا كان الثاني عشر من نيسان خرجت الاصداف من قعور هذه البحار ولها اصوات وقعقعة ويسقط كل صدفة دوبية صغيرة وصفاقتي الصدف لها كالجناحين وكالسور تتحصن بهما من عدو متسلط عليها وهو سرطان البحر وفي اليوم الثاني عشر من نيسان لا تبقى صدفة في قعور هذه البحار المعروفة بالدر واللؤلؤ الا صارت على وجه الماء وتفتحت حتى يصير وجه الماء ابيض كاللؤلؤ وتأتي سحابة بمطر عظيم ثم تنقشع السحابة وقد وقع في جوف كل صدفة ما قدره الله تعالى واختار وافضل الدر المتكون في هذه الاصداف القطرة الواحدة والاثنتان والثلاثة وكلما قل العدد كان اكبر جرما واعظم قيمة والمتكونة من القطرة الواحدة هي الدرة اليتيمة التي لا قيمة لها» (٢٠)

ويبدو ان الولاة كانوا يتعاطون تجارة اللؤلؤ «وعندهم مغاصات اللؤلؤ تحت حكم سلطانها» (٢١)

وفي المجال الاقتصادي نجد ايضا اشارات الى بعض المزروعات في المناطق الخصبة «مدينة قيس وهي المسماة سيراف مدينة عظيمة ذات بساتين ومزارع» (٢٢) «مدينة هجر ... الانهار والاشجار بها من التمر الآن محجي» (٢٣) والى المبادلات التى كانت تتم بين مناطق الخليج «جزيرة هرمز الحديدة يجلب لأهلها التمر من عمان والبصرة لأكلها مع السمك» (٢٤)

٤. الأوضاع السياسية في الخليج العربي:

من دراستنا لما ورد في الترجمانة الكبرى للزياني نلاحظ

١ - وجود وحدات سياسية مثل سلطنة عمان (ومن مدنها مدينة هرمز على ساحل البحر ويقابلها في البحر جزيرة هرمز الحديدة وبها حصون يسكنها سلطان عمان (٢٥)

٢ - قيام بعض الجماعات المحلية بفرض نفوذها (مدينة جبح بال على ساحل البحر وسكانها تركمان وهم الذين يعمرون تلك المغاور وهم أهل شجاعة وقسوة (٢٦) ومدينة القطيف (٢٧)

٣ - سيطرة السلفيين على مناطق واسعة من البلاد «وأما اقليم الشرق من سواد الى العراق الى مغايص الفرات إلى البحرين الى عمان الى نجران الى اليمامة الى حدود اليمن فقد تبعت السلفية (٢٨)

٤ - ضعف السلطان العثماني في

منطقة الخليج العربي «ولما زاحمتهم الروم ببلاد الشمال وحاربوها وضعفت دولتهم عن مقاومة احباس الروم وشغلوا بحربهم استبد على السلطان العثماني ملوك العجم وكل واحد منهم ضبط اقليمه وقطع نظره عن العثماني وعن الباشا الذي يأتي من عنده، ولم يبق الا ذكره في الخطبة ورسمه على السكة والممالك البحرية وممالك العرب وكل الممالك التي ذكرنا في بلاد العجم فقد خرجت عن ملكهم» (٢٩)

٥ ـ تحريض السلطان العثماني لوالي مصر محمد علي على محاربة السلفيين «قلت وهذه البلاد كلها استتبعت السلفية وقد بلغنا ان والي مصر من امراء الدولة العثمانية تصدى لهذا المسمى وقام له بحيله ورجله ومهد درب الحجاز وعمر الحرمين بجنده وهيأ له خزائن من العساكر تبعده الى اقصى بلاده واخرجوه عن قرار عزمه والامور مستمرة على ذلك» (٣٠)

الهوامش

الزياني ـ الترجمانة ص ٢٩٣
الزياني ـ الترجمانة ص ٢٩٧
الزياني ـ الترجمانة ص ١٩٠
الزياني ـ الترجمانة ص ١٩٠
الزياني ـ الترجمانة ص ١٩٠
الزياني ـ الترجمانة ص ١٩٠
الزياني ـ الترجمانة ص ٤٩٢
الزياني ـ الترجمانة ص ١٩٠
الزياني ـ الترجمانة ص ١٩٠
الزياني ـ الترجمانة ص ١٩٠
الزياني ـ الترجمانة ص ١٩٠
الزياني ـ الترجمانة ص ١٩٠
الزياني ـ الترجمانة ص ١٩٠
الزياني ـ الترجمانة ص ١٩٠
الزياني ـ الترجمانة ص ١٩٠
١٦ـ الزياني ـ الترجمانة ص ٤٩٤
١٧ـ الزياني ـ الترجمانة ص ٢٩٧
١٨ـ الزياني ـ الترجمانة ص ٢٩٧
١٩ـ الزياني ـ الترجمانة ص ١٩٠
٢٠ـ الزياني ـ الترجمانة ص ٣٤٦
٢١ـ الزياني ـ الترجمانة ص ١٩٠
٢٢ـ الزياني ـ الترجمانة ص ١٩٠
٢٣ـ الزياني ـ الترجمانة ص ١٩٠
٢٤ـ الزياني ـ الترجمانة ص ١٩٠
٢٥ـ الزياني ـ الترجمانة ص ١٩٠
٢٦ـ الزياني ـ الترجمانة ص ١٩٠
٢٧ـ الزياني ـ الترجمانة ص ١٩٠
٢٨ـ الزياني ـ الترجمانة ص ٣٥٥
٢٩ـ الزياني ـ الترجمانة ص ٣٥٥
٣٠ـ الزياني ـ الترجمانة ص ٣٩٤

عدن

والمطامع البرتغالية في القرن

بقلم : محمد عبدالحسين عبود الحلي ـ العراق

كان نجاح الاسبان والبرتغاليين فى حروبهم الصليبية التى شنوها على العرب المسلمين فى الاندلس خلال القرن الخامس عشر والتى انتهت بتصفية معاقلهم فى تلك البلاد حافزا لمتابعة حربهم الصليبية ضد المسلمين لا فى الاندلس وشواطىء المغرب العربى فحسب بل فى معاقلهم البعيدة فى الشرق لتنفيذ مخططهم الصليبي الذى كان يهدف الى الوصول لمملكة القديس يوحنا المسيحية فى شرق افريقيا ويعنون بها الحبشة ـ للتعاون معها فى شن حرب على المسلمين فى تلك المناطق وطعنهم من حيث لا يتوقعون(١)

ويمكن القول ان البرتغال كانت من اوائل الدول الاوروبية التى مخرت سفنها عباب البحر الاحمر والخليج العربى فى طريقها الى الهند موطن الثراء مستهدفين القضاء على توسط المسلمين والبنادقة فى التجارة منطلقين الى تأسيس امبراطورية استعمارية فيما وراء البحار مدركين ان ذلك لا يتم الا بالقضاء على النفوذ الاسلامى فى البحار الشرقية(٢)



ومنذ ان تم لهم اكتشاف الطريق الجديد الى الهند عبر راس الرجاء الصالح فى عام ١٤٩٢م فقد عززوا احتكارهم لتجارة الشرق لسيطرتهم على العديد من الجزر الواقعة على امتداد شواطىء افريقيا وآسيا وخاصة بعد ان برزت لهم اهمية ميناء عدن كقاعدة هامة على الطريق البحرى الى الهند، وافضل نقطة استراتيجية يمكن من خلالها السيطرة على حركة المرور فى البحر الاحمر(٣)



رصت عدن خلال النصف الاول من
، السادس عشر لكثير من الضغوط
تعمارية البرتغالية التي استهدفت
لها والسيطرة عليها لما كانت تتمتع به
همية استراتيجية وتجارية واصبح امر
طرة على عدن وانهاء دورها جزءا من
طات السياسة البرتغالية المقبلة[4]
هران البحر الاحمر كان اكثر اغراء
ساليين لانه يؤدي الى الاماكن الاسلامية
سة ولتثبيط همة المقاومة الاسلامية في
ومن جهة اخرى كان البرتغاليون
ن ان يقطعوا سبيل الاتصال ما بين
ي الهند ودولة المماليك في مصر لاسيما
المماليك لحقهم ضرر اقتصادي نتيجة
ـاف رأس الرجاء الصالح[5]
ك المصريون خطورة تسرب النفوذ
الي في الهند وفي نفس الوقت كانت

تراودهم نفس الاطماع التي كانت تراود البرتغاليين في احتلال عدن وشعروا بالمنافسة البرتغالية على تجارتهم[6] وخاصة بعد وصول البرتغاليين الى عدن في سنة ١٥٠٣م واستمروا يترددون على المدينة يدرسون ويحللون احوالها السياسية والاقتصادية والعسكرية وفي سنة ١٥٠٤م وصلت الى ميناء عدن عدة سفن حربية برتغالية واسرت سفينة عربية وقتل البرتغاليون تجارتها بطريقة قاسية[7] وفي سنة ١٥٠٥م تمكن البرتغاليون من تثبيت اقدامهم على سواحل الهند حينما اسسوا بها حكومة يرأسها نائب الملك (دلميدا) في سنة ١٥٠٥[8]

وفي سنة ١٥٠٦ نجح البوكيرك في الاستيلاء على جزر كوريا موريا وجزر هرمز وبعض موانىء الخليج العربي مما جعل

الملك (عمانويل) يسند الى البوكيرك منصب نائب الملك في الهند سنة ١٥٠٩ (٩) وصارت الامدادات ترد عليهم من البرتغال فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين اسرا ونهبا ويأخذون كل سفينة غصبا الى ان كثر ضررهم على المسلمين وعم اذاهم على المسافرين(١٠)

ويقول ابن الديبع عن اعمالهم تلك قويت شوكة المفسدين في (قطع) طرق المسلمين في البحر بطريق الهند وهرمز وكان اعظمهم ضررا طائفة لافرنج (البرتغاليون) فانهم فعلوا بالمسلمين الافاعيل واخذوا كل سفينة غصبا واستحلوا دماء المسلمين واموالهم ونساءهم واولادهم وفعلوا المنكر عيانا واستمروا على ذلك زمانا فبعث اهل مدينة عدن الحمر الى السلطان (قانصوه الغوري) يستغيثون على الفرنج(١١) كذلك بعث مظفر شاه سلطان كجرات الى السلطان يطلب المساعدة منه ويطلب العدد والالات والمدافع لدفع ضرر الافرنج ولم يكن اهل الهند اذ ذاك يعرفون المدافع والبندقيات يومئذ)(١٢)

فاراد المماليك الدخول في معركة حاسمة مع البرتغاليين لاثبات وجودهم في البحر الاحمر والمحيط الهندي وادرك المصريون انه لابد لهم من مراكز تجارية وعسكرية لتعزيز حملاتهم المنتظرة مع خصومهم البرتغاليين والمركز الذي كانوا يرمقونه هو (عدن) [illegible] بعد تسرب النفوذ البرتغالي [illegible]

[illegible] المماليك خطتهم في مواجهة [illegible] على اساس يهدف الى القضاء على المراكز البرتغالية في الهند، باعتبار ان القضاء على تلك المراكز سيؤدي الى تهاوي المواقع البرتغالية الاخرى وقد وضعت الخطة موضع التنفيذ بالتعاون مع الامراء الهنود واستطاع الاسطول المصري من احراز انتصار حربي على البرتغاليين في سنة ١٥٠٨م وظلت الحرب سجالا بين الطرفين الا ان المصريين لم يكونوا في مستوى البرتغاليين من حيث القوة العسكرية والدراية البحرية، حيث تمكنت القوى البرتغالية من ان تحقق انتصارا بحريا هاما على المماليك في معركة (ديو) المشهورة عام ١٥٠٩ ونقل البوكيرك مقره من (كنانور) الى الطرف الجنوبي لشبه جزيرة الهند في (جوا) على ساحل (ملبار) المطل على بحر العرب ليبطش القرصنة البرتغالية ضد الملاحة التجارية العربية(١٤) فراح البرتغاليون يطاردون السفن العربية في المياه الافريقية وجعلوها غير قادرة حتى على الحركة في الخلجان الافريقية الصغرى وكان نصيب السفن اليمنية الجنوبية من تلك المطاردة العنيفة اكثر من نصيب السفن العربية الاخرى(١٥)

واستمر البرتغاليون باخضاع السواحل الهندية العربية فبانقضاء سنة ١٥١٠م كانوا قد احتلوا اقليم (كوهين) واقليم (كاليكوت) بعد ان نهبوا واحرقوا المدينة واقليم (جوا) التي كانت تحكمها اسرة هندية مسلمة وقد قتل البرتغاليون جماعة من المسلمين كانت تؤدي صلاة الجمعة في جامع (جوا) وابتدأوا يعدون العدة لغزو (عدن) التي كانت خاضعة للدولة الطاهرية اليمنية

د الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب
ـرى) وكان حاكم عدن هو (مرجان
ى) وهو نائب بني طاهر[١٦]

سنة ١٥١٣م عاود البرتغاليون الكرة
ـالبحر الاحمر ولكنهم كانوا
ـون دائما بالبحرية المصرية وفي تلك
حدث اتصال بين الحبشة والبرتغال
ايجاد جبهة متحدة ضد المسلمين
ـة ضد المماليك[١٧]

ركت من ميناء (جوا) الهندية عشرون
برتغالية وهندية تحمل الفا
ـائة جندي برتغالي وثمانمائة جندي
ـادة البوكيرك وهاجمت تلك القوة عدن
وجدت مقاومة عنيدة[١٨] ووجدوا
ـان الظاهري قد ركز دفاعه على طول
المواجه لساحل (صيرة) واقام
ـن على الحصون والابراج والاسوار.
يومان دون ان تعرف عدن النوم
اهلها على الدفاع واختلط اهل عدن
البين والتحموا معهم في معركة هائلة.
البوكيرك الى الانسحاب وامر جنوده
الى السفن وكانت مذبحة من اعظم
ت سواطيء عدن. سالت فيها دماء
ـيين بغزارة[١٩] وعند خروج البوكيرك
ـاء عدن حاول اطفاء نار الهزيمة
ـة في صدره باحراق اربع سفن عربية
اسية في ميناء عدن[٢٠]

ـف ابن الديبع ما فعله البرتغاليون
ـاهلها حيث يقول (وضربوا المدافع
الاعلام وفتحوا الحرب على مدينة
ـم يقعوا على طائل لتحصين البلاد
اهل عدن بالحرب فضربوا المدافع على
عدن وصدعوا بعض البيوت وقتلوا جماعة في الاسواق واحرقوا ما جاورهم من المراكب بالساحل ثم نزلوا الى الساحل ليلا وقد استعد اهل عدن بسلاحهم ورجع الافرنج بالجرحى منهم الى مراكبهم فمات اكثرهم وانقطع رجاهم على المدينة وكانت مدافع المسلمين تتلف لهم كل يوم سفينتين او ثلاثة فابتعدوا بعد ذلك الى حيث لا تصلهم مدافع المسلمين ثم توجهوا الى طرق الهند مكسورين مخذولين مدحورين[٢١]

لقد كان انتصار اهل عدن ضربة شديدة لهيبة البرتغاليين البحرية والعسكرية في المنطقة اذ كانت هزيمتهم في عدن اول هزيمة كبرى يمنون بها منذ انتصاراتهم المتلاحقة على حكام الاقاليم الصغيرة في شرق افريقيا والهند

ولكي يمسح البرتغاليون عار الهزيمة او يخففوا على الاقل وقعها في نفوس الهنود والعرب راحوا يعززون من مراكزهم العسكرية والتجارية في المنطقة تاكيدا لقوتهم ونفوذهم [٢٢]

وعلى الرغم من ان السيطرة على التجارة الشرقية ومصادرها قد تمت لهم فان البرتغاليين كانوا يشعرون باهمية عدن فراحوا يعدون العدة للانتقام من عدن والعدنيين وكانت عيونهم طوال الوقت مفتوحة على ما كان يجري في عدن وفي المناطق المجاورة لها وقد ازداد خطرهم بعد وفاة البوكيرك عام ١٥١٥ وتحالفوا مع الحبشة لاعلان الحرب المشتركة ضد المماليك فقاموا بهجوم على ميناء جدة التي اصبحت قاعدة المماليك في البحر الاحمر[٢٣]

وفي سنة ١٥١٦م وصلت الى عدن قطع من الاسطول المصري بقيادة سليمان باشا الخادم بناء على رغبة السلطان (قانصوه الغوري) لاحتلال عدن وتوالى وصول سفن الاسطول المصري الى عدن الى ان بلغ عدد قطعه سبعا وعشرين سفينة ولكن قلعة عدن صمدت امام هجمات المصريين فتراجع المصريون امام صمود العدنيين وبفضل المدد العسكري الذي تلقاه الامير مرحان الطاهري من تعز ومن الشحر ولكن تحصينات عدن العسكرية تعرضت لتخريب لبس بالهين كما قتل جنود كثيرون من حاميتها من جراء الحملة المصرية[٢٥]

ويقول النهروالي عن تلك المعركة (لقد رموا حصن المدينة بالمدافع ورموا اكثر دوره) ولم يقدروا على اخذه وجرح اهل عدن ووقعت معركة كبيرة جرح فيها سليمان باشا ثلاث جراحات ثم وقعت حروب اخرى وكانت الحرب سجالا فوصل من (تعز) اخو عامر بن عبدالوهاب بعسكره ودخل عدن فايس العسكر المصري من اخذ عدن فاخذوا ما وجدوا حول عدن من المراكب وركبوا سفائنهم[٢]

وفي نفس العام تقدم البرتغاليون بقيادة (سوارير) من الممتلكات البرتغالية في الهند باسطول حربي الى البحر الاحمر يتكون من سبع وعشرين سفينة تحمل الفا ومائتي برتغالي وسبعمائة هندي فاتجه الى عدن فوجد سوابعها الدفاعية قد تخربت بعد المحاولات المصرية لغزوها ولما راي الامير مرحان الطاهري انه عاجز عن مقاومة البرتغاليين ... القائد البرتغالي لذلك ولم يتمثل في نوايا ... في السماح باتخاذ عدن قاعدة للبرتغاليين لحين عودته من مطاردة الاسطول المصري ولما عاد (سوارير) لعدن وجد الامير مرحان قد اغتنم فرصة انسحاب البرتغاليين مع المصريين فجدد تحصينات عدن[٢٦]واستمرت الحرب عنيفة بين المصريين وبين الطاهريين من جهة وبين المصريين والبرتغاليين من جهة اخرى. مما اضعف قوة المماليك وجعلهم يتراجعون امام العثمانيين نحو البحر الاحمر حتى تمكنوا من دخول مصر سنة ١٥١٧م[٢٧]

هنا بدأت صفحة طويلة من الصراع بين العثمانيين والبرتغاليين وبدأت السياسة العثمانية تتجه الى البحار الشرقية لانها كانت تشكل بالنسبة لها منطقة استراتيجية هامة لكونها منطقة متصلة بحدود دولتها الجنوبية[٢٨] وحاول كل طرف الاستيلاء على جنوب اليمن (عدن) ليفرض كلمته على الشرق وينفرد باستغلال موارده[٢٩]

فالموقع الاستراتيجي لليمن من العوامل التي برزت اهميتها في تحقيق الاهداف العثمانية الدفاعية والتوسعية فلقد جعلهم هذا الموقع الممتاز وتلك الحدود التي تطوق جنوب الجزيرة العربية منطقة دفاع هامة عن حدود الامبراطورية العثمانية في الجنوب. فسيطرتهم على اليمن جعلتهم يحافظون على سلامة الاماكن الاسلامية المقدسة في الحجاز والتحكم في البحرين (الاحمر والعربي) وامتلاك موطيء قدم صالح للوثوب على البحرية البرتغالية في البحار الشرقية وتطويق اعدائهم الصفويين في ايران من الجنوب وتحقيق احلامهم بمد سيطرتهم شرقا الى اقاصي العالم الاسلامي[٣٠]

داد التنافس حدة في البحر الاحمر
والبحار الشرقية عامة بعد ان اصبح
ـيون ورثة الحكم المملوكي بكل
ته وظهرت روح التنافس واضحة من
ما اعلنه حكام كل من الدولتين من
ـات واضحة فقد اكد الملك البرتغالي
ـيل الاول) انه اسد عيبيا والفتوحات
ـة والتجارة في الحبشة والجزيرة
ـة وايران والهند «كما اعلن السلطان
الاول) بعد الاحتلال العثماني لمصر
١٥١١ (والان فان كافة مناطق مصر
وسورية ومدينة القاهرة ومصر العليا
ـسة واليمن والحجاز ومدن مكة
ـة والقدس وجميع الاراضي حتى حدود
قد اضيفت الى الامبراطورية
ـبية)(٣١)

ان البرتغاليين واصلوا جهودهم
خططهم في البحر الاحمر فقد هاجموا
جدة سنة ١٥٢ م وفي هذه السنة مات
عمانويل. وتوفي ايضا الامير مرجان
ـرى حاكم عدن واستمر البرتغاليون
ارة على المناطق العربية ففي سنة

١٥٢١م قاموا بهجوم على عدن وكذلك قاموا بمهاجمة ميناء الشحر اليمني عام ١٥٢٣م ثم ضربوا عدن بالمدافع عام ١٥٢٥ وهم في طريقهم الى ميناء (مصوع) ولكن لم يتحقق للبرتغاليين اي هدف في ذلك الحين(٣٢)

ولهذا فضل البرتغاليون اخيرا عقد معاهدة جديدة مع حاكم عدن عام ١٥٣ ونصت هذه المعاهدة على اعتراف عدن بسيادة البرتغاليين عليها ودفع الجزية السنوية لهم وذلك نظير اعتراف البرتغاليين بحرية الملاحة لسكان عدن ولكن بشرط عدم توجههم الى جدة ولكي يضمن البرتغاليون تنفيذ هذه المعاهدة تركوا في ميناء عدن احدى سفنهم وقوة قوامها اربعون برتغاليا ليشرفوا على الميناء وعلى ايراداته المالية(٣٣)

وقد اثارت هذه المعاهدة غضب اليمنيين على حاكم عدن، غير ان حجته تركزت دائما في حرصه على عدم تعرض عدن للاحتلال الكامل من قبل البرتغاليين المتفوقين حربيا من جهة وفي خشية هجوم العثمانيين عليها من داخل اليمن او من ناحية البحر من جهة اخرى(٣٤)

المراجع

١ ـ وليد محمد حرادات الاهمية الاستراتيجية للبحر الاحمر بين الماضى والحاضر ط ١ ، دار الثقافه ١٩٨٦ ، ص ٨٩

٢ ـ د طارق نافع الحمدانى دور مصر واليمن في مقاومة الغزو البرتغالي للبحر الاحمر والمحيط الهندى في اوائل القرن السادس عشر مجلة معهد البحوث والدراسات العربية العدد الثانى عشر، بغداد ، ١٩٨٣، ص ٢١٨

٣ ـ حمدى لطفى الثورة جنوب اليمن ، ص٦٨ ، كذلك انظر حرادات مصدر سابق ، ص ٩٥

٤ ـ الحمدانى عدن بين مطامع البرتغاليين ومطامع العثمانيين خلال النصف الاول من القرن السادس عشر، مجلة دراسات الخليج العربى، العدد الثانى والاربعون السنة الحادية عشرة، ١٩٨٥، ص ١٦٩

٥ ـ د مصطفى العقاد التيارات السياسة في الخليج العربى، مكتبة الانجلو المصريه القاهرة ، ١٩٨٣ ص١٤

٦ ـ محمد عبدالقادر بومطرف الشهداء السبعة، دار الحرية للطباعة، بغداد ، ١٩٧٤ ص٥٠

٧ ـ حمزة علي لقمان تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، دار مصر للطباعة القاهرة ١٩٦٠، ص١١٥

٨ ـ العقاد مصدر سابق، ص١٦

٩ ـ نفس المصدر والصفحة كذلك لقمان مصدر سابق، ص١٠٩

١٠ ـ قطب الدين محمد بن احمد النهروالي البرق اليمانى في الفتح العثمانى، دار اليمامة، الرياض، ١٩٦٧، ١٨٥

١١ ـ عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الديبع الفضل المزيد على بغية المستفيد في اخبار زبيد، دراسة وتحقيق محمد عيسى صالحية، الكويت، ١٩٨٣، ص٢٠٣

١٢ ـ النهروالى مصدر سابق، ص١٩

١٣ ـ بومطرف/ مصدر سابق، ص٥٠

١٤ ـ العقاد مصدر سابق، ص١٧

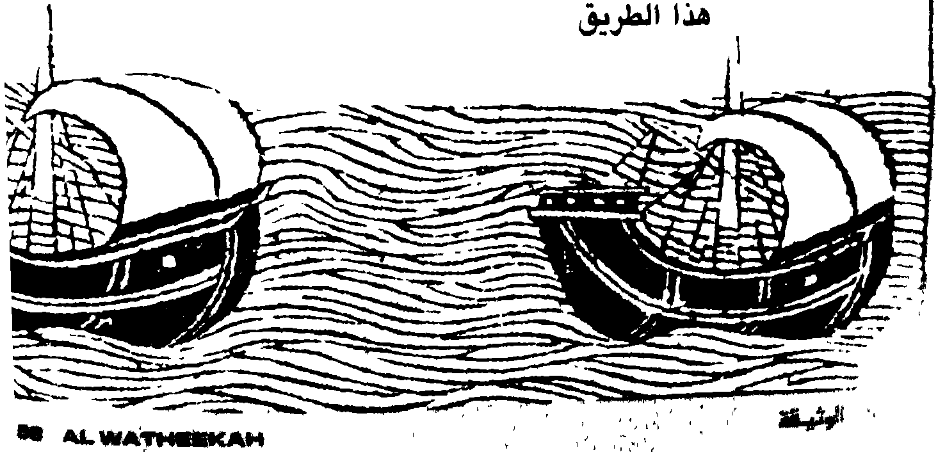
١٥ ـ بومطرف مصدر سابق، ص٤٧

- نفس المصدر والصفحة
- العقاد مصدر سابق ص١٨
- بومطرف مصدر سابق، ص٥١
- لقمان معارك حاسمة من تاريخ اليمن، ط١ ، مركز الدراسات اليمنية صنعاء، ١٩٧٨، ص١١٢
- بومطرف مصدر سابق ، ص٥١
- ابن الديبع مصدر سابق، ص٢٦٤
- بومطرف مصدر سابق، ص٥٢
- د فاروق عثمان اباظة عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر (١٨٣٩ - ١٩١٨) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦ ، ص٤٦
- بومطرف مصدر سابق، ص٥٤
- البهروالي مصدر سابق ص٢٥
- لقمان تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، ص١٢٣ ، كذلك انظر لقمان معارك حاسمة من تاريخ اليمن ، ص١٢٣
- عبدالوهاب القيسي موقف العثمانيين من الغزو البرتغالي للمياه العربية، مجلة الخليج العربي، م١٢ ، العدد الاول، مركز دراسات الخليج العربي، البصرة ١٩٨٠ ، ص٤٥
- مصطفى عقيل الخطيب التنافس الدولي في الخليج العربي (١٦٢٢ - ١٧٦٣) بيروت، ١٩٨١ ، ص٢٨
- جلال يحيى العالم العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦ ، ص٨٢ ،
- فاروق عثمان اباظة *الحكم العثماني في اليمن (١٨٧٢ - ١٩١٨) القاهرة ، ١٩٧٥* ، ص١٢
- القيسي مصدر سابق، ص٤٧
- اباظة عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر، ص٤٧
- نفس المصدر ص٤٨
- نفس المصدر والصفحة

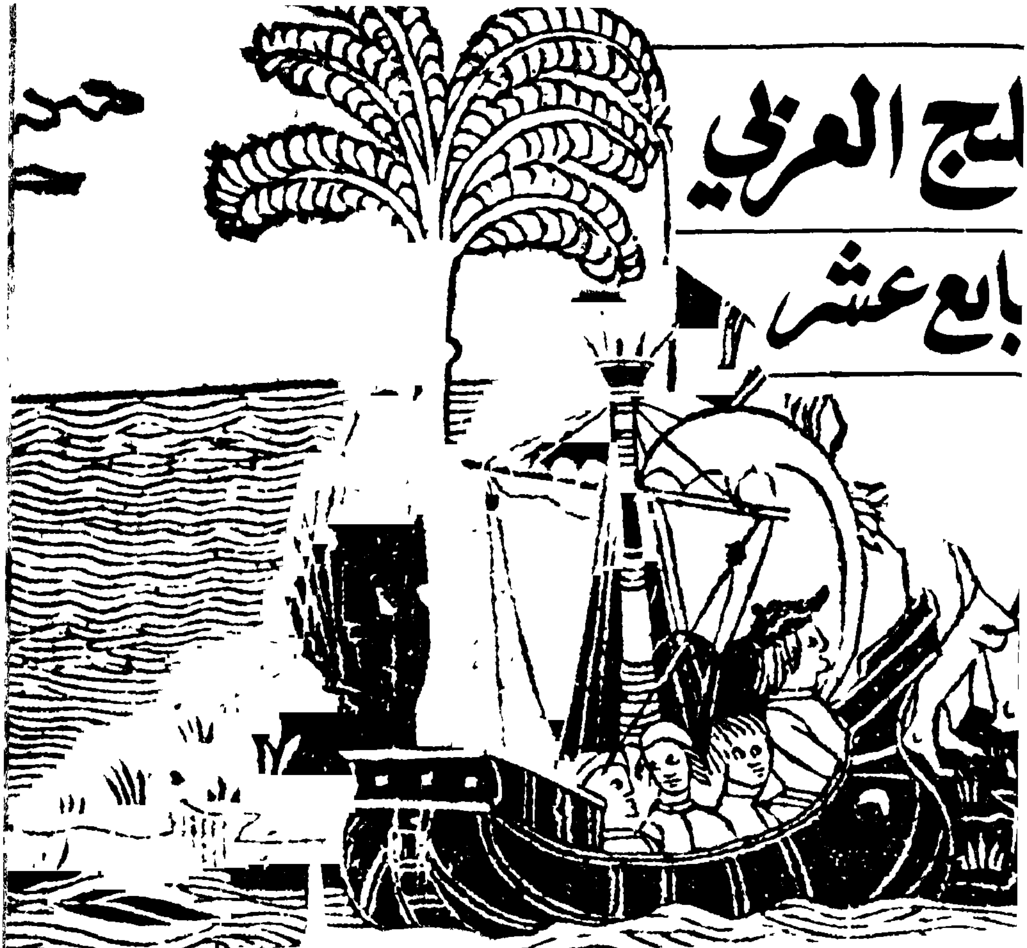
الرّحالة البرتغاليّون في

خلال القرنين السّادس عشر

ظل العرب والمسلمون يسيطرون على التجارة ما بين الشرق والغرب حتى نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة وذلك عبر طريقين رئيسيين هما طريق البحر الاحمر ومصر وطريق الخليج العربي وبلاد الشام، وكلاهما كان تحت هيمنة العرب وكانت المشكلات والخلافات السياسية التي تنشب احيانا تؤدي الى اغلاق احدهما او كليهما، وحينما يغلق الطريقان في وقت واحد فان مدد البضائع الشرقية كان ينقطع عن اوربا الا بالقدر الذي يمكن فيه سلوك طريق وعر غير مأمون عبر اسيا الوسطى [1] وكانت المدن الايطالية، بخاصة جنوا والبندقية، هي اكثر الدول الاوربية استفادة من تجارة الشرق، اذ كانت تحتكر توزيعها في مختلف أنحاء القارة الاوربية، مما جعل أسعارها تتزايد باطراد، فكثف ذلك الجهود لاكتشاف طريق غير مطروق يصل الى الهند، وكانت دولة البرتغال الصغيرة الواقعة على المحيط الاطلسي هي الدولة التي كرست نفسها في البحث عن مثل هذا الطريق



...ليج العربي
...ابع عشر



...الة البرتغاليون الأوائل
...اف السّياسة البرتغالية

بقلم: الدكتور طارق نافع الحمدانى

...نظار البرتغاليين نحو الشرق منذ ... الخامس عشر، الا أن اندفاعهم ...تي الشرق والعرب لم يتم الا في

اواخر هدا القرن، ودلك على أيام ملكهم المسمى حون التاني ١٤٨١ ـ ١٤٩٥ إد كان هدا الرجل متشوقاً لنشر المسيحية

وتوسيع رقعتها وارتياد طريق تجاري جديد نحو الهند. واكتشاف الاراضي التي يجلب منها الفلفل والقرفة وستى انواع التوابل [٢] وعلى اساس هذه الاعتبارات ارسل ملك البرتغال العديد من الحملات البحرية والبعثات السرية وكانت اولى تلك الحملات ما قام به بارتلوميو دياز عام ١٤٨٦، والتي دار فيها حول الطرف الجنوبي من افريقيا. واعقبتها حملة فاسكودي جاما عام ١٤٩٧ التي قادت البرتغاليين الى الهند وما ان حل القرن السادس عشر حتى كان البرتغاليون يسيطرون على الطرق التجارية البحرية ما بين الشرق والغرب دون منازع. وانتهجوا في هذا المضمار الاساليب المختلفة لاحتكارها من ذلك ان البرتغاليين اصبحوا يأملون بعد افتتاح الطرق البحرية الى الهند، مرورا برأس الرجاء الصالح، ان تتحول محمل التجارة الشرقية الى ايديهم وكانت الخطوة الاولى التي قاموا بها هي التمركز في سواحل الهند. ومن ثم قرروا القيام بمراقبة حركة النقل التجارية في الخليج العربي. حيث انشأوا عددا من القلاع الحربية في هرمز والبحرين وعمان. كما حاولوا اغلاق مدخل البحر الاحمر للغرض نفسه [٣] وبعد ان اطماع البرتغاليين الى استحوادهم الكامل على طرق التجارة البحرية، راحوا يعملون على إعاقة حركة النشاط التجاري عبر الطرق البرية التي كانت ما تزال قائمة بين بعض المراكز التجارية في الخليج العربي والبحر الاحمر وتلك الواقعة على البحر المتوسط. بطرق برية بحرية مشتركة [٤]

ومن الطبيعي فان هذه السياسة التجارية الهادفة الى تقوية حركة النقل التجاري بحرا باتجاه لشبونة، على حساب الموانىء الموجودة في الشرق العربي، سببت معاداة القوى القائمة انذاك، وبقصد ... المماليك ومن بعدهم الاتراك العثمانيين ... جعلت هذه العداوات امكانية است... الترحال عبر الاراضي العربية امرا محـ... بالخطر خلال القرن السادس عشر

وساندت الجهود البحرية البر... جهودا اخرى اتسمت بالسرية لـ... المعلومات عن مصادر تجارة الشرق ... هذه التجارة عبر الاراضي العربية و... البضائع الشرقية واسعارها وما الى ... وقد وكل الملك باحدى هذه البعثات ... كوفلهام Covilham والفونسو دي ... وكان كوفلهام هذا يجيد عدة لغات ... اللغة العربية منذ ان كان اسيرا في ... وحدد الملك مهمة هذين الرسولين في ... نقاط هي جمع المعلومات عن الحبشة الت... كانت تعرف في اوروبا حينئذ باسم ... القديس جون او يوحنا Prester John ومعرفة المصادر الاصلية للتوابل. وس... طرق التجارة عبر الاقطار العربية حتى ... الى البندقية [٦] وقد اقلع هذان الرحا... سنة ١٤٨٧ عن طريق برشلونة، نابو... ورودس الى القاهرة بعد ان ارتديا ... التجار. وهناك تمكنا من ان يندسا ... جماعة من التجار المغاربة الذاهبـ... الطور على البحر الاحمر. واتجها ... سواكن وعدن وفي عدن انفصل كوفلـ... ونايفا عن بعضهما البعض، حيث ا... الثاني الى الحبشة ولكنه توفي بعد ... بينما واصل كوفلهام سيره نحو الهند ... الى كنانور وكلكتا وغوا (جوا) مستقـ... اينما حل عن التوابل ومن هناك ... كوفلهام مع طائفة من التجار العرب الى ... ـ كبرى المستودعات لتجارة الشرق وبعـ... أحيط علما بالتجارة التي تجري في

ـ المزدحم بالاعمال أبحر الى عدن ثم مسقالا ومنها عاد الى القاهرة [٧]

بينما كان كوفلهام على وشك الرحيل الى ـغال توجه لمقابلته يهوديان [٨] هما ـهام دي بيا ويوسف لاميجو، وقد سلماه ـمات جديدة من حكومة البرتغال عن ـه الجديدة وسلم هو احدهما تقريره ـويل عن رحلته السرّية لتوصيله الى ـتغال، بينما اصطحب الثاني الى هرمز ـب بدوره تقريرا اخر عنها نظرا لاهميتها ـارية الكبيرة، على أن يتوجه بعدها الى ـسة لكتابة تقرير خاص عنها ونجح ـلهام في القيام برحلة جديدة، فاتجه الى ـز مع زميله الجديد ثم عاد الى جدّة، ومكة ـبية، فسيناء، وعن طريق الطور ابحر الى ـ ومنها الى زيلع ثم توغل داخل الحبشة ـ قابل النجاشي، الا انه حكم على كوفلهام يبقى في الحبشة طيلة حياته، إذ لم ـمح له بمغادرتها بعد مقابلة النجاشي ـ طبقا لخطة الحذر الحبشية بحجز من ـرها من الاجانب [٩]

وهكذا استطاعت هذه البعثة الحصول البيانات الخاصة بالتجارة الشرقية من ـث حجمها وفئاتها وما الى ذلك ويبدو انها ـلت على خرائط عربية عن المحيط ـدي ومعلومات تفصيلية عن التيارات ـحرية والرياح الموسمية في هذا المحيط، ـس ادل على ذلك مما جرى اثناء مقابلة ـلهام لفرانسيسكو الفاريز الذي مثل ـده في الحبشة من ١٥٢٠ إلى سنة ١٥٢٦، ـث استفسر من الاخير عما إذا كان ـرط التي أرسلها مع المبعوث اليهودي ـب اليه أعلاه من ثمانية وعشرين سنة ـر لفضل في تحقيق ما حققه فاسكودي ـا [١٠] وبدون شك فان المعلومات والخرائط البحرية التي قدمها الرحالة كوفلهام ومن معه الى السلطات الحاكمة في لشبونة، كانت نعم المعين في تقدير الموقف والمضي قدماً في ايفاد الحملات الكشفية الجغرافية ابتغاء تحقيق الهدف الاساسي وهو الوصول بحراً الى الهند

ومما يلفت النظر أن الرحالة البرتغاليين، المبكرين منهم او المتأخرين، قد جاءوا الى الشرق أما برفقة الاساطيل البرتغالية حيث قدموا ليشهدوا استقرار النفوذ البرتغالي، كما هو الحال بالنسبة لبيرير وباربوسا، أو انهم اوفدوا ضمن سفارات دبلوماسية الى بلاط بعض الملوك في الشرق، كما هو الحال بالنسبة لألفارير وتينيريرو. وكان ذلك كله في العقود الاولى من القرن السادس عشر، اما بعد ذلك فانه لم يرد اي ذكر لرحالة برتغالي

ولا تختلف الرحلات البرتغالية الى الشرق في القرن السابع عشر عن نظيرتها في القرن السابق من حيث طبيعة واشكال وفودها الى المنطقة حيث جاءت بصحبة الاساطيل البرتغالية او ضمن سفارات دبلوماسية، ولكنها اختلفت من حيث أهدافها العامة وذلك لاختلاف بنية الامبراطورية البرتغالية نفسها ففي الوقت الذي جاء فيه الرحالة البرتغاليون الاوائل في ذروة قوة واستقرار النفوذ البرتغالي في الشرق، وكان عليهم ابراز هذا الجانب في مدوناتهم، فان الرحالة المتأخرين قد قدموا في فترة اضمحلال النفوذ البرتغالي بسبب منافسة قوى اوربية عديدة لهم، وتطلب منهم ذلك دراسة اسباب هذا التدهور والاضمحلال من ناحية، وتوجيه تقارير مستعجلة الى المسئولين البرتغاليين عن وصول اي دولة اوربية جديدة الى الشرق من ناحية اخرى

وبناء على ذلك، فاننا سنقوم بدراسة

الرحالة البرتغاليين على الاسس المذكورة اعلاه، وفقا للترتيب الزمني، مبينين اهداف كل رحالة ورحلته وقيمة المعلومات التي تركها عن منطقة الخليج العربي

تومي بيريز . Tome Pires

يعد تومي بيرير شخصية متواضعة بالمقارنة مع بعض الرحال الذين مروا في تاريخ البرتغال بالشرق خلال النصف الاول من القرن السادس عشر فعلى حين نال البعض شهرة لكونهم قادة عسكريين لامعين كالبوكرك واخرين كمحاربين وملاحين او مكتشفين، وحتى ككتاب عالميين مشهورين مثل باربوسا ـ الذي انتهى من تاليف كتابه بعد سنوات قليلة من كتاب «سوما اوريينتال The Suma Oriental» لبيرير فان الاخير لم ينل شيئا من ذلك، وحتى مؤلفه قد طبع بدون ان يذكر اسمه عليه (١١)

كاد مؤلف بيرير ان يندثر في طي النسيان، وان ينسى كونه سفيرا برتغاليا الى الصين حيث توفي عام ١٥٤، بيد ان مساهمته في المعرفة المبكرة عن الشرق كانت ذات اهمية كبيرة وبيرير نفسه كان شخصية تدعو للاهتمام، فمؤلفه «سوما اوريينتال» كان قد احتوى على رواية مفصلة عن الشرق كتبت من اصل برتغالي وكان اول اوربي ايضا يكتب عن ماليزيا، وان التفصيل الذي ذكره في هذا المجال لم يبره فيه، من عدة وجوه، اي مؤلف اخر لاكثر من قرن او قرنين وعلاوة على ذلك، فقد كان بيرير مراقبا متسوقا ووصافا لا يمل ولا يتعب ومع ان اسلوبه الادبي كان ضعيفا، الا ان بيرير استطاع ان يحتل مكانا لائقا بين الكتاب الاوربيين الاوائل في الشرق (١٢)

ودفعا سياسة السرّية في مسالة الاستكشافات التي تابعها العرش البرتـ منذ النصف الاول من القرن الخامس عـ فان المعلومات المهمة عن جزر التوابل الهند الشرقية لم يكن يسمح لها بان تتـ الى اي جهة اجنبية وعلى الرغم من اسبانيا قد كفت عن القيام باي ادعاءا مطالبة بما لقا في الثاني والعشرين من شـ عام ١٥٢٩، فان الاسبان لم يتخلوا ... كما ان جواسيسهم لم ينقطعوا عن ... الحصول على معلومات حول هذا الـ... حتى عام ١٥٨٠، عندما بدات الفتر... السعيدة في تاريخ البرتغال، والتي اصبحت فيها تحت هيمنة الاسبان لمدة ستين سنة باندماج العرش البرتغالي بالعرش الاسباني ولهذا فان المعلومات التي دونها بيرير في «سوما اوريينتال» قد اصبحت معروفة، ولم يعد في مخطوطة لسنوات اي شيء من المعلومات السرّية غير المعروفة

ان ما نعرفه عن حياة بيرير منذ وصوله الى الهند حتى وفاته ليس امرا نادرا رغم انه ليس متكاملا، ولكن بالنسبة لسنواته في البرتغال فان هناك عددا من الاشارات القليلة الغامضة وكل ما نعرفه عنه من معلومات قد جاء من خلال كتابه «سوما اوريينتال» وعدد من الرسائل التي كانت تحمل اسمه وتوقيعه

كان بيرير ابن شخص يمارس الصيدلة وقد كان في الاربعينيات من عمره حينما شرع بالسفر الى الهند، التي وصلها عام ١٥١١ وبقي في كنانور في الهند في السنوات التالية واوفد الى الصين في بعثة دبلوماسية عام ١٥١٦ (١٤)

على الرغم من أن الجزء الاعظم من «سوما اوريينتال» قد كتب في مالقا، فمن المحتمل أن بيرير كان قد بدأه واتمه ...

وعلى أية حال، فان «سوما اوريينتال»
عن تقرير بعثه بيرير الى الملك البرتغالي
...يل، وربما هو جزء من المهمة التي كلف
...ل رحيله الى لشبونة
...سلوب الكتاب بعيد عن الوضوح، وقد
مرتبكا ومشوشا عندما يكتب المسميات
...اني الاجنبية، بحيث يذكر أحيانا كلمات
... معنى، بخاصة عندما تتعلق الكلمات
...سماء او التعبيرات المحلية على ان
...فة المميزة لكتاب «سوما اوريينتال» هي
... كان مكرسا في الغالب للقضايا
...صادية، ولهذا فانها لم تعط الكاتب
...ة لاظهار مقدرته الادبية ولكن، وعلى
...م من ان المؤلف كان يفتقر بصورة عامة
الاسلوب الابداعي، فقد اظهر بيرير
...ة حضارية جيدة بالمنطقة التي كتب
... وكانت له لمحات مشرقة ينطلق بها قلمه

...عد معلومات الكتاب ذات اهمية كبيرة
...طار الشرق الاقصى عامة خاصة وان
...ف كان قد عاش لمدة ستتين ونصف
... واذا وضعنا جانبا روايات الرحالة
...روبيين عن المنطقة في العصور الوسطى،
سوما اوريينتال» يعد اول كتاب يحتوي
...علومات مهمة عن تلك الاقطار والجزر
...قعة بين البنغال في الهند واليابان وتعتبر
...ومات التي أوردها عن المناطق التي
...ها بنفسه اكثر اهمية بالطبع من
...ومات الاخرى التي حصل عليها ويعني
... معلوماته عن الهند والصين اكثر
...ية من تلك التي أوردها عن الجزيرة
...بية ومصر وفارس الى حدود كامبي في
... رغم مروره بتلك البلدان في اثناء
... من البحر الاحمر الى الصين وليس
... حاجة للتأكيد على القيمة الكبيرة

للمعلومات التاريخية والجغرافية والتجارية عن جميع الاقطار والناس الذين تعرض لهم، لان هذا الامر واضح من المعلومات الغزيرة التي احتواها المؤلف.

يحتوي «سوما اوريينتال» في القسم الاول منه على معلومات مهمة عن مملكة هرمز، ونشوء الدولة الصفوية، وكل الجزر الواقعة في الخليج العربي كما انه يؤكد على ناحية اساسية تتعلق بهرمز، اوردها الرحالة الذين اتوا من بعده «وهي ان الماء الموجود في المدينة يأتيها في جرار من مناطق اخرى، واذا لم يأت الماء اليها، فان هرمز لاتخلو من عدد من الآبار، ولكن نوعية الماء الموجودة غير مستساغة لكثير من الناس» (١٦)

ويتطرق بيرير الى البحرين حيث يصف انواع اللؤلؤ الموجودة فيها بقوله «ان الجزيرة الرئيسية في الخليج هي البحرين وتمتاز بتوفر افضل انواع اللؤلؤ فيها حيث ليس له وجود في مناطق اخرى غيرها، ويشكل جزءا مهما من تجارة هرمز، ذلك لان هذا النوع من اللؤلؤ يمتاز بانه انصع بياضا واكثر استدارة من غيره» ١٧

دورات باربوسا Durate Barbosa

عمل المؤلف في خدمة الحكومة البرتغالية في الهند كاتبا ومترجما منذ عام ١٥ الى عام ١٥١٦ او ١٥١٧ وموهبته الفذة لم تكن في الترجمة فحسب بل تعدتها - كما نرى - الى الكتابة عن شعوب الشرق وممالكه

صدر كتابه باللغة الايطالية لاول مرة في مدينة البندقية عام ١٥٦٣، وباللغة البرتغالية عام ١٨١٣ بينما صدرت اول نسخة باللغة الانجليزية بعنوان «كتاب باربوسا The Book of Dura'e Barbosa» وذلك في عام ١٨٦٥ من قبل مؤسسة

هاكلايت مترجمة عن النسخة الايطالية، وصدرت نسخة محققة اخرى من قبل المؤسسة المشار اليها سنة ١٩١٨. وهي النسخة التي نقوم بعرضها في هذا البحث وتكمن قيمة الكتاب في انه اول المؤلفات البرتغالية بعد سنوات قليلة من دخولهم الى المحيط الهندي

كان باربوسا من اسرة غير مشهورة ، وقد سافر عمه عام ١٥ الى الهند مع اسطول برتغالي وبقي هناك ، وتبعه والد باربوسا الى الهند في السنة التالية ، وربما يكون باربوسا قد صحب عمه في رحلته الأولى ، أو والده في رحلته الثانية[١٨] ومن الأدلة على سفر باربوسا مع جابرال -Pedro Alraves Gab ral ، وهي الأكثر احتمالا ، ان الاخير نزل على الساحل الشرقي لافريقيا في سفالة ، مورمبيق ، مومباسا ، ماليدي ، ثم جزيرة سوقطرة ، ومدخل البحر الأحمر فهرمز والخليج العربي حيث جاء في مؤلفه «انه وصف كل ما شاهده في هذا الفصل» واخيرا وصل الى الهند[١٩]

لقد عمل باربوسا مع البوكيرك بصفة مترجم ، وكان مع الاخير اثناء مقابلته لراجا كنانور كما كلف من قبل البوكيرك بالاشراف على بناء سفينتين كبيرتين في كاليكوت ، حيث كان من المعروض ان تستخدم هاتان السفينتان في الحملة البحرية المقترحة الى البحر الأحمر بعد زيارة هرمز ، ولكن البوكيرك لم يعش لينفذ تلك الخطة ولهذا فإنه من المحتمل ان يكون باربوسا قد رافق هاتين السفينتين عند شروعهما بالرحيل من الهند الى هرمز ، وربما نزل في المدينة الاخيرة ليتعرف على انباء الحوادث الاخيرة في المنطقة[٢٠]

عاد باربوسا الى البرتغال عام ١٥١٧ ومن المحتمل انه انهى مخطوط كتابه ، ور... اضاف اليه بعض المعلومات خلال عا... ١٥١٧ ـ ١٥١٨ ولكن يظهر ان باربوسا ... نيل الترقية التي كان يأملها مقابل خد... لذلك التحق بخدمة الاسبان ولاقى حتف... احدى المهمات الى جزر الفلبين في الحا... والعشرين من نيسان ١٥٢١[٢١]

يحتل كتاب باربوسا مكانة متميزة ... المؤلفات البرتغالية ، ذلك لأن مؤلفه عاش ... اواخر القرن الخامس عشر وبداية الع... السادس عشر ، وهي فترة مليئة بحـ... الكشوف الجغرافية وقد ارتحل ... ملؤها التحري عن كل المناطق الجديدة ووصف المدن الرئيسية والموانىء ابتداء من راس الرجاء الصالح وحتى الهند

كتب باربوسا مقدمة دقيقة عن الدوا... لرحلته وعرض تاليفه الكتاب والطريقة الت... جمع ودوّن فيها معلوماته ، حيث يقول «انني رحل من مدينة لشبونة ، وقد قضي... الجزء الأكبر من حياتي في الابحار في البـ... الشرقية ، واكتشفت باسم صاحب الجلا... (اي ملك البرتغال) ، كما سافرت ... اليابسة وعبر مناطق عديدة مختلفة تقع ... تلك البحار ، وقد رأيت وسمعت اشيا... يسمعها أحد من اسلافي ، وقد اعتز... كتابتها لأجل ان تكون لصالح كل الناس رغم انني ارى تلك الاحداث واعلمها ... بعد يوم ، محاولا ان اباشر في كتابي ... بالمدن وحدود تلك الممالك التي زرتها أو ... علمت عنها من اشخاص موثوقين ، مبيـ...

ـ الممالك الاسلامية وما هي عاداتها
ـاليدها
كما لم انس تجارة تلك الاقطار وكل
ـاع التجارة الموجودة فيها . والأماكن
ـي تنتج بها ، والى أي المناطق تحمل
وفضلا عن تلك الاشياء التي شاهدتها ،
. كان لدى الرغبة في ان استطلع الأمور
المسلمين والمسيحيين فيما يتعلق بعادات
ـاليد تلك الاقطار الذين هم اعرف بها ،
. قارنت بصورة دقيقة الروايات بعضها
ببعض الآخر حتى خرجت منها بمعلومات
ـقة . والتي لم يكن حتى الرؤساء من ذوي
ـان راغبين في ان يُكتب حول مثل هذه
ـضايا ، ولكن لما كنت مقتنعا بان اعمل
ـكتشاف الحقيقة ، فسوف لن أفشل في
ـ وقد انهيت كتابة هذا الكتاب في عام
١٥١٦»[22]

ويظهر ان قيمة كتاب باربوسا بصورة ـيسية في الوقت الحاضر هي جغرافية ـشرية ، تناولت اوصاف البلاد والأجناس ـي مر بها وتعرف عليها ، اما اشاراته ـاريخية فهي على جانب كبير من الاهمية . ـكنه كان قد أعلن بصورة محددة بان هدفه ـس ان يكتب تاريخا ، بقدر ما يتعرض ـصف الناس والبلاد ومنتجات الاقطار ـي شاهدها[23]

لكتاب باربوسا اهمية كبيرة لشبه ـجزيرة العربية عامة ولموانئها على البحر ـحمر والخليج العربي بصفة خاصة ، كما ـمعلوماته عن التجارة في هذه الموانىء قد ـت بمعرفة شخصية ، وعكست بصورة ـاضحة طبيعة السياسة البرتغالية ـها ، حيث اشار اثناء حديثه عن عدن قوله «وتتدفق هذه التجارة (أي التجارة الشرقية) الى البحر الأحمر حيث تجد طريقها عن طريق القوافل الى الاسكندرية ، ومن هناك الى ايدي السلاطين المماليك ، ولكن قدر لها خلال سنوات قليلة ان تقع بيد الاتراك ، الذين كانوا قد سيطروا على حلب ، المركز التجاري لتوزيع بضائع الخليج العربي ولم يتمكن البرتغاليون ان يوقفوا هذه التجارة بصورة تامة كما عملوا في الخليج العربي عن طريق امتلاكهم لهرمز ، ولكنهم كانوا قادرين فقط في السيطرة وتقييد هذه التجارة الى حد ما بصورة تدريجية ، مما أفقد الاتراك واحدا من مصادر مواردهم التقليدية[24]

ولا تقل اهمية الكتاب في تعرضه لمدن الخليج العربي وموانئه فقد اشار الى قريات بقوله «وفيها تجارة مزدهرة ، وهنا ـ كما هو الشأن في المناطق الاخرى ـ توجد مواد غذائية كثيرة ، فضلا عن الخيول الممتازة في نوعيتها ، حيث كان التجار في هرمز يقدمون لشرائها وتصديرها الى الهند»[25]

أكد باربوسا توفر الاسماك بصورة كبيرة في مسقط ، حيث ان هناك تجارة رائجة فيها ، لانه يصطاد بشكل واسع ، ويصار الى تمليحه وتجفيفه ، ويتعامل اهل هذه البلاد بهذه المادة مع عدد من الاقطار[26] وقد تطرق الى الموانىء الاخرى في الخليج حيث ذكر جلفار ـ راس الخيمة ـ حيث يقول «وفيها يستقر اشخاص يمتلكون اموالا كثيرة ، فضلا عن وجود ملاحين ماهرين وتجار جملة ويوجد هناك اسماك كثيرة وكميات هائلة من اللؤلؤ ، حيث تؤلف

موردا كبيرا للبلاد نتيجة حملها الى الهند والمناطق الأخرى[٢٧]

واسار باربوسا الى راس الخيمة بالاسم واورد اسماء بعض المناطق الاخرى التي تليها - ولكن بصورة غير مضبوطة ، موكدا ان سكانها من العرب ، وكانوا يوكدون وجودهم خلال مطالبتهم لسكان القرى بدفع الاموال لهم ، وهم في حالة ثورة متكررة ضد ملكها (اى ملك هرمز على ما يبدو)[٢٨]

كما تعرض باربوسا لمدينة البصرة ، وبخاصة تجارتها ، والى وجود كميات كبيرة من السلع والبضائع فيها كالتوابل والملابس القطنية التي يتم الحصول عليها مقابل كميات كبيرة من الحنطة والشعير[٢٩] ولكن من الواضح ان الاوصاف التي اطلقها باربوسا على البصرة لم تكن بصفة شاهد عيان ، وانما استمدت من اقوال مسموعة ، فلم يكن هو ولا اى برتغالي اخر ، قد زار البصرة ابدا ، رغم ان السفن قد وجدت طريقها الى مصب شط العرب[٣٠]

على ان اهم ما تضمنه الكتاب من معلومات هو ما اورده لنا باربوسا عن مملكة هرمز ، والمناطق التي كانت تشملها اذ جاء عنها وعن تجارتها بحدود اربعين صفحة مطبوعة ، وتعد المعلومات عنها أكثر تكاملا حتى مما ذكره عن عدن ويظهر بان معلومات باربوسا عن هرمز قد استمدت من ملاحظاته الشخصية ، وهي مع ذلك ناقصة - كما سنرى - بالنسبة لمناطق الخليج العربي فيما يلي مضيق هرمز[٣١]

على الرغم من ان باربوسا قد ادعى في مقدمة كتابه بانه «يعمل لاكتشاف الحقيقة» ، فانه ظل يعبر عن وجهة النـ البرتغالية الاستعمارية سواء ام ابى ، ـد اثناء حديثه عن قدوم الاسطول البرتغالي هرمز عام ١٥٠٧ بقيادة البوكيرك يقو «وقد رغب (اي البوكيرك) ان يسود الـ معهم (اي مع سكان المنطقة) في حـ القضايا ، ولكنهم لم يرضوا مما ـ البوكيرك الى شن حرب على هذه المنـ وبخاصة على الموانىء البحرية ـ تسبب في الحاق خسائر كبيرة بهم فالسلام اذن من وجهة نظر باربوسـ هـ استسلام شعوب المنطقة لسيطرة البوكـ ـ والا فانهم لا يعبرون عن رغبة في السـلام

ويتغافل باربوسا عن بعض الحقائق التي تمس سمعة البرتغاليين من ذلك ـ السريع على حقيقة تخلي البوكيرك عن العمـ في بناء قلعة هرمز الذي كان مرتبطا بحياد بعض قادته العسكريين بخاصة جواو دانوا Jaoo da Nova ، في حين ان الرواية التـ وضعها باربوسا تضع اللوم في هذه القضـ على سكان المنطقة مما دعا البوكيرك ا توجيه المزيد من التدمير للمدينة ، وذ عددا من سكانها ، واجبرهم على الخضو للسيطرة البرتغالية[٣٣]

وعلى الرغم من اهمية معلومات باربوسـ عن الخليج الا ان ما يتعلق منها باسمـ المناطق لم يكن دقيقا وغير معروف للقارىء من ذلك ما ذكره بالنسبة للبحرين حـ وضعها على الساحل الفارسي للخليج مع ا تقع على الساحل العربي ، وان كان ـ وصف المنطقة بصورة مفصلة[٣٤] كمـ يرد ذكر الاحساء على الشاطىء العربي خريطة باربوسا ، وهي مكان ذو اهمية كـ

ل . في حين ان مثل هذه المناطق قد
ت على خريطة ريبيل Reinel التي
عت عام ١٥١٧ [٣٥]

كما ان ضعف المعرفة الشخصية قد
حب على رواية باربوسا حول مملكة هرمز
ارس . اذ تضمنت قائمته بعض الاسماء
ي تقع على الشاطيء العربي من الخليج .
تامة بمجموعها مضطربة . وعلى غرار
التي تظهر في الخرائط المعاصرة يبدو
ا وضعت بدون معرفة شخصية . وان
دا قليلا منها فقط هو الذي يمكن معرفته
تحديد مواقعه [٣٦] فعلى سبيل المثال .
ـ باربوسا اورد اسماء بعض المناطق على
ساحل الفارسي للخليج بصورة محرفة .
دلك Lv ma . والمحتمل انه قصد بها
Im، وهو الميناء الذي يقع على الساحل
ـ جزيرة قسم . و Arman . وعنى بها
مرون او بندر عباس و corgam واراد بها
يرة خارج او خرج وما الى ذلك [٣٧]

فاريز وتنريرو

اذا كان بعض الرحالة البرتغاليين قد
صطحبوا الاساطيل البرتغالية مثل بيرير
باربوسا لاداء خدمات معينة . فان البعض
خر منهم قد اوفدوا لاغراض دبلوماسية
ا هو الحال بالنسبة لفرانسيسكو الفاريز
نطونيو تنريرو فالاول ارسل في سفارة
تغالية الى الحبشة نزلت في مصوع ـ على
شاطيء العربي للبحر الاحمر ـ في نيسان
ا ١٥٢ . ثم عادت بعد ست سنوات من
ك . وهي تمثل اول بعثة معروفة في اوربا
ـ الى بلاط الحبشة وعادت بسلام ذلك
ـ ان هذه السفارات لم يكن يسمح لها في
غ ـ بالعودة الى بلادها مرة اخرى [٣٨]

كما حدث لكوفلهام عام ١٤٨٧ اذ بقى في
الحبشة مدة ثلاثين سنة وتوفي فيها وقد
التقى الاخير بالفاريز في الحبشة وقص عليه
اخباره

لقد ذكر الفاريز ـ كما اورد ذلك في سبب
تاليفه للكتاب ـ بانه اوفد في سفارة من قبل
الملك البرتغالي عمانويل . وقرر بانه سيدون
كل ما يحدث له اثناء رحلته والاقطار التي
يمر بها وعادات الناس وتقاليدهم
وممارستهم ولما كان الفاريز قد بقى في
الحبشة ست سنوات لذلك فان ما كتبه عنها
ـ كما يقول ـ قد جاء عن مشاهده واقعية في
حين ان القسم الاخر جاء عن طريق السماع
من اشخاص موثوقين [٣٩]

وفي الثامن والعشرين من نيسان عام
١٥٢٦ توجه الفاريز الى الخليج العربي على
ظهر احدى السفن البرتغالية فوصله بعد
شهر من اقلاعه . حيث اقلته هذه السفينة
الى ميناء مسقط مع خمس سفن برتغالية
اخرى . وذكر عند حديثه عن هذه المدينة
ارتباطها بالبرتغاليين على ان اهم ما في هذا
المؤلف من معلومات ما اورده عن السفن
البرتغالية في الخليج وتحركاتها ما بين مسقط
وهرمز . وبين الخليج والبحر الاحمر [ ]

اما بالنسبة لانطونيو تنريرو Antonio
Tenreiro . فهو برتغالي يهودي ارسله
الحاكم البرتغالي في الهند في بعثة
دبلوماسية الى البلاط الفارسي بحدود عام
١٥٢ . لرفع الشكوى عن بعض حالات
النهب التي تتعرض لها التجارة البرتغالية في
هرمز . ومتى وصل الى هذه المدينة عن طريق
البحر في مدينة غوا (جوا) في الهند [٤١]
بقى تنريرو في هرمز حوالي خمس اوست
سنوات . وفي نهاية تلك الفترة ارسل من قبل
حاكم هرمز دي مندوزا de Mendoza

Christopher الى ملك البرتغال برسائل هامة عام ١٥٢٨[٤١]

من المعروف بان تبريرو لم يترك رواية مكتوبة عن رحلته ولكن هناك ناحيتين اساسيتين بالنسبة له وهما

١ - انه اول رحالة اوربي استعمل الطريق الصحراوي البري (طريق البصرة - حلب). ولهذا فقد حمل معه رسالة من حاكم البصرة، يطلب فيها الى الاخير ان يؤمن لتبريرو عبورا امنا عبر الطريق الصحراوي. وقد فعل حاكم البصرة هذا بالفعل حيث وصل تبريرو الى حلب، ومنها سافر الى طرابلس ومن هناك اقلع على ظهر سفينة، حيث وصل الى البرتغال عن طريق ايطاليا[٤٢]

٢ - يبدو ان استخدام تبريرو للطريق الصحراوي البري كان يمثل جزءا من السياسة البرتغالية انذاك فعلى الرغم من ان السياسة البرتغالية كانت تقوم على احتكار الطريق التجاري البحري الى الشرق وجعله مقصورا على السفن البرتغالية، وعرقلة النقل عبر الطرق البرية لاغراض التجارة، الا ان البرتغاليين وجدوا ان هذا الطريق هو اكثر الطرق ملاءمة للوصول الى ممتلكاتهم في الهند وفي الخليج العربي، باعتبار انه اقصرها واكثرها سرعة وهكذا بدأ الرسميون البرتغاليون والرحالة والتجار والمبعوثون برسائل خاصة يتحدون طريق البصرة - حلب عندما يتطلب الامر مواصلات سريعة[٤٣]

الرحالة البرتغاليون المتأخرون وطبيعة السياسة البرتغالية

حدث تغير كبير في ظروف البرتغاليين في الشرق في الربع الاخير من القرن السادس عشر، وبالتالي ظهر ذلك فيما كتبه الرحالة البرتغاليون انذاك. إذ تعد هذه الفترة من الفترات الحرجة في تاريخ البرتغاليين في الشرق، ذلك لأنه في عام ١٥٨٠ فقدت البرتغال استقلالها وضمت الى عرش اسبانيا في عهد الملك فيليب الثاني ومع ان حكومة مدريد تركت للبرتغاليين ادارة ممتلكاتهم فيما وراء البحار كما كانت من قبل، الا ان هذا الحدث شكل نقطة بداية حقيقية لافول مجد البرتغاليين في الشرق[٤٥]

لقد ذعر البرتغاليون من وصول ... أوربية جديدة الى الشرق إذ كان عليهم ان يواجهوا المنافسة الحادة على الصعيدين التجاري والسياسي من جانب الهولنديين والانكليز اذ كان الهولنديون (سكان الاراضي الواطئة) تابعين لعرش اسبانيا وحينما حاول فيليب الثاني سحق التجار الهولندية باتخاذ اجراءات مشددة لوقف كل تعامل تجاري بين البلدين، بالقاء القبض على السفن الهولندية الموجودة في المو... الاسبانية، لم يكن للهولنديين مع الهند والشرق الا تجارة غير مباشرة من خلال لشبونة لقد كانت سياسة فيليب ... يستثني الهولنديين من التعامل ... المستعمرات البرتغالية في الشرق، وبدلا من ان يحطم هذا المنع روح المغامرة لدى الهولنديين الذين ادركوا حقيقة الارباح الكبرى التي حصل عليها البرتغاليون ... تجارة التوابل بوجه خاص، أدى ذلك ... تحفيزهم على أن يقوموا باتصال مباشر ... الشرق[٤٦] وعلى هذا الأساس ... الهولندي جان هيوجين فان لنشوتن

Huyghen Van Linschot الى جزر الهند
ـشرقية عام ١٥٨٣ . وبقي هناك مدة تقارب
ـتة عشر عاما ، وجمع قدرا كبيرا من
ـعلومات فيما يختص بالمنتجات ذات القيمة
ـتجارية ووسائل النقل وطرق التجارة
ـفيما عاد عام ١٥٩٢ نشر ذلك واضاف
ـيلا عمليا للملاحين وصف فيه الطريق من
ـسبونة الى الشرق والتيارات والرياح
ـتجارية والمرافىء والجزر وما شاكلها في
ـبحار الهندية ، مع خرائط ورسوم
ـانية[٢٧]

على ان القيمة الاساسية لما نشره
ـنسوتن ، هي اتاحة الفرصة للاطلاع على
ـساد الاستعمار البرتغالي ، ذلك الفساد
ـذي استغلته القوى الناشئة ، الهولندية
ـلانكليزية ، للقضاء على البرتغاليين في
ـخليج والشرق الاقصى وعندما نشرت
ـترجمة الانكليزية لاعمال لينسوتن عام
١٥٩ ، كانت بمثابة «نفخة بوق»[٢٨]
ـتأسيس شركة الهند الشرقية الانكليزية عام
١٦ . وحملت في طياتها الدعوة لمشاركة
ـلانكليز في مضمار التجارة ومد النفوذ الى
ـربوع الهندية وعلى ذلك فقد كان لدى
ـحاكم هرمز البرتغالي تعليمات خاصة على اثر
ـوصول الانكليز الى منطقة الخليج في اواخر
ـقرن السادس عشر ، تدعو لحماية المدينة
ـن الخطر الجديد ، ذلك لان الخليج ـ على
ـد قوله ـ «هو المنفذ الرئيسي الذي يودون
ـحوله»[٢٩]

ـنعكست هذه الوضعية في اعمال الرحالة
ـبرتغاليين والمهمات التي أنيطت بهم خلال
ـقرن السابع عشر ، فعلى سبيل المثال ،
ـعندما أراد تكسيرا ان يعود الى البرتغال عام
١٦٠ ، قرر أن يعود عن طريق جزر
الفلبين ذلك لان القائد العام في مالقا كان
يعتزم ارسال إحدى السفن الى الحاكم
الاسباني في الفلبين تحذيرا من قدوم
الهولنديين الى تلك المنطقة وبحارها[٣٠]
ومثل ذلك نجده في رحلة غوديهو عام ١٦٦٣
حيث وضع اللوم على الهولنديين لقضائهم
على البرتغاليين ، عن طريق استبعادهم من
سيلان ومالقا ، وحرمانهم نهائيا من تجارة
التوابل واضاف ان الضربة القاصية التي
وجهت لهم ـ اي للبرتغاليين ـ كانت من قبل
الانجليز الذين هاجموهم في القارة ،
وساعدوا الفرس في الاحتلال النهائي
لهرمز[٣١]

بيدرو تكسيرا . Teixeira

لا يعرف الا القليل عن بيدرو تكسيرا
وذلك مما ذكره هو عن نفسه ومن هذا
القليل يبدو انه ينتمي الى احدى الاسر
اليهودية البرتغالية التي كانت مستقرة على
الاغلب في لشبونة ، ولكنه لم يكن يجرو على
التصريح بديانته ، وربما لم يترب على
العقيدة اليهودية ولعله بامكاننا الاستنتاج
مما رواه ، بانه خلال الجزء الاعظم من
حياته ، ومن خلال رحلاته ، كان مسيحيا ،
وربما كاثوليكيا ورعا[٣٢] ويبدو ان
تكسيرا ، وعلى غرار تريرو الرحالة البرتغالي
اليهودي السابق في القرن السادس عشر ،
كان يتظاهر لبعض الوقت بانه مسيحي لان
ذلك كان يلائم ظروف السفر في الاقطار
الشرقية اكثر[٣٣]

اما بالنسبة لوالديه ، ولادته ، وحياته
المبكرة ، فيقف تكسيراً صامتا عن ذكر اي
شيء عنها ما عدا قوله بانه في شبابه قد

كرس نفسه لدراسه التاريخ(..) اما الحرفة او التجارة التى كان يمارسها تكسيرا فى اثناء ذهابه الى الشرق فهو امر غير معروف . ولكن يبدو بانه كان طبيبا ومصارفا وتاجرا للجواهر وهو بجانب ذلك كان مورخا وعلى الرغم من ذلك كله فقد كان تكسيرا افضل بكثير فى كتابة يوميات رحلته واعطاء الانطباعات الشخصية عنها . مما هو فى اى شيء اخر(..)

لم يذكر لنا تكسيرا ايضا سبب توجهه الى الهند او السنة التي اتجر فيها من اوروبا الى اسيا ولكن يستنتج مما ورد من اشارات بانه غادرها عام ١٥٨٦ ووصلها فى السنة التاليه على ظهر احدى سفن الاسطول البرتغالي ذلك لان الاسطول البرتغالي في البحر الاحمر وشرق افريقيا كان قد عانى من اندحار على يد الاتراك العثمانيين . فاراد البرتغاليون ان يثأروا لذلك عن طريق ارسال اسطول قوي لمواجهتهم مرة اخرى ولما علم تكسيرا بان هذا الاسطول سيتوجه نحو هرمز بعد انجاز مهمته ، حيث كانت الاوامر الصادرة الى قائد ذلك الاسطول انذاك تدعوه لبناء قلعة في مسقط للمحافظة عليها من الاتراك لذلك قرر تكسيرا بان يستغل هذه الفرصة لمرافقته حيث ربما لا تتاح له فرصة اخرى ، وقد حصل على اذن بذلك فاصطحب الحملة التي خرجت عام ١٥٨٧(..) وبعد انتهاء هذه الحملة توجه الاسطول البرتغالي الى الخليج العربي والقى مراسيه في مسقط حيث ابدى تكسيرا اعجابا كبيرا بكمية الاسماك الكثيرة التي كان يجري اصطيادها هناك ، ثم اتجه الى هرمز ولكن باستثناء ما ذكره تكسيرا عن مسقط فانه يتغاضى عن هذه الحملة ولا يذكر ش... عنها ولا عن مسقط . كما هو الحال في ا... مروره بها عام ١٦٠٤(..)

لقد ارتحل تكسيرا كثيرا في الشر... وعاش في الهند لمدة طويلة . لهذا يبدو ... استنتاجات عرضية في كتابه بانه كان ... قضى عام ١٥٩٣ ، في الهند ثم تركها ... هرمز حيث استقر هناك حتى عام ٩٧ ومهما يكن غرض الزيارة ، فيبدو من الواضح بان تكسيرا كان قد كرس بعض وقته للقضايا التي تتعلق باللغة الفارسية ودراسة تاريخ فارس وهرمز . والذي ... بصورة مختصرة لحوليات مرخواند في كتابه «روضة الصفا» ولطوران شاه في كتابه «ملوك هرمز» وفيما يتعلق بهذا الامر . يشير تكسيرا في المقدمة التمهيدية لهذا الكتاب وفي اشارات اخرى في كتابه انه كان شاهد عيان للاحداث في هرمز والتي وقعت خلال إقامته فيها كما انه . وفي كتاب ملوك هرمز أيضا ، يعطينا وصفا مختصرا عن الجزيرة كما بدت عليه اثناء اقامته فيها وفي نفس هذه السنة غادر هرمز الى الهند ، وذلك بصحبة الاسطول البرتغالي الذي كان يتجه الى الشرق الاقصى على اثر توارد الانباء من الهند عن هجوم هولندي متوقع على الممتلكات البرتغالية في الشرق الاقصى(.)

عاد تكسيرا الى بلاده عام ١٦.. وقبل ان يغادر مالقا في الهند ، كان قد عهد الى بعض اصدقائه بمبلغ كبير من المال من اجل ايصاله الى البرتغال عن طريق السفن البرتغالية الذاهبة من الهند الى البرتغال ولكنه اصيب بخيبة امل عند وصوله الى لشبونة وذلك لعلمه بعدم وصول الم...

ـا فقد بقي هناك في انتظاره لمدة سنة
ـف دون نتيجة ، وعلى ذلك قرر العودة
الشرق مرة اخرى ، حيث ابحر على متن
ـى سفن الاسطول الذاهبة الى الهند في
ـس والعشرين في اذار ١٦٠٤ ، فوصلها
ـشرين الاول من السنة نفسها[...]

في خلال اقل من اربعة اسهر من
ـوله الى الهند ، قرر تكسيرا العودة مرة
ـرى الى بلاده وبعد ان ضجر من
ـسفار البحرية ، والرغبة في ان يرى
ـاطق جديدة ، قرر ان يقوم برحلة برّية الى
ـروبا عن طريق الصحراء ولذلك ترك جوا
التاسع من شباط ١٦٠٤ مبحرا على
ـدى السفن البرتغالية الى الخليج ، حيث
ـل هرمز في السابع عشر من اذار ، ومن
، توجه الى البصرة ولما كان النهر غير قابل
ـلاحة في هذا الوقت قرر ان يصطحب
ـدى القوافل الذاهبة بواسطة الطريق
ـصحراوي الى حلب ، هذا الطريق الذي
ـتمر يستخدام من قبل ممثلي الوكالات
ـسياسية البرتغالية ، القادمين من جوا الى
ـبونة[٦٠] ومن سواحل بلاد الشام الى
ـيسيا . ومنها الى مدينة انتويرب ، حيث
ـانت نهاية رحلته وهناك طبع كتابه عن
ـل وتسلسل ملوك فارس وهرمز . حيث
ـاول الجزء الاخير تاريخ مملكة هرمز
ـلوكها حين احتلال البرتغاليين لها ويذكر
ـلوكها من ١٥١٥ ـ ١٦٢٢ وعلاقتهم
ـلبرتغاليين كما كتب رحلته من الهند الى
ـطاليا . وكانت وفاة تكسيرا في منتصف
ـقرن السابع عشر على اليهودية[٦١]
ـحلة تكسيرا التي نشرها و ف
ـد ـر وطبعتها مؤسسة هاكلايت في لندن

عام ١٩٠٢ اهمية خاصة عن تاريخ الخليج ، ذلك لان الرحل مرّ بالمنطقة عدة مرات برفقة الاسطول البرتغالي ومع ان المعلومات التي تركها هذا الرحالة عن الموانيء العربية على الخليج قليلة ، كمسقط مثلا التي مر بها ، كما ذكرنا ، الا انه اشار الى ناحية مهمة اذاك وهي ان اغلبية السكان على الساحل الشرقي في الخليج كانوا من العرب واظهر كيف ان جزر «بحيلو» و«ريق» وغيرهما ، وكلها ماهولة بالعرب ، كانت ممتعضة من البرتغاليين ، وتتحين الفرصة للثورة ضدهم ، إذ قال «ان رجال ريق لم يكونوا على صلح مع البرتغاليين ، ذلك بسبب المظالم التي كانوا ينزلونها بهم»[٦٢]

تبرز اهمية رحلة تكسيرا في وصفة المركز للمناطق العراقية الواقعة على الطريق الصحراوي ما بين البصرة وحلب فبالنسبة للبصرة ، المدينة الخليجية ، ترك لنا اوصافا مفصلة عن هذه المدينة والحكومة القائمة بها اذاك . واسطول البصرة وحاميتها ، وعن الحالة العمرانية فيها[٦١] كما تحدث عن اسواق المدينة . والمنتجات الرئيسية فيها . وعن تجارتها مع مناطق الخليج العربي الاخرى[٦٠] . وهي معلومات قلما تتوفر بمثل هذه الدقة في المصادر المحلية المعاصرة

مانويل غودينهو Godinho

عاش الاب مانويل غوديهو ـ وهو يسوعي برتغالي ـ ما بين ١٦٣٠ ـ ١٧١٢ ، وهي الفترة التي تمثل نهاية عصر النهضة في اوروبا وبداية العصور الحديثة واذا كان

الهوامش

(١) ج ج لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، طبع بمطابع علي بن علي، الدوحة قطر، د ت، ج١ ص ٩

(٢) المصدر نفسه، ج١ ص ص ١٠ ـ ١١

(٣) جاكلين بيرين، اكتشاف جزيرة العرب، نقلة الى العربية قدري قلعجي، منشورات الفاخرية، الرياض، د ت، ص ص ٥٧ ـ ٥٨ ؛ انظر ايضا (F. Beckingham, some early travels in Arabia, Journal of the Royal Asiatic Society (1946), P. 146.

(٤) Douglas Carruthers, the desert route to India (Printed in 1928 and reprinted in 1967), P. XIII.

(٥) Beckingham, OP. Cit, P. 165.

(٦) الدكتور السيد مصطفى سالم، الفتح العثماني الاول لليمن ١٥٣٨ ـ ١٦٣٥، (معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٤، ص ٤٨

(٧) للتفاصيل انظر سونيا ي هاو، في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت (مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٧) ص ص ١٣٦ ـ ١٥١ ؛ ارنولد ت ويلسون، الخليج العربي، نقله الى العربية وقدم له الدكتور عبدالقادر اليوسف (مكتبة الامل، الكويت، د ت) ص ٢٠٣

(٨) من الملاحظ ان عدداً كبيراً من الرحالة البرتغاليين، كانوا من اليهود ويعود سبب ذلك لمعرفتهم باللغة العربية

(٩) سالم، المصدر السابق، ص ٤٨ ؛ هاو، المصدر السابق، ص ص ١٥٣ ـ Beckingham, Op. Cit, P. 158

(١٠) هاو، المصدر السابق، ص ٢٢٦

(١١) Tome pires, the suma oriental of Tome pires an account of the East, from the Red Sea to Japan written in Malacca and India in 1512-1515, translated from the Portuguese by Armando Cortesao, London, Hakluyt Society, 1944), Vo. I, P. XVIII.

(١٢) Ibid, PP. XVIII - XIX.

(١٣) Ibid, PP. LXVII - LXVIII.

(١ Ibid, PP. XIX - XXI.

(١ Ibid, P. LXXIII.

(١ Pires, OP Cit, P. 19.

(١ Ibid.

(١٨ Durate Barbosa, the book of Durate Barbosa An account of the countries bordering on the Indian Ocean about the year 1518 A.D., translated from the Portuguese text by Mansul longworth Dames (London, Hakluyt Society, 1918), Vol. 1, P. XXXIV.

(١٩ Ibid, Vol. I, P. XXXV.

(٢٠ Ibid, Vol. I, PP. XLIV - XLV.

(٢١ Ibid, Vol. I, P. XLIX. انظر ايضاً «مجلة الوثيقة» البحرينية، العدد الاول، السنة الاولى (يوليو ، ١٩٨٢) ، ص١١٤ حيث يرد تعريف موجز باسماء بعض الرحالة البرتغاليين ورحلاتهم

(٢٢ Barbosa, OP. Cit, Vol. I, PP. 1-2.

(٢٣ Ibid, Vol. I, P. LVIII.

(٢٤ Ibid, Vol. I, P. LXI.

(٢٥ Ibid, Vol. I, P. 70.

(٢٦ Ibid, Vol. I, P. 71.

(٢٧ Ibid, Vol. I, P. 73.

(٢٨ Ibid, Vol. I, P. 74.

(٢٩ Ibid, Vol. I, P. 89.

(٣٠ Ibid, Vol. I, P. 90 "note of the translator".

(٣١ Ibid, Vol. I, P. LXII.

(٣٢ Ibid, Vol. I, P. 101.

(٣٣ Ibid, Vol. I, P. 101.

(٣٤ Ibid, Vol. I, P. 81.

(٣٥ Ibid, Vol. I, P. 76.

(٣٦ Ibid, Vol. I, P. 75.

(٣٧ Ibid, Vol. I, P. 77.

(٣٨ Francisco Alvares, the Prester John of the Indies, being the narrative of the Portuguese embassy to Ethiopia in 1520, ed. by C.F. Beckingham and G.W.B. Huntingford, Cambridge. Hakluyt and Society, 1961, Vol. I, PP. 1-2.

(٣٩) Alvares, OP. Cit, PP. 38-9.

(٤٠) Ibid, Vol. II, P. 473.

(٤١) Hugh Murray, Historical account of discoveries and travels (Edinburgh. 1820) Vol I, P. 367.

(٤٢) Ibid, P. 379; See also C.P. Grant, the Syrian desert (A. & B Black Ltd, London, 1937), P. 83.

(٤٣) Murray, OP. Cit, P. 379.

(٤٤) Carruthers, Op. Cit, P. XVI; Grant, Op. Cit, P. 83.

(٤٥) مصطفى عقيل الخطيب، التنافس الدولي في الخليج العربي ١٦٢٢ ـ ١٧٦٣ المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٨٠) ص٢٥

(٤٦) ويلسون، المصدر السابق، ص ٢٧١

(٤٧) المصدر نفسه، ص ٢٧٢

(٤٨) المصدر نفسه

(٤٩) Carruthers, Op. Cit, P. XIV.

(٥٠) Pedro Teixeira, the Travels of Pedro Teixeira, translated and annoted by William F. Sinclair (London, Hakluyt Society, 1902), P. XVIII.

(٥١) Murray, Op. Cit, P. 385.

(٥٢) Teixeira, Op. Cit, P. I.

(٥٣) Grant, Op. Cit, P. 85.

(٥٤) Teixeira, Op. Cit, P. II.

(٥٥) Grant, Op. Cit, P. 85.

(٥٦) Teixeira, Op. Cit, P. V.

(٥٧) Ibid, P. VII, 18.

(٥٨) Ibid, PP. XVI - XVII.

(٥٩) Ibid, P. XVII.

(٦٠) Grant, Op. Cit, P. 87.

(٦١) Teixeira, Op. Cit, P. XXIV.

(٦٢) Ibid, P. 24.

(٦٣) Ibid, PP. 25-9

(٦٤) Ibid.

(٦٥) Charles David Ley, (ed.), Portuguese Voyages 1498-1663 (J. M. Bent & Sons, London, 1947), P. XX.

(٦٦) Ibid, PP. XX-XXI.

(٦٧) Murray, Op. Cit, Vol I, P. 384.

(٦٨) Ley, Op. Cit, P. XX.

(٦٩) للتفاصيل انظر Murray, Op. Cit, PP. 385-408.

(٧٠) Ibid, Vol. I, P. 393.

(٧١) Ibid, Vol. I, P. 393.

(٧٢) Ibid, Vol. I, P. 394.

(٧٣) Ibid, Vol. I, P. 395-6

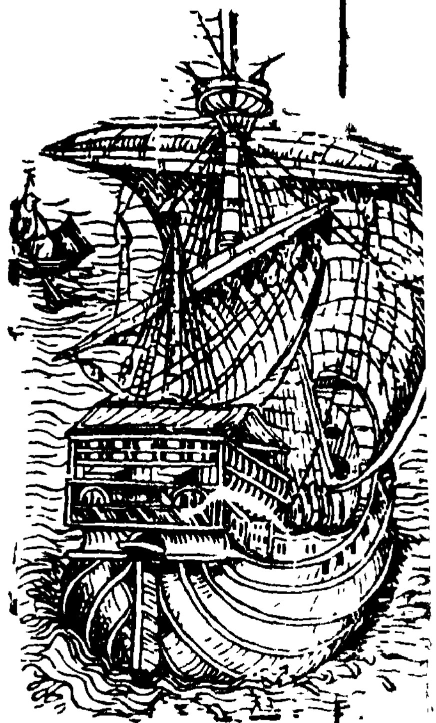
موقف المماليك

ودول الخليج العر

من النفوذ البرتغا

في القرن

السادس عشر الميلا



بقلم الدكتور : يوسف بن على بن رابع النقفى ـ

ان دراسة موضوع بهذا العنوان «موقف المماليك
الخليج العربي من النفوذ البرتغالي في القرن السادس
الميلادي» تتطلب تحديد الفترة الزمنية للدراسة نظرا لا
الفترات التاريخية لكل من دولة المماليك ودول الخليج ال
فدولة المماليك انتهى دورها في التاريخ كدولة مستق

٩٢٣هـ/١٥١٧م بسقوطها امام الدولة العثمانية في معركة مرج دابق ، وبذلك فان مزامنتها لدول الخليج العربي في مقاومة النفوذ البرتغالي خلال القرن السادس عشر الميلادي لا تتعدى تلك السنوات الـ ١٧ الأولى من ذلك القرن ومراعاة للمزامنة بين الطرفين (المماليك ودول الخليج العربي) فإن موضوع البحث سيقتصر على موقف المماليك ودول الخليج العربي من النفوذ البرتغالي خلال الخمسة عشر عاما الأولى من القرن السادس عشر الميلادي

ان هذه الفترة الزمنية القصيرة تتميز بتطور دولة البرتغال في مجال الاكتشافات البحرية والتي كان لها أثرها العظيم على البلدان الاسلامية خاصة دولة المماليك ودول الخليج ولو نظرنا الى جذور التطور البرتغالي في مجال الاكتشافات واسباب ذلك لأدركنا سر ذلك التأثير . فقد كانت الدولة البرتغالية يوما من الايام تحت حكم المسلمين قبل القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادي[١] ، ثم انها تطورت في المجال البحري مما ساهم في تنفيذ مخططها في الانتقام من العالم الاسلامي . فاول ما بدأت بتعقب المسلمين في الاندلس وشمال افريقيا حتى اصبحت ذات نفوذ على الشمال الافريقي واصبحت ورثة مدينة جنوة الايطالية في مجال الكشف وارتياد البحار[٢]

ويتمثل حقد البرتغال على المسلمين في شخص هنري الملاح (١٣٩٤هـ - ١٤٦٠م) الذى اخرج للبرتغال استقلالها بانتصاره على المسلمين ، والذي غذى منذ طفولته بالتصوف المسيحي بغضه المرير للاسلام . فكان أول ما قام به هو شن حملة على سبتة الاسلامية والتي دخل الاسلام منها الى اسبانيا عام ٩٢هـ/٧١١م[٣] . ثم وضع خطته لتطويق العالم الاسلامي فأسس اول مدرسة نظامية للملاحين والتجارة حتى انه في عام ٨٥٨هـ/١٤٥٤م حصل على تفويض من البابا نيقولا الخامس بأن له الحق في جميع الكشوف التي يكتشفها حتى بلاد الهند ، ومن ذلك التفويض نورد الكلمات التالية

«ان سرورنا العظيم ان نعلم ان ولدنا هنري امير البرتغال ، اذ يترسم خطى والده العظيم الملك يوحنا واذ تلهمه الغيرة التي تملأ الأنفس كجندي باسل من جنود المسيح ، قد دفع بسم الله الى اقصى البلاد وابعدها عن مجال عملنا كما ادخل بين احضان الكاثوليكية الغادرين من اعداء الله واعداء المسيح مثل العرب والكفرة[٤]

ومن هذه الالفاظ يتضح لنا اهداف الروح الصليبية العميقة ضد العرب والمسلمين . وبذلك تكررت الحملة البرتغالية الى الشرق الواحدة تلو الاخرى هادفين من ذلك الوصول الى الموانىء الساحلية في الهند والخليج العربي لتطويق العالم الاسلامي وانشاء مراكز تجارية تخدم اهدافهم الاستعمارية ، ومما يظهر النوايا الصليبية

الحبشة ضد الاسلام والمسلمين ما تحدث به البوكيرك * في خطابه الذي القاه على جنده بعد وصوله الى ملقا حيث قال «ان ابعاد العرب عن تجارة الافاوية هو الوسيلة التي يرجو بها البرتغاليون اضعاف قوة الاسلام[5] وفي نفس الخطبة يقول البوكيرك كذلك «الخدمة الجليلة التي سنقدمها لله بطردنا العرب من هذه البلاد وباطفائنا شعلة شيعة محمد بحيث لا يندلع لها هنا بعد ذلك لهيب وذلك لانني على يقين اننا لو انتزعنا تجارة ملقا هذه من ايديهم (يعني المسلمين) لاصبحت كل من القاهرة ومكة اثرا بعد عين ولامتنعت عن البندقية كل تجارة التوابل ما لم يذهب تجارها الى البرتغال لشرائها من هناك[6]».

مما تقدم يظهر لنا بوضوح ان العامل الديني كان المحرك الأول للاكتشافات الجغرافية البرتغالية بهدف الالتفاف حول العالم الاسلامي، ويأتي في الدرجة الثانية العامل الاقتصادي كمؤثر فعال في سير الكشوف البرتغالية. فقد كان لاكتشاف رأس الرجاء الصالح سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٧م بواسطة فاسكو دي جاما ووصوله الى الهند عن طريق الطواف حول القرن الافريقي اثره العظيم على نمو وازدياد الحركة التجارية البرتغالية[7] فقد حقق البرتغاليون تطورا اقتصاديا جديدا بسبب ايصال منتجات الشرق الأقصى للأسواق الاوروبية دون الحاجة الى توفيرها عن طريق مصر أو بواسطة تجار جنوه والبندقية الامتيازات التجارية في مناطق ا التجارية بالشرق والغرب[8] وبذلك تحويل الخط التجاري عن مناطق العربية الاسلامية عاملا فعالا ل الهدف الأول وذلك لما للمجال الاقتـ من اثر في اضعاف القوة الاسلامية زعزعت اوربا قرون طويلة ومن جهة فقد كان عاملا ادى دوره الايجابي في على اقتصاديات العالم العربي و الدولة المملوكية فهناك حقيقة لا انكارها وهي ان الطريق التجاري ا ادى الى انقلاب مفاجىء في ال العالمية. فقد اصبح الاوربيون يحـ على المنتجات الشرقية دون التعر بفرضه المماليك من ضرائب على تلك ا العابرة اليهم عن طريق مصر فقد مصر خلال القرن التاسع الهجري ال عشر الميلادي - قبيل الاكتشـ البرتغالية - غنية لموقعها التجاري بين اوربا وافريقيا[9]، ولتحكمها في الرسوم على المنتجات العابرة مـ اوربا، وعلى سبيل المثال كانت التجارية عند المماليك تفرض رسو التوابل عند وصولها الى ميناء الـ وعند اعادة شحنها في الاسكندرية ، ذلك حتى وصل ثمن حمل الفلفل الى ١٣٠ دينارا فإذا ما وصلت الى اور

* افونسو دي البوكيرك قائد بحري برتغالي والمؤسس الحقيقي للامبراطورية البرتغالية في الشرق رحل ا عام ٩٠٩هـ/١٥٠٣ ، واستولى عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م على هرمز ، وفي عام ٩١٧هـ/١٥١١م ابحر ا واستولى عليها وبذلك وضع جنوب شرق اسيا في دائرة النفوذ البرتغالي وقد مات بمدخل ميناء ح ٩٢١هـ/١٥١٥م (الموسوعة العربية الميسرة ١٩٧٢م ص١٩٦)

ان عارها قد رادت نكثير[١٠] ولكن تحول الخط التجاري عن طريق راس الرجاء الصالح قلل من اهمية مصر التجارية كمنطقة عبور عالمية ، ومما يدلل على ذلك ان سفن البندقية لم تستطع ان تحمل في عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م من موانيء مصر والشام سوى نصف الكمية التي تعودت ان تحملها من قبل[١١]

واكثر ما زاد الوضع تفاقما زيادة النشاط البرتغالي في نقل منتجات الشرق الى الغرب ـ وذلك بتنظيم الرحلات البحرية لسفنهم والعمل على الحيلولة دون وصول السفن العربية الى الهند[١٢] اضافة الى ان ميناء جدة الذي كان الوسيط في نقل البضائع الشرقية الى مصر قد تاثر هو الآخر بالتحول التجاري الى طريق رأس الرجاء الصالح مما ساعد البرتغاليين على اضعاف الدولة المملوكية والهيمنة على ما كان يتمتع به العرب من امتيازات تجارية ، وبالتالي محاربة الدين الاسلامي كما اشرنا الى ذلك سابقا ولم تكن المناطق الاخرى في العالم العربي اقل اهمية من ميناء جدة ، ففي الخليج العربي وفي بلاد الشام وعلى البحر الاحمر وعلى البحر المتوسط كانت هناك مناطق متعددة تقدم دورا هاما كمعابر للتجارة الشرقية الوافدة من الهند والصين واندونيسيا فعلى سبيل المثال كانت الاسكندرية ودمياط على البحر المتوسط تعج بالحركة التجارية مع رواد التجارة الغربيين وكانت المراكز التجارية في بلاد الشام حافلة بانواع التجارة العابرة عن طريق الموانيء الخليجية الى الغرب هذه الحالة الاقتصادية الجيدة في المناطق

العربية بدون شك تاثرت بتحول الطرق التجارية عنها مما ساهم في تدهور الأوضاع عند الدولة المملوكية في مختلف جوانبها[١٣]

اما فيما يتعلق بالتوسع البرتغالي في الشرق ومدى ما وصلوا اليه ، وموقف كل من المماليك والدول الخليجية فسنناقشه فيما ياتي ، فكما ذكرنا سابقا كان العامل الديني هو العامل الاساسي وراء تقدم البرتغاليين نحو الشرق ، ولكن حل ما يخدم اهدافهم الدينية توفر الجانب المادي والذي يتمثل في سيطرتهم على منافذ التجارة فبعد ان تم عبور راس الرجاء الصالح والذي كان يسمى سابقا راس العواصف وسمي براس الرجاء الصالح تفاولا[١٤] ، ادرك البرتغاليون انه لا يمكن تنفيذ مخططهم الاستعماري الصليبي الجديد الا بالتحكم في مركزين اساسيين لهما شانهما العظيم في التحكم التجاري عبر البلاد العربية هذان المركزان هما جزيرة هرمز التي تتحكم في طريق التجارة عبر الخليج العربي ، وباب المندب وعدن ، ذلك المكان الذي يتحكم في الطريق التجاري الى البحر الاحمر[١٥] وبالوصول والتحكم في هذين المركزين سيحقق البرتغاليون اهدافهم الرئيسية التي منها ضرب العالم الاسلامي من الخلف تحقيقا لاهدافهم الدينية المتعصبة ضد الاسلام والمسلمين الذين حكموهم عدة قرون في شبه الجزيرة الايبيريه (اسبانيا والبرتغال) ، وكذلك سيتمكنون من قطع عصب الاقتصاد الاسلامي وتحقيق هدفهم النهائي في بناء حضارة مسيحية[١٦]

وبدأ تحقيق الأطماع البرتغالية في المناطق العربية عندما وضع إفونسو دي

البوكيرك في عام ٩١١هـ ١٥٠٤م مشروعا ضخما للأبحار والتجارة والغزو في البحار الهندية وبحثو له امله عندما ولاه ملك البرتغال عام ٩١٢هـ ١٥٠٦م امور الشرق واعطاه حرية التصرف كيفما شاء ومما جاء في المذكرات الخاصة به ان عليه ان يحرب هرمز وان يحتث التجارة الاسلامية في البحار الاسلامية من جذورها[١٦] وعلى الرغم من ان الدون فرانسيسكو دي الميدا - نائب ملك البرتغال على الممتلكات البرتغالية في الهند السابق - كان يرى تاسيس وكالات تجارية في الهند للمحافظة على العلاقات التجارية مع المراكز التجارية . الا ان خلفه البوكيرك كان يرمي الى انشاء امبراطورية برتغالية في الشرق وبناء القلاع حيثما اسس وكالة لا لحماية التجارة ولكن للسيطرة على الحكام الوطنيين واجبارهم على الاعتراف بالبرتغال كسلطة مسيطرة[١٨]

ونظرا لاهمية جزيرة سقطرة فقد بدا البوكيرك عام ٩١٣هـ ١٥٠٧م بالاستيلاء عليها خاصة وهي تمثل موقعا نموذجيا بالنسبة لاهداف الخطة البرتغالية فهي تقع في مواجهة الساحل الجنوبي لشبه جزيرة العرب وفي منتصف الطريق تماما بين الخليج العربي والبحر الاحمر[١٩] ونظرا لعدم جدوى هذه الجزيرة بسبب فقرها من الموارد الطبيعية فقد فكر البرتغاليون في الاتجاه نحو عدن بهدف قطع الاتصال بين الهند والدولة المملوكية خاصة وان المماليك ... بعول العقاد استعدوا لمقاومة البرتغاليين في المحيط الهندي لما لحقهم من ... اقتصادية نتيجة اكتشاف طريق ... الرجاء الصالح[٢٠] ورغم تمكن البوكيرك من الحاق الضرر بجزيرة بر مدخل البحر الاحمر الا انه لم يتم الوصول الى عدن، فراى ان يتجه موانئ الخليج العربي واهمها قريات و قلهات وصحار وخورفكان وهرمز وال والقطيف والبصرة[٢١]

وسنة تسع وأربعمائة وستين وصل البوكيرك الى قلهات التابعة هرمز، وقبل وصوله اليها اجتاز اسطو كوريا موريا وراس الحد حيث وجد بها اربعين سفينة صيد فاحرقها والقى في قلوب سكان تلك الجزر وفي قلهات البوكيرك من اهلها التسليم والتبعية ل فتم له ذلك خوفا على انفسهم من مدينتهم[٢٢]

ثم بعد ذلك اتجه نحو قريات استقبله الأهالي استقبالا سيئا المدينة وسط مقاومة عنيفة انتهت با فاحرقها واحرق عددا من السفن الرا مينائها ثم أقلع منها الى مسقط عمان الرئيسي - والتي كانت م حراسة جيدة لما بلغ أهاليها ما لحق قريات من تدمير وتعذيب شديدين وصوله مسقط اتاه نبيلان مسلمان ب الأهالي وحاكم المدينة وتوسلا اليه ا الاذى بالمدينة وعرضا له ان يصبحوا لملك البرتغال وان يدفعوا له ما كانوا ؛ لحاكم هرمز غير ان تلك المفاوضات نفعا ورغم المقاومة الباسلة من رجا انهم لم يستسلموا لبعض شروط بتدمير المدينة واحراق المنازل ا الشيوخ والنساء والاطفال[٢٣]

وبعد سقوط مسقط اتجه البرتغال

ـ حار التى يدورها لم تستطع المقاومة فما ـ ى منها الا التسليم ودفع ضريبة سنوية ، حورفكان فقد قاومت الاعداء حسب الاستطاعة ولكن النهاية كانت مريرة حيث لاتت قدرها كغيرها من المناطق السالفة الذكر، بل انها نهبت ثلاثة ايام وعمل البرتغاليون على تشويه اهاليها ثم احرقوها[٢٤]

وتاتى النقطة الحاسمة فى التقدم البرتغالى نحو المرافىء الخليجية وياتى دور هرمز تلك الجزيرة التى كانت بالنسبة لمعظم المناطق الخليجية العاصمة الاولى وهى مقر التجار والوكالات التجارية ومهبط السفن التجارية من كل صوب فحاكمها عربى واسمه سيف الدين يبلغ من العمر ١٢ عاما تحت وصاية خوجه عطار الرجل السياسى والمحنك[٢٥]

علمت هرمز بما اصاب المرافىء الخليجية الاخرى من وبال وتدمير من قبل البوكيرك واتباعه، وعلمت انها سوف تنازل البرتغاليين دون ريب وبذلك اعدت العدة للعدو المسترك باستئجار الكثير من رجال البحرين والمرافىء الخليجية الاخرى ورغم ما ابداه بعض المورخين المتعصبين من التقليل من اهمية المقاومة العربية للبرتغال في هرمز مثل لوريمر * وفاريا دى سوسا البرتغالى الا ان الحق لا يمكن ان يغيبْ، فقد كتب ويلسون فى كتابه الخليج العربى » يقول كان البرتغاليون فى خشية وتردد لعظم طبيعة الواجب الذى عليهم القيام به، لانهم حينما وقفوا فى النقطة التى راى فيها القباطنة عظمة المدينة وعدد الرجال الفرسان المجتمعين على الشاطىء والسفن الكثيرة الرابضة فى الميناء والمجهزة بالرجال والسلاح، اصيبوا بالخيبة والأسى وفى غضون تلك الحالة النفسية جاءوا الى مقربة من سفينة إفو نسو دى البوكيرك وحذروه من مغبة ما هو مقدم عليه، لان تلك المدينة لم تكن كغيرها من المدن التى دمرها، نظرا لكثرة الجنود الذين يمكن ملاحظتهم على الساطىء[٢٦]

فهل نتصور وفقا لما ذكره ويلسون ان الامر بتلك السهولة حتى نصدق ما يروجه الاعداء بضعف المقاومة العربية لاعداء الدين الاسلامى والامة العربية والاسلامية

لقد استطاع حاكم هرمز ووصيه جمع ما استطاعا من العرب حتى بلغ عدد جندهما ٣ آلف محارب بينهم ٤ فارس من ذوى الحذق فى رمى السهام اضافة الى ٤ سفينة منها ٦ ذات حجم كبير وعليها ٢٥ رجل وعدد من قوارب جفر السواحل مليئة بالمدافع الصغيرة[٢٧] وهذه القوات ليست بالهينة على البرتغاليين ولكن الذى خدم البرتغاليين تفوق المدفعية والتدريب المستمر خلال سير حملاتهم البحرية بين الحين والآخر ورغم ما اصابهم من خسائر جسيمة، ورغم المفاوضات بين الطرفين الا انهم حصلوا على استسلام

* لوريمر فى دليل الخليج الجزء الأول وفارياسوسا يشيران الى تمكن البرتغاليين من فتح مدينة هرمز بيسر وسهولة وكأنها اقل مدينة قاومتهم فى منطقة الخليج ورأيهما تماما عكس الواقع حيث كانت مقاومتها أعظم مما كانوا يتصورون وهى المدينة الوحيدة التى واجه فيها البرتغاليون خسائر جسيمة عملوا عليها

حاكم هرمز وموافقته على تبعيته لملك البرتغال واعفاء السلع البرتغالية من الضرائب وان يكون للبرتغاليين الحق في ان لا يدفعوا ضرائب اكثر مما يدفع المواطنون حين يجلب البرتغاليون بضائع اخرى من مناطق غير البرتغال الى ميناء هرمز والثغور التابعة له[28]

وبهذا اصبحت هرمز والمرافىء التابعة لها تحت السيادة البرتغالية، وتحقق لهم الحلم الذى يستطيعون بواسطته ضرب الامة الاسلامية دينيا واقتصاديا وتمكن البرتغاليون من السيطرة على الملاحة في الخليج العربي بعد استيلائهم على هرمز ذلك الميناء العريق والطريق الموصل لكل تجارة الخليج التى تدفع لى البلاد العربية بمنتجات الهند واندونيسيا وغيرهما من بلاد الشرق

ورغم تطلع حاكم هرمز الى القوى المملوكية في المساعدة والمقاومة لاعدائه الا ان ذلك لم يتحقق للاسباب التالية لقد كانت الدولة المملوكة تعيش صراعا سياسيا داخليا ساهم في ضعف قوتها الدفاعية كما كانت كذلك تعيش الصراع والحرب بين فترة واخرى مع الدولة العثمانية والدولة الصفوية على مناطق الحدود، وكانت بالمقارنة مع البرتغال لا تملك الوسائل الدفاعية البحرية المتطورة[29] اضافة الى ذلك البعد المكانى لمناطق الخليج عن مراكز القوى المملوكية وتفشي وباء الطاعون[30] كل ذلك جعل الموانىء الخليجية تعانى الازمة وتعتمد على بسالة وتضحية المواطنين امام الحملات الصليبية الاستعمارية

حماته

ولكن ذلك لا يعنى ان المماليك تحد السلطان قانصوة الغورى لم يفعلوا فقد كان هناك عدد من المناورا البرتغاليين والمماليك في البحر الهند أمل ان يحقق المماليك بعض الانتص لايقاف التقدم البرتغالى نحو الخلي ذلك ما أعده قانصوه الغورى من قوة عام ٩١٤هـ/١٥٠٨ م بقيادة ح الكردى الذى اشتبك مع البرتغال معركة شول وانتصر عليهم، ولكنه في ديو عام ٩١٥هـ/١٥٠٩ م لم يحالفه وعاد أدراجه الى البحر الاحمر الأماكن المقدسة [31] ولعل ذلـ الأسباب التى جعلت حاكم هرمز يتد قوة اسلامية أخرى تسانده ف الصفويين الذين كانوا في نفس الوقت اعداء الدولة المملوكية والدولة ال نتيجة لاختلاف المذهب الدينى و يتحقق التأييد الصادق من قبل الص مما جعل هرمز تعانى الازمة الاست بنفسها

لقد خضعت هرمز للقوة البرتغالية قام به الاهالى من تضحية وطنية ح وقد يكون سبب اخفاقهم في النصر ميزان القوى اضافة الى عدم توفر د الدول الاسلامية المجاورة ويمكن الق البرتغاليين كانوا يعرفون حقا ما العالم الاسلامى انذاك من حروب سياسى، فانتهزوا فرصتهم للتقد المناطق الخليجية، فكانت هرمز، درة في العصور الوسطى كما يقولون، هـ الفداء في النهاية[32]

ورغم تدمر الاهالى وعدم تسلي

بية بالاحتلال البرتغالي ورغم مغادرة البوكيرك - لاتساع أطماعه الاستعمارية - الى عدن وفشله في الاستيلاء عليها (كما سيأتي ذكره)، رغم كل ذلك فقد واصل البرتغاليون اهتماماتهم باحكام قبضتهم على هرمز احدين في اعتبارهم عدم اتاحة الفرصة لجارهم في الشمال (الشاه) ليصبح البديل عنهم في المنطقة وكان مما عمله البوكيرك انه استقبل مبعوث الشاه اسماعيل الصفوي وعرض عليه صداقته[٣٣].وهو يعلم تماما ما يدور من مناوشات عسكرية على الحدود بين العثمانيين والصفويين وليس ادل على نوايا البوكيرك من تلك الرسالة التي ارسلها الى الشاه مع مبعوثه روي جومير يقول فيها

اني اقدر لك احترامك للمسيحيين في بلادك، واعرض عليك الاسطول والجند والاسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك في الهند واذا اردت ان تنقض على بلاد العرب او ان تهاجم مكة فستجدني بجانبك في البحر الاحمر امام جدة او في عدن او في البحرين او في القطيف او في البصرة وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي وسانفذ له كل ما يريده[٣٠]»

لقد قام البوكيرك بهذه المناورات السياسية على أمل اضعاف المقاومة العربية والاسلامية سواء من جانب المواطنين في الخليج العربي أو الدولة المملوكية، ولكنه على الرغم من ذلك كان يتشك في نوايا الفرس فأرسل ابن اخيه بيرو في حملة استطلاعية لمناطق الخليج كان من نتائجها ان قدم تقريرا لم يكن مطمئنا لخاله حيث ان هرمز اعترفت بسيادة الفرس ولم تدفع له الضريبة السنوية المفروضة عليهم عام ٩١٤هـ/ ١٥٠٨ م[٣٥]

عند ذلك صمم البوكيرك - بعد مفاوضات مع ملك البرتغال - على الذهاب بنفسه، فابحر سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥ م على راس قوة بحرية تتألف من ٢٦ قطعة عليها ١٥ جندي برتغالي و٧٠٠ ما لاباري حتى وصل الى قريات ومسقط ومن ثم الى هرمز حيث اعاد احتلالها واستسلمت له القلعة وتم له رفع العلم البرتغالي من جديد عليها[٣٦] وهناك بدات المفاوضات مع الشاه اسماعيل فتوصلوا الى اتفاق يقضي بالتعاون العسكري في مواجهة الدولة العثمانية واصبح بموجبها حاكم هرمز من اتباع الملك البرتغالي ومن ثم عاد البوكيرك الى الهند وهو في حالة غير جيدة بعد ان عين ابن اخيه قائدا للقلعة، وبعد وصوله الى جوا وافته المنية هناك[٣٧]

ورغم هذه الاعمال الوحشية من القائد البرتغالي لأهالي هرمز والمرافىء الخليجية، ورغم خيانة الفرس وانشغال الدولة المملوكية بمشاكلها مع الدولة العثمانية فقد واجه الاهالي في المناطق الخليجية مصيرهم معتمدين على انفسهم، فهاجم المواطنون الحاميات البرتغالية في كل مكان في هرمز ومسقط والبحرين وقريات وصحار ولكن دون جدوى لاختلاف ميزان القوى ووفاة حاكم هرمز سيف الدين عام ١٥٢٢ م وفي عهد خلفه (ابنه محمود) عقد البرتغاليون معه معاهدة زادت بموجبها قبضتهم على هرمز حتى انهم في عام ٩٣١هـ/ ١٥٢٤ م اسندوا حكمها الى فاسكودي جاما لتظل

تحت تبعيتهم لمدة قرن من الزمان[٣٨]

اما فيما يتعلق بعدن وباب المندب مفتاح الجزيرة العربية من الجنوب فقد تقدم البرتغاليون نحوها عام ٩١٩هـ ١٥١٣م في ثمانية عشر مركبا تحت امرة البوكيرك[٣٩] ورغم محاولاتهم العنيدة في اقتحامها فانهم اخفقوا في تحقيق مآربهم لحصانة المدينة ومساعدة دول كبيرة لها مثل دولة ال طاهر في عدن واليمن ومن ورائهم دولة المماليك، اضافة الى ان عدن بولاها حكام عرفوا كيف يدراون عنها الخطر البرتغالي مثل مرجان الظافري[٤٠] ونظرا لانهم لم يحققوا استيلائهم على عدن، فقد احرقوا السفن الموجودة في الميناء ثم اتجهوا بعد ذلك نحو الشمال الى المخا والحديدة. ولكن المسلمين قاوموهم اشد مقاومة حتى ردوهم على اعقابهم. فوجد البرتغاليون فرصتهم في الاستيلاء على جزيرة كمران، ومنها حاولوا اعادة التجربة مرة اخرى للاستيلاء على عدن الا انهم باءوا بالفشل ثانية فوجهوا حملتهم نحو الهند[٤١]

ولكن ما هو الموقف الفعلي لدولة المماليك مع التوسع البرتغالي وتهديد جنوب الجزيرة؟

لقد ذكرنا سابقا ما كان يعانيه السلطان المملوكي قانصوه الغوري من المشاكل الداخلية في مصر، ومشاكل الحدود بينه وبين العثمانيين والصفويين. وكذلك ضعف الموارد الاقتصادية اللازمة لبناء السفن للمواجهة وبسبب ما تعانيه بلاده من تحول طريق التجاري بعد اكتشاف رأس الرجاء .. اضافة الى ذلك ما كانت تعانيه .. نشاط الفرسان الاسبتارية في المياه

الشرقية للبحر المتوسط وقيامهم سلسلة من الغارات على السفن ال وهي محملة بالبضائع والاخشاب و اللازم لبناء السفن[٤٢] ولكنه مع ذلك المسئولية تملى عليه وجوب المجابهة ل البرتغاليين الذين تمكنوا من الوص جنوب الجزيرة العربية ودخلوا مياه الاحمر واستولوا على كمران وهددو حدة الاسلامي[٤٣]

ولو استعرضنا دور المماليك في ه البرتغاليين منذ البداية والمراحل الت بها دولتهم في تكوين قوتها البحر المواجهة لادركنا انهم بذلوا جهدا ي عليه رغم ضعف الامكانيات لتفادي تفاديه من الاخطار البرتغالية التي تهدف الى تدمير الدولة الاسلامية وا الى الاماكن المقدسة

فبينما كان المماليك يحاولون اسطولهم البحري استولى البرتغال سقطرة عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م كذ الى ذلك سابقا. واستطاعوا بهد التحكم في طريق السفن الى باب المن ومع ذلك تمكن قانصوه الغوري من حملة بحرية مكونة من ثلاث عشر وألف وخمسمائة رجل تحت امر الكردي، حيث انتهى به المطاف ا ديو ومنها توجه الى شول haul الاسطول البرتغالي بقيادة لورنزو Lorenze de Almeyda، ابن د وكان ذلك عام ٩١٤هـ/ ١٥٠٨ النصر حليف القائد العربي المسلم ابن نائب ملك[٤٥] ولكن انتصار ا. يدم طويلا فقد عزز البرتغاليون قو

..دة نونو فار بيريرا Nunno Vaz Pereira ..كن الاعداء من مهاجمة الاسطول ..سلامى سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩ م في معركة .. واوقعوا بالجيش الاسلامى الهزيمة و غرقوا سفنهم وعاد القائد المسلم حسين الكردي الى مصر حيث تم تعيينه نائبا على جده ( )

زيادة على ذلك فان البرتغاليين خططوا بعد هزيمة المماليك في معركة ديو للاستيلاء على ملقا ومنافذ البحر والخليج العربى فتم لهم الوصول الى ملقا عام ١٥١١ م ومهاجمة عدن والاستيلاء على كمران عام ١٥١٣م ( )

ولكن السؤال الذى يتبادر الى الذهن هو هل كان ذلك العمل الذى اثر بدون شك على تحويل المنتجات الشرقية عن الطرق القديمة المألوفة له اثر على الدولة المملوكية بمفردها ام شاركهم في ذلك بعض الدول الاخرى ؟ وفي الجواب على هذا السؤال يجب الاشارة الى ان المدن الايطالية جنوه والبندقية صاحبتي الامتيازات التجارية في المناطق العربيه انذاك كانتا من اهم البلدان التى تأثرت بالاكتشاف البرتغالي الجديد فما هو موقف المماليك من تلك المدن وخاصة مدينة البندقية ؟

لقد كان تجار البندقية من اعظم المتضررين اقتصاديا من تحول الطريق التجارى الى المسار الجديد ففى اوروبا كانت البندقية قبل ذلك الاكتشاف في قمة ازدهارها الاقتصادي، وقد اثراها احتكار تجارة الشرق والغرب وكان وصول فاسكو دي جاما الى الهند هو الضربة القاصمة لها حتى انها سنة ١٥٧٣م بدأت تعلق اسواقها(٤٨) لذلك عمل تجار البندقية على بذل كل جهد مع المماليك لايقاف النشاط البرتغالى ففى عام ٩٠٨ هـ ديسمبر سنة ١٥٠٢م اجتمع ١٥ من وجهائها لدراسة هذه الحالة التى وصلت اليها مواردهم الاقتصادية بسبب البرتغال فارسلوا وفدا الى مصر برئاسة بندتو سانوتو Benedetto Sanuto لتحذير الغورى من عواقب سيطرة البرتغاليين على المحيط الهندى وكذلك تخفيض اثمان التوابل في الموانىء المصرية لكى يساعدهم على الوقوف امام ارتفاع اسعارها في الاسواق الاوروبية(٤٩) وكان الغورى من جانبه قد ارسل الى البابا يوليوس الثاني Julius والى بعض الدول الاوروبية متظلما من التصرفات البرتغالية وانه في حالة عدم الاعتبار واتخاذ القرار المناسب فانه سيعامل المسيحيين القاطنين في بلاده اسوا معاملة كما سيقوم باغلاق كنيسة القيامة ( )

لم يكتف البنادقة بالبعثة الاولى فارسلوا عام ٩١٠ هـ/ ١٥٠٤م بعثة اخرى لنفس الغرض، ولكن الغورى اجابهم بانه لا يستطيع ان يعمل شيئا بدون مساعدة عسكرية يستطيع بواسطتها مواجهة البرتغاليين في المحيط الهندى (٥١)

وعندما لم يجدوا الوسيلة الفعالة ضد البرتغال وعجزا منهم لان الكلب لا يعض اذن اخيه كما يقول المثل اقترح البنادقة على الغورى حفر قناة السويس (٥٢) ولكن الغورى لمشاغله الكثيرة لم يحقق لهم ذلك واتجه نحو الدولة العثمانية لطلب المساعدة في انشاء اسطول بحرى ولان الدولة العثمانية كانت تعرف ابعاد الخطر البرتغالي

على العالم الاسلامى فلم تتردد فى المساعدة وسرعان ما ارسل السلطان بايزيد الثانى الى ميناء بولاق عام ٩١٧هـ ١٥١١م ثلاثين سفينة محملة بالاخشاب والحديد والبارود والبنادق والمجاديف والسهام وغيرها من انواع العتاد الحربى دون ثمن (٣٠) ولكن العداء الصليبى المتاصل ضد الاسلام والمسلمين دفع حاكم رودس وقراصنتها لمهاجمة السفن المصرية فى خليج اياس والاستيلاء عليها واخذها الى رودس فما كان من الغورى الا ان امر بالقبض على الاوروبيين فى الاسكندرية ودمياط وكذلك رجال الدين المسيحى فى القدس، وامرهم بالكتابة الى الحكومات الاوروبية باعادة السفن باسلحتها ويصف ابن اياس تاثر الغورى من اعمال الاوروبيين بقوله (فلما بلغ ذلك السلطان تنكد الى الغاية وامتنع عن الاكل يومين) (٤٠)

بعد ذلك استعد الغورى لمنازلة البرتغاليين، فارسل عام ١٥١٤م تحت قيادة حسين الكردى وسلمان العثمانى حملة بحرية اخذت طريقها الى جدة ومن ثم الى اليمن ثم الهند ولكن الحملة لم تحقق الغرض الذى ارسلت من اجله فعادت الى جده سنة ١٥١٦م (٤) وقد يكون سبب اخفاقها ما حدث من تطورات جديدة على الدولة المملوكية، هذه التطورات تتعلق بالتقدم العثمانى نحو مصر وانتهاء دور المماليك كدولة مستقلة عام ٩٢٣ هـ/١٥١٧م

وبانتهاء حكم المماليك لمصر انتقلت مسئولية الدفاع عن الاراضى العربية الاسلامية الى الدولة العثمانية التى قدر لها العمل بجهد واخلاص على حماية الاماكن المقدسة وبقية اجزاء العالم الاسلامى م اخطار الاستعمار البرتغالى، ورغم تمك الدولة العثمانية من تحقيق الانتصار العظيمة على القوى البرتغالية فى جد الجزيرة العربية ومناطق الخليج، الا القوى البرتغالية بسبب ما كان يصلها تعزيزات - كانت تظهر بين الحين والا لاستعادة بعض المناطق الخليجية عبر بفضل القوى الوطنية ودخول بعض ال الاوروبية فى حلبة الصراع مثل هو وبريطانيا، فانه لم يقدر لهم البقاء فى المد الخليجية بعد ان سقطت مدينة مسقط - ١٦٥م اخر موقع حصين لهم فى منط الخليج - على يد الامام ناصر بن رشيد يعاربة عمان (٤١)

ولا يسعنى فى ختام هذا البحث الموجز القول بان ما قام به المماليك ودول الخليج مقاومة - على الرغم من قلة الامكانيا خلال تلك الحقبة القصيرة من الزمن ي المنهج الراسخ فى نفوس ابناء الامة الع والاسلامية، ذلك المنهج الذى ساروا جيلا بعد جيل فى كفاحهم المستمر الاستعمار والروح الصليبية فد المماليك لا يمكن باي حال من الا التقليل من شانها فيما بذلته من ومقاومة تمثلت بوضوح فى حماية الا المقدسة التى كان البرتغاليون يضر باهدافهم عليا فى الوصول اليها واطفا الاسلام فى منابعه وفى اعتقادى انه تعرض هذه الدولة (المماليك) لبعض اله الخارجة عن ارادتها - كما اشرنا الى د سياق البحث - لما تحقق للبرتغال الو والاستقرار فى المناطق العربية الخلي

ـول الخليجية الابية بذلت كل ما في ـعها، وعمل ابناؤها جاهدين متآزرين ضد ستعمار البرتغالي، وجندوا ارواحهم ـوالهم حفاظا على كرامتهم واستبقاء ـرف امتهم العربية الاسلامية وكانت الوقائع الدامية بين المستعمر وابناء الخليج شهادة صادقة لاثبات روح الـوطنية الصادقة التي لا تعرف الكلل والملـل والاستسلام

المراجع

المراجع العربية

* ابن اياس محمد بن احمد بدائع الزهور في وقائع الدهور القاهرة مطابع الشعب، ١٩٦٠م
* احمد العبادي البرتغاليون في البحرين وما حولها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر «مجلة الوثيقة» الصادرة عن مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين، العدد الرابع
* احمد دراج مقاله بعنوان «ايضاحات جديدة» «مجلة الجمعيه المصريه للدراسات التاريخية»، العدد ٦٧/٦٨
* احمد دراج والسيد رجب حراز دراسات في التاريخ المصري القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٦م
* احمد شلبي موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية القاهرة مكتبه النهضة المصرية، ط٣ ، ١٩٧٧م
* الموسوعة العربية الميسرة ط٢ ، دار الشعب، ١٩٧٢م
* المقريزي، تقي الدين احمد السلوك لمعرفة دول الملوك، القاهرة، دار الكتب ١٩٧٠م
* بانيكار اسيا والسيطرة العربية ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، القاهرة، دار المعارف ، ١٩٦٢م
* رجب حراز عصر النهضة، القاهرة ١٩٧٤م
* سعيد عبدالفتاح عاشور مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك، بيروت دار النهضة العربية، ١٩٧٢م
* سعيد عبدالفتاح عاشور اوروبا العصور الوسطى، الجزء الثاني، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٠م

* صلاح العقاد التيارات السياسية في الخليج العربي. القاهرة المطبعة الفنية الحديثة، ١٩٧٤م
* عبدالعزيز سليمان نوار الشعوب الاسلامية، بيروت دار النهضة العربية، ١٩٧٣م
* عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم علاقة ساحل عمان ببريطانيا. دراسة وثائقية، الرياض، مطبوعات دار الملك عبدالعزيز ، ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢م
* غسان علي محمد رمال صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الاحمر جده مطابع دار العلم ، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٥م
* محمد رزق سليم الاشرف قانصوه الغوري القاهرة · الدار المصريه
* محمد عبدالله عنان دولة الاسلام في الاندلس. القسم الاول ط٤ ، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٩م
* محمد عبدالله عنان نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، ط٣ ، القاهرة مطبعة لجنة التأليف ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م
* نوال صيرفي النفوذ البرتغالي في الخليج العربي الرياض مطبوعات دار الملك عبدالعزيز. ١٤٠٣ﻫ/ ١٩٨٣م
* ويلسون السير ارنولد الخليج العربي. ترجمة الدكتور عبدالقادر يوسف، الكويت مؤسسه فهد المرزوق الصحفية

المراجع الاجنبية

* Alboquerque Afonso, The Commentaries of the Great Afonso Alboquerque Vol III. Translated from the Portuguese edition by Walter de Gray Birch London, printed for the Hakluyte Society, 1880.
* Bailey, W. Diffie and Winius George, D. Foundation of the Portuguese Empire, 1415-1580, Minneapolis: University of Minnesota, press, 1977.
* Coupland, R. East Africa and Its Invaders. Oxford: The Clarendon Press, 2nd ed. 1958.
* Faria Sousa. The History of the Discovery and Conquests of India by the Portuguese. Translated into English by John Stevens, London: 1894.
* Fisher, S.N. The Middle East A History. New York: Alfred A. Knop, Inc, 2nd Ed. 1968.

* Gordon, D. Historical Geography of Europe.
London: 2nd Ed. Mathen and Co. Ltd. 1943.
* Grane Briton, and others. A History of Civilization, Vol. I, 2nd Ed. New Jersey: Prentice-Hall, inc. 1960.
* Hess Andrew, S. The Evolution of the Seaborn Empire in the Age of Oceanic Discoveries. "American Historical Review," 1970.
* Jeudwine, J. W. Studies in Empire and Trade.
London: Longmans, Green and Co. 1923.
* Kertesz, D.S. and Fitzsimins, M.A. Diplomacy in Changing World. University of Notre Dame, Press 1959.
* Miles, S.B. The Countries and Tribes of the Persian Gulf London: 1966.
* Solomon Modell. A History of the western world, Vo. I. New Jersey: Prentice-Hall, Inc. 1974.
* Stripling, G.W.F. The Ottoman Turks and The Arabs. Urbana: The University of Illinois Press, 1942.
* Torayah Sharaf, A. A short History of Geographical Discovery. London: George, G. Harrap and Co. Ltd, 1967.

الهوامش

(١) محمد عبدالله عنان «نهاية الأندلس» . ص ٣٢٢
(٢) نابيكار ، اسيا والسيطرة العربية ، ص ٢٤
(٣) محمد عبدالله عنان دولة الاسلام في الاندلس ، القسم الأول ، ص ٢٤
(٤) نابيكار اسيا والسيطرة العربية ص ٢٥
(٥) نابيكار اسيا والسيطرة العربية ، ص ١٠
(٦) نابيكار اسيا والسيطرة العربية ، ص ٤٨
(٧) Solomon Modell A History of the Western World, Vol.1,p 605
Kertesz, S D and Fitzsimons, M A Diplomacy in A changing World, P 5.
(٨) Fisher, S N The middle East A. History, P 144
سعيد عبدالفتاح عاشور اوربا العصور الوسطى ، جـ ٢/٣٠٣
(٩) Fisher, S N, The Middle East history, P. 145
(١٠) احمد دراج ، مقالة بعنوان «ايضاحات جديدة» مجلة «الجمعية المصرية للدراسات التاريخية» ، عدد ٦٧/٦٨، ص ٢٢٠
(١١) احمد دراج دراسات في التاريخ المصري ص ١٠٩
(١٢) نابيكار اسيا والسيطرة العربيه ، ص ١١٠/١١
(١٣) احمد شلبي ، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، ص ٢٣٣
سعيد عبدالفتاح عاشور ، العصر المملوكي في مصر والشام ، ص ٣٠٠
(١٤) السيد رجب حراز ، عصر النهضة ، ص ٣١٦
(١٥) عبدالعزيز سليمان نوار ، الشعوب الاسلامية ص ١٣١
(١٦) عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم ، علاقة ساحل عمان ببريطانيا دراسة وثائقية ، ص ١٩
(١٧) نفس المصدر ، ص ٢٥
(١٨) السير ارنولد ولسون ، الخليج العربي ، ترجمة عبدالقادر يوسف ، ص ١٠٤
(١٩) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، ص ١٥
(٢٠) نفس المصدر ونفس الصفحة
(٢١) نوال صيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج، ص ١١٨
(٢٢) ارنولد ويلسون، الخليج العربي، ص ٢٠٥
(٢٣) ويلسون، الخليج العربي، ص ٢٠٦ احمد العناني، « البرتغاليون في البحرين وما حولها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر » مجلة « الوثيقة » الصادرة عن مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين، العدد الرابع، ص ٨٦

(٢٤) Faria Sousa. The History of the Discovery and conquest of India by Portuguese. Thanslated into English by John Steven, Vol. I, P. 128.

(٢٥) ويلسون. الخليج العربي، ص ٢٠٨ نوال صيرفي. النفوذ البرتغالي في الخليج ص ١٢٤

(٢٦) ويلسون. الخليج العربي، ص ٢٠٨

(٢٧) ويلسون الخليج العربي، ص ٢٠٨ عبدالعزيز سليمان نوار، الشعوب الاسلامية، ص ١٣٢

(٢٨) عبدالعزيز ابراهيم، علاقة ساحل عمان ببريطانيا، دراسة وثائقية ص ٣٠ صلاح العقاد التيارات السياسية في الخليج العربي، ص ١٦ ويلسون ص ٢٠٩

(٢٩) East Gordon Historical Geography of Europe.P.320.Crane Briton Ihone,B Christopher, Robert Lee Wolff. A History of Civilization P.519-21

(٣٠) المقريزى السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ ١/ص ٥٠٧ ابن اياس، بدائع الزهور جـ ٣/ص ٢٨٧، ٣٣٥

(٣١) J W. Jeuwine. Studies In Empire and trade. p. 130. R. Coupland. East Africa and Its Invaders, P. 47.

(٣٢) احمد العناني البرتغاليون في البحرين وحولها مجلة الوثيقة، العدد الرابع ص ٧٩

(٣٣) ويلسون. الخليج العربي، ص ٢١٣

(٣٤) صلاح العقاد التيارات السياسية في الخليج العربي، ص ١٧

(٣٥) ويسلون ص ٢١٣

(٣٦) نفس المصدر - ونفس الصفحة

(٣٧) عبدالعزيز ابراهيم. وعلاقة ساحل عمان ببريطانيا، دراسة وثائقية، ص ٣٢ ويلسون، ص ٢١٤

Miles, S.B. The Countries and Tribes Of The Persian Gulf, P. 154

(٣٨) ويلسون، ص ٢١٨

(٣٩) Afonso, Alboquerque. The commentaries of the Great Afonso Alboquerque. Vol. III Translated from the Portuguese Edition of 1774 by Walter de Gray Birch. P. 126, 28.

(٤٠) عبدالعزيز نوار، الشعوب الاسلامية، ص ١٣١ صلاح العقاد، التيارات السياسيه في الخليج العربي، ص ١٨

(٤١) عسان محمد رمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الاحمر، ص ١٤٢

(٤٢) احمد سيد دراج، دراسات في التاريخ المصرى، ص ١١٤

(٤٣) المصدر السابق، ص ١٢٦ انظر ايضا

G. W.F. Stripling The Ottoman Turks and the Arabs. p. 30.

(٤٤) Atorayah Sharaf. A short History of Geographical Discovery, P. 170. Andrew c. Hess "The Evolution of the Uttoman Seaborne in the Age of the Oceanic discoveries 1455 - 1525. American historical reveiu. 1970. P 1905

٤٥) J. W. Jeudwine. Studies in Empire and trade. P. 130. Sir John Glubb. Soldiers of fortune, The story of the Mamluks. P. 418.

كذلك انظر ابن اياس بدائع الزهور في وقائع الدهور. جـ ١٤٢/٤ وايضا احمد دراج دراسات في التاريخ المصري. ص ١١٣

٤٦) ابن اياس بدائع الزهور في وقائع الدهور. جـ ٣٠٨/٤ ايضا احمد دراج دراسات في التاريخ المصري. ص ١١٣

٤٧) Afonso, Alboquerque. The Commentaries of the Great Afonso Alboquerque. Vol. III. P. 126-28.

كذلك انظر غسان رمال صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الاحمر ص ١٨٧/٩٩

(٤٨) عبدالعزيز ابراهيم. علاقة ساحل عمان ببريطانيا. دراسة وثائقية ص٢٣/٢٤ سعيد عبدالفتاح عاشور. مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك. ص٣٧٥

(٤٩) احمد دراج. دراسات في التاريخ المصري. ص١٠٩/١١٠ انظر كذلك Bailey W. Diffie and George D. Winius. Foundations of the Portugues Empire. p.230/31 —

(٥٠) المصدر الانجليزي السابق ص ٢٣١

(٥١) احمد دراج. دراسات في التاريخ المصري. ص ١١٠

(٥٢) نفس المصدر

(٥٣) ابن اياس ص ٧٨٧ احمد دراج دراسات في التاريخ المصري. ص ١٢١

(٥٤) المصدر السابق ص ١١٧

(٥٥) محمد رزق سليم «الاشرف قانصوه الغوري» ص ١١٧ ابن اياس. بدائع الزهور ج٤/٤٥٨

(٥٦) احمد العنابي البرتغاليون في البحرين وحولها مجلة الوثيقة العدد الرابع . ص ١١٤

قراءة في المنهج السياسي



هده دراسة سياسية تحليلية موحرة يراد بها تسليط الصوء على المنهج السياسي للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود والدي تم التعبير عنه في مجموعة من المنجزات السياسية التي قام هدا العاهل السعودي بتحقيقها في طريقه الحثيث نحو تأسيس المملكة العربية السعودية ولأن تلك الانجازات من الكثرة بحيث يصعب تغطيتها في دراسة كهذه ، فان كاتب هده الدراسة سيحاول ان يعطي بعضا منها والدي يمكن من خلاله ابراز الأوجه المتعددة للمنهج السياسي الدي سار عليه الملك عبدالعزيز

ان توحيد الأجزاء المترامية من شبه الجزيرة العربية التي تعرف اليوم بالمملكة العربية السعودية يعتبر من أهم منجزات الملك الراحل فتوحد المملكة - بالصورة التي تمت وبالنظر الى اعتبارات الزمان والظروف السياسية التي مر بها هذا الجزء من [illegible]

الدكتور/ عبداللطيف حسن الرميحي (البحرين)

ك عَبدالعزيز آل سُعود



العالم في الفترة محل الدراسة ـ يعد انجازا سياسيا من الطراز الأول[١] وهذه حقيقة يتفق عليها محللو الشرق والغرب . بل ويذهب بعض هؤلاء المحللين الى القول بأن الخطوات التوحيدية التي قام بها الملك عبدالعزيز والتي انتهت بانشاء المملكة العربية السعودية كانت اجراء تقدميا يستحق الاطراء والثناء بيد أن هذه الخطوات الجسارة التي تحققت بصورة معلنة وعملية بضم اقليم الحجاز[٢] الى الأقاليم الأخرى التي كانت تخضع لسيطرة الملك ما كان لها ان تتم ما لم يضع في الاعتبار التجارب السياسية العميقة التي كانت نتاج سنوات طويلة من الغربة والمعاناة وبهذا يصبح من الضروري أن نتحدث عن المراحل المختلفة التي مرت بها حياة الملك عبدالعزيز لكي نتفهم بصورة أدق قيمة الانجازات التي تحققت على يديه والدروس السياسية العديدة التي أفاد منها خلال مروره بهذه المراحل

نافذة على السياسة المحلية والدولية قصة الكويت:

ولد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود في مدينة الرياض في الثاني من ديسمبر من عام ١٨٨٠ ميلادية[٣] وبعد حوالي اثنين وعشرين عاما (في يناير من عام ١٩٠٢) عاد الى مسقط رأسه ليحررها من أسرة آل رشيد بعد سنوات طوال قضاها في منفاه بالكويت في ضيافة أسرة ال صباح ولعل سنوات المنفى التي قضاها الأمير عبدالعزيز في الكويت تصلح كمدخل هام لفهم المنهج السياسي الذي تبناه في مرحلة لاحقة من حياته فمما لا شك فيه أن آل سعود قد استفادوا استفادة كبيرة ومتعددة الجوانب من فترة وجودهم في الكويت فبالاضافة الى كون الكويت قد أعطت الفرصة لآل سعود لكي يعيدوا بناء أنفسهم وأعطتهم الحرية التامة لتدارس أوضاعهم وأوضاع خصومهم وهيأت لهم الفرصة للاتصال بكافة القوى التي أرادوا الاتصال بها دون قيود أو موانع . فإن مرحلة الكويت تعتبر مرحلة هامة من مراحل النضج السياسي التي مرت بها حياة الملك عبدالعزيز ويعود ذلك الى أسباب عديدة

ففي الكويت عايش الأمير الشاب حدثا ودرسا سياسيا هاما وقد تمثل ذلك في الاسلوب الذي عالج به الشيخ مبارك الانقلاب أو المشكلة الداخلية الكبيرة التي حدثت عام ١٨٩٦[٤] والمتمثلة في النزاع على الحكم وبغض النظر عن أسباب هذا الانقلاب السياسي الهام ودونما الحاجة الى الخوض في تفاصيل هذه المرحلة[٥] فاننا نستطيع أن نؤكد بأن هذه التطورات ـ وما صاحبها من تكتيكات سياسية مارسها الشيخ مبارك بهدف

لعامة الى حاسه وبهدف وصع
امرات خصومه - قد عمقت
السياسية لدى الشاب ذي
عشر ربيعا

شك أن الأمير عبدالعزيز قد
كثيرا من الاسلوب الذي عولج
راع على الحكم فقبل عام
كان عبدالعزيز يراقب تطور
الداخلي[٦] وقد امتنع الأمير
زير وأسرته عن التدخل في هذه
ات حيث أنها من الشئون
ة للبلد المضيف

الكويت أيضا انتقل الأمير
زير من مرحلة السياسة
الى مرحلة التطبيق العملي ،
لمرحلة التي أقام فيها تحالفا
ا صلبا مع الشيخ مبارك
أما أسس هذا التحالف
من المقولة السياسية القديمة
عدوى صديقي» ولا شك أن
سباح وابن السعود قد وحدا في
عبدالعزيز بن متعب آل رشيد
سرة آل رشيد وأمير حائل عدوا
ا ففي حين كان آل رشيد
ن مسئولية مباشرة عن نفي
عبدالعزيز آل سعود ووالده
عبدالرحمن وباقي أسرته[٧] ،
رشيد أيضا يحتفظون بطموح
عتيق نحو الكويت ذات الموقع
راتيجي الهام والميناء
[٨] ولهذا فقد اقتضت

المصلحة العليا لأسرتي الصباح وسعود قيام تحالف استراتيجي بينهما للاطاحة بعدو آل رشيد أو على الأقل زعزعة استقرار سادة حائل واضعاف قوتهم ولذلك جاءت المساعدات التي قدمها آل سعود للكويت في مرحلة لاحقة لان المصلحة العليا لآل سعود كانت تقتضي شد أزر آل صباح - بغض النظر عن الاعتبارات الأخرى ولعل معركة الصريف التي وقعت في فبراير من عام ١٩٠١ كانت تتويجا لتحالف آل صباح وآل سعود ضد عدوهم المشترك[٩] ففي هذه المعركة نجد الامام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود يشترك في قيادة القوات الكويتية السعودية التي اتجهت للقاء قوات ابن الرشيد ويقف على رأس قوة أمير رئيسية هامة من القوتين اللتين اشتركتا في المعركة ضد قوات أمير حائل أما نجله الأمير عبدالعزيز فكما تشير المصادر استغل فرصة انشغال ابن الرشيد في حربه الطاحنة ليتجه على رأس قوة الى الرياض (حلمه القديم) حيث اتصل بأهلها وتعرف على ظروفها وحرض سكانها على الثورة على آل رشيد وطمأنهم الى أن آل سعود قادمون اليها من جديد وكان على أبواب فرص سيطرته عليها لولا أن وصلته أنباء انكسار قوات والده وقوات ابن الصباح في المعركة المذكورة[١٠]

وهناك ابعاد اخرى لا تقل اهمية ترتبط بتواجد اسرة ال سعود في الكويت فبالاضافة الى التجارب التي استفادها الامير عبدالعزيز من جراء الصراع الداخلي الذي كان يدور هناك والتحالف السياسي الذي اقامه ال صباح مع ال سعود ، فان الأمير عبدالعزيز كان ولا شك قد استفاد من الصراع الدولي الذي كانت الكويت محوره والذي يتلخص في رغبة محمومة من قبل بعض القوى الأوربية للحصول على موطئ قدم في هذا الجزء الاستراتيجي من الخليج العربي[١١]

وبالنظر الى ما اكتسبته الكويت من مكانة دولية خاصة في تلك الفترة فاننا نجد ان الصدفة التاريخية - التي جعلت من هذه الامارة مقاما لآل سعود بعد رحيلهم من نجد - كانت على المدى الطويل في صالح هذه الأسرة ففي الكويت رأى عبدالعزيز التنافس على اشده بين العثمانيين والانجليز للسيطرة على شئونها كما شهد محاولات العثمانيين المتكررة لبسط نفوذهم على الكويت وقد ظلوا على حال من الكر والفر في مواجهة حاكم حاول جاهدا المحافظة على استقلال بلاده الا ان الشيخ مبارك الصباح أذعن أخيرا للصراع الدولي الذي كانت الكويت محوره[١٢] وارتبط ... الحكومة البريطانية باتفاقية ٢٣ ... عام ١٨٩٩ ميلادية ، والتي ظلت سارية المفعول حتى استقلال الكويت في مطلع الستينيات من القرن الحالي ولعل الأهم من ذلك أن الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن ال سعود قد شهد جانبا اخر من الصراع الدولي حول الكويت غير ذلك الدائر بين الانجليز والعثمانيين فقد كانت الكويت محورا لمشروع طموح تقدمت به الحكومة الروسية عبر أحد مواطنيها المدعو فلاديمير كابنيست وهو المشروع الذي كان يرمي الى ربط ميناء طرابلس على البحر المتوسط بالكويت المطلة على الخليج العربي وربما كان ذلك لبسط نفوذها السياسي[١٣] أضف الى ذلك المشروع الطموح الآخر الذي تقدمت به المانيا لربط الكويت بخط السكة الحديد الشهير برلين - بغداد[١٤] ان المشروعين المذكورين يقعان خارج اطار هذا البحث ولذلك لن يتسنى لنا مناقشتهما بالتفصيل الذي نطمح اليه ولكن غاية الأمر أن وجود الامير عبدالعزيز آل سعود في الكويت وفي هذه الظروف بالذات قد ساهم ولا شك في تعميق ادراكه للمسائل المتعلقة بالسياسة الدولية حيث أن عبدالعزيز قد عايش هذه التجارب ونظر اليها نظرة المراقب المتفحص وهي تجربة فذة للأمير الشاب عمقت من خبرته السياسية وهيأته ليتبوأ مكانة سياسية عالية عندما أصبح رجل دولة بعد استلام زمام الحكم[١٥] ...

ا البعد لاستقرار ال سعود
لا يغيب عن أذهان محللي
الملك عبدالعزيز ال سعود

ى حقيقة هامة ترتبط بتواجد
ند العزيز في الكويت يجب أن لا
ن أهميتها على الاطلاق
افة الى أن عبدالعزيز استفاد
سياسية كبيرة من معايشته
التي مرت بها هذه الامارة
رة سواء ما يتعلق منها
ـة الداخلية أو بسياساتها
ة والدولية فانه قد تمكن فوق
من فهم شخصية الشيخ
لصباح فهما جيدا جعله يمتلك
ـيرة على التعامل معه عندما
من اعادة تأسيس البيت
ي لقد كان الشيخ مبارك
شخصا ذا طموح سياسي
ربما الأمير عبدالعزيز قد أدرك
ذا الطموح لأنه اذا ما نما
سيصطدم بمصالح جيرانه
هم آل سعود وهذا ما أثبتته
فيما بعد عندما حدث شرخ
قات الكويتية السعودية بدأ
م مصالح البلدين منذ عهد
مبارك الا أن وفاة الشيخ
لصباح (المبكرة) قد أبطلت
لاصطدام المسلح ومع ذلك
العزيز آل سعود ووالده على
ن ادراكهما لطبيعة الشيخ
أنهما مضيا قدما في حلفهما
عدوهما المشترك ابن الرشيد

واعتبرا ما سوى ذلك لا يخرج عن دائرة التناقض المشروع

مبدأ التصميم ... قصة الرياض

بناء الدولة السعودية الحديثة بدأ في ليلة من ليالي شهر سبتمبر من عام ١٩٠١ ميلادية من الكويت بدأ القصة أربعون فارسا بقيادة الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن ال سعود[٦٦] ان قصة تحرير الرياض من قبضة آل رشيد تعبر تعبيرا صادقا عن مبدا التصميم الذي هو من صميم المنهج السياسي للملك عبدالعزيز وعلى الجانب الآخر لم يكن النهج الذي سار عليه ال رشيد في حكمهم لنجد نهجا محببا لسكان هذه المنطقة[٦٧] الأمر الذي خلق فجوة كبيرة بين الحاكم والمحكوم وجعل مواطني الرياض وغيرها من المدن يبدون تذمرا شديدا ازاء ممارسات ال رشيد ومن كان يحكم باسمهم

لهذا فقد كان الأمير عبدالعزيز محقا في اعتقاده بأن آية محاولة منظمة للقضاء على حكم آل رشيد سيكتب لها النجاح بموازرة السكان المحليين والقبائل الأخرى وكان الاعتقاد أن تنضم قوات كبيرة موالية للأمير الشاب وهو سائر في طريقه نحو تحرير مدينة الرياض وهذا ما حدث بالفعل فقد التحقت قوات كبيرة من الهجانة والخيالة المحملة بالذخائر والعتاد الى ركب الأمير عبدالعزيز حين

مروره بالأحساء[١٨] في هذه المرحلة التي يمكن أن نطلق عليها المرحلة الأولى - ارتفعت معنويات ابن سعود لتزايد أعوانه الأمر الذي أدى بالتالي الى زيادة فرصة نجاح المهمة التي خرج من أجلها إلا أن الضغوط التي مارسها آل رشيد من خلال حلفائهم الأتراك على القوات التي انضمت الى عبدالعزيز جعلته في نهاية المطاف ينتهي بستين فارسا فقط[١٩] وبهذا العدد المحدود تنتهي المرحلة الأولى من مراحل التحرير وكان من المتوقع وقد حكمت الظروف بهذه التطورات أن يتراجع عبدالعزيز عن الهدف الذي خرج من أجله ويلتفت شمالا نحو الكويت حيث كان والده يضغط عليه للعودة بعد أن علم بتخلي معظم أنصاره عنه[٢٠] ولا شك أن الأمير عبدالعزيز كان يدرك الأبعاد النفسية لهذا الانسحاب الجماعي حيث أن معنويات الجماعة المتبقية يمكن لها أن تتأثر وتهبط إلا أن مبدأ التصميم كان أقوى من أن يقاوم كما أن معنويات الجماعة الموالية كانت أمتن من أن تهتز وهي ترى قائدها يتمتع بهذه الروح المعنوية العالية والتصميم الذي لا ينكسر ولا يلين

وهكذا تبدأ المرحلة الثانية من ... التحرير بستين فارسا اشترك ... منهم فقط في العملية العسكرية المحدودة لتحرير ... ولا شك أنها عملية تدعو للاستغراب إذ أنك لا تتوقع أن يتمكن هذا العدد المحدود من الرجال من تحرير مدينة بحجم الرياض ... أن ما حدث يبرهن على ما ذهبنا الـ... من أن مبدأ التصميم بعد ولا شك لبـ... أساسية من لبنات أي انتصار انجاز حضاري كما أثبتت لنا دروس التاريخ

ومن الضروري - ونحن نتحدث عن تحرير الرياض - الإشارة الى ... صاحب هذه الحملة من جوانب ايجابية خدمت الأمير عبدالعزيز بعد أن ركزنا فيما سبق على المعوقات التي واجهته لقد استفاد عبدالعزيز من فكرة الدعاية في الحروب والتي هي من المبادىء الأساسية في الحروب الحديثة صحيح أن الأمير عبدالعزيز قد خسر المئات من أنصاره بتخليهم عنه في المرحلة الأولى لحملته ولكن تخلي هذا الكم من الأنصار لم يكن سلبيا خالصا كما يبدو لنا من الوهلة الأولى فنحن نعلم أن أنباء ما حدث قد انتشرت في معظم أنحاء الجزيرة العربية بدليل أن والد الأمير عبدالرحمن آل سعود المقيم في الكويت علم بذلك وأرسل رسولين الى ولده في محاولة لاقناعه بالعدول عن التوجه نحو الرياض والعودة الى الكويت ومما لا شك فيه أن تلك الأنباء قد وصلت الى أسماع آل رشيد وفي حين أنها ضاعفت من عنصند... فانها خدمت ابن سعود ...

تلك الأخبار الى خصوم ابن
قد جعلتهم يتخلون عن جانب
التشديد وربما يرجون من
تهم التشديدة وهنا نتساءل ألم
هذه الخطوة في صالح الأمير
زيز اذا ما قورنت بالاحتمال
الذي كان من الممكن أن يتم
كل السيناريو الخاص به على
معركة عسكرية طاحنة بين قوات
سعود وقوات ابن الرشيد في
البساتين مثلا أو أي من
القريبة على أساس أن
شيد كانوا يعلمون بتوجه قوات
يقودها ابن سعود نحو معقلهم
ي أما وان آل رشيد قد علموا
م يعد هناك وجود لهذه القوات
حال ابن سعود في تقهقر دائم
أمر أصبح محتملا جدا وبقدر
ابن سعود سلبا بتخلي رجاله
ه استفاد كثيرا من هذه الخطوة
ية التي ضللت خصومه ومكنته
ص بفود أسرته من جديد على
الرياض في عملية عسكرية
كان لها خسائر محدودة

ين البدو ... البعد
ري :

الحديث عن الانجاز الضخم
في مشاريع الاستيطان التي
بالهجر والمزايا الكثيرة التي
هذه السياسة بات أمرا عاديا
الاستغراب أما عن دوافع

الملك عبدالعزيز وراء هذا المشروع فقد كثر الحديث عنها وان كان البعض يميل الى تغليب الدافع الاقتصادي ومع اننا لا نغفل اهمية هذا الدافع الهام حيث ان استقرار قبيلة أو فخذ من قبيلة في منطقة جغرافية معينة محاذية لمصدر مائي من شأنه أن يسهم في نشر الزراعة وتنمية التجارة ، الا أن الدافع العسكري كان ولا شك من الأسباب الأساسية التي دفعت الملك عبدالعزيز الى التمسك والاصرار على فكرة الهجر[٢٢] ونحن نعرف بان خطوات التوطين التي بدأت مع حلول عام ١٩١٢ قد جاءت في غمرة العمليات العسكرية الرامية الى بناء المملكة العربية السعودية وقد ترافقت هذه العمليات مع التدهور الشامل الذي أصاب أوصال الامبراطورية العثمانية كما كانت هناك قناعة تامة في الأوساط الدولية بان الامبراطورية العثمانية والتي كان يطلق عليها انذاك الرجل المريض كانت على شفا الانهيار وكانت الدول العربية والشرقية على السواء منشغلة بتقسيم أقاليم هذه الامبراطورية فيما بينها

ويجب أن لا يغيب عن بالنا وقد وصلت الأمور الى هذا الحد ان الدولة العثمانية كانت تحتل جزءا هاما من اجزاء شبه الجزيرة العربية يتمثل في اقليم الأحساء وذلك عقب الحملة الشهيرة التي قادها مدحت باشا في

عام ١٨٧١ لاحتلال هدا الاقليم

ولهدده الأسباب فان الملك عبدالعزيز كان يدرك ان الوقت سيحين ولا سك لتحرير هدا الحزء من قبضة العتمانيين قبل ان يسقط في ايد عربية عن هده المنطقة كما حدث لليبيا مثلا في العام الذي سبق دلك العام وفي ظروف كهده كان الملك عبدالعزيز في حاجة الى تجهيز جيش نظامي يكون متاهبا للقيام بعمليات عسكرية في أي لحظة . وهدا ما لم تكن تسمح به الظروف وخاصة الظروف المالية حيث أن بناء جيس متفرغ متكامل كان يتطلب نفقات مالية باهظة أكبر من أن تتحملها سلطة نحد الفتية ، فقد كانت فكرة اقامة الهجر لتوطين البدو اقصر طريق لاعداد قوات عسكرية تكون تحت امرة الملك عبدالعزيز متى ارادها والا لأصبحت المهمة غاية في الصعوبة اذا كان الحديث عن قبائل من البدو متناثرة هنا وهناك في أطراف الصحراء الشاسعة وهكدا وفر استقرار البدو الفرصة للملك عبدالعزيز لكي يغرس في نفوسهم حب الانتماء لبقعة من الأرض بدل التجوال والترحال اضافة الى منحه الفرصة لإنشاء جيش عقائدي يرتبط بالدين والوطن[٢٣] وهدا ما تم تحقيقه بالفعل اد تم تكوين جيش عقائدي من الطراز الأول ولعل أحاديث الملك عبدالعزيز لأمين الريحاني عن عقائدية هدا الجيش والتضحيات الجسيمة التي بدلها في سبيل الدعوة التي امن بها تثبت صحة ما دهبنا اليه

وهكدا تبدأ مرحلة جديدة من تاريخ منطقة شبه الجزيرة العربية بدأها ابن سعود في «الأرطاوية» وان بها تزدهر في «دخنة» و«لينة» و«جريثان» و«العطغط» وغيرها الكثير[٢٤] واذا بالآلاف من أبناء القبائل العربية تستوطن هده الهجر وتعمل على تنميتها وازدهارها ومن تخرج من هده الهجر الاف من المقاتلين الدين أطلق عليهم تسمية الأخوان والدين أسهموا اسهاما جبارا في العمليات العسكرية التي خطط لها وقادها الملك عبدالعزيز في سبل بناء وتثبيت حكمه

تحرير الأحساء ... الدوافع والأبعاد :

تمكن الملك عبدالعزيز آل سعود من تحرير اقليم الأحساء في عام ١٩١٣ بعد احتلال عثماني لهذا الاقليم زاد على الأربعين عاما وكانت عملية استرداد الأحساء التي قادها ابن سعود شخصيا عملية سريعة أشبه ما تكون بعملية تحرير الرياض التي تمت في عام ١٩٠٢ وقد تم اتباع نفس التكتيك العسكري فيها تقريبا كما كانت الخسائر في الأرواح محدودة جدا في هده العملية الخاطفة

كانت عملية تحرير الأحساء عملية
مة من النواحي العسكرية
سياسية والاقتصادية لحكم الملك
العزيز آل سعود ولظروف سلطنة
. على وجه التحديد فمن المتعارف
ه لدى علماء السياسة ان الدول
ول قدر الامكان أن تقيم عواصمها
ائى عن حدود الدول الأخرى
رية لاعتبارات عسكرية في المقام
ل وربما لهذا السبب نجد أن
ظم عواصم دول العالم تتخذ موقعا
سطا بالنسبة للدولة أو على أقل
ير في موقع بعيد عن حدودها لكي
سنى لها الدفاع عنها في حالة وقوع
وان مسلح عليها، واضعين في
عتبار أن عواصم الدول هي في
ادة مركز التخطيط والادارة

وحتى عام ١٩١٣ كانت الرياض
لطنة نجد بشكل عام - وهي قلب
ولة السعودية التي أنشأها الملك
العزيز - مكشوفة لأعدائه الذين
وا يحيطون به من الشمال والشرق
جنوب والغرب كان رشيد في
شمال والأشراف في الغرب وكانت
ولة العثمانية هي حلقة الوصل بين
الأقاليم العدائية اذ انها كانت أما
سيطرة على شئون بعض منها
الاحساء مثلا) أو متحالفة مع
وى الأخرى المسيطرة على الأقاليم
حيطة بنجد وفي ظروف كهذه كان
عبدالعزيز أن يوسع من رقعة

الأراضي الخاضعة لنفوذه لكي يحمي عاصمة ملكه في نجد ولكي يعطي لنجد بعدا استراتيجيا ولا شك أن تحرير الأحساء أعطى نجد هذا البعد الذي كانت تفتقده قبل عام ١٩١٣ ميلادية[٣٥]

وبالاضافة الى الاعتبارات التي سبقت الاشارة اليها كانت هناك اعتبارات اقتصادية هامة وراء استرداد الأحساء فقد كان الملك عبدالعزيز قد باشر للتوه مشروعه التوطيني لحث البدو الرحل على الاستقرار في مناطق معينة من شبه الجزيرة العربية كما سبقت الاشارة الى ذلك ورغم ان هذا المشروع كان مشروعا رائدا الا أنه كان مشروعا مكلفا من النواحي المالية سواء ما يتعلق ببناء الهجر أو ما يرتبط بها من زراعة الأرض وحفر الآبار وغير ذلك ومن المعروف ان سلطان نجد واجه معوقات اقتصادية كبيرة في السنوات الأولى لهذا المشروع الطموح عندما إنصرف الاخوان الذين استقروا في هذه الهجر الى شئون العبادة والتبصر في شئون الدين وأهملوا العمل والقيام بالتزاماتهم الاقتصادية تجاه «هجرهم» مما ضاعف من أعباء الملك عبدالعزيز المالية وهذا ما دفعه الى القيام بحملات مكثفة شارك فيها رجال الدين لحث مواطني هذه الهجر على العمل والنهوض بالنشاط الاقتصادي لأن الكسل والخمول ليس من تعاليم

الاسلام بل ان الاخلاص في العمل واجب ديني هام يجب القيام به

وهكذا نستطيع فهم الدوافع الاقتصادية لتحرير اقليم الأحساء الذي يعد واحدا من اغنى الأقاليم الزراعية في شبه الجزيرة العربية ان لم يكن أغناها على الاطلاق وهو أمر يجب ان لا يقلل من شأنه باي صورة من الصور

اما الاعتبارات الجغرافية فهي الأخرى أعطت اقليم الأحساء وضعا خاصا واهمية مميزة لكونه اقليما ساحليا فلأول مرة يمتلك ابن سعود مخرجا على البحر ويتحكم في عدة موانىء على ساحل الخليج فلسنوات طويلة كان أهالي نجد يعتمدون على موانىء جيرانهم وخاصة الكويت في تسيير شئونهم التجارية وفي تزويد سوق نجد بكل ما يحتاجه تقريبا وعلى الرغم من أن الملك عبدالعزيز اقام علاقات ودية مع الكويت في السنوات الأولى لحكمه الا أن الاعتماد على بلد اخر في مسائل تنظر اليها الدول على أنها مسائل حيوية غاية في الأهمية كان امرا مرفوضا من جانب الملك ناهيك عن الاعتبارات الاقتصادية والتي منها حرمان سلطنة نجد من الضرائب الجمركية التي كان يصعب تحصيلها على الحدود بين الكويت ونجد(٢٦) وهكذا تتشابك هذه الاعتبارات لتصل الى نتيجة سياسية مؤداها أن الملك عبدالعـ[...] كان في حاجة ماسة لتحرير اق[...] الأحساء نظرا لغنى هذا الاق[...] الزراعي وكذلك لاعتبارات الأ[...] الاقتصادي للدولة التي أنشأ[...] عبدالعزيز والتي تقتضي ضر[...] الاعتماد على موانىء تخضع لاشر[...] هذه الدولة دون سواها ثم لكون هـ[...] الموانىء مصدرا كبيرا للدخل بالـ[...] لموضوع الرسوم الجمركية التي [...] تحصيلها على السلع الواردة ور[...] يعزز من وجهة النظر هذه الاشارة [...] أن الخلافات التي نشأت في د[...] لاحقة بين الكويت ونجد في عهد الشـ[...] سالم الصباح كانت ترتكز أساسا [...] الاعتبارات المشار اليها حيث [...] الملك عبدالعزيز يحث تجار نجد [...] استعمال الموانىء التابعة لبلاد[...] كالعقير والقطيف وجبيل بدلا [...] الاعتماد على ميناء الكويت في هـ[...] الخصوص(٢٧) ولهذه الأسبـ[...] فرض الملك عبدالعزيز حصـ[...] اقتصاديا قاسيا كاد أن يدمر الحـ[...] التجارية في هذا القطر الخليجي

ومن المفيد الاشارة هنا الى المنفذ البحري الآخر لسلطنة نـ[...] والمتمثل في اقليم الحجاز كان يخضـ[...] لقوة أخرى معادية للملك هي [...] الشريف حسين ولذلك كان [...] عبدالعزيز الاختيار بين الاتجاه شـ[...] أو الاتجاه غربا وقد اختار الاتـ[...]

لأول لاعتبارات تتعلق أساسا الظروف الدولية في الفترة محل دراسة ولكون القوة التي تسيطر على جزء الشرقي من شبه الجزيرة العربية في طريق الانهيار - كما سيوضح فيما يلي

وتبقى حقيقتان هامتان في هذا السياق أولاهما أن فتح الأحساء كان سينقل الملك عبدالعزيز نقلة قوية في علاقاته الدولية فالوصول الى مياه الخليج كان يعني بالضرورة الاحتكاك بالقوى الأوربية الهامة لكون الخليج محطة مواصلات رئيسية بين الشرق والغرب ويقف الانجليز على رأس تلك القوى التي لها شأن كبير في تسيير شئون الخليج[٢٨] ويبدو أن فتح الأحساء أضاف بعدا جديدا لقوة ابن سعود اذ سرعان ما توجهت الحكومة البريطانية توجها أقوى نحوه وبدأت تعمل على كسب وده وترد الاشارة هنا الى أن السير بيرسي كوكس المندوب السامي البريطاني في بغداد كان يحث شركة الملاحة الانجليزية على التعاون مع ابن سعود وعلى استخدام موانيء الاحساء كمحطات تجارية لها وهذا الاتجاه الجديد من جانب بريطانيا كان يدل من جهة على اعتراف من قبل الانجليز بتبعية الأحساء لحكم ابن سعود ويدل من جهة أخرى على أن بريطانيا كانت حريصة على ارضائه بكافة الصور بعد أن تبين حجم قوته ونفوذه بين القبائل العربية وقد جاء هذا الاعتراف كمقدمة للاعتراف البريطاني الرسمي بتبعية الاحساء وغيرها من الأقاليم للملك عبد العزيز في الاتفاقية التي وقعتها معه في ديسمبر من عام ١٩١٥[٢٩]

اما الحقيقة الأخرى التي لا تقل أهمية فهي أن تحرير الأحساء قد تم التوقيت له بدقة بالغة فمن جانب كانت الدولة العثمانية مشغولة بجبهات قتال أخرى ، مما كان يحرمها من القدرة على تحريك أي قوات نحو اقليم الاحساء[٣٠] أما الخطر القادم من آل رشيد فقد تم تحييده مؤقتا وخاصة بعد معركة روضة مهنا التي انتهت بمقتل أمير شمر عبدالعزيز الرشيد والذى فقدت شمر بموته قائد كبيرا من قوادها [٣١] اما الشريف حسين فقد كان هو الآخر مشغولا بأمور أخرى ترتبط بالحرب العالمية الأولى التي كانت الاستعدادات تجري لها وبدور البيت الهاشمي في السياسة العربية في مرحلة ما بعد الحرب ومن هنا فقد كان المجال مهيئا للملك عبدالعزيز لكي ينقض على القوات التركية المهلهلة ويحرر اقليم الأحساء من قبضتها

فتح الحجاز ... خاتمة المطاف :

ابرزت عملية تحرير الرياض مبدأ التصميم والارادة القوية لدى عبدالعزيز كما أعطت اشارة البدء لعملية توحيدية شاقة امتدت لعشرات

السنين ولا شك ان تحرير الحجاز جاء كخاتمة للمطاف الطويل والذي بموجبه تم وضع اللمسات النهائية للبعد الجغرافي الذي أراده الملك عبدالعزيز لما عرف فيما بعد بالمملكة العربية السعودية

لقد تحققت لسلطنة نجد باضافة هذا البعد الجديد لحدودها وحدتها الطبيعية كما أضيف دور جديد للملك عبدالعزيز عندما أصبح مسئولا مسئولية مباشرة عن حماية المقدسات الدينية ولا شك أن هذه المسئولية فتحت الباب على مصراعيه أمام الملك عبدالعزيز ليلعب دورا مميزا في العالم الاسلامي لكون الحجاز قبلة المسلمين الأساسية ولكون موسم الحج موسما هاما للقاء قادة المسلمين تحت رعاية الملك

ومن المفيد الاشارة الى خلفيات هذا الحدث التاريخي الهام قبل الاسترسال في الحديث عن نتائجه فقد كان من الواضح أن الصدام بين ابن سعود والشريف حسين بن علي حاكم الحجاز ات لا محالة اذ عرف عن الرجلين طموحهما الشديد كما أن الأحداث اثبتت ان كلا منهما لا يتوانى عن التدخل في الشئون الداخلية للطرف الآخر اذا وجد في ذلك ما يحقق مصلحته كما أثبتت الأحداث أيضا أن التوصل الى تسوية تفاوضية لحل الخلافات بين الشريف

حسين وابن سعود أمر أقر الاستحالة ، اذ فشلت كل م الوساطة بينهما وفي ظروف كان لا بد من حل عسكري للد المتراكمة بين زعيمي شبه ال العربية وحتم هذا الحل تفاقم وازديادها سواء نتيجة المص الشديدة التي كان يتعرض الحجاج النجديون والذين كان شك يرفعون أصواتهم بالشكو؛ تشير الى ذلك بعض المصادر تناولت الموضوع (٣٢)

كانت الاستراتيجية التي الملك عبدالعزيز لتحرير الحجاز على خطوتين أساسيتين فقد م بادئ الأمر الشرعية الدينية لـ المناطق المقدسة عسكريا . وه حققه له مؤتمر الرياض الد بحضور العلماء والمشايخ وقد مجمل الآراء المتداولة في ا المذكور تدين جانب الشريف . ونظام حكمه وذلك بسبب سـ المتشددة بشأن الأماكن الـ ومعاقبة أهالي سلطنة نجد ا لآل سعود عن طريق حرمانهم أداء فريضة الحج وبعد أن . سلطان نجد على الشرعية الدين جانب العلماء وبعد أن أعطى لـ على الحجاز الصبغة الدينية . عبدالعزيز نحو العالم الاس بهدف الحصول على الشرعية الد

وفي هذا السياق نستطيع فهم البيان الهام الذي أصدره مؤتمر الرياض والذي كان موجها إلى مسلمي العالم وفي هذا البيان شدد سلطان نجد على أن هدفه من القيام بأي عمل تجاه السلطات في الحجاز ينبع من حرصه على تسهيل اجراءات أداء فريضة الحج على المسلمين وانقاذ الحجاز من الفوضى التي كان يعيشها بسبب سياسات شريف مكة وقد انتهز سلطان نجد فرصة اصدار هذا النداء الهام ليوجه حديثه لأبناء الأمة العربية يحثهم فيه على العمل في سبيل تحقيق الوحدة العربية وقد اعتبر البعض ذلك مؤشرا لنوايا السلطان لقيام كيان موحد في شبه الجزيرة العربية كما شدد السلطان على أهمية الاستقلال الوطني لكل قطر عربي ونوه الى أهمية ابعاد الدول العربية عن أي نفوذ أجنبي[٣٣] وهكذا التقت الأبعاد الثلاثة المحلية والعربية والاسلامية في مؤتمر وبيان الرياض وأصبح المجال مفتوحا لتنفيذ الحل العسكري ، وهو ما تم بعد ذلك بزمن قصير

اما الظروف السياسية فقد خدمت هي الأخرى مسعى سلطان نجد فالشريف حسين كان يعاني من تدهور كبير في شعبيته وخصوصا بعد أن وقع ضحية لمخططات الانجليز وخداعهم بعد سلسلة طويلة من الوعود التي قطعوها له أما وقد ثبت بان الشريف حسين كان مغررا به من قبل السلطات البريطانية فقد بات واضحا أن مشروع الدولة العربية الموحدة المستقلة أصبح ضربا من الأحلام وبالتالي أصبح موقف الشريف حرجا في اقليم الحجاز ولقد تجلى ذلك اثناء قيام السلطان عبدالعزيز بحملته العسكرية على الحجاز حيث بدأ أنصار الشريف حسين يتخلون عنه الواحد تلو الآخر وأصبح معزولا بين شعبه[٣٤] مما مهد السبيل لبسط نفوذ سلطان نجد على كافة أنحاء الحجاز ، وقد كان له ما أراد بدخوله مدينة جدة منتصرا في الرابع والعشرين من شهر اكتوبر من عام ١٩٢٥ ميلادية ، حيث تحقق ما أطلق عليه السلطان عبدالعزيز وحدة سلطنة نجد الطبيعية

خاتمـــة :

لقد ساهمت التجارب السياسية الثرية التي مر بها الملك عبدالعزيز آل سعود بشكل كبير في بلورة منهجه السياسي المتميز الذي سار عليه نحو انشاء المملكة العربية السعودية ان تجربة الملك عبدالعزيز السياسية تجربة خصبة بحاجة الى دراسات متعمقة لسبر أغوارها ، فانشاء المملكة العربية السعودية بحدودها الحالية واتساعها الجغرافي الهائل والذي تم في زمن قياسي يزيد على

العشرين عاما بقليل يبرهن بصورة جلية على صدق ما اشرنا اليه عن تميز منهج الملك عبدالعزيز السياسي ففي الفترة المشار اليها لجأ الملك عبدالعزيز الى وسائل متعددة تتفاوت

بين الاقناع والحوار الى استخد القوة بهدف تحقيق الهدف ال الذي سعى من أجله والذي بدأ الكويت مع أربعين من انصار احدى ليالي شهر سبتمبر من ١٩٠١

الهوامش

١ - احمد طربين الملك عبدالعزيز ال سعود والوحدة العربية (الرياض مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية) ، ١٩٨٥ ، ص ١

٢ - يضم اقليم الحجاز الاماكن المقدسه (مكة والمدينة المنورة) وهذا ما يعطي لهذا الاقليم اهميته الخاصة كما انه بضم هذا الاقليم اخذ الملك عبدالعزيز يتطلع الى اقامه علاقات دبلوماسيه منظمة مع كثير من الدول الاجنبية انظر طارق الحمداني ، الملك عبدالعزيز وسياسة الموازنة بين بريطانيا والولايات المتحدة الامريكيه ١٩٢٦ - ١٩٤٥ (الرياض مطبوعات جامعه الامام محمد بن سعود الاسلاميه ١٩٨٥) ص ١

٣ - قضى عبدالعزيز فترة صباه متنقلا مع البدو الرحل في اشد بقعه من صحراء شبه الجزيرة العربية وهذا ما اكسبه كما يرى المؤرخون قدرة كبيرة على التحمل والصبر انظر في ذلك امين الريحاني ، نجد وملحقاته وسيرة عبدالعزيز (بيروت ، دار الريحاني ، ١٩٦٤) ، ص ١١٤ كذلك بيار روفانيل صقر الصحراء (بيروت منشورات حمد ومحيو ، ١٩٧٣) ص ١٣٤

٤ - Abdel- Latif Al- Rumaihi, Dynamics of - Kuwait Foreign Policy Ph. D Thesis (Exeter (U.K.) University of Exeter,1983) p 46

٥ - يصف الدكتور حسن الابراهيم وزير التربيه الكويتي السابق حركه الشيخ مبارك بانها اول انقلاب سياسي في تاريخ الكويت ، ارجع الى حسن الابراهيم الكويت دراسة سياسيه (الكويت دار العلوم ، ١٩٧٩ م) ، ص ١٣٨ وللمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر عبدالعزيز الرشيد ، تاريخ الكويت (بيروت دار مكتبة الحياة ، ١٩٧٨)

٦ - يناقش الشيخ يوسف بن عيسى القناعي هذا الموضوع بتفصيل مفيد انظر يوسف القناعي صفحات من تاريخ الكويت (دمشق لا ناشر ١٩٥٤)

٧ - فؤاد حمزة البلاد العربية السعودية (الرياض مكتبة النصر الحديثة ١٩٦٨) ص ١٦

- خالد محمد السعدون العلاقات بين نجد والكويت ١٩٠٢ - ١٩٢٢ (الرياض مطبوعات دار الملك عبدالعزيز ، ١٩٨٣) ص ٤٣

- فتوح عبدالمحسن الخترش تاريخ العلاقات السياسية البريطانية الكويتية (الكويت دار ذات السلاسل ، ١٩٧٤) ص ٥٧

١٠ـ محمد المانع . توحيد المملكه العربيه السعوديه مترجم (الدمام مطابع المطوع ١٩٨٢) ص ٣٨

١١ـ Briton Busch, Britain and the Persian Gulf 1894 - 1914 (Los Angles University of California Press, 1967) P 94

١٢ـ انظر في ذلك خير الدين الزركلي الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز (بيروت دار العلم للملايين ١٩٧٧) ص ١٦٧ ايضا مديحه درويش تاريخ الدوله السعوديه حتى الربع الاول من القرن العشرين (جدة دار الشروق ١٩٨٣) ص ٧٩

١٣ـ نجاة عبدالقادر الجاسم التطور السياسي والاقتصادي للكويت بين الحربين ١٩١٤ ـ ١٩٣٩ . (القاهرة المكتبة الفنيه الحديثه ١٩٧٣) ص ١٥

١٤ M W Khouja and P G Sadler, The Economy of Kuwait, Development and Role in International Finance (London The Macmillan Press, 1979) P 1

١٥ـ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم اثر قوة ارادة الملك عبدالعزيز في تكوين المملكه العربيه السعوديه (الرياض مطبوعات جامعه الامام محمد بن سعود الاسلاميه ١٩٨٥) ص ١٥

١٦ـ حافظ وهبه جزيرة العرب في القرن العشرين (القاهرة مطبعه لجنه التاليف والترجمه والنشر ١٩٤٦) ص ٢٣٤ يؤكد خالد السعدون ان مغادرة الكويت تمت في النصف الثاني من شهر سبتمبر من عام ١٩٠١ دون تحديد واضح للتاريخ خالد السعدون المرجع السابق . ٧١

١٧ـ امين الريحاني المرجع السابق ص ١٣٦

١٨ـ حافظ وهبه . جزيرة العرب . ص ٢٣٥

١٩ـ انضم عشرون رجلا فقط الى الاربعين رجلا الذين غادروا الكويت في الاصل مع عبدالعزيز ليصل المجموع الى ستين رجلا . حافظ وهبة . المصدر السابق ص ٢٣٥

٢٠ـ خالد السعدون المصدر السابق ص ٧٣

٢١ـ تمت العملية كما يشير لوريمر في ١٥ يناير ١٩٠٢ . انظر ج لوريمر دليل الخليج . القسم التاريخي . الجزء الثالث . مترجم (الدوحه ديوان حاكم قطر ١٩٦٧) ص ١٧٠١

٢٢ـ تخرج من هذه الهجره ما عرف بقوات الاخوان وهي القوات الرئيسية التي اعتمد عليها ابن سعود في كل تحركاته العسكرية في الداخل والخارج وقد كانت هذه القوات عقائدية بشكل مطلق وتميزت بالقوة والصلابة والاستبسال في القتال وكانت صيحاتهم القتالية تثير الذعر في نفوس أعدائهم انظر لذلك John Habib, Ibn Saud,s Warriors of Islam, (Leiden E J Brill, 1978), P 178

٢٣ـ صالح عبدالله العبود . الملك عبدالعزيز من صفاته القيادة العزم والارادة

(الرياض مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ١٩٨٥) ص ٣٠ - ٣١

٢٤- يذكر الدكتور العبود ان عدد هذه الهجر قد بلغ في عهد عبدالعزيز ١٥٣ هجرة صالح العبود . المرجع السابق ص ٣٠ بينما يذكر حافظ وهبه ان عدد الهجر لم يتجاوز الستين هجرة حافظ وهبة . جزيرة العرب . ص ٢٧٣

٢٥- يرى بعض الكتاب ان الملك عبدالعزيز بدا يهتم باقليم الاحساء بعد ان علم بان الانجليز كانوا يفكرون جديا في احتلال هذا الاقليم لمنافسة الالمان لقطع الطريق امام مشروعهم الطموح لمد خط حديد برلين - بغداد انظر لذلك محمد حسين زيدان عبدالعزيز والكيان الكبير (الرياض منشورات محمد زيدان ، ١٩٨٥) ص ٣٦ اما الدكتور تركي بن محمد بن سعود الكبير فيشير الى ان الملك عبدالعزيز كان يرغب في التعاون مع الانجليز منذ عام ١٩٠٣ بهدف احتلال اقليم الاحساء وقد قام بالفعل بالاتصال بالسلطات الانجليزيه ممثله في المندوب البريطاني في البحرين السيد كاسكن تركي بن محمد بن سعود الكبير علاقة بريطانيا بالملك عبدالعزيز ال سعود ١٩٠٢ - ١٩٢٥ . (الرياض مطبوعات جامعه الامام محمد بن سعود الاسلاميه ١٩٨٥) ص ١

٢٦- Mohammed Al-Roumi, Kuwait and Malta, British Imperial policy 1899-1980, M.A. Dissertation, (Malta University of Malta, 1980 pp 69-70

٢٧- Abdel-Latif Al-Rumaihi Ibid, P 87

٢٨- حافظ وهبة خمسون عاما في جزيرة العرب (القاهرة شركه مكتبة ومطبعه مصطفى البابي الحلبي واولاده) ١٩٦٠ ص ٨٣

٢٩- انظر نص الاتفاقيه في حافظ وهبه جزيرة العرب ص ٣٠٦ - ٣٠٧

٣٠- كانت الدوله العثمانية في حاله من التصدع والانهيار كما كانت منهكه بسبب حربها في ليبيا ضد ايطاليا ناهيك عن اضطراب اوضاعها في اوربا حافظ وهبة جزيرة العرب ص ٢٣٨

٣١- خالد السعدون المصدر السابق ص ١١٧

٣٢- انظر في ذلك عبدالرحيم عبدالرحمن . المصدر السابق ص ١٩ كذلك بيان الملك عبدالعزيز الذي يتطرق الى هذا الموضوع في حافظ وهبه خمسون عام في جزيرة العرب ص ٥٧ - ٦٠

٣٣- ارجع الى صلاح الدين المختار تاريخ المملكه العربيه السعودية في ماضيها وحاضرها . المجلد الثاني . (بيروت دار مكتبه الحياة . بدون تاريخ) ص ٢٨٩ - ٢٩٢

ويشير الدكتور احمد طربين الى ان الملك عبدالعزيز كان يتطلع الى بناء اتحاد عربي يضم اقطارا لا تخضع للنفوذ الاجنبي كما ان عبدالعزيز كان يحرص على جمع شمل العرب في ظروف الحرب والسلام ولم ييأس من قيام وحدة عربية في

شكل ما احمد طربين المرجع السابق ص ١ ـ ٣

٣٤ـ اضطر الشريف حسين بعد ازدياد ضغوط الملك عبدالعزيز عليه وتلبية لمطالب سكان الحجاز ان يتنازل عن الحكم لصالح نجله علي الا ان هذا التنازل لم ينقذ الحجاز من السقوط في قبضة ابن سعود انظر صلاح الدين المختار المرجع السابق ص ٣٠١ ـ ٣٠٤

المراجع

● المصادر العربية

● احمد طربين الملك عبدالعزيز ال سعود والوحدة العربية ، (الرياض مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ١٩٨٥)
● امين الريحاني ، نجد وملحقاته وسيرة عبدالعزيز (بيروت دار الريحاني ، ١٩٦٤)
● بيار روفانيل ، صقر الصحراء (بيروت منشورات جمد ومحيو ١٩٧٣)
● تركي بن محمد بن سعود الكبير علاقة بريطانيا بالملك عبدالعزيز ال سعود ١٩٠٢ ـ ١٩٢٥ ، (الرياض مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلاميه ١٩٨٥)
● ج لوريمر دليل الخليج ، القسم التاريخي، الجزء الثالث ، مترجم (الدوحه ديوان حاكم قطر ، ١٩٦٧)
● حافظ وهبه جزيرة العرب في القرن العشرين ، (القاهرة مطبعه لجنة التاليف والترجمه والنشر ١٩٤٦)
● حافظ وهبة خمسون عاما في جزيرة العرب ، والقاهرة شركه مكتبه ومطبعه مصطفى البابي الحلبي واولاد ١٩٦٠)

المصادر الانجليزية

* AL-Roumi, Mohammad, Kuwait and Malta, British Imperial policy 1899-193
  M A Dissertation, (Malta University of Malta, 1980)
* Al-Rumihi, Abdel-Latif, Dynamics of Kuwait of Foreign policy, ph D Briton Thesis, (Exeter «U K.», The University of Exeter,1983)
* Bush Briton, Britain and the persian Gulf 1894-1914, (Los Angeles. University califor nia press, 1967)
* Habib, John, Ibn Saud's Warriors of Islam, (leiden: E.J. Brill,1978)
* Sadler, P G and Khouja, M W, The Economy of Kuwait, Develop-ment al Role in International Finance, (London. The Macmillan press, 1979)

was the Ottoman name for the standard gold coin of Europe equalling 45 akces (aspers) in 1468, 50 akces in 1568, cf. "filori" in EI²)

24 MD xxvii, p. 76

25 MD Zeyl iii, p. 166

26 MD xxx, p. 353

27 MD, Lxxiii, p. 481

28 British Museum (London) Add. 20861, fol 117 v

14 "... o Turco desejevd de se fazer Senhor de todos os partes da Arabia da banda do Estreito Persico ... E fez-lhe [i.e., the governor of Lahsa] este Turco a cousa tão facil, que lhe acceitou o Turco os offerecimentos, e mandou ao Baxa de Bacorá que lhe negociasse as cousas necessarias pera aquella jornado ..." Dec. vii, Liv. vii, Cap. vii, p. 110)

15 "Haliya Lahsa beylerbeyisi olanz Mustafa Sudde-i Saadetime arz ve ilam itmeden fuzuli bazi umera ve asakirle taht tasrifinde olan Bahreyn'e gecip ..." (cf. Istanbul Basbakanlık Arsivi (State Archives), Muhimme Defterleri (MD: Registers of Important Affairs), nu. iii, p. 140. In this letter the Sultan states that the ruler of Bahrain had been granted the satus of a sanjak bey (governor) of the province of Bahrain. See also Saffet Bey, "Bahreyn'de bir Vak'a", pp. 1140-41.

16 For a detailed story of this campaign see Couto, Dec. vii, Liv. Vii, Caps. vii-ix. Couto also gives a short description of the island (Descripcão da Ilha de Baharem, Cap. xi, pp. 152-154).

17 See the Documentos sobre os Portugueses em Mocambique ..., vol. vii, p. 546.

18 MD, xxii, p. 317.

19 MD, xxii, p. 322.

20 MD xxii, p. 43. According to the Kadi of Lahsa there were more than 300 villages in Bahrain.

21 MD, xxvii, p. 81. This order to the beylerbey of Baghdad has been fully given in S. Ozbaran, "The Ottoman Turks and the Portuguese ...", pp. 86-87.

22 MD, zeyl (supplement) iii, p. 128.

23 MD, xxvii, p. 81. The beylerbey of Lahsa estimated the annual revenue to be drived from Bahrain was at 40,000 filori (The filori

7 Barros, Dec III Liv VI, Cap IV Bahrain is also included i itinerary of Antonio Tenreiro who travelled from Hormi Portugal by land in 1523 (see Antonio Baião, Itineratios da a Portugal por Terra, Coimbra 1928, pp 108-109 Da maneir, se conta como se pesca o aljofre em este mar

8 See Arquivo Nacional da Torre do Tombo (Lisbon), Cart: Ormuz a D João de Castro, fol 121b)

9 For the events in the Gulf after the Ottoman occupation of E see S Ozbaran, "The Ottoman Turks and the Portuguese ii Persian Gulf, 1534-1581" in Journal of Asian History, (Wiesbaden 1972), pp 50-56 For the two letters of D Alvai Noronha Portuguese governor of Hormuz see S Ozbaran, " Letters of Dom Alvaro de Noronha from Hormuz Tui Activities along the Coast of Arabia, 1550-52" in Tarih Ensti Dergisi, IX (Istanbul 1978), pp 241-292 Cf also J E Manda\ "The Ottoman Province of Al-Hasa in the Sixteenth and Se teenth Centuries" in Journal of the American Oriental Soc 90/3 (1970), pp 486–513, particularly pp 488ff

10 " Hurmuzden gelup mumkun ise Bahreyni alup (Istan Topkapı) Palace Archives, Koğuslar section, nu 888, 487b-488b This order of Sultan Suleyman the Magnificent published in C Orhonlu, "Hint Kaptanlığı ve Pîcî Reis' Belleten, XXXIV/134 (Ankara 1970), p 249

11 Saydî Reis, Miratu'l-Memalik, Istanbul, 1313/1895, p 18

12 The report of this bey is also published by C Orhonlu "l Bahreyn Seferina Ait Bir Rapor", in Tarih Dergishi, XVI (Istanbul 1967), pp 1-16 Se also S Ozbaran, "Bahrain in 1559 Narrative of Turco-Portuguese Conflict in the Gulf", in Journa Ottoman Studies, III (Istanbul 1982), pp 91-104.

13 On Couto and his work see C R Boxer, "Three Historians of Portuguese Asia (Barros, Couto and Bocarro), in Boletim Instituto Por-Portuguese de Honkong, I (Macau 1948), pp 17

FOOTNOTES

1 Saffet Bey, "Bahreyn de bir vak'a", in Tarih-i Osmani Enchumeni Mecmuasi, III (Istanbul, 1326/1910), p. 1139

2 João de Barros, Da Asia, Lisboa 1777-78, Decade III, Livro VI, Capitulo II, p. 27. Turcos was obviously used here to mean the Ottomans, those from the territories under the Ottoman Sultan. Barros also mentions that Mugrin once went to Mecca to bring some Turkish craftsmen to build fustas (small, light, oared ships) in order to dominate the strait of the Gulf. "El Rey Mocrim, alem do cuidado que tinha de se armar de maneira, com que se pudesse defender d' ElRey de Ormuz, trabalhava tambem por se fazer senhor daquelle estreito, com trazer muitos navios no mar, e 'desta vez que veio de Meca trouxesse alguns Turcos officiães de fazer fustas e outros que andassem nellas ..."

3 "E o apercebimento com que este Mocrim o estava esperando, eram doze mil homens, em que entravam trezentos da cavallo Arabios, e quatrocentos frecheiros Perseos, e vinte Rumes espingardeiros, com outros da terra a que elles tinhas ensinado este uso." (Barros, Dec. III, Liv. VI, Cap. III, p. 33)

4 For detail see Barros Dec. III, Liv. VI, Cap. V, Gaspar Correa, Lendas da Índia, Lisboa 1858-61, vol II, pp 648-49

5 Barros, Dec. III, Liv. VI, Cap. V, p. 33

6 "... em os Livros da nossa Geografia se vera tirada de Geografia dos proprios Arábios, e Parseas dos quaes nos temos cinco Livros, dous em a língua Arábia, e tres na Parsea" (Dec. III, Liv. VI, Cap. IV, p. 39)

These initial preparations for an attack on Bahrain came to nothing. An order from the central régime informed the beylerbey of Basra, in 1576 (984), that even though there should be no campaign at that time, he was, nevertheless, to keep watch over the coast of Al Hasa and to send two galleys there for that purpose[25].

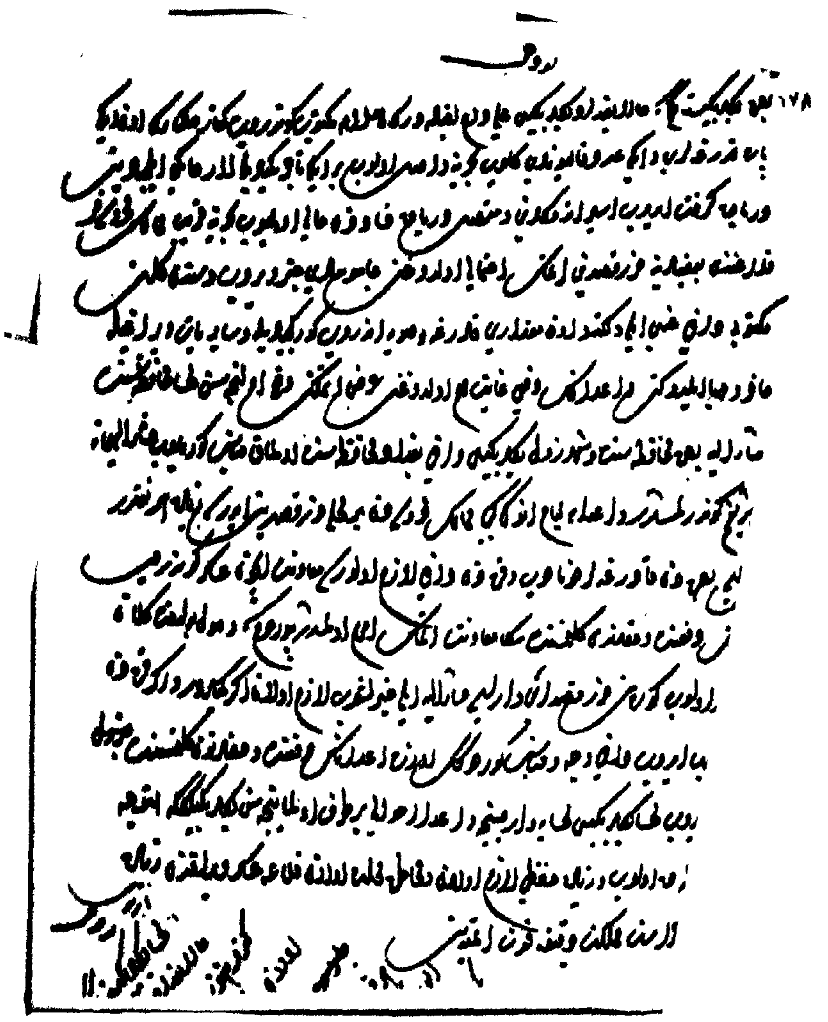
At this time there were events of some importance happening in Bahrain itself. A hükum sent from Istanbul to the beylerbey of Lahsa and dated 3 Feb. 1577 (26 zilhicce 985) contains the following information: Mahmud Shah, the ruler of Bahrain, had died, his son Hizir Shah has succeeded him and the vizier of Hormuz Nur al-din had descended on the island and captured the new ruler of Bahrain. The beylerbey of Al Hasa is now ordered to hand over his galleys with their

munition and equipmen
the beylerbey of Basra [2
would seem that, by the
ginning of the year 1577
government at Istanbul
abandoned the project
large-scale campaign for
occupation of the isl
None the less Bahrain is r
tioned from time to tim
correspondence of later o
— correspondence de
with the harmful activiti
the local Arab popul
along the shores of Al I
[27]. Obviously, the long
expensive war with Saf
put Bahrain into a less im
tant position. In 1591
beylerbey of Al Hasa
given permission to pro
against the island, but wi
material support for it
did not, however, leave
Portuguese at rest. The k
writing in 1589 to his vic
still drew the attention o
men to a possible Otto
attack on the island to wl
he says, he was serving w

o Bahrain was feasible, what p·parations would be re-q·ired for such an enterprise n d what would be a possible ime for it[20]. In due course he beylerbey of Diyarbekir vas requested[21] to state whether or not he could furnish some of the resources which the beylerbey of Al lasa had declared to be indis-ensable for the proposed ampaign — i.e., 300 kantar f iron, various alat ve esbab munitions and supplies) and lso fifteen zarbozan (can-on) [22]

The Ottoman interest in ahrain continued up to the ear 1575. A firman of that ear indicates that there were me elements on the island ell disposed towards the)ttomans, even willing to ttempt the surrender of the rtress of Bahrain to them. lore revealing still is a ukum[23] addressed to the eylerbey of Baghdad dated May 1575 (9 safer 983). ccording to this document e beylerbey of Al Hasa had ld the Porte in Istanbul that e galleys at Basra and the fighters with them would b sufficient for the capture o the island. The authorities a Istanbul still asked the beyler bey of Baghdad the numbe of men, ships and guns which would be needed for a well prepared expedition agains the island — the number o

soldiers, of siege guns, o soldiers and munitions and supplies. An order of June 1575 sent from Istanbul to the beylerbey of Basra gives some idea of the Ottoman preparations for an expedition against the island. This document reflects earlier correspondence relating to the guns and munitions available in Al Hasa and in Basra [24]. At Al Hasa there were no siege guns. Basra was able to provide two large cannons; Remne, a sanjak in the province of Basra, one additional gun; and there were three further siege guns to hand — i.e., six in all. Basra had also fourteen galleys, together with supplies of iron, or axes and digging implements (kazma, kürek), gunpowder and arquebuses.



Copy of the order sent from Istanbul to the **beylerbeyi** of Ba
12 Sept. 1573
(Istanbul Basbakanlık Arsıvı, Muhımme Defteri XXII, r

hile measures are in train to rive the infidels [from Bahrain], you who are the Beylerbey of Basra shall watch over the affairs of Al Hasa that the above-mentioned [Ali] shall take care of Basra and also the Beylerbey of Sehrizor shall watch over Baghdad. My imperial order has also been given that, if the wretched infidels as noted above shall do harm to any of our well-guarded territories, you shall equip [and send out] from Basra as many ships as possible And I command, too, that help be made available to you and that, if necessary, troops be sent to your assistance by land. It is my decree that when [this firman] arrives, you shall keep a careful watch on the infidels who have come [to Bahrain]. Should the enemy do any damage, you must send the news to the aforesaid ([Ali] and ask either for ships that you need or the necessary troops [to be sent] overland. And you shall make every effort to expel the enemy [from Bahrain], in the manner that seems most appropriate to you. And where the need is most necessary for protection and in those places where there is trouble, you are to place sufficient defences, troops and munitions and you must lose no time in protecting these lands"[19].

These two documents of the year 1573 indicate also that the Ottoman government regarded a descent on the territories near Bahrain, i.e., Katif and Al Hasa as possible and that it sought, therefore, to impress on the provinces of Baghdad and Basra the need for a careful watch on the activities of the Portuguese in the Gulf.

Bahrain was now the centre of Ottoman attention. The first need was to gather the forces in Al Hasa, the mainland area close to Bahrain, i.e., all troops and equipment essential for a new campagin. A document reflecting the Sultan's orders dating from 25 May 1573 asks the beylerbey of Lahsa whether or not the reduction

dom, there are two months in the year when its evil influence predominates and it would be a wonder if a man who is not a native can escape it ..."[17].

Bahrain was not subjected to Ottoman authority again until the year 1573 Until this date the Ottomans had tried to establish peace considering that much benefit would come to them from the restoration of trade through Basra. The Portuguese on the other hand, had been unable to step on the shores of Basra and Al Hasa From the orders of the Sultan we learn that Bahrain once again became the butt of Ottoman interest in 1573. An order sent to the beylerbey of Sehrizol and dated 12 Sept. 1573 (15 Cumada'l-ula 981) states that the Portuguese had sailed to Bahrain, seized some of the people on the island and also captured one or two ships[18]. A further firman sent from Istanbul to the beylerbey of Basra and bearing the same date reads as follows:

Order to the Beylerbey of Basra:

Ali, who is nov
beylerbey of Baghdad –
his good fortune endu
ever — sent a letter
exalted court (dergah-ı
la) and has reportec
twelve galleys (kagirga
two galleons (kalyons)
miserable infidels
reached Bahrain and
seized one or two me
ships and made the Am
dor (elci) of the ruler
[istan] captive at sea
infidels are now giving
ble continuously at se
agents have informe
that they may cause d
to the coasts of our
protected dominions (r
lik-ı mahruse) near Ba
The letter which you
sent also makes know
you have launched yo
galleys and made them
with oarsmen (kurekc
other arms and all neces
You have made a subm
[to us) that the expuls
the enemy is very imp
My imperial command
serif) has been sent
aforesaid [Ali] orderin

to India in 1559 and remained there for over fifty years, as a soldier and as the keeper of the archives at Goa. Therefore he took some of his data from Portuguese officials and soldiers. As far as Bahrain is concerned Couto is very important not only for his campaign of 1559 but also for the events from the year 1538 onwards [13].

The campaign of 1559 was undertaken by Mustafa Pasha the Ottoman beylerbey of Al Hasa province: according to Couto the Pasha prepared for the invasion with the cooperation of the beylerbey of Basra[14]. The above-mentioned document also mentions that before the expedition set out, 200 mounted troops and 400 arquibusiers had been sent as an additional force from Basra to Al Ahsa. There is, however, a letter — dated 28 zilhicca 966/1 October 1559 — sent to the ruler of Bahrain from Sultan Suleyman mentioning that the campaign was undertaken without permission from the Sultan[15].

Well, it is now known to us that the Ottoman government was deeply interested in the Gulf and in Bahrain. Had the campaign been successful the Sultan would have certainly welcomed the attempt. The attempt, in fact, ended disastrously. The Ottomans had not only to fight against the Portuguese and the natives, they also had to face the climatic conditions. The Portuguese, on the other hand, though continuing to make themselves felt in the island, underwent great suffering at the hands of the Ottoman soldiers and the climatic conditions of Bahrain [16]. A letter of Brother Luis Frois in Goa to Lisbon, dated 1 Dec. 1560, explains this episode perfectly: "Father Pires Brãodão this year when a large Portuguese fleet went to atack, an island... called Bahrein where the Turks had taken shelter, .. the whole of our army as well as of the Rumes, (Ottomans) fell sick: this island has the peculiarity that in spite of being one of the coolest, most fertile and most pleasant land in that king-

capture in 1550 of Katif, an important coastal town, by the Ottoman made the situation of Bahrain even more delicate[9].

When the Ottoman naval commander Piri Bey set out from Suez to besiege Hormuz in 1552 he also had orders from the Sultan that the Ottoman navy should bring under control not only Hormuz but also, if possible, the island of Bahrain[10] Piri Bey could not, however, fulful this command

Two years after Piri Bey, another Ottoman admiral tried to bring the Ottoman fleet from Basra back to Suez. En route Seydi Ali had obtained information from the ruler of Bahrain, Murad Shah (Rax Morado in Couto) that the Straight of Hormuz was open, and he would be able to pass Hormuz without trouble Seydi Ali, also a famous Ottoman geographer, gives us, in his book Miratü'l-Memalik, a short description of Bahrain:

"...Then we passed to Bahrain and had a meeting with its ruler, Rais Murad He informed us that there were no infidels at Sea. There in Bahrain something strange was happening: the marines would go down into deep water about eight fathoms each with a bag (tulum) They would fill the bags with sweet water and bring them to Rais Murad Because this water is tastier and cooler than water from other sources, Rais Murad drinks only this water He also sent some of his water to me, your humble servant .. For this reason the above-mentioned town is, so they believe, called Bahrain"[11]

In the year 1559 the Ottoman invasion took place and the Portuguese campaign against the island started which is described in detail in both Turkish and Portuguese sources. On the Ottoman side, there are Sultan's orders and a first hand report of a Turkish bey who took part in this struggle [12]. On the Portuguese side we have Diogo de Couto's Decades. Couto, in fact, continued with the chronicle of Barros. He went

(N)otícia) of Bahrain and the Gulf in order to explain the past events and their probable future course[5]. In fact Barros, (though he never visited the Gulf) made use of two Arabic and three Persian geographers[6]. "The situation of this island, being low land, is full of palm-trees, very humid and luxuriant, wherever they dig they immediately find water, but it is brackish causing much sickness particularly in certain months of the year, i.e., from the end of September until February ... The main revenue of this island comes from dates of which there is plenty and in great variety; it is taken to many places . Apart from this fruit the island has almost all other kinds as we have in Spain, particularly pomegranates, pessegos and figs as it has rich gardens. The inhabitants of this island are Arab Muslims (mouros arabios) .., one city is called Bahrain (Baharem) which imparts its name to the island as a whole

The island has good houses, made of stone and lime with storeys, terraces, verandahs and windows... The other thing that is of principal importance is pearl-fishing; the seed-pearl being the best of all that is found in the Orient ..."[7]

Being situated between Al Hasa and Qatar, on the sea-route between Hormuz and Basra, the island often attracted the attention of its more powerful neighbours. The Ottoman interest in Bahrain showed up immediately after they took Basra in the year 1546. In the following year they sent an ambassador to Hormuz in order to establish peace: obviously the Ottomans wanted to promote trade in the Gulf. D. Manuel de Lima, the Governor of Hormuz at that time, wrote on 27 September 1547 to the Portuguese governor in India that "the Turks would get closer to Bahrain either by peaceful means or by force, if they take it they would be much nearer to Hormuz. Pearl-fishing and other marinheiros will attract the Turks"[8]. The

about the affairs of the Gulf — about Bahrain as such or about the Portuguese who were firmly established at Hormuz.

It is, however, easier to follow the course of events in the Gulf, particularly in Bahrain as the Portuguese chronicles of the sixteenth century are in detail, and the governors of Hormuz and Goa informed their king in Portugal about the events as they saw them.

João de Barros, one of the great Portuguese historians of the sixteenth century (though he never visited India, he had access to official documents and letters at the casa da India) wrote in his Da Ásia in detail. He said that the Portuguese influence was greatly felt in Bahrain and in Al Ahsa in 1521: at that time, Mugrin, son of Zamil and the grandson of Ajwad who incorporated Bahrain in his domains, refused to pay to Hormuz the tribute expected of him. He was also, according to Barros, molesting ships sailing between Basra and Hormuz and for this pu[r]
he had acquired vessels
oars made for him by [...]
Turcos[2]. Diogo Lopes d[e]
queira, the then Portu[g]
governor of India, sen[t]
nephew António Co[...]
against him with a fle[et]
Bahrain. Mugrin's f[o]
against the Porguguese
sisted of 300 Arab horse
400 Persian archers an[d]
Rumes espingardeiros,
Ottoman arquebusiers,
had been engaged not o[n]
fight but also to train so[me]
the local population in th[e]
of fire arms[3]. This f[...]
however, was not enou[gh]
defend the island. Mugri[n]
killed during the battle
nephew Hamid (Sh[...]
Hamed) declared that al[l]
people of Bahrain and
along with himself we[re]
obey the King of Portu[gal].
Bahrain, for almost a cen[tury]
thus came under the no[...]
dominance of the Portug[uese]
who relied on the Pe[...]
sunnis functioning as
governors.

At this stage Barros
us a geographical descri[...]



BAHRAIN IN THE SIXTEENTH CENTUR

As Reflected in Turkish and Portuguese Sources

BY
SALIH ÖZBARAN

"May Prayers be for the souls of our ances-ters who preserved our beautiful old records. If we had been left to depend on our histo-rians and their works we would have been able neither to read nor to write anything correctly"[1].

This is how the Turkish naval historian, Saffet Bey, expressed his view in 1910 about Ottoman archival re-cords and chronicles rel to the 1559 Ottoman paign against Bahrain. deed, the Ottoman chr lers of the sixteenth cei prove, surprisingly enoug be much les useful thar would have expected. archives of Istanbul, oı other hand, are richer in as the Ottoman beyle (governors) of the prov of Basra and Lahsa kep central government info

European to use the land route over the desert (Basra-Aleppo). During his return he boarded a ship at Tripoli for Itlay and from there to Portugal carrying with him very important reports concerning the area covering the long number of years which he spent there.

After Taziro came Pedro Texiera who belonged to a Jewish family of Portugal. He was the most crooked of the Portuguese explorers and envoys. He pretended to be a Christian and masqueraded as a doctor; on another occasion posed as a speculator and yet on another occasion as a jeweller. Texiera travelled widely in India, Hormus, Muscat, Basra and the Syrian coast. He was the most prolific writer among the Portuguese who wrote profusely about the areas where he lived or which he visited. He was not a transiting traveller but made it a point to live in each city for as long as necessary to know everything about it and write about it with great accuracy and pass it on. Besides he also pursued a profession either in trade or in medicine so that he could pile up sufficient funds for himself. He, however, lost his wealth in his last days. When his wishes were fulfilled in the middle of the seventeenth century he announced that he was a Jew and would like to die a Jew.

These are the examples of the Jews who acted as the eyes and ears of the colonialists. None can deny that what they provided to the forces inimical to the east was scores of times more dangerous than all the weapons used by the invaidng forces.

Abdullah Bin Khalid Al Khalifa

over its resources. A majority of them were Jews.

Let us briefly refer to a valuable study made by Dr. Tariq Nafi' al Hamadani of the Training College of the University of Baghdad who has referred to such agents in his paper entitled the "Portuguese Explorers in the Arab Gulf During the Sixteenth & Seventeenth Centuries." In 1481 AD when King John II assumed rule over Portugal he turned his attention to the east and directed his efforts into two channels. Firstly, despatch of explorations under adventurist sailors such as Bartholomew Dias and Vasco de Gama who opened the searoute to India. Secondly, despatch of spy missions to collect intelligence. At their head were Pedro da Covelham and Afonso da Baifa. The two men, rather the two spies set forth in 1487 AD by way of Barcelona, Napoli, Rhodes and Cairo dressed as traders. They joined a party of traders to Mount Sinai, then to Sawakin and Aden where the two bifurcated, Baifa headed for Abyssinia where he died whereas Covelham continued his sojourn to India. He reached Cannanore, Calcutta and Goa. From there he infiltrated into a party of Arab traders and travelled to Aden, Zaila and Sifala and then to Cairo. In Cairo two Jews were awaiting for him; Abraham and Yusuf Lamigo. One of them presented a long report about his expedition comprising all details of his voyage to Portugal. The second one accompanied him while returning to Hormus. This time the Jew led him to Jeddah, Makka, Madina and Sinai from where they sailed for Aden and then to Abyssinia. He was arrested in Abyssinia by the King and was forbidden from leaving the country. However his reports found their way to Portugal through the hands of the accompanying Jew.

Then came Antonio Taziro who was a Portuguese Jew who had travelled to the east in 1520 AD. Taziro remained in Hormus for five years during which period he sent several important letters to the King of Portugal. He was the first

Moreover, it destroyed the personality of many a nation which were colonised and disfigured them by weakening their Islamic Identity. They were relegated to the backwaters of history after they had held aloft the torch of civilisation and enlightenment for humanity throughout the middle and ancient periods. The Portuguese opened a black era for the eastern nations ever since the end of the fifteenth century. One nation after another fell into the clutches of the victorious colonial invaders who followed in quick succession carrying fire and brimstone. Their armies and fleets left a trail of death and destruction wherever they set their feet.

Long before the Portuguese ever thought of despatching their fleet to the east they collected all possible information about the people of the areas, their customs and their points of strength and weakness. They collected intelligence about the means of overcoming them, their language, religion and their sources of wealth. With all this information at their fingertips these countries were an open book to them. It helped them to decide on where to send their fleets and soldiers, where to effect a landing and how to consolidate their stranglehold. All this vital information was provided to them by the Jews who placed themselves and their resources at the disposal of this colonial wave which spelt disaster for the whole region.

The colonial era was preceded by an era of geographical explorations and in regard to the east it meant an exploration of the sea-route to India or the route of the spices. The socalled explorers who became very active were none other than a bunch of spies who gained proficiency in the language of the area and the lifestyle of the people therein. They mastered the art of disguise and masqueraded as merchants, doctors and scientists to size up the possibilities of an area, the assistance available there and the best way to gain control

IN THE NAME OF GOD THE BENEFICENT, THE MERCIFUL

A WORD ABOUT THIS ISSUE

By

H.E. SHAIKH ABDULLAH BIN KHALID AL KHALIFA

The reader of history will be astounded by the prominent role played by some Jews in paving the way for inducting the colonial movement in the Middle East generally and the Arab East in particular. The colonial period was a real tragedy and the eastern nations groaned under its yoke in the recent past.

These areas were converted into fertile fields for providing to Europe the primary commodities and act as ready markets for the dumping of their finished products. The result was to be seen in generating poverty here and prosperity there

English Section

CONTENTS

Subject **Page**

Arabic Section

AL WATHEEKAH

A Half-Yearly Journal Published by

The Historical Documents Centre

The State of Bahrain

Devoted to The Heritage, Thought and History of

Bahrain And The Gulf

Editor-in-Chief

Shaikh Abdullah Bin Khalid Al-Khalifa

Issue No. 15 - 8th Year
Dhul Hijjah 1409 A.H – July 1989 A.D

Bahrain P.B. 28882

Telephone — Historical Documents Centre — **664854**

All Correspondence to be Addressed to The Editor-in-Chief

IN THE NAME OF GOD,

THE BENEFICENT,

THE MERCIFUL

بسم الله الرحمن الرحيم

الوثيقة

دورية نصف سنوية

تصدر عن

مركز الوثائق التاريخية

بدولة البحرين

رئيس التحرير

الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

العدد الرابع عشر ـ السنة السابعة
جمادى الثانية ١٤٠٩هـ ـ يناير ١٩٨٩م

العنوان مركز الوثائق التاريخية ص ب ٢٨٨٨٢

[redacted]

جميع المكاتبات ترسل باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف :

(العرس) للفنان حسن الشريف

من دولة الامارات العربية المتحدة

الفهرس

الموضوع **صفحة**

القسم الانجليزي

جميع الابحاث المنشورة في هذا العدد تمثل وجهة نظر كاتبها

(الوثيقة)

كلمة العـدد

بقلم : الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

رح خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود امام
ر الأول لوزراء الاعلام بالعالم الاسلامي الذي عقد مؤخرا بالمملكة
ية السعودية موضوعا في غاية الأهمية فقد أشار العاهل الكبير
ن المؤرخين والاعلاميين دأبوا على إطلاق اسم الوهابيين على
ني المملكة وأكد على أن ذلك يعتبر تركيزا على مسميات فرعية
ة عن الأصل الكبير واللواء الشامخ الذي ينضوى تحته الجميع
الاسلام فالكل مسلمون ذلك هو الاساس وذلك هو الاسم الواحد
صفة العظيمة التى يجب أن يتصف بها الجميع وأن يتسمى بها
يع وأن يحملها الجميع بكل فخر واعتزاز

قد كان لتوجيه خادم الحرمين الشريفين صدى عميقا في نفوس
ات الاعلامية الاسلامية التى شاركت في المؤتمر وفي نفوس الملايين
، تابعوا اعمال هذا اللقاء الكبير ذلك التوجيه أو تلك الاشارة التى
ت عن عاهل المملكة العربية السعودية مهد الاسلام العظيم انما
ج الى أن تواصل القيادات الاسلامية التأكيد عليه في خطط
بلية تتجه لشرح ما يتضمنه من المعاني وهي كثيرة وما يدل عليه
لامات وهي عديدة وما يوحي به من اتجاه خير وهو عميق. ذلك أن
ر ضم كل القيادات الاعلامية في الدول الاسلامية وهي القيادات
بيدها توجيه هذا القطاع الهام والخطير في حياة الانسان المعاصر.
، الاسلام العظيم رغم ما تعرض له طوال تاريخه من هجمات

ضارية وحروب متوالية. الا ان هذه الهجمات وهذه الحروب لم تستطع ان تنال منه أو تهز من صموده وإنما الذي نال منه في فترة أو أخرى إنما كان الهجمات التي تاتيه من الداخل وقد كانت الهزائم العسكرية التى منى بها المسلمون في بعض حلقات تاريخهم نتيجة لهزائم أخرى سابقة حدثت بين صفوفهم. هذه الحقيقة ادركها جيدا أعداء الاسلام لذلك كان معظم اهتمامهم منصبا على تفتيت الصف الاسلامي وهذا التفتيت أخذ اتجاهين رئيسيين استهدفا الدعامتين الكبيرتين اللتين قامت عليهما قوة الدولة الجديدة. منذ بدأ إنشاء هذه الدولة على عهد الرسول الأعظم هاتين الدعامتين هما وحدة الدين ووحدة الأمة فقد كان العرب يعبدون آلهة متعددة وكانت الأمم التى دانت بالاسلام تدين بأديان وعقائد متباينة وكان العرب قبل الاسلام قبائل شتى متقاتلة متصارعة تفتك بها النعرات الجاهلية والتفاخر بالأنساب والأحساب وكانت الأمم التى دانت بالاسلام تنهكها الحروب الداخلية بين مختلف الجنسيات والقوميات والأصول والمتناقضات وعندما جاء الاسلام نادى بالدين الواحد وبالإله الواحد ونادى بالمساواة بين الجميع ونبذ الفرقة والشتات وجعل من كل المسلمين أمة واحدة ذات دين واحد وبذلك جعل منهم قوة انطلقت لا يقف في طريقها شيء قوة الاسلام إذن اعتمدت على وحدة الدين ووحدة الأمة فكان من الطبيعي أن تتجه جهود أعداء الإسلام إلى هذين المصدرين من مصادر القوة وأخذت هذه الجهود كما قلت سابقا اتجاهين رئيسيين

الاول هو تفتيت الدين فكان أن تسللت الدعوات المشبوهة وتسللت المذاهب والتيارات الفكرية وظهر العديد من المسميات ترفع شعار الاسلام وهي أبعد ما تكون عن الاسلام وظهرت تيارات أخرى لمواجهة هذه التيارات والدفاع عن الاسلام وهي الأخرى حملت مسميات جديدة وشبت عشرات الحروب المذهبية في ضراوة وعنف واختلط الصحيح بغير الصحيح ولم يعد أحد يميز وسط الزحام بين من يريد بالاسلام شرا ومن يريد للمسلمين صلاحا.

والثاني هو إثارة النعرات العنصرية. ونشأت الصراعات على السلطة بين مختلف الجنسيات وتحولت الأمة الواحدة إلى جبهات

.دة وأخذ المسلم يرفع السيف في وجه أخيه وتبددت القوة الواحدة
ف المد الاسلامي الزاحف وأصبحت الساحة خالية من الحشد
ر وزحف الاعداء هذه المرة في ذكاء شديد. يذكون نار الفتنة
ستمرار حتى لا يخمد اوارها. وكانت ماساة الأمة.
ذه في سطور قلائل اسباب القوة وأسباب الضعف ومن هنا كانت كل
ة لتوحيد الصف ونبذ المسميات المتعددة هي دعوة في الاتجاه
حيح ومن هنا أيضا تأتي أهمية هذا الاعلان العظيم الذي اعلنه
الحرمين الشريفين وهو الإعلان الذي يضع أمام مسئولى الاعلام
رخين دورا كبيرا يقوم على شرح أهميته والتركيز على حملة اسلامية
ق من تصريح العاهل الكبير حملة تدعو لنبذ المسميات الجانبية
كيز على مسمى واحد هو الاسلام والبدء بحركة تصحيح شاملة يتم
يز فيها على رفع شعار الاسلام وحده دون باقي الشعارات حتى
ق للجميع حلمهم الكبير في الوحدة الاسلامية الشاملة التى تتسمى
واحد هو الاسلام والتى ترفع شعارا واحدا هو الاسلام والتى
لغاية واحدة هي عز الاسلام
الله ولى التوفيق

عبدالله بن خالد آل خليفة

صفحات من تاريخ تعليم المرأة في البحرين بين ١٩٠٥ - ١٩٦١م

الدكتور : علي ابا حسين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله القائل (العلم
فريضة على كل مسلم) ومن هذا المنطلق اخذت المرأة مكانتها في
الكتاتيب والمدارس والمعاهد والجامعات وان الدارس لتاريخ
مدارس البنات في البحرين لا بد ان يلقي الضوء على الفترة التي
سبقت التعليم النظامي النسوي فقد كانت الأسر الثرية تجلب
معلمات يعلمن بناتهن القرآن الكريم ومبادىء القراءة والكتابة في
بيوتهن بينما ترسل بعض الاسر الأخرى بناتهن الى (المطوعة) ا
القارئة التي تعلم قراءة القرآن ومبادىء الكتابة مقابل اجر
شهرية تختلف من بنت لاخرى فهي اشبه بالمكافأة الرمزية
بالاضافة الى ما يقدمه البعض من الأسر على شكل هدايا بالمناسبات
الدينية وغيرها وقليل من الأسر هي التي ترسل بناتها الى المطوعة

للتعلم خشية خروج البنت وحدها الى المطوعة . اما البيت فكان بحد ذاته مدرسة تعلم البنت الخياطة والتطريز احيانا والطبخ وسائر الخدمات التي تتعلمها على يد امها او اختها الكبرى وكان لهذا التعليم أثر كبير في تكوين ربة بيت ماهرة جديرة بالاحترام بين قريناتها من ربات البيوت الاخرى ناهيك عن تمسكها بمكارم الاخلاق التي استمدتها من دراستها للقرآن المجيد ومن تربيتها بين أهلها وذويها

اما (التعليم النظامي) النسوي في البحرين فقد كانت بدايته في مستهل عام ١٩م رغم معارضة الآباء وهذا ما يحدث كثير من المجتمعات ، ورغم ان البعض جعل من عام ١٩٢٨ -١٩٢٩م بداية لتعليم البنات في البحرين ولكن يمكن ان نعتبر ان اول مدرسة في البحرين أسست عام ١٩٠٥م على يد الارسالية الامريكية بينما تأسست اول مدرسة حكومية في البحرين عام ١٩٢٨ في المحرق ولذا لا بد ان نلقي الضوء على مدرسة البنات التي تأسست في عام ١٩٠٥م التي كان عدد طالباتها خمسين طالبة وكان متوسط الحضور اربع عشرة طالبة في السنة أي ان كثيرا من الطالبات كن يتغيبن لسبب او لآخر ومن المدرسات الاوائل (السيدة ديكسترا) ثم حلت محلها (فان لوتون) و(جيني سكار فيلد) و(كيت او لكوت) .

وتقول (جيني سكار فيلد) بانها بدأت في التدريس في المدرسة وهي خائفة من هذا العمل الريادي عندما حلت محل السيدة (ديكسترا) وقد تأخر فتح المدرسة حتى ٢ يناير بسبب انتشار وباء الكوليرا وكان عدد البنات اللواتي التحقن بالمدرسة في البداية اثنتي عشرة بنتا ثلاث منهن مسيحيات



وتسع مسلمات وقد بدأنا بتدريس القراءة والكتابة ومبادىء الحساب كما كنا نعلمهن بعض التمرينات في الرياضة البدنية وكانت ساعات الدوام من الساعة السابعة والنصف الى الساعة الحادية عشرة صباحا ولمدة خمسة ايام في الاسبوع وفي البداية كان معدل حضور الطالبات سبعا بصورة متواصلة من بين اثنتي عشرة طالبة

كما علمنا الخياطة وذلك مرة واحدة في الاسبوع ولما حُلت ماكينة للخياطة اثار ذلك انتباه طالباتنا وان كان كثير من الأسر لديهم ماكينات للخياطة وقد تعلمت ثلاث بنات الخياطة بصورة جيدة وكثيرا ما نواجه مشكلة عدم حضور بعض البنات للمدرسة بصورة منتظمة اذ كثيرا ما ينقطع بعضهن عن الحضور بعد تعلمهن قليلا من القراءة والكتابة وذلك بأن يمنعها زوجها أو والدها من مواصلة الدراسة ، أو قد يكون سبب الانقطاع هو ان ينصرف بعضهن لمساعدة ذويهن في البساتين في موسم جمع التمر والحطب والزراعة خاصة القرويات منهن وقد اشتكت لي احدى الطالبات من زوجة اخيها التي تمنعها من الخروج الى المدرسة بينما جاءت الى المدرسة طالبة ووجهها مجروح نتيجة ضربات تلقتها من يد احد اقاربها فرافقتها الى بيتها لأعرف السبب وسألت عمتها عن سبب الجروح فقالت بانها سقطت عندما كانت تجري واصيبت بجروح في وجهها وراسها . وخافت البنت من عمتها وارتعشت بذعر شديد فعرضت عليها ان ترافقني الى المدرسة كي احميها من عمتها القاسية لكنها رفضت خشية ان تعاملها معاملة اقسى فيما

بعد ولقد كان الانضباط جيدا في المدر بحكم المراقبة الشديدة وقد اصبح مجمو عدد ساعات الحضور للطالبات في هذا الع ٢٥٣١ ، بينما كان معدل الحضور طالبة ، وعدد ايام الدراسة في العام الوا ١٧٩ يوما ، وعدد الطالبات اللواتي تسجيل اسمائهن ٣٤ طالبة

وجدير بالذكر أن الدراسة كانت تسـ خلال العام الدراسي الى اخر يوم من سـ يونيو حيث ترتفع درجة الحرارة فيما ـ لدرجة لا يمكن والحالة هذه مواصلة الـ حتى في الشرفة (الفريدة) وان العمل المدرسة يستوجب الصبر والتسامح الى كبير فكثيرا ما تنقطع الطالبات أو يحر لحضور حفل زواج أو أية مناسبة أخرى تكون تافهة

ومن العادات السائدة زواج البنات سن مبكرة قد تصل الى اثنتي عشرة سـ وبعضهن قد يزوجوهن ولهن من العمر تـ سنين

وتفتح المدرسة ابوابها في اول اكتوبر يحضر المدرسة الا عدد قليل من الطالـ لأن ازواجهن لا يسمحون لهن بالحضور المدرسة وتحل محلهن بعض الطالـ الجديدات

وفي العام التالي (١٩٠٦م) اصبحنا ـ الخياطة مرتين في الاسبوع ولا يسمح للـ ان يأخذن نتاج خياطتهن لبيوتهن[1]

ولم نعلم كيف كان التعليم في ـ المدرسة بعد عام ١٩٠٦م الا ان تعلم الـ فيما يشبه الكتاتيب أو المطوعة استمر ـ الى جنب مع التعليم بهذه المدرسة أو المدارس الأهلية فيما بعد حتى اذا جـ

١٩٢ ـ ١٩٢٩م بدأ التعليم النظامي الأهلي فقد أسست اول مدرسة ابتدائية اهلية مع معونات تحصل عليها من الحكومة وكانت اول معلمة هي (مريم الرياني) التي كانت تدرس القرآن الكريم ومبادىء الدين وذلك في العتريبات[٢]

وفي العام الدراسي ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠ حُوّل منزل السيد عبدالرحمن الرياني في (المحرق) الى مدرسة للبنات وكانت مديرة المدرسة الاستاذة (فاطمة البياتي) ثم عينت المواطنة مريم عبدالله الرياني فزاد اقبال البنات على المدرسة وسجلت ١٠٤ طالبات فيها وكان قبل هذا التاريخ بنصف سنين يعتبر تعليم البنات بدعة وعملا لا يتفق مع العادات والتقاليد حسب رأي البعض الذي اخذوا يقاومون فتح مدرسة للبنات اذ واجه هذا العمل النقد الشديد من البعض ورغم ذلك فقد ازدهرت المدرسة ونالت تأييد الأسرة الحاكمة وطائفة من المثقفين واهتم الشيخ عبدالله بن عيسى ال خليفة بالتعليم عموما وكان يشغل رئيس لجنة التربية الذي كان يهتم كثيرا بالتعليم وقتئذ ويدعو الى ضرورة انشاء المدارس وايده وساعده كثير من التجار والمثقفين ومنهم تاجر اللؤلؤ محمد علي زينل الذي كان هو الآخر يهتم بالتعليم كثيرا

وسارت مدرسة البنات سيرا جيدا وكانت هيئة التدريس فيها تتكون من أم وأخت أحد لأساتذة الدين يدرسون في مدرسة البنين ويشمل المنهج الدراسي القراءة والكتابة والحساب مع دروس في الخياطة والرسم وتمتعت المدرسة بشعبية واسعة ، حتى ان لجنة التربية والتعليم الحكومية تلقت طلبا لفتح مدرسة للبنات في المنامة لأن تلك المدرسة كانت في المحرق وافتتحت المدرسة في المنامة فزاد الاقبال عليها أكثر من المحرق وربما كان سبب ذلك لأنهم سمعوا عن النتائج المرضية لافتتاح مدرسة البنات في المحرق ورغم ذلك فقد بقى هناك من يعارض تعليم البنات في المدارس

وكانت تدير مدرسة البنات في المنامة مديرة ذات مؤهلات تربوية عالية وتضم المدرسة الطالبات البحرينيات والاحسيات اللواتي يتلقين فيها التعليم الديني والقراءة والكتابة والحساب مع شيء من التعليم الفني كالرسم والخياطة والتطرير والرياضة

وجدير بالذكر فقد التحقت بها الطالبات اللواتي كن يدرسن سابقا في مدرسة الارسالية لأن مدرسة المنامة النظامية كانت تتمتع بشعبية واسعة شأنها شأن مدرسة المحرق التي سبقتها في التأسيس بعام واحد بدليل زيادة نسبة الحضور[٣] ، وفي العام الدراسي التالي أي ١٩٣٠ ـ ١٩٣١م كان هناك مدرستان للبنات وعدد البنات فيهما نحو مائة طالبة بينما ارتفع عددهن في عام ٣١ ـ ١٩٣٢م الى ١٧٠ طالبة وان تغيرت نسبة الحضور في العام الواحد حسب المواسم وارتفع الخط البياني لعدد الطالبات فوصل في عام ٣٢ ـ ٣٣هـ الى ٨٢٨ طالبة في المدرستين (المحرق والمنامة) وهنا بدأت مشكلة الحصول على معلمات مواطنات مؤهلات تأهيلا تربويا لادارة المدارس والتدريس

وفي العام الدراسي ٣٣ ـ ١٩٣٤م قُبل في مدرسة المنامة ١٠٨ طالبات وفي مدرسة المحرق ٧٤ طالبة وقد سجل عدد البنات في

مدرسة المنامة عام ٣٧ ـ ١٩٣٨م ارتفاعا ملحوظا واقيم معرض في المدرسة عرض فيه نتاج الطالبات من تطريز ومنتجات اخرى وكان العرض جيدا وفي مستوى عال

وزاد عدد الطالبات في مدرسة (المنامة) في العام التالي الى ١٤٦ طالبة وخمس مدرسات والى ١١٦ طالبة في مدرسة (المحرق) وسبع مدرسات وادخلت مواد دراسية جديدة في هذا العام كالتدبير المنزلي والطبخ وتصل اعمار الطالبات دون السادسة عشرة وهي سن الزواج حيث يتركن المدرسة

وفي نهاية عام ١٩٣٩م زاد عدد مدارس البنات الى ثلاث مدارس في كل من (المنامة) و(المحرق) و(الحد) وكان عدد طالباتها على التوالي ١٩٠ و١٥٠ و٨٥ طالبة اذ تأسست مدرسة (الحد) للبنات في اواخر عام ١٩٣٩م وفي بداية هذا العام الدراسي صدر أمر وزير التربية والتعليم الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة بتعيين السيدة (بلكريف) وهي زوجة المستشار وقتئذ مراقبة لمدارس البنات وكانت تعمل تطوعا وبدون راتب اما مديرة مدرسة المنامة فهي زوجة المراقب في وزارة التربية والتعليم والتي عادت الى بلادها برفقة زوجها حين انتهت مهمة عمله وعينت مدرسة اخرى كمديرة للمدرسة وكانت هيئة التدريس على النحو التالي

مدرسة المنامة ويدرس فيها ثمان مدرسات سبع منهنّ من المواطنات.

مدرسة المحرق ويدرس فيها ست مدرسات منهن خمس مدرسات من المواطنات

ومدرسة الحد ويدرس فيها ثلاث مدرسات مواطنات

وكان منهج التدريس في هذه المد[ارس] يتضمن القرآن الكريم ومبادىء ا[لدين] والقراءة والكتابة والحساب والجغ[رافيا] والتاريخ والشعر والقواعد والا[ملاء] والصحة والتدبير المنزلي والتد[بير] والأشغال اليدوية ويتم تعليم الانجليز[ية في] الصفوف العليا فقط

وكانت بعض الطبيبات او المو[ظفات] الصحيات يقمن بزيارات للمدارس للك[شف] والعلاج ولم يقتصر التعليم [في] المدارس على المواطنات فحسب بل [...] الجنسيات وبدون دفع اجور أي ان الد[...] السنوي منذ بدايته في البحرين كان م[جانيا] ولا تدفع الطالبات الا لشراء القماش [الذي] يقمن بخياطته ويتم تعليم البنات تف[صيل] الملابس ورعاية الأمومة والطبخ وذلك [في] مدرسة المحرق حيث توجد فيها مراقبة مؤهل عال بينما لا يوجد في هذا العام مد[رسة] للخياطة والتدبير المنزلي في مدرسة الم[نامة] أما في مدرسة (الحد) فيدرس فيها ال[قرآن] الكريم ومبادىء الدين الحنيف والق[راءة] والكتابة والحساب وكذلك التطرير فقط

ولم يكن الهدف الرئيسي من تأس[يس] مدارس البنات وقتئذ تدريبهن لكي يتج[هن] للعمل وكسب الرزق في الوظائف [...] مدارس البنين لانه لا توجد لهن [...] للتوظيف في ذلك الحين اللهم الا في دا[ئرة] التربية والتعليم والصحة وانما الهدف [...] تدريبهن على التدبير المنزلي وتر[بية] الأطفال[٤]

وسجلت مدارس البنات تقدما ملحو[ظا] عام ٤١ ـ ١٩٤٢م من حيث عدد الطالبا[ت في] مدارس كل من المنامة والحد والمحر[ق]

.. حت في منتصف هذا العام مدرسة للبنات .. (الرفاع) اذ اشترت الحكومة منزلا .. حولته الى مدرسة ويتكون المنزل من ٣ غرف وساحة واسعة وعدة مبان فرعية ويتم تعليم المواد الآتية في مدرسة الرفاع القرآن الكريم والدين والكتابة والقراءة والحساب والخياطة والتطرير وقدمت المدرسة نتائج لا بأس بها ولقد زاد عدد الطالبات في مدرسة المنامة مما ادى الى توظيف ٥ مدرسات جديدات من المواطنات في هيئة التدريس وكذلك زاد عدد المدرسات في مدرسة المحرق كما عينت مدرسة لتدريس اللغة الانجليزية وتفصيل الملابس والتحقت مدرسة اخرى بمدرسة المحرق وكانت جميع المدرسات خريجات الثانوية العامة

وقدمت طالبات مدرستي المنامة والمحرق تمثيليتين من أجل جمع تبرعات وتم جمع ١٦ روبية لهذا العرض وقد بذلت الحكومة اهتماما بالغا بصحة البنات فكانت تقوم بعض الممرضات في المستشفى الحكومي بزيارة المدارس اسبوعيا وترسل المرضى من البنات الى المستشفى اذا لزم الأمر

وان مستوى مدرسة الحد ليس مرضيا ويرجع السبب الى حد ما الى سوء تغذية البنات بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية

الاحصائيات في بداية العام ونهايته :

عدد الطالبات	١٣٦٠/١/١	١٣٦١/١/١
المنامة	٢٤٣	٣١٠
المحرق	١٤٠	٢٠٠
الحد	٨٤	٩١
الرفاع	—	٧٦
عدد الاساتذة		
المنامة	٩	١٣
المحرق	٨	١٠
الحد	٣	٣
الرفاع	٣	٣

وفي عام ١٩٤٣ واجهت مدارس البنات عدة مشاكل بسبب تأخر التحاق المدّرسات من الخارج لمدة شهر وقد أدت المدرسات الوطنيات واجباتهن بحماسة على الرغم من مؤهلاتهن المتواضعة وقدمت مديرة مدرسة المنامة واختها استقالتيهما عقب ٣ شهور من مضي العام الدراسي وكان سبب الاستقالة مرض المديرة بينما استقالت اخت المديرة لمرافقتها للعلاج وبعد مغادرتهما باشرت المدرسات الوطنيات عملهن تحت اشراف السيدة بلكريف

ولم تتغير مواد الدراسة ولم تستطع المدرسة تنفيذ عدة مقترحات كما أوقف تدريس الطبخ لعدم تيسر المواد الغذائية وبسبب ظروف الحرب العالمية الثانية وقد زاد عدد الطالبات فتم تشييد ثلاث غرف اضافية في مدرسة المنامة ورفضت طلبات من حوالي ١٠٠ طالبة للالتحاق بالمدرسة بسبب قلة المدرسات وعدم توفر الصفوف الكافية

وتم توظيف خمس من عشر خريجات من الثانوية العامة للتدريس في المدرسة وعُينت السيدة (صواف) مديرة مدرسة المحرق ، كمراقبة المدارس وبدات المدرسة تقوم بتدريب الطالبات على ممارسة الرياضة البدنية وذلك في مدرستي المنامة والمحرق

وتحسن مستوى صحة البنات هذا العام لأن معظم البنات في المحرق اما من الأسرة الحاكمة واما من طبقة التجار واستمرت زيارات اسبوعية من قبل احدى الطبيبات أو الممرضات

واقيم معرض سنوي لأشغال الابرة والمطرزات في قصر المنامة حيث تكرم صاحب السمو بافتتاحه وكانت المعروضات على مستوى عال ونالت اعجاب الزوار وكان اليوم الأول للمعرض مخصصا للرجال وللنساء في اليوم الثاني ولم يتمكن بعض الزوار من الدخول الى صالات المعرض بسبب الزحام

وقدمت مدرستا المنامة والمحرق تمثيليات وبلغت العائدات من بيع التذاكر ٢٠٠٠ روبية وتم صرفها لشراء الملابس للطالبات الفقيرات

وجاء في تقرير من السيدة بلغريف عام ١٩٤٤م قولها

لقد سجلت مدارس البنات تقدما ملموسا في هذا العام وفتحت صفوف دراسية اضافية في كافة المدارس في القسمين الابتدائي والثانوي وتضاعف عدد الطالبات في مدرستي الحد والرفاع واضيفت براستي أو عرف بيت من جذوع النخل كصفوف دراسية في الحد والرفاع ورُفضت طلبات العديد من الطالبات للالتحاق بالمدارس بسبب ضيق المحل وقلة عدد المدرسات وربما تتحسن الظروف بخصوص تشييد المباني بعد انتهاء الحرب

وان كافة الطالبات المتخرجات استخدمن كمعلمات لكننا نحتاج الى المزيد منهن نظرا للتزايد في عدد الطالبات وقد افتتحت مدرسة جديدة في المنامة بالقرب من حد[...] البلدية واستأجرت الحكومة منزلا كبيرا [...] الطراز العربي من الأوقاف فاصبح ا[...] محلا ملائما كمدرسة وحضرتها ٢٠٠ [...] وازداد عدد المدرسات وقد عينت الس[...] صواف (مديرة مدرسة المحرق) مد[...] لمدارس البنات وتم تشغيل ٣ معلمات [...] سوريا و ١ من الوطنيات وقد يكون م[...] للبنات بعد الحرب الايفاد الى الخارج [...] أجل التدريب

وحاولنا تسوية المناهج في المد[...] المختلفة كي يسهل على البنات الانتقال [...] مدرسة الى اخرى لأن بعض الاسر تنتقل [...] المحرق الى المنامة في الصيف وتفضل ال[...] الحضور في المدارس القريبة من الحي [...] يسكن فيه

وعقدنا جلسات بصورة منت[...] للمدرسات لمناقشة شئون المدرسة ووا[...] في العام الماضي بعض الصعوبة في الحـ[...] على الكراسات والأدوات الدراسـ[...] فاستخدمنا بعض الأوراق القديمة وبط[...] التهنئة الخ في رياض الاطفال وتـ[...] عن تدريس التدبير المنزلي وخاصة ا[...] بسبب عدم توفر المواد الغذائية لهذا الغ[...] وفرض القيود على توزيع الحبوب الغذا[...] واقيم معرض للتطريز كالمعتاد في قصر [...] الشيخ سلمان وبيعت كافة المعرو[...] بسرعة وبلغت المبيعات ٥٩٠٧ روبـ[...] عرض تاجر محلي شراء المعرض بـ[...] بمبلغ ضخم لكننا رفضنا ذلك وتم [...] الجوائز على الطالبات لجودة تطريزهـ[...] قبل السيدة الاولى حرم الحاكم

وزارت الدكتورة ذويج مدرسة [...]

، امت بفحص طبي للبنات كما كانت
، رصة من المستشفى الحكومي ترور
، رستي المحرق والمنامة كل اسبوع بانتظام
وبد تحسنت صحة الطالبات هذا العام

عدد البنات في المدارس
في نهاية العام (١٩٤٤م)

مدرسة المنامة	٣٥٣
مدرسة المنامة الحديدة	٢١
مدرسة المحرق	٣٠
مدرسة الحد	١٦٥
مدرسة الرفاع	١٣٩
المحموع	١١٦٧

وبلعت التكاليف السنوية ٥٧,٣٠

اما التكلفة المتوقعة لعام ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م) فهي ٠٠٠. ٨ روبية ويرجع السبب لارتفاع المصاريف لزيادة عدد المدرسات والعلاوات الحربية وعلاء المعدات المدرسية

والخلاصة فان التعليم النسوي تطور تطورا ملحوظا اد لم تدم المعارضة طويلا والتحقت بالمدرسة حتى بنات اولئك الدين عارضوا المشروع في الأمس القريب ، تم سجل تعليم البنات في البحرين في الأعوام التالية تقدما ملحوظا دون أي عراقيل ولم تتاثر باي عوامل اخرى ومن بعض النواحي كانت استجابة البنات للتربية والتعليم أعلى وأحسن من البنين وتبقى البنات في المدرسة حتى يبلغن من العمر بين ١٥ و١٧ سنة أي الى سن الزواج مما يعطي لهن فرصة اكمال الدراسة قبل الزواج

ولقد اقيم اول معرض لمطرزات بنات المدرسة في عام ١٩٢٤ ونال المعرض اعجاب الزوار واصبح بيع المعروضات فيما بعد حدثا سنويا كما يعقد المعرض في قصر المنامة باذن من صاحب السمو ويحذب عددا كبيرا من الزوار وان اليومين من الايام الثلاثة للمعرض يخصصان للنساء فقط حيث تتاح الفرصة للقاء بين سيدات الاسرة الحاكمة وزوجات التجار العرب البارزين وبقية نساء مجتمع البحرين

لقد اشترت الحكومة في ٣٧ ـ ١٩٣٨م (١٣٥٦هـ) قطعة ارض في المحرق وبنت عليها مدرسة حديثة وصحية مع ملعب يحيطه سور وسكن للمدرسات وفي نفس العام تم تعيين مديرة في مدرسة المحرق وهي تحمل مؤهلا جامعيا وتشرف السيدة بلكريف على مدارس البنات مند بضع سنوات وعينت مديرة لتعليم البنات رسميا في ٣٨/ ١٩٣٩م (١٣٥٧هـ) دون راتب ومن هنا أدخلت مواد جديدة في منهج الدراسة ومنها التدبير المنزلي والطبخ مما اصبح مقبولا لدى الطالبات لحد كبير ولكن اوقفا بسبب قلة المواد الغذائية وبالاخص في ايام الحرب تم انشئت مدرسة في الحد في ٣٩ ـ ١٩٤٠م (١٣٥٨هـ)

وقد انشئت مدرسة أخرى في الرفاع في ١٩٤١ كما زاد عدد الطالبات في كل من المنامة والمحرق وبدأ توظيف خريجات الثانوية العامة بالاضافة الى مدرستين جامعيتين وعقدت الامتحانات بانتظام ووزعت الشهادات للفائزات وحصل تعاون وثيق بين المدارس والمستشفى مستهدفا تحسين صحة الطالبات ونظمت زيارات منتظمة للدكاترة والممرضات وتم ارسال

البنات لمستشفى النساء عند اللزوم للعلاج وكان من المتوقع ان هذا التعاون سيؤدي الى اختيار البنات التمريض مهنة لهن الا ان هذا الهدف لم يتحقق وادخلت بحرينية واحدة فقط سلك التمريض والمجال الوحيد لتوظيف البنات هو المدارس الحكومية كمدرسات

وبلغ عدد الطالبات في ١٩٤٢م ، ٨٠٠ طالبة في مدرستي المنامة والمحرق لكنه كان من الصعب الحصول على المدرسات المسلمات من الخارج ولم يكن عدد الخريجات في الثانوية العامة من المستوى المطلوب لاستخدامهن كمدرسات

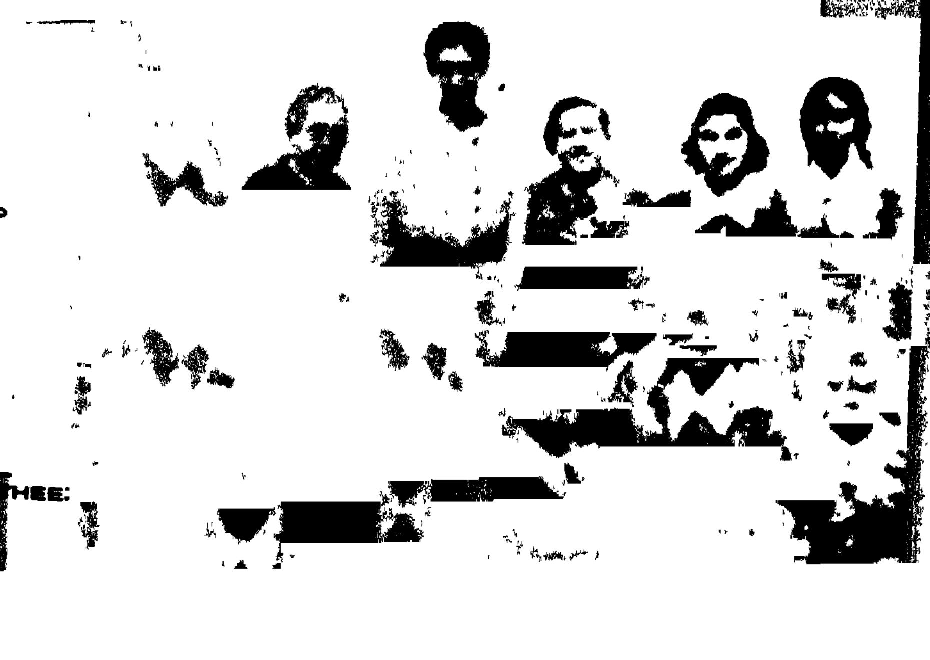
ولقد اسست روضة للأطفال في المحرق في ١٩٤٢ وتحسنت صحة البنات وقام الطبيب الرسمي الدكتور (سنو) بفحص النظر للبنات في مدرستي المنامة والمحرق ووجد بان معظم البنات كن مصابات بمرض التراخوما وعلى الرغم من ان البنات تعلمن في المدرسة مبادىء النظافة وعلم الصحة الا ان الظروف المعيشية في البيت لم تسمح لهن

بفرصة تطبيق هذه المبادىء عمليا و
بعض المناطق خاصة الرفاع من نقص
وعلائه مما ادى الى رداءة صحة الاطف

وكان عام ١٩٤٣م (١٣٦٢هـ)
صعبا تأخر المدرسون المنتدبون ب
مشكلة المواصلات وفتحت مدرسة جدي
المنامة بالقرب من حديقة البلدية وسجل
٢٠٠ بنت وعينت مدرسة بحرينية كـ
للمدرسة وسبق لها ان حصلت على تدر
كلية بالخارج

وفي نوفمبر من عام ١٩٤٨ كتبت ال
(بلكريف) تقريرا قالت فيه

انه لم تفتح مدرسة جديدة في هذا
ولم يجر العمل في مدرسة جديدة ال
(المحرق) ومدرسة الرفاع كما يرام ب
عدم كفاءة مديرتيهما وعزلتا وحل م
معلمتان متعاقدتان من لبنان حتى تت
المعلمات الوطنيات خبرة في التدريس
موعد زواجهن ثم يتركن المدرسة فعل
بدا من جديد بالمستجدات الا ان
الطالبات قد قل بسبب هذه الظروف



صورة ا
مدرسة
في الد
عام ٥



و المغفور له الشيخ حمد بن عيسى بن علي ال خليفه وعلى يمينه والدة المستشار بلجريف في
لف ومن اليمين الى اليسار الشيخ دعيج بن حمد ال خليفه وعبد الله بن جبر الدوسري ثم مستر
يير ثم مسز بلجريف (زوجة المستشار بلجريف) ثم احدى الممرضات ثم الشيخ عبد الله بن حمد
خليفة في خلفية الصورة يقف الى اليسار المستشار بلجريف الصورة اخذت بلندن خلال زيارة
و المغفور له الشيخ حمد لها

ت ممرضة اجنبية من الدائرة
ة لتعمل في المدارس فقط وكانت تزور
المدارس يوميا وتحسنت صحة
ت وكذلك مستوى النظافة وتم عقد
للتطرير في قصر القضيبية ونالت
صات اعجاب المشترين لجودة
وكانت الكتب الدراسية تستورد
ر وقد تأخرت الكتب لهذا العام
تحويل العملة ومن المنتظر ان تصل
اثناء العام الحالي
ار هذا العام بالتعاون الوثيق ما بين
في هيئة التدريس

عدد الطالبات في عام ١٩٤٨م

في مدرسة عائشة ام المؤمنين (مدرسة المنامة)	٣٥٣
وفي مدرسة خديجة الكبرى (مدرسة المحرق القديمة)	٣١٩
وفي مدرسة فاطمة الزهراء (مدرسة المنامة الجديدة)	٢٣٤
وفي مدرسة المحرق الجديدة	٢٣٦
وفي مدرسة الحد/ الرفاع	١٠٤/١١٠
المجموع	**١٣٥٦**

هيئة التدريس

مفتشة	١
مدرسات احسيات	٩
مدرسات وطنيات	٥٤
المجموع	٤٦ مدرسة

واستمر العمل طوال العام الدراسى ١٩٤٩ - ١٩٥٠م بشكل عادى الا ان مدرسة حديجة الكبرى وهى (مدرسة المحرق القديمة) ظلت بدون مديرة لان المديرة الحديدة التى تم تعيينها لم تلتحق بالمدرسة لاسباب صحية وفى احر السنة انتدبت مدرسة الرياضيات الى مدرسة المحرق للانضمام لهيئة التدريس وكان مستوى الرياضيات ضعيفا فى كافة المدارس ولكن تعيين معلمة خاصة لتدريس الرياضيات اسفر عن نتائج ايجابية فى نهاية العام الدراسى وذلك بعد ظهور نتائج الامتحانات واحرزت كافة الطالبات درجات اعلى وحصلت طالبة على منحة دراسية للدراسة بالخارج وقد سبق ان اكملت الصف السادس فى المنامة سجلت هذه الطالبة تقدما مرضيا هناك طبقاً للتقارير الواردة كما ارسلت ثلاث طالبات من خريجات المدارس فى البحرين الى كلية بريطانية فى بيروت وذلك قبل بضع سنوات من نشوب الحرب العالمية الثانية ومنذ ذلك الحين لم ترسل اية بنت بحرينية الى الخارج للدراسة وكان عدد البنات فى الفترة الاولى للعام الدراسى ١٣٥٦ طالبة وذلك فى ٦ مدارس وبينما بلغ عدد الطالبات ١٧٦٣ طالبة فى الفترة الثانية وتقول السيدة بلكريف فى تقريرها لم نتمكن من قبول كافة المستجدات اللواتى رغبن فى الالتحا بالمدارس بسبب ضيق المدارس وحتى ا تيسر محل اوسع لم تتوفر المعلمات الاجنبيات وان الصفوف الابتدائية كان مزدحمة ونسبة الحضور فى الصفوف العليا كانت ضئيلة كالمعتاد

وكانت زيارة الممرضة مستمرة للمدرستين يوميا وتنقل الطالبات للمستشفى عند اللزوم كما يتم تطعيم البنات ضد الجدرى وفى هذا العام حصلت ١٤ طالبة على الشهادة الابتدائية ولقد اقترح البعض انشاء مدرسة ثانوية للبنات ولكن هل هذه الفكرة تحصل على تاييد الناس انه امر مشكوك فيه قد تحضرها بعض البنات فى بداية العام ثم ينقص عددهن تدريجا بسبب زواجهن او معارضة اسرهن لمتابعتهن الدراسة فقد رفعنا مستوى الشهادات الثانوية فى السنتين او الثلاث السنوات الماضية وان خريجاتها اصبحن مدرسات لا باس بهن لكنه من الصعب تدريبهن على نقل المعلومات الى التلميذات خاصة فى روضة الاطفال حيث يصل عدد الاطفال الى رقم ملحوظ

وحصلنا على طاولات وكراس لروضة الاطفال من الخارج ولم يكن الحصول على الكتب صعبا وهكذا اصبحت الامور سهلة

ومن النشاطات اللاصفية ان اقيم معرض لما قامت به الطالبات من تطريز وحياكة وذلك فى قصر القضيبية كالمعتاد وحضره جمع غفير

وكانت هيئة التدريس فى هذا العام تتكون من مشرفة واحدة و١٢ معلمة اجنبية و معلمة من المواطنات

عام ١٩٥٠ ـ ٥١ تم تشييد مدرسة
ة واسعة وعرف لسكن المدرسات
يات في الطابق العلوي على اساس
مفردة لكل مدرسة وحمام لكل غرفتين
القسم السكني صالة الاستقبال
الاكل ومطبخا وحماما وغرفة لكي
ن وبطاما لتسخين الماء وقد شيدت
المدرسة على ارض حديقة البلدية
ة

ست هذه الا مدرسة (الزهـراء)
ية اوسع من الاول تضم صفوفا اكثر
دراسات للمرحلة الثانوية في هذه
ة وكان عدد الطالبات احدى عشرة
ومع انه يمكن انشاء مدرسة ثانوية
ة في وقت لاحق الا ان الاباء لا
ون لبناتهم بحضور المدرسة الثانوية
ترتفع تكاليف استخدام المعلمات
ف الثانوية وكان متوسط عمر الزواج
حرين اقل بكثير من البلاد العربية
ـ البنات من المدرسة عندما يصلن الى
خامسة عشرة لذا فان عدد الخريجين
وية للبنين اكثر بكثير من الخريجات
نسبة الالتحاق بكافة المدارس عالية
تفوق سعتها

ستطرد السيدة بلكريف في تقريرها
ى بقولها ـ واصبحنا في هذا العام الى
لتدريس ٥ مدرسات احسيات
ن الصعب التحاق المواطنات في مهنة
س لانهن يعتبرنها وظيفة صعبة وعلى
من تواجد الكتب العربية في المكتبة
لا يرغبن في قراءتها الا قليلات منهن
ل المدرسات المواطنات في الغالب الا
ة الابتدائية كما كنا نواجه ايضا
مشكلة المواصلات بسبب ظروف الحرب فليست لدينا الا سيارة باص قديمة لنقل ٢ معلمة من المنامة الى المحرق والرفاع والحد وان السيارة غير سليمة وتتعطل عدة مرات وتتكلف كل طالبة ٢٠٤ روبيات سنويا وعدد الطالبات كالاتي مدرسة عائشة ٤٧٣، فاطمة الزهراء ٤١٣، خديجة الكبرى ٤٦٩، مريم بنت عمران ٢٩٣، الحد ١٥٢، الرفاع ١٤٩، الثانوية ١١ المجموع ـ ١٩٦١. هيئة التدريس (الاجنبيات) مشرفة ١، و١٨ معلمة وممرضة واحدة

اما المواطنات ٦ معلمة

وفي تقرير هذا العام ١٩٥١ ـ ١٩٥٢م فتحت مدرسة الزهراء ابوابها لتستقبل الطالبات في مبناها الجديد في منطقة صالحة ومناسبة كمدرسة للبنات وسجل في الصف الدراسي الثانوي عدد جيد من الطالبات الناجحات من المدارس الحكومية ومن مدرسة الارسالية للبنات وخصصت غرفة واحدة لكل مدرسة لعرض معروضاتها من التطريز

واستخدمت في هذا العام ممرضة فلسطينية

وكانت الحاجة ماسة الى مدرسة اخرى في غرب المنامة واصبح عدد الطالبات في هذه السنة الدراسية

في مدرسة عائشة ام المؤمنين	٤٧٣
في مدرسة فاطمة الزهراء	٤١٦
في مدرسة خديجة الكبرى	٤٦٩
في مدرسة مريم بنت عمران	٢٩٤
في مدرسة الحد	١٥٢
في مدرسة الرفاع	١٤٩
في مدرسة ثانوية	١١

المجموع	١٩٦٤

اما هيئة التدريس فكان عددهن

من الاجنبيات مشرفة	١
ومن معلمات	١٢
ومن ممرضات	٢

اما المواطنات فكان عددهن ٦٥ معلمة وكاتبتان

وفي التقرير السنوي لعام ٥٢ - ١٩٥٣م

فتحت ٣ مدارس في كل من المنامة والمحرق والرفاع الغربي وعادت الطالبة المبتعثة الى لبنان فسجلت نجاحا كبيرا ثم نقلت الى الكلية لاكمال دراستها الجامعية بالخارج ومارست الممرضة نشاطها بانتظام

فتحسنت صحة الطالبات

وكان عدد المدارس	٩ (ابتدائية)
	١ (ثانوية)
اما عدد الطالبات	٢٢٧٢ طالبة

وافتتحت مدرستان للبنات في خريف عام ١٩٥٥ ومنهما مدرسة ابتدائية في القضيبية والثانية في المحرق وكان هناك اربع مدارس ابتدائية في المنامة واربع في المحرق وواحدة في الحد وواحدة في الرفاع الشرقي وواحدة في الرفاع الغربي

ومدرسة ثانوية وفيها ٤٠ طالبة وقد زاد عدد طالباتها في هذا العام واستخدمت دكتورة اجنبية وهي اخصائية في امراض الاطفال وممرضة هندية وممرضتان فلسطينيتان لفحص وتطعيم كافة الطالبات

واقيم معرض التطريز في شهر ديسمبر وكا المعرض يقام في شهر ابريل ولكن بسبب قر موعد الامتحان اقيم في ديسمبر وبد البنات الكبيرات يظهرن عدم رغبتهن . التطريز والتدبير المنزلي مع ان هذه المو تساعدهن في بيوتهن اكثر من مجرد دراسات كتابية

وكان عدد المدارس في نهاية هذا العام احدى عشرة مدرسة ابتدائية ومدرسة ثانوية واحدة حيث بلغ عدد الطالبات ٣٣٨٦ اما هيئة التدريس فعددهن ١٢٥ معلمة من جنسيات مختلفة وهن

مشرفة	١ لبنانية
اما المدرسات	١٨ لبنانية
	٢ هندية
	١٠ اردنية
	٣ سورية
	٣ فلسطينية
	١ مصرية
	٨٧ بحرينية
كاتبات	٣ بحرينيات
طبيبة	١ بريطانية
ممرضة	١ هندية
	و٢ فلسطينية [٣]

وفي عام ١٩٥٧م غادرت السيدة بلكريف في منتصف ابريل باجازة اعتيادية الى لندن وحلت السيدة (باير) محلها

د عينت السيدة ناير مترفة تعليم
ـ ونقل مكتبها من باب البحرين الى
ـة الزهراء اما السيدة بلكريف فقد
ـ بتعليم البنات منذ عام ١٩٣٩
عدد المدارس وقتئذ ٣ مدارس
ـ تضم ٤٢٥ طالبة وعندما تخلت
ـصبها في ١٩٥٧ زاد عدد المدارس
١ مدرسة تضم ٣٩٤١ طالبة

ـ بذلت السيدة بلكريف مجهودا
ا مما اسفر عن نتائج ايجابية عبر
ـ اذ بادرت بادخال الصف الثانوي
في عام ١٩٥١ وارسال بعضهن الى
ـج في عام ١٩٥٥ لمواصلة
ـتهن

لغت المصروفات في نهاية العام
١٫٢٦٨ روبية مقابل ١٫١٥٣٫٣٧٢
١٩ وكانت التكلفة المتوسطة ٢٧٦
لكل بنت في العام مقابل ٢٨٨ روبية
١٩

ـشئ المجلس التعليمي في شهر يناير
ـة سعادة الشيخ خليفة بن سلمان
ـيفة وعقد المجلس جلساته بانتظام
ايام الاربعاء واتخذ عدة قرارات
لحل المشاكل
لقا لتوصيات المجلس اندمج
ـيس في المرحلة الابتدائية للبنين
ـت وفازت طالبة على رأس القائمة من
٨ تلميذا وتلميذه وزاد عدد البنات
ـصف الثانوي

وأوفدت الحكومة ٨ بنات الى الخارج لمواصلة دراستهن ستا منهن الى بيروت واثنتين الى انجلترا ووزعت الكتب والقرطاسية والبدل الرسمية على التلميذات مجانا كما تم التنسيق في شروط الخدمة ودرجات الرواتب بصورة منتظمة واليك جدولا يبين عدد المدارس وطالباتها ومدرساتها خلال عشر سنوات من ١٩٤٧ ـ ١٩٥٧م .[٦]

وفي عام ١٩٥٩م لم تجر اية تغييرات ادارية وبلغ العدد الكلي للطالبات المسجلات في المدارس ٥٤٦٧ طالبة بزيادة ٤٤٨ طالبة عن عدد العام السابق وتم الحاق ٢٢ مدرسة جديدة بهيئة التدريس لمواجهة تلك الزيادة

وتمت المرحلة الاولى من بناء المدرسة الثانوية الجديدة وشغلت في نهاية شهر مايو ، وجرى هدم البناء القديم لمدرسة (عائشة) بالمنامة وتمت المرحلة الاولى من اعادة بنائها وشغلت خلال العام كما تم بناء جناح جديد في مدرسة (جديحة) بالمحرق يتألف من قاعة للامتحانات وعيادة طبية وخمسة فصول وذلك في موقع القسم القديم الذي هدم من قبل كما بني جناح آخر في مدرسة (الحد) على قطعة الارض التي اشتريت والحقت بالمدرسة وفي مدرسة (الرفاع الغربي) تم بناء جناح جديد يتألف من قاعة واربعة فصول مثل هذا البرنامج لانظير له في تاريخ معارف البنات في البحرين

وواصلت الطبيبة (برين) مهامها

كمسئولة عن الناحية الطبية وقامت باجراء الفحوص الطبية على كافة أطفال المدارس وتم خلال العام اجراء ٧٦٣ فحصا مرضيا وبعض الفحوص بالاشعة وكان هناك عدد قليل تطلبت حالاتهن المعالجة الجراحية ادخلن الى المستشفى وتم لهن الشفاء كما جرى تطعيم جميع الاطفال خلال شهري اكتوبر ونوفمبر هذا ومن الامور التي تدعو الى الاغتباط حقا تسجيل تحسن في صحة الطالبات وارتفاع في وزنهن

وتم افتتاح مدرستين جديدتين احداهما في قرية (جدحفص) وروضة للاطفال في (القضيبية) وبلغ عدد الطالبات اللواتي تقدمن لاختبارات اتمام الدراسة الابتدائية **في عام ١٩٥٩م ـ ١١٥ طالبة مقابل ٨٢ في عام** ١٩٥٨ وكان عدد الناجحات ٧٦ (٦٦٪)

وتم شغل البنايات الجديدة في مطلع شهر مايو ودعيت جميع امهات الطالبات لمشاهدة المدرسة الجديدة ولقد أظهرن اهتماما عظيما بما شاهدنه وقدمت خلال العام سلسلة من المحاضرات في مبادىء الاسعافات الأولية العملية واجرى اختبار شفوي وتحريري للطالبات في ذلك ونجحت ٧٦ طالبة ونظمت أوجه النشاط المدرسي الاخرى في الفنون والاشغال اليدوية والتمثيل والالعاب في فترات بعد الظهر من اجل توسيع افاق الطالبات وتنمية مواهبهن وطاقاتهن وتقدمت ١٤ طالبة للامتحان النهائي نجحن جميعا وقد التحقت خمس منهن بالدائرة كمدرسات كما أرسل أربع منهن الى الخارج لمواصلة الدراسة العالية

وأرسلت أربع طالبات الى كلية البنات ببيروت بعد ان اكملن دراستهن الثانوية البحرين ومما يوسف له انه عند بدء الصيف انقطعت طالبتان بمحض اختيارهن عن متابعة الدراسة ولقد منحت طالبتان اللواتي التحقن بالكلية في اكتوبر عام ١٩٥٦ درجة الرسالة في الاداب وذلك في يونيه من عام ١٩٥٩

وواصل مجلس المعارف اشرافه على نمو نشاط المعارف في البحرين واسداء ارشاداته وتوجيهاته في ذلك الشأن وكما كان شأن الحال في الاعوام السابقة وزعت الكتب والادوات المكتبية والملابس الخاصة مجانا على جميع الطالبات وركب خلال العام في المدارس المختلفة ١١ مبردا للماء و١١٢ مروحة

وفي هذا العام ١٩٥٩ ولاول مرة في البحرين احتفلت المدارس رسميا (بعيد الام) ودعيت الامهات الى حضور برنامج ترفيهي خاص عبرت فيه البنات عن مشاعرهن وامتنانهن نحو الامهات

وفي عام ١٩٥٨م كان عدد الطالبات في المدارس الابتدائية ٩ ٤٩ طالبات

وفي عام ١٩٥٩م اصبح عدد الطالبات في المدارس الابتدائية ٥٣١٥ طالبة

اما عدد الطالبات في عام ١٩٥٨م في المدارس الثانوية فكان ١١٠ طالبات

وفي العام التالي اصبح عددهن ٢٠ طالبة

اما عدد المدارس للبنات في عام ١٩٥٨م فهو ١٣ مدرسة

واصبح في عام ١٩٥٩م ١٥ مدرسة

ي عام ١٩٦١م عملت مدارس البنات
ى تعيين سكرتيرات ومساعدات
رات ومن المؤمل ان يزيل تطبيق هذا
ن العبء الاداري عن المديرات ليوفر
وقتا اكبر يصرف على شئون التربية
عية في المدارس
م بناء مدرستي مريم بنت عمران
سة الجنوبية للبنات وشغلت في اول
الدراسي وبالاضافة الى ذلك فقد فتحت
تان جديدتان للبنات واحدة في المنامة
ة في المحرق اما سائر الاعمال
ائية للمديرية فقد اقتصرت على
حات الاعتيادية في المدارس وبناء طابق
ى المدرسات في مدرسة الزهراء وكان
لطالبات في مجموع مدارس البحرين

للاعوام ما بين ١٩٥٧ ـ ١٩٦١م كالآتي [٧]

١٩٥٧	٤٥٩١
١٩٥٨	٥٠١٩
١٩٥٩	٥٤٦٧
١٩٦	٦٤٨٦
١٩٦١	٧٧٦٤

وشهد التعليم تطورا ملحوظا منذ عام ١٩٦١م باهتمام من صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد المفدى وحكومته الرشيدة، فقد انشئت الكثير من المدارس والمستشفيات والمعاهد والجامعات واوفدت البعثات للدراسة وشجع المتفوقون والمتفوقات في كل عام في حفل يقام لهم في (عيد العلم) حيث تمنح الجوائز تقديرا للعلم وطلابه

احصائية تبين عدد الطالبات والمدرسات فى البحرين فى الفترة ما بين ١٩٤٧م - ١٩٥٧م

اسم المدرسة وموقعها	عدد الطالبات – العام الدراسي ١٩٤٧	١٩٤٩	١٩٥١	١٩٥٣	١٩٥٥	١٩٥٧	عدد المدرسات – العام الدراسي ١٩٤٧	١٩٤٩	١٩٥١	١٩٥٣	١٩٥٥	١٩٥٧
عائشة ام المومنين (المنامة)	٣٥٤	٣٥٣	٤٧٣	٢٨٦	٣٩٩	٥٧٤	١٩	١٤	١٧	١٣	١١	٢١
خديجة الكبرى (المحرق)	٤١٢	٣٢٠	٤٦٩	٣٠٩	٣٥٤	٥٥٧	١١	١٥	١٦	١٢	١٣	١٩
فاطمة الزهراء (المنامة)	٢٢٥	٢٣٥	٤١٦	٥٧٢	٥٦٧	١١٨	٨	٩	١٣	١٣	١٥	١٩
مدرسة الحد (الحد)	١٧٢	١٠٧	١٥٢	١١٠	٢٤٠	٢٩٤	٦	٦	٨	٨	١	١١
مدرسة الرفاع الشرقي (الرفاع)	١٢٠	١٠٥	١٤٩	١٢٠	٢١٢	٢٥١	١	١	١	٥	٦	٩
مريم بنت عمران (المحرق)	—	٢٣٦	٢٩٣	٣٠٩	٢٨٥	٣١٠	—	١	١	٩	٩	١
المنامة الشمالية (المنامة)	—	—	—	٢٣٥	٢١٣	٢٢	—	—	—	١٠	٩	١٢
مدرسة المحرق الجنوبية (المحرق)	—	—	—	٢٣٥	١٨٤	٢١٠	—	—	—	٨	٧	٩
مدرسة الرفاع الغربي (الرفاع)	—	—	—	٦٣	٦٦	١٥١	—	—	—	٤	٥	٧
المدرسة الثانوية (المنامة)	—	—	١١	١٤	٣٩	١٢	—	—	٣	٢	٥	٨
مدرسة المحرق الشمالية (المحرق)	—	—	—	—	١٩٤	٣٥	—	—	—	—	٦	١١
مدرسة القصيبية (المنامة)	—	—	—	—	٥٦	٠٢٥	—	—	—	—	١١	٢٠
مدرسة المنامة الغربية (المنامة)	—	—	—	—	—	٢٠٣	—	—	—	—	—	٨
المجموع	١٢١٣	١٥٥٠	١٩٠٣	٢٣١٣	٣٣١٣	٤٥٩١	٥١	٥	٥	٤		

الهوامش

١) من مجلة الارسالية العربية لعامي ١٩٠٥ و١٩١٣م
٢) المغرب الكبير العدد الأول السنة الثامنة ص ٨٠ الرباط ١٩٧٣م
٣) التقرير السنوي لحكومة البحرين لعام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨ - ١٩٢٩
٤) التقرير السنوي لعام ١٩٣٩ - ١٩٤٠م
٥) التقرير السنوي للسيدة بلكريف عام ١٩٥٥م
٦) التقرير السنوي لعام ١٩٥٧م للسيدة (نابر) مشرفة التعليم النسوي
٧) التقارير السنوية للأعوام ١٩٠٥ - ١٩٦١م

البرتغاليون في شرق أ

تطبيق مبدأ الأخوة الإسلامية

خلق ا[illegible]رابط العضوي

بين شرق أفريقيا والخليج العربي

يرتبط الغزو البرتغالي للعالم الاسلامي بسلسلة من الغزوا
والنكبات التي توالت على العالم الاسلامي كله آنذاك . سواء
مركزه (العراق - الشام - مصر) او في اطرافه في اسيا وافريقيا
وشبه جزيرة ايبيريا. منها الغزو المغولي الذي استهدف الوجو
الحضاري الاسلامي نفسه . والخطر الصليبي الذي سبـ
وعاصره ثم ظل بعده . وبالرغم من انتهاء الوجود الصليبي
الشام عام ١٢٩١م[١] الا ان الروح الصليبية كانت متقدة في الغر
المسيحي عامة ، وفي شبه جزيرة ايبيريا خاصة . في هذه الفتر
كان للاسلام وجود في الاندلس . حيث لعبت البرتغال دو
اساسيا في سلسلة الحروب الصليبية الطويلة ضد المسلمين
الاندلس حتى تم طردهم الى الشمال الافريقي . فاحتل
البرتغاليون واستولوا على سبتة عام ١٤١٥م[٢] . وكانت التـ
اول وضع البرتغاليين اقدامهم لاول مرة على الارض الافريـ
الاسلامية . مما زاد من حماسهم لمواصلة الزحف على [illegible]
المغرب كله . ثم ازدادوا غيرة وحقدا بعد سقوط القسطنطينـ
بيد المسلمين عام ١٤٥٣م[٣]

ياوطردهم ما



لرزاق على عثمان

تا هذا سوف نتناول بايجاز
تغاليين فى توجههم نحو
يهمنا هنا التعرض لدوافعهم
قتصادية وتغض الطرف عن
خرى . ثم ننتقل بعد ذلك الى
تغالى فى ساحل شرق افريقيا
نتبع خطوة خطوة مع بعض

رحلات البرتغاليين نحو الشرق . ثم نعالج فى أخر المطاف موضوع تصفية الوجود البرتغالى فى شرق افريقيا . ويهمنا هنا ابراز التلاحم العضوى بين مسلمى شرق افريقيا والخليج العربى مما كان له اثر حميد فى تطبيق مبدأ الاخوة الاسلامية . فبمجرد ان استغاث مسلمو شرق افريقيا بمسلمى الخليج العربى لبى العمانيون تلك الاستغاثة . فتوحدت القوتان الاسلاميتان ، وبذلك تم طرد البرتغاليين من شرق افريقيا وعادت السيادة الى

ايدى المسلمين فى تلك البقاع وفى آخر هذا البحث سوف نعرض بايجاز لمركز الاسلام فى ساحل شرق افريقيا والقرن الافريقى قبل مجىء البرتغاليين وحتى الآن

دوافع الاكتشافات الجغرافية البرتغالية :

لقد امتزجت الدوافع الدينية امتزاجا يكاد يكون كليا مع الدوافع الاخرى لدى البرتغاليين فى كشوفاتهم الجغرافية للدوران حول افريقيا بل ولا نبالغ ان قلنا ان البرتغاليين قد سخروا كل الدوافع الاخرى لتحقيق اغراضهم الدينية وفيما يلى سنتعرض لدوافعهم الدينية والاقتصادية فقط وهى

الدوافع الدينية :

١ ـ السعى الى هدم الحضارة الاسلامية واقامة حضارة مسيحية محلها

وذلك بتخريب الحرمين الشريفين ونشر المسيحية واحتلال الاماكن المقدسة فى فلسطين واستعادة القسطنطينية[٤]

وكانت البرتغال مدركة صعوبة تحقيق ذلك عن طريق الهجوم على العالم الاسلامى من الغرب ، حيث دولة المماليك فى مصر والشام ومجاهدو البحر فى شمال افريقيا والدولة العثمانية الصاعدة فى آسيا الصغرى التى ازدادت قوة وهيبة بعد فتح القسطنطينية[٥] فكان لابد لهم من كشف طريق آخر للالتفاف على العالم الاسلامى من الخلف .

ومن هنا نرى وجود علاقة وثيقة بين انهاء الوجود الصليبى فى الشام وطرد المسلمين من الاندلس وفتح القسطنطينية من جهة، وبين الكشوفات الجغرافية البرتغالية للدوران حول افريقيا من جهة اخرى، لان احد اهم اهداف المغامرات الكشفية البرتغالية كان من اجل تحقيق الاهداف الصليبية الانفة الذكر ولعل حماس البابوية الكاثوليكية للكشوفات الجغرافية البرتغالية خير دليل على اهدافها الصليبية ففى عام ١٤٥٤م اصدر البابا «نيقولا الخامس» منشورا ايد فيه جهود هنرى الملاح الكشفية، كما اعطاه حق غزو جميع الشعوب والاقاليم التى يسودها اعداء المسيح[٦]

وقد نهج سائر البابوات فيما بعد نفس نهج نيقولا الخامس فى تحمسهم للكشوفات الجغرافية البرتغالية وقد اشار الى غلبة الروح الصليبية على تصرفات البرتغاليين كتاب مسلمون من امثال «زين الدين» فى كتابة «تحفة المجاهدين» اذ قال (ان نيتهم العظمى وهمتهم الكبرى قديما وحديثا تغيير دين المسلمين وادخالهم فى النصرانية نعوذ بالله من ذلك[٧] كما نستدل على ذلك ايضا من نوايا الملك عما نويل الأول (١٤٩٥ ـ ١٥٢١) الذى حدد اهداف اول حملة برتغالية الى الشرق بقوله «ان الغرض من اكتشاف الطريق البحرى الى الهند هو نشر المسيحية والحصول على ثروات الشرق»[٨]

اضافة الى ان الامير هنرى الملاح الذى اشتهر بروحه الصليبية وعدائه الشديد للاسلام كان قد نذر نفسه لهزيمة الاسلام «تماما ونهائيا»[٩]

وتظهر الروح الصليبية البرتغالية بصورة عملية فى سلوك البرتغاليين مع

سلمين في المناطق الاسلامية التى
تلوها ، ذلك انهم ما ان حلوا ببلد فيه
سلام الا وطبقوا فيه نفس النهج الذى
نوه في الاندلس ، وذلك بقتل المسلمين
ن تمييز، وحرق المساجد وهدم البيوت
راق السفن بمن عليها ومحاولة احلال
ين المسيحى محل الاسلام

وقد خص البرتغاليون هذه المعاملة
حشية بالمسلمين دون سائر الاقوام
خرى من هنا نرى ان اى تقليل من
ن الدافع الدينى للحركات الكشفية
تغالية حول افريقيا لهو امر ينافي
اقع بل ويتعارض مع الحوادث
ريخية في تلك الفترة

- البحث عن برستر جون (Pre-ster Joh)(١)

انتشرت في اوروبا خلال القرن الثانى
ر اسطورة القديس يوحنا، وهى
طورة ادبية ، تدور حول بطريق
يحى، أسس امبراطورية مسيحية
ة في الشرق ، يحكمها ملك مسيحى
ن، يخوض حربا مريرة ضد المسلمين
يطين به وبمرور الزمن تطورت هذه
سطورة في اوروبا حتى تجسدت في
ن الثالث عشر وما بعده بصورة امال
روبيين في ايجاد تحالف مع هذه
لكة المسيحية ، التى ساد الاعتقاد
ا بعد على انها الحبشة وقد امن
روبيون ان هذه الحروب التى
ضها مملكة برستر جون انما هى جزء
الحروب الصليبية التى يمكن
سطتها تقويض العالم الاسلامى

ولما كانت الروح الصليبية هى المحرك الاول للمغامرات الكشفية البرتغالية، فقد اهتمت البرتغال بالبحث عن برستر جون قبل غيرها من الدول الاوروبية حيث ارسلت عام ١٤٨٧ بعثتين لاكتشاف موقع هذه الامبراطورية المسيحية(١١) ثم توالت بعد ذلك جهود برتغالية اخرى للوصول الى مملكة برستر جون بغرض ايجاد تعاون وثيق معها ضد المسلمين وهذا ما تم خلال الحروب الصومالية - الحبشية في القرن السادس عشر(١٢)

ويلاحظ هنا ان الدوافع الدينية للكشوفات الجغرافية برمتها كانت متداخلة ومترابطة لأنها كلها كانت تهدف الى شيء واحد وهو القضاء على الاسلام دينا وحضارة، شعوبا ودولا

الدوافع الاقتصادية :

يصادف الباحث صعوبة بالغة في ان يجد خيوطا فاصلة بين الدوافع الدينية والاقتصادية لدى البرتغاليين في كشوفاتهم الجغرافية للدوران حول افريقيا ، لأن دوافعهم الاقتصادية كانت مسخرة لتحقيق اهدافهم الدينية ، ومع ذلك قد تتمثل دوافعهم الاقتصادية في حاجتهم للوصول الى مصادر السلع الشرقية والحصول عليها بأسعار اقل ، وكذلك المشاركة في أرباح التجارة الشرقية وكسر احتكار المسلمين للعمليات الاقتصادية التجارية الشرقية

وكانت البرتغال مدركة تماما استحالة تحقيق ذلك طالما ان الحركة الدائمة للتجارة الشرقية تمر عبر اراضى المسلمين

وتقوى من شوكتهم بما تدره عليهم من صافى الارباح والضرائب وغيرهما من العوائد المالية ذات الصلة بتجارة الترانزيت لأجل ذلك فكر البرتغاليون بجدية ونشاط فى البحث عن طريق آخر يوصلهم الى الهند ولا يمر بديار المسلمين ليتمكنوا من السيطرة على تلك التجارة بغرض الحصول على فوائد مزدوجة وهى تقوية مركزهم سياسيا واقتصاديا واضعاف المسلمين بعد تحويل التجارة عنهم تمهيدا للقضاء على الاسلام

لم يقدم البرتغاليون على هذه المشاريع الطموحة عشوائيا ، وانما اعدوا العدة لذلك علميا، فاهتموا بأمور البحر والملاحة، وارسلوا البعوث الكشفية ودرسوا تقاريرها كما جمعوا ما أمكن جمعه من كتب الرحلات، واهتموا اهتماما خاصا بالاطلاع على مجهودات المسلمين فى الاندلس فى نواحى الملاحة والفلك[12] وبذلك حصلوا على معلومات جغرافية وبحرية مما مكنهم فى النهاية من اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ، فتحولت التجارة الى الطريق الجديد وبالتالى فقد المسلمون مصدرا هاما من مصادر قوتهم مما ادى الى ضعف بنائهم السياسى والاقتصادى

لم تكن افريقيا فى البداية هدفا[13] برتغاليا من الناحية الاقتصادية (وان كانت هدفا دينيا) وانما كانت وسيلة للوصول الى الهند غير ان تفكير البرتغاليين تجاه افريقيا الشرقية تغير تغيرا جذريا بعد وصولهم هناك اذرأوا فيه انه يتيح لهم مزايا اقتصادية ودينية على النحو الآتى -

١ - وجدوا فى المدن الاسلامية الساحلية اسلاما حضاريا ذا جذور عميقة، ونظم سياسية وادارية راقية فقرروا القضاء عليه وكان هذا مكسبا دينيا

٢ - وجدوا فى المدن الساحلية مجتمعات اسلامية ترفض الولاء لهم فاضطروا الى الشروع فى نشر المسيحية بكل السبل حتى يخلقوا لانفسهم مراكز تدين بالولاء لهم فانشئوا الكنائس ومدارس التبشير وتدفق الجزويت على شرق افريقيا وكان هذا مكسبا دينيا

٣ - وجدوا فى المدن الساحلية تجارة راقية واقتصادا مزدهرا فقرروا السيطرة على هذه العمليات الاقتصادية وكان هذا مكسبا اقتصاديا

٤ - بعد وصولهم استحوذتهم فكرة نقل الافارقة الى البرتغال كخدم وعبيد للنبلاء والاسر الارستقراطية فى البرتغال استرضاء لهم او مكافأة لمساهمتهم المالية فى الحملات العسكرية والاكتشافية وقد تطورت هذه العملية الاستغلالية البشعة فيما بعد الى ما يعرف بتجارة الرقيق وكان هذا مكسبا اقتصاديا وسياسيا

٥ - احتكروا تجارة السلع الافريقية وفرضوا على السكان عدم التعامل مع غير البرتغاليين وكان هذا مكسبا اقتصاديا

٦ - ان وصولهم الى شرق افريقيا قد قلص المسافة بين اوروبا والحبشة مما يتيح لهم سهولة الاتصال بالحبشة والتحالف معها لتحقيق

الآتى -

- وضع المسلمين فى شرق افريقيا بين فكى كماشة ، البرتغاليون من البحر والحبشة من البر ، وقد طبقوا ذلك فى الحرب الحبشية - الصومالية فى القرن السادس عشر
- محاولة اشتراك القوتين معا للهجوم على مركز العالم الاسلامى من الجنوب وكانت تراود البرتغاليين فى سبيل ذلك المشاريع الآتية[١٥] -

- اشتراكهما معا فى ضرب مدينة السويس باعتبارها مركزا للعمليات العسكرية الاسلامية
- السعى لاقناع ملك الحبشة بقبول فكرة تحويل مجرى النيل ليصب فى البحر الاحمر بدلا من المتوسط
- السعى لاحتلال مدينة مكة حتى يمكن القضاء على الاسلام
- ان الطريق الجديد بين اوروبا والهند يحتاج الى اقامة محطات وحصون لحمايته وتزويد السفن التجارية والأساطيل البحرية البرتغالية بالمؤن اللازمة مما حتم عليهم البقاء فى شرق افريقيا، وكان بقاؤهم فى تلك البقاع مكسبا سياسيا واقتصاديا ودينيا لهم

هكذا أملت الظروف التى استحدثت البرتغاليين بعد وصولهم الى شرق ...يقيا اتخاذ الاجراءات اللازمة ...ابير الضرورية لاحتلال شرق افريقيا ...ويله الى مناطق برتغالية وبذلك بدأ ...ود البرتغالى فى شرق افريقيا

الوجود البرتغالى فى شرق افريقيا

يحسن بنا عند الحديث عن الوجود البرتغالى فى شرق افريقيا ان نتتبع جهود البعثات الكشفية والحملات العسكرية البرتغالية، وان نسير خطوة خطوة مع تلك الحملات العسكرية لنتعرف على كيفية الاحتلال البرتغالى لتلك المناطق ، وقد استغرق احتلالهم للساحل زهاء عشر سنوات ، ذلك ان كل حملة عسكرية كانت تخضع سلطنة او منطقة ثم تغادرها وتأتى حملة اخرى وتفعل مثلما فعلته الاولى ولم يجازف البرتغاليون بترك حاميات عسكرية فى المراحل الاولى لوصولهم الى الساحل لأنهم لم يجدوا حليفا محليا يعتمدون عليه باستثناء سلطان مالندى الذى تحالف معهم املا فى مساعدتهم للقضاء على ممبسة وفيما بعد بدأ البرتغاليون فى اقامة المحطات وبناء الحصون وترك حاميات عسكرية فى تلك الحصون وذلك تمشيا مع مرور اهمية الساحل لهم

وهكذا استمر الحال باحتلال تدريجى للساحل الى ان تمكنوا فى النهاية من اخضاعه ، وبذلك كانت الجهود الكشفية البرتغالية بداية عهد جديد بين اوروبا من جهة وافريقيا وآسيا من جهة اخرى الى ان بسط الاوروبيون نفوذهم السياسى والاقتصادى على السواحل الافريقية والآسيوية [١٦]

لم يصل البرتغاليون الى شرق افريقيا بيسر وسهولة ، وانما تم ذلك نتيجة لجهود جبارة قاموا بها وتحملوا فى

سبيلها العناء والمشاق وصولا الى اهدافهم وكان احتكاكهم بشمال وغرب القارة قد سبق احتكاكهم بشرقها ، ففى عام ١٤١٥م احتلوا سبته، واصبح الأمير هنرى الملاح (١٣٩٤ ـ ١٤٦٠) حاكما عليها[١٧]

ومن المعروف ان هنرى الملاح هذا قد قام بدور بارز فى تكوين الامبراطورية البحرية البرتغالية وكان من اشد المتحمسين لمحاربة الاسلام وقد خطط لتكون سبته قاعدة لشن الحملات العسكرية على المسلمين فى شمال افريقيا وقاد بنفسه حملة حاولت احتلال طنجة عام ١٤٣٦م وفى عهده وصلت الحملات البرتغالية الى الرأس الأخضر عام ١٤٤٦ ، ومصب نهر السنغال وسيراليون عام ١٤٦٠ واجتاز البرتغاليون خليج غانة عام ١٤٧١، وتمكنوا من اكتشاف مصب نهر الكونغو عام ١٤٨٢م

يبدو ان الحملات البرتغالية بشمال وغرب القارة لم تؤد الى تحقيق اهدافهم، مما ادى الى محاولة توغلهم نحو جنوب القارة، فقام برتليمو ديـاز برحلتـه المشهـورة عام ١٤٨٦م، وتمكن من الدوران حول رأس الرجاء الصالح الذى سماه برأس الزوابع بسبب مالاقاه من اهوال[١٨] ولعل ذلك كان احد اسباب اتجاه البرتغاليين بعد ذلك الى الابحار غربا عبر المحيط الاطلسى للوصول الى الهند غير ان فشلهم فى كشوفاتهم عبر الاطلسى ، بعكس الاسبان الذين نجحوا فى كشوفاتهم عام ١٤٩٢م زاد من غيرتهم، فعادوا ثانية الى مسالكهم السابقة ، حيث قام فاسكودى جاما برحلته المشهورة عام ١٤٩٧ مقتفيا اثر سلفـه دياز فـاجتاز رأس الرجـا الصالح[١٩]

وكانت رحلة دى جاما بداية عهد جديد حيث ترتبت عليها فيما بعد اثار بعيدة المدى فى العلاقات ما بين اوروبا والشرق كله ، وعلى كل فقد وصل دى جاما الى مورمبيق عام ١٤٩٨ ، ويقال ان اهلها استقبلوه بحفاوة ظنا منهم ان البرتغاليين مسلمون ، الا ان هذه الحفاوة اختفت على الفور بعد ان علم المسلمون هناك ان البرتغاليين قوم من النصارى وقد غادر دى جاما مورمبيق بعد ان ترود ببعض الادلاء متوجها الى كلوة غير انه لم يرسو فيها فتوجه الى ممبسة ولكن سفنه رست فى مالندى

اقام دى جاما فترة فى مالندى وطد خلالها علاقات التفاهم والود مع سلطان مالندى، ثم شق طريقه عبر المحيط الهندى فى طريقة الى الهند مستعينا ببعض عرب الساحل كما يقال ووصل الى الملبار

وجد دى جاما وجودا عربيا قويا فى الملبار ولم يرغب فى الاصطدام معهم ، مما دفعه فى التوجه الى كانانور وجوا ومن هناك تمكن من شحن سفنه لأول مرة بالسلع الشرقية من مصادرها الأصلية ، وعاد الى بلاده مباشرة عن طريق مقديشيو التى ضربها بالمدافع وهدم كثيرا من منازلها ، كما اغرق عددا كبيرا من السفن الراسية فى مينائها ومر بمالندى التى ترود منها بالمؤن، وبحذاء جنوب افريقيا ووصلت طلائع سفنه الى لشبونة فى يوليو ١٤٩٩م

استقبلت لشبونة دى جاما استقبالا

به كبطل فاتح مظفر وهكذا حصدت غال، ومعها اوروبا كلها، فوائد سوفات الجغرافية وتحققت احلام با في الوصول الى مصادر السلع قية دون المرور ببلاد المسلمين

تجهت السياسة البرتغالية في عهد عما نويل الاول (١٤٩٥ ـ ١٥٢١) احتلال الساحل الشرقي لافريقيا، ة وقد ظهرت اهميته بالنسبة غاليين بعد النجاح الذي لاقاه دي في رحلته الى الهند ، كما اتجهت ستهم الى احتلال ثلاثة مواقع هامة ملقا وعدن، وهرمز باعتبار هذه بع مفاتيح للبحر الاحمر والخليج ى وجنوب شرق أسيا[٢٠]

تنفيذا لهذه السياسة الاحتلالية ت الحملات العسكرية البرتغالية حدة تلو الاخرى ، بهدف احتلال افريقيا، واقامة محطات وحصون جل تأمين الطريق الى الهند ففي ١٥٠٠ احتلت حملة ديار مدغشقر مبيق[٢١] وقاد كابرال في نفس السنة مكونة من ثلاثة عشر مركبا مزودة فع والمعدات العسكرية الاخرى، ها ١٥٠٠ رجل ، فوصلت الى بيق في يوليو وتوجهت الى كلوة حيث كابرال رسائل من ملك البرتغال الى طان ابراهيم سلطان كلوة الذى ، قبول السيادة البرتغالية[٢٢] هت الحملة بعد ذلك الى مالندى حيث نزال شخصين برتغاليين الى البر يقي بهدف البحث عن الحبشة ا للتحالف معها واصلت الحملة لك طريقها الى الهند

، تتوقف حملات البرتغاليين الى الشرق ففي مارس ١٥٠١ منح دى جاما لقب اميرال البحار الشرقية ، وتوجه في فبراير ١٥٠٢ الى افريقيا الشرقية بخمس عشرة سفينة يتبعها اسطول من خمس سفن ولما وصل كلوة قصفها بكل عنف وقسوة، مدمرا جزءا كبيرا منها وفرض عليها قبول السيادة البرتغالية ودفع الجزية لهم ولكن بمجرد ان غادر دى جاما «كلوة» تنصل سلطانها من التزاماته للبرتغاليين ومن كلوة اتجهت الحملة الى مالندى واستولى البرتغاليون على السفن الاسلامية الراسية فيها

وكان البوكرك مهندس احتلال ساحل شرق افريقيا ففي عام ١٥٠٢ احتلت حملته مدينة كلوة وارغم سلطانها على الاعتراف بالسيادة البرتغالية والتعهد بدفع جزية قدرها الف وخمسمائة مثقال من الذهب وفي عام ١٥٠٣ فرض على زنجبار السيادة البرتغالية ودفع جزية قدرها مائة مثقال من الذهب اما مدينة ممبسة فقد استسلمت بعد ان دافع عنها سكانها دفاع الابطال المجاهدين ، وبعد ان فشلت في اقناع مالندى للوقوف بجانبها

وفي عام ١٥٠٥ عين دالميدا اول نائب لملك البرتغال في الهند وقد اعاد تأكيد الاحتلال البرتغالي لشرق افريقيا وهو في طريقه الى الهند فقام باقامة حصون عسكرية في ميناءي كلوة وممبسة[٢٣]

وفي عام ١٥٠٦ خرج اسطول برتغالي من موزمبيق لاحكام السيطرة على ساحل افريقية الشرقية فتوجه الى مدغشقر وكلوة ومالندى ثم احتل مدن لامو ، واوجا ، وبراوة التى رضيت بدفع جزية للبرتغاليين[٢٤]

اما مقديشيو فقد فشل البرتغاليون في احتلالها ثم اتجهوا الى سوقطرة واحتلوها وكانت الخطوة التالية في احكام السيطرة على ساحل شرق افريقيا هي الاحتلال الرسمي لمورمبيق الذي تم عام ١٥٠٧ واقيم فيها قلعة ومستشفى وكنيسة ومنشات عسكرية اخرى وبذلك اصبحت موزمبيق اهم مركز برتغالي في شرق افريقيا واستمرت كذلك حتى عام ١٦٧٩م ولم يبق أمامهم للسيطرة على ساحل شرق افريقيا كله سوى مدينة مقديشيو

لقد ادرك البرتغاليون ان بقاءهم في ساحل شرق افريقيا لن يخلو من تهديدات طالما بقيت الجزيرة العربية خارج مناطق نفوذهم ، وذلك لوجود ارتباط عضوي وثيق بين شرق افريقيا وبين الجزيرة العربية التي كانت تمده عبر التاريخ بالمدد البشري والحضاري والديني[٢٢] ، فاتجه البرتغاليون لاحتلال الخليج العربي وعدن وذلك لقطع الصلة بين شرق افريقيا والخليج ثم لإحكام السيطرة على منافذ البحر الاحمر والخليج العربي وبعد ان تمت لهم عملية احتلال مسقط وهرمز اضافة الى هزيمة القوات المصرية في معركة ديو البحرية عام ١٥٠٩ سيطر البرتغاليون على المحيط الهندي والطرق البحرية المؤدية اليه أو الخارجة منه[٢٦]

وهكذا سيطر البرتغاليون على ساحل شرق افريقيا في مدة زمنية محدودة وانتقلت السيادة من أيدي المسلمين الى أيدى الصليبيين المتعصبين واصبح مصير المدن الاسلامية اما قبول السيادة البرتغالية أو القضاء عليها وتدميرها ما عدا مالندى حليفة البرتغاليين وكان البرتغاليون قد انشأوا في بعض مدن الساحل مستعمرات رئيسية مثل كلوه وموزمبيق وسوفالا ، كما انشاوا مستعمرات اخرى أقل شأناً في مناطق اخرى مثل زنزبار وممبا أما بقية المدن فقد احتفظت ببعض نظمها المحلية مقابل قبول السيادة البرتغالية عليها ودفع الجزية لهم وكان تمركز الحكم البرتغالي في المدن الجنوبية أكثر من المدن الشمالية لاعتبارات ملاحية واقتصادية

كانت السياسة البرتغالية الرسمية فيما يتعلق بشرق افريقيا ترتكز على احتلال الساحل ، وتدمير الوجود الاسلامي في هذا الساحل ، والسيطرة على الحركة التجارية الاسلامية ، ولم تفكر اطلاقا في توسيع مستعمراتها نحو الداخل لأن ذلك يتطلب تجهيزات عسكرية وادارية مما قد يسبب عبئاً ماليا ، اضافة الى شعورهم بصعوبة الدفاع عن المراكز البرتغالية اذا كثر عددها وتباعدت المسافة بينها ، خاصة وان البرتغال كانت تعاني من قلة في عدد السكان وعموما فإن البرتغاليين كانوا مدركين ان التوغل في الداخل عملية كثيرة التكاليف في الرجال والمال فحصروا أنفسهم في الساحل مما جعل القوى الوطنية تنمو في الداخل بعيداً عن ارهاب البرتغاليين وعلى كل فقد بقي البرتغاليون في ساحل شرق افريقيا حتى اواخر القرن السابع عشر وقد مارسوا خلال هذه الفترة أشد انواع الاضطهاد للمسلمين والسعي الحاد الى توحيد القوى المسيحية في تلك المنطقة سعيا للقضاء على المسلمين وقد تجلى ذلك حين هب البرتغاليون لمساعدة الحبشة في

ها ضد الصوماليين بقيادة الامام
د بن ابراهيم (جرى)[٢٧] في النصف
ى من القرن السادس عشر ، حيث
ركت في الحرب قوة عسكرية برتغالية
ة من اربعمائة جندي مسلحين
سلحة النارية بقيادة «كروستوفر» مما
الى هزيمة القوات الاسلامية
ومالية في عام ١٥٤٠ ، غير ان
لمين استعانوا بالاتراك في اليمن
قوا الهزيمة بالاحباش وحلفائهم
«كروستوفر»[٢٨] ، غير ان الحلفاء
بحيين تمكنوا مرة اخرى من هزيمة
مين وقتل الامام

ـ تمكن البرتغاليون من احتلال ق افريقيا ؟

ن المعروف تاريخيا ان الوجود
لامي والعربي في ساحل افريقيا
ية (وليس هنا مجال بحثه) كان
ا قديما ، وذا معالم حضارية
، وقد اعترف بذلك البرتغاليون ومن
بعدهم من الاوربيين الى تلك
ة[٢٩] ومع ذلك فقد آلت سيادة
حل الى البرتغاليين بمجرد وصولهم
اية القرن الخامس عشر ويرجع ذلك
لاسباب الآتية [٣٠]

قام الوجود العربي الاسلامي في
ل شرق افريقيا على اكتاف
ريين والعلماء والتجار وكان وجودا
ريا واقتصاديا ولم يعتمد على
ع الحربي ، وبذلك لم تكن لديه
عسكرية يعتمد عليها في حالات

كانت المدن الاسلامية في الساحل
حدة سياسيا بل على العكس كانت

المنازعات والمنافسات محتدمة فيما بينها ولعل ما كان بين ماليندي وممبسة خير دليل على ذلك

٣ ـ كانت الدول الاسلامية الكبرى آنذاك على خلاف فيما بينها ، فالدولة العثمانية لم تكن على وفاق لا مع الدولة المملوكية في مصر والشام ولا مع الدولة الصفوية في ايران ، وبذلك لم يجد الشعب المسلم في الساحل الشرقي الافريقي من يسنده ليقف في وجه الغزو المسيحي البرتغالي

٤ ـ كان البرتغاليون يتسلحون باسلحة تفوق الاسلحة التي كانت متوفرة للسكان والمدن الاسلامية في ساحل شرق افريقيا

طرد البرتغاليين من شرق افريقيا :

كان الوجود البرتغالي في ساحل شرق افريقيا يمثل بحد ذاته تحديا للوجود الاسلامي في تلك المناطق ، لكونه وجودا صليبيا اتصف بالقسوة والعنف لتحقيق اغراضه الصليبية ، بحيث لم تنج مدينة من مدن الساحل من عبث الطغاة البرتغاليين ، فقد أحرقت ممبسة مرات عديدة وقصفت كلوة ومقديشيو وبراوة وبربرة وزيلع كما دمرت مساجد لامو وباتا[٣١]

هذه الاعمال الوحشية الصليبية المتمثلة في تدمير المدن ، وهدم المساجد ، وقتل المسلمين وحرق بيوتهم ، والاستيلاء على السفن والمتاجر الاسلامية واقامة المنشآت العسكرية والتبشيرية ، وارغام المسلمين على اعتناق المسيحية ، قد أدت الى هجرة اعداد غفيرة من المسلمين الى داخل القارة ،

حيث وجدوا الأمان والقبول من السكان المحليين فامتزجوا بهم . مما كان له أكبر الأثر في انتشار الاسلام . وتوحيد مشاعر العنصرين لمواجهة الخطر البرتغالي[٣١]

ومهما يكن فان الوجود البرتغالي بساحل شرق افريقيا كان في الاساس مرفوضا من قبل الاهالي ، لاعتبارات دينية واقتصادية وقومية وان بقاءه كان مرهونا لحين استرداد القوى الاسلامية المحلية انفاسها من هول مفاجأة الغزو البرتغالي

ونرى هنا ونحن بصدد طرد البرتغاليين من شرق افريقيا ان نحدد ذلك في المنطقة ما بين رأس دلجاو جنوبا حتى مقديشيو شمالا ، ذلك لأن الوجود البرتغالي في موزامبيق قد بقى حتى عام ١٦٧٩ ، كما ان وجودهم الى الشمال من مقديشيو كان وجودا ضعيفا لعوامل متعددة لسنا في سبيل بحثها ولكن قبل كل شيء لا بد وان نشير بايجاز الى بعض العوامل التي كانت منبعث الثورات في شرق افريقيا والتي ادت في الوقت نفسه الى ضعف الحكم البرتغالي ليس في شرق افريقيا فحسب وانما في الشرق كله منها[٣٢]

١ ـ سوء الادارة البرتغالية في المناطق المحتلة

٢ ـ سوء السياسة التجارية الاحتكارية التي طبقها البرتغاليون في المناطق المحتلة

٣ ـ بعد المسافة ما بين البرتغال والمناطق المحتلة واضطرارها باستمرار الى ارسال الحملات العسكرية لاخماد الثورات الوطنية مما شكل عبئا على مواردها المالية

٤ ـ خضوع البرتغال للحكم الاسباني ابتداء من ١٥٨٠ واهتمام الاسبان بمصالحهم لا بمصالح البرتغال[٣٣]

٥ ـ تصدي الدولة العثمانية للسيطرة البرتغالية على الخليج العربي والبحر الأحمر واحباطهم المحاولات البرتغالية لاقامة حلف مسيحي حبشي ـ برتغالي

٦ ـ المقاومة الاسلامية المستمرة في المناطق المحتلة واتصالاتها المستمرة بالدولة العثمانية طلبا للعون العسكري باعتبارها حامية الاسلام

٧ ـ ظهور قوى اوربية اخرى في بحار الشرق كمنافسة للبرتغاليين خاصة الهولندية والانجليزية اللتين كانتا اكثر تنظيما وتسليحا من البرتغاليين[٣٤]

٨ ـ تمركز الوجود البرتغالي في الساحل دون العمق ترتب عليه نمو القوى الوطنية في الداخل ، لذلك كان الداخل عموما مركزا للعداء المستمر للمستعمر البرتغالي

٩ ـ ظهور قوة جديدة في الخليج العربي وهي دولة اليعاربة في القرن السابع عشر التي تحملت مسئولية الصراع البرتغالي ـ الاسلامي[٣٥]

ولا شك ان تصفية الوجود البرتغالي في شرق افريقيا كان يمثل صورة مشرقة من صور التعاون والعمل الاسلامي المشترك للوقوف في وجه العدو المشترك ، فالى جانب المقاومة الوطنية شاركت دولة اليعاربة في عمان مشاركة فعلية في تصفية الوجود البرتغالي في شرق افريقيا ، بينما كانت الدولة العثمانية مصدر الهام وعون لتلك الحركات الوطنية ، وفيما يلي سنستعرض بايجاز دور كل قوة من تلك القوى الاسلامية ، سواء كان دورا

ا أو عير مباشر وهي

دولتي المماليك والعثمانيين :

ى الرعم من أن كلا من دولتي
يك والعثمانيين لم تساهما مساهمة
ة وفعلية في طرد البرتغاليين ، الا
ع دلك لا يجوز اعفال دورهما ـ
ة الدولة العثمانية ـ باعتبارهما
ن الاسلاميتين اللتين تصدتا
د البرتغالي في المحيط الهندي
، الدولة العثمانية أكثر من دولة
ك مصدر الهام وعون للثورات
مية باعتبار حامية الاسلام
لمين

ت دولة المماليك اكثر الدول
لامية الكبرى أنداك شعورا بخطر
اليين خاصة فيما يتعلق بمحاولاتهم
، طرق التجارة الى رأس الرجاء
ح ، مما كان يعني توجيه ضربة
ة للمصالح الاقتصادية والعسكرية
اسية لدولة المماليك[٣٧] ، لدا كان
ا ان يثير النشاط البرتغالي في تلك
ق ثائرة المماليك ، الذين قاموا
هة دلك بنشاط سياسي وعسكري
لوا بالبندقية وبالدولة العثمانية
اء المسلمين في الهند[٣٨] ، كما قاموا
دادات عسكرية وشرعوا في بناء
، في السويس وأرسلوا الحملات تلو
لات غير ان مجهوداتهم تحطمت
ريمة ديو عام ١٥٠٩[٣٩] وكانت
ة ان اتحد المماليك خططا دفاعية
اكن وريلع على الجانب العربي من
الاحمر وسهل تهامة وحدة كخط
أول وثان على جانبه الشرقي .
ا حلت الدولة العثمانية محل الدولة

المملوكية وورثت عنها تركة ثقيلة فيما يتعلق بمواجهة البرتغاليين الذين سيطروا قبل ان يظهر العثمانيون في البحر الأحمر على مناطق شاسعة في شرق افريقيا والهند والخليج العربي . ويلاحظ ان الموقف العثماني لمواجهة الخطر البرتغالي لم يكن فعالا بالقدر المطلوب في البحر الأحمر ، دلك انهم وجهوا معظم حملاتهم العسكرية نحو اوربا خاصة باتجاه جزيرة رودس وبلغراد والمجر مما ادى الى تفاقم الخطر البرتغالي في المحيط الهندي وشرق افريقيا والخليج العربي

وليس هنا محل بحث المواقف العثمانية تجاه البرتغاليين بصورة عامة ، وانما نشير باختصار الى موقفهم فيما يتعلق بشرق افريقيا ، وقد اتخذ اتجاهين

١ ـ اتجاه رسمي قامت به الدولة العثمانية لاحباط التحالف البرتغالي ـ الحبشي

٢ ـ اتجاه غير رسمي قام به أحد المغامرين العثمانيين

بالنسبة للاتجاه الاول فقد قامت الدولة العثمانية بمجهودات عظيمة لاحباط الحلف البرتغالي ـ الحبشي ، الذي كان موجها أساسا للاسلام والمسلمين سواء في القرن الافريقي أو مركز العالم الاسلامي ، وقد سبق ان ذكرنا بهذا الخصوص بعض المشاريع البرتغالية ـ الحبشية من المعلوم ان العثمانيين وصلوا الى جنوب البحر الاحمر متأخرين ، والحلف البرتغالي ـ الحبشي قائم ، والحرب مشتعلة في القرن الافريقي بين المسلمين والتحالف المسيحي البرتغالي ـ الحبشي ، ففزع

العثمانيون من ذلك كما ارتاعوا من ازدياد تبادل البعثات بين البرتغاليين والأحباش خاصة بعد عام ١٥٢٠ اي بعد ظهور العثمانيين في البحر الأحمر وكانت أهداف تلك البعثات التعجيل بتنفيذ المشاريع البرتغالية الحبشية الموجهة ضد الاسلام قبل ان يتمكن العثمانيون من توطيد اقدامهم في المنطقة

هكذا وجد العثمانيون انفسهم وجها لوجه امام تحالف مسيحي في جنوب البحر الأحمر، وعلى الرغم من ان العثمانيين وجهوا معظم مجهوداتهم العسكرية نحو البلقان، الا انهم مع ذلك قاموا بجهود جبارة لاحباط التحالف البرتغالي ـ الحبشي معتبرين ذلك واجبا دينيا، من أجل ذلك تحركوا جنوبا واتخذوا قواعد للانطلاق من بعض الموانىء الآسيوية والافريقية التي خضعت لهم على البحر الأحمر مثل جدة وسواكن ومصوع وزيلع وبربرة وعدن[١١]

وهكذا أصبح القرن الافريقي مسرحا التقت فيه القوتان العثمانية والبرتغالية بطريق غير مباشر فبينما استنجدت الحبشة بالبرتغاليين الذين قدموا لهم مساعدات عسكرية سخية في الرجال والعتاد، استغاث المسلمون في القرن الافريقي بالعثمانيين الذين قدموا لهم عن طريق والي زبيد حوالي تسعمائة من حملة البنادق، وزودوهم بالمدافع والمعدات العسكرية الاخرى

وقد تمكن الامام أحمد بفضل المساعدات العثمانية من احراز تقدم ملحوظ نحو داخل الحبشة، وتوالت عليه الانتصارات على التحالف البرتغالي الحبشي في المراحل الاولى من حربه التي استمرت في الفترة من عام ١٥٢٨ ـ ١٥٤٣، الا انه لسبب نجهله حتى الآن انهى علاقاته مع العثمانيين وارجع القوات العثمانية الى زبيد[١٢]

ويجب ان نشير هنا الى ان انتصارات القوى الاسلامية في القرن الافريقي على التحالف البرتغالي ـ الحبشي في المراحل الأولى من تلك الحرب، انما يعود ايضا الى ان العثمانيين قد أحكموا السيطرة على البحر الأحمر، وحالوا دون وصول الامدادات البرتغالية الى الحبشة من قواعدهم في الهند

مما سبق نرى ان العثمانيين قاموا بدور ايجابي (وإن كان أقل مما كان منتظرا منهم) في نصرة اخوانهم مسلمي القرن الافريقي، كما نجحوا في احباط التحالف البرتغالي ـ الحبشي الذي كان اساسا يحمل في طياته بعض عوامل فشله

اما فيما يتعلق بالاتجاه الثاني فقد لعب العثمانيون دورا بارزا في اضعاف الوجود البرتغالي بشرق افريقيا، ذلك انه على الرغم من ان الدولة العثمانية لم تقم بأية محاولة لتكتيل القوى الاسلامية او توحيد صفوفهم بشرق افريقيا ـ علما بان المسلمين هناك كانوا يكنون لها الولاء باعتبارها حامية الاسلام ـ الا ان بعض المغامرين العثمانيين قاموا بمحاولات جادة في زعزعة الوجود البرتغالي في شرق افريقيا مما أدى الى زيادة حدة الصراع بين البرتغاليين والعثمانيين

ففي عام ١٥٨٦ وصل «علي بك» الى مقديشيو ـ وكان علي هذا قد سبق له ان

، القواعد البرتغالية في الخليج
ي - فادعى انه موفد من قبل
ـطـان العثمـاني ليحــررهم من
تعمار البرتغالي واستقبله سكان
شيو استقبالاً حاراً وأعلنوا ولاءهم
ـطان العثماني ، وقاموا بالثورة على
ـاليين ، ووقعت معارك بين الجانبين
ـر المسلمون فاستولوا على بعض
ـ البرتغالية كما تم اسر بعض
ـرة البرتغاليين الذين ارسلوا الى
ـطنطينية

ـد هذا النجاح توجه علي بك جنوبا
ـراوة وكسمايـو ولامو ومـارا
ـسة وكان يستقبل في كل مدينة
ـالا لائقا برسول سلطان المسلمين ،
تمكن علي بك من اشعال الثورة في
ـينة حل بها مما أرعج البرتغاليين
وجودهم بساحل شرق افريقيا ولا
الى أي مدى توغل علي بك جنوبا الا
ـ المعروف انه عاد الى القسطنطينية
ـورته كثير من الاسرى البرتغاليين
من الغنائم[12]

ـ عام ١٥٨٨ عاد علي بك الى شرق
ـيا تلبية لطلبات تلقاها من سكان
ـل ، الذين وعدوه ايضـا بأن
ـموا في تكاليف الحرب ، وظهر
ـ في ساحل شرق افريقيا أسطول
ـي مكون من خمس سفن ، واستقبل
ـ وأسطوله استقبالا حارا ، وكانت
علي بك أن يقضي أولا على مالندي
ـدة ممبسة ، الا ان سلطان مالندي
ـطره وإنما هاجم اسطول علي بك كما
سلطـان مالنـدى النجـدة من
ـاليين ، وعلى الفور تحرك اسطول
ـ لمهاجمة أسطول علي بك في

ممبسة ، وفي الوقت نفسه هاجمت علي بك بعض القبائل الافريقية من البر ، فوقع علي بك بين نارين وتمكن البرتغاليون من اسره وتبديد قواته ، وأرسلوه الى لشبونة ويقال انه مات هناك بعد ان اعتنق المسيحية

مما سبق نرى ان المساهمة العثمانية في طرد البرتغاليين من شرق افريقيا لم تكن مباشرة ومع ذلك كانت ايجابية للاسباب الآتية

١ - كان ظهور العثمانيين في البحر الاحمر عونا معنويا للمسلمين ، كما كان مصدر الهام للمسلمين للقيام بالثورات ضد البرتغـاليين واستمـرارية هـذه الثورات الجهادية لاعتقاد المسلمين هناك بأن الدولة الاسلامية سوف تأتي يوما ما لتحريرهم

٢ - ساند العثمـانيون فعـلا بعض القوات الاسلامية وامدوهم بالسلاح والمعدات كما سبق ان ذكرنا

٣ - نجح العثمانيون في احباط التحالف الحبشي - البرتغالي وكان ذلك قد ساهم في اضعاف الوجود البرتغالي

المقاومة الوطنية :

تمثل الثورات الوطنية الاسلامية بشرق افريقيا ضد الحكم البرتغالي ملحمـة رائعة من مـلاحم الجهـاد الاسلامي ، ذلك ان المسلمين في تلك المنـاطق لم يستسلمـوا قط للحكم البرتغالي ، بسبب ما كان يمثله ذلك الحكم من تهديد لعقيدتهم وحياتهم السياسية والاقتصادية ، اضافة الى رفضهم اساسا الولاء لحكام غير مسلمين وغيرتهم من المحاولات البرتغالية الرامية

الى نشر المسيحية بينهم ولولا المنافسات بين السلطنات الاسلامية التي استغلتها البرتغال خير استغلال ، كالمنافسة التي كانت محتدمة بين ممبسة ومالندي ، اضافة الى تحييد البرتغاليين بعض القبائل ضد المسلمين ، لما تمكنت البرتغال من البقاء بساحل شرق افريقيا طوال تلك الفترة ، ذلك انه لم تواجههم ثورة شاملة وإنما كانت كل سلطنة أو مدينة تقوم بالثورة على حدة بمعزل عن السلطنات الاخرى ولم تؤد محاولات سلاطين ممبسة في التودد الى سلاطين مالندي أو تحريضهم لسكان زنجبار وبمبا الى توحيد الصف الاسلامي ، ومع ذلك فلم تخمد الثورات الاسلامية بل ظلت مستمرة مما ارهق البرتغاليين

وكما سبق ان ذكرنا فإن كل تحرك عثماني ضد البرتغاليين كان يؤدي الى اشعال الثورة في منطقة من مناطق شرق افريقيا[٢٣]

وكانت مدينة ممبسة أول مدينة تصدت للوجود البرتغالي وبدأت حركة المقاومة الاسلامية للاستعمار البرتغالي[٢٤] وقد اخمد البرتغاليون هذه المقاومة بعنف وقسوة فأحرقوا المدينة عام ١٥٠٥م ، ومع ذلك واصل سلطان ممبسة كفاحه ضد البرتغاليين ، فكون قوة سواحلية واتصل بسكان زنجبار وبمبا عام ١٥٢٨ للمشاركة في حركة الجهاد ، الا ان هؤلاء خافوا العاقبة فتخلوا عنه فأسرع البرتغاليون الى حصار المدينة مما أدى الى قبول السلطان دفع جزية لملك البرتغال والتعهد بعدم الاتصال بالعثمانيين مقابل فك الحصار

سبق ان اشرنا الى ان سكان ساحل افريقيا الشرقية قاموا بثورة مع علي بك ضد البرتغاليين ، ولكن بمجرد رحيل علي بك وصل الى تلك المناطق عام ١٥٨٧ اسطول برتغالي قدم من جوا بطلب سلطان مالندي ، فقام البرتغاليون بحركة تأديبية ضد المدن التي تعاونت مع علي بك ، وقاموا بأعمال شنيعة وقاسية لدرجة ان سكان ممبسة احلوها فدخلها البرتغاليون وهي خاوية ، بينما اضطر شيخ بات الى التذرع بأن الثورة فرضت عليه من قبل العثمانيين ، في حين ان شيخ لامو هرب الى فازا وتبعه البرتغاليون وعاثوا فيها الفساد اما مدينة مقديشيو فقد قاومت البرتغاليين أشد مقاومة بفضل قوة اسوارها وبسالة سكانها

وللأسف فإن التفكك كان السبب الرئيسي فيما آلت اليه ثورة سكان مدن ساحل افريقيا ، لأنه كان مصدر ضعف السلطنات الاسلامية ، كما كان في نفس الوقت مصدر قوة للوجود البرتغالي في شرق افريقيا

وقد استغل البرتغاليون ظروف تفكك السلطنات الاسلامية كما استغلوا المنافسات التي كانت قائمة بين تلك السلطنات مما أدى كثيرا الى وقوع حروب بين بعض السلطنات ففي عام ١٥٩٢ قام سلطان ممبسة بشن حملة عسكرية على مالندي ، بغرض القضاء على أهم حليف للبرتغاليين وبالتالي توحيد السلطنتين لتكوين قوة عسكرية ، تمهيدا للانقضاض على البرتغاليين غير انه تعرض لهجوم كاسح من احدى القبائل الموالية لمالندي ، مما ادى الى قتله وأسر ابنائه وبعض قواته وارسل احد ابنائه وكبار المشايخ الى مالندي لتقديم ولاء

ة لسلطانها وكانت النتيجة ان سلطان مالندي من ضم سلطنة ة الى ممتلكاته ثم تم الاتفاق بين اليين وسلطان مالندي على المشاركة غنائم ، بحيث يحق للبرتغاليين بناء ون في ممبسة ووضع حاميات ية فيها والاشراف على ايراداتها كية وتوطين البرتغاليين فيها مقابل قيم السلطان في ممبسة ويحكم ها ويحصل على ثلث ايراداتها كية (٤٥)

كذا كانت مالندي حليفة للبرتغاليين ئتلافهم في الدين والحس رغبة في ام من ممبسة وبعد هذه المعارك البرتغاليون الى محاولة ترسيخ هم في ممبسة ، فشرعوا في بناء ممبسة المعروف بحصن يسوع في من ١٥٩٣ - ١٦٣٠ ، كما اقاموا ت للجمارك في المدينة في عام ١ واتخذوا خطوات ايجابية مركزهم الاقتصادي في ممبسة وا السفن القادمة من الهند الى على التوجه اليها ودفع رسوم ية تصل الى ٦٪ من واقع ما تحمله من بضائع(٤٦)

حصن ممبسة بداية الاحتكاك رتغاليين وسلطان مالندي ، المدعو الذي بدأ يشكو من عدم حصوله صيبه من ايرادات الجمارك بينما البرتغاليون بعدم الولاء لهم ، مما لى هروب السلطان من ممبسة عام غير انه اغتيل بواسطة احدى لقاء رشوة قدمها لهم البرتغاليون ر ابنه يوسف ونقل الى جوا ليربى تربية نصرانية كاثوليكية بعيدا عن بيئته الاسلامية ثم اعيد الى ممبسة عام ١٦٣٠ بعد ان عمد هناك نصرانيا الا ان يوسف هذا خيب آمال البرتغاليين فيه ليكون عونا لهم على اساس انه مسيحي مثلهم ، اذ انه كان يتظاهر بالنصرانية مخفيا اسلامه ، منتظرا فرصة كي يثأر من البرتغاليين ، حتى واتته هذه الفرصة في اغسطس ١٦٣١ حيث كان البرتغاليون في احد ايام هذا الشهر يحتفلون باحد اعيادهم في حصن ممبسة فهاجمهم يوسف على غرة ومعه ثلاثمائة من اتباعه فقضى على كثير من افراد الجالية البرتغالية وعلى بعض المتنصرين الوطنيين كما قتل بيده قائد الحامية البرتغالية وزوجته وابنته والقس الذي كان يقيم الصلاة(٤٧)

وكانت نتيجة هذه الحادثة أن تقوى مركز السلطان يوسف كما كانت البداية الفعلية لحرب طويلة ومريرة قادها السلطان ضد البرتغاليين الذين كانوا مصممين ليس لاستعادة مركزهم ، وانما كذلك للانتقام من السلطان يوسف الذي وجه كل جهوده للجهاد المقدس ضد الوجود البرتغالي وفي نفس الوقت فقد أرسل البرتغاليون حملة عسكرية من جوا الا انهم لجأوا الى المناوشات خوفا من استعدادات السلطان يوسف في الحصن ، ثم عادوا الى جوا ، ولكنهم واصلوا ارسال الحملات حتى تمكنوا من احتلال الحصن بعد ان تركه السلطان يوسف عام ١٦٣٢م وخلال ذلك اشيع ما يفيد وفاة السلطان يوسف مما شجع البرتغاليين على تنفيذ خططهم ، فأصلحوا الحصن عام ١٦٣٥ ثم قاموا باخضاع الامارات الاسلامية التي كانت

قد انضمت الى السلطان يوسف وبذلك استعاد البرتغاليون ساحل شرق افريقيا ولكن الى حين لانه حدث في الساحة الاسلامية أمر هام في تلك الفترة وهو تحرر العمانيين من السيطرة البرتغالية فهبوا لمساعدة اخوانهم في شرق افريقيا مما كان سببا في تصفية الوجود البرتغالي في تلك البقاع الى الأبد كما سيأتي الحديث عنه

دور عمان فى تصفية الوجود البرتغالى بشرق افريقيا :

خضعت عمان مثل شرق افريقيا للحكم البرتغالى فترة طويلة ابتداء من القرن السادس عشر. ولم يجد الحكم البرتغالى قبولا فى عمان لأسباب دينية وقومية واقتصادية، بل كانت الثورات الوطنية ضد الحكم البرتغالى مستمرة غير انه فى عام ١٦٢٤م حدث فى عمان امر هام كانت له أثاره البعيدة المدى لا فى عمان وحدها وانما فى مناطق أخرى فى ذلك العام اتحد العمانيون بتنصيبهم ناصر بن مرشد اليعربى اماما للبلاد، وكان هذا الحدث بداية قيام دولة عربية قوية تحملت بأمانة مسئولية الجهاد الاسلامى ضد الوجود البرتغالى، حيث نجحت هذه الدولة الفتية فى عهد حكامها الأوائل خاصة ناصر بن مرشد (١٦٢٤ ـ ١٦٤٩) وسلطان بن سيف (١٦٤٩ ـ ١٦٦٨) فى القيام بحركات تحررية ناجحة كانت نتيجتها تحرير عمان وشرق افريقيا.

ولا عجب أن لبى العمانيون استغاثة احوانهم فى شرق افريقيا، فاضافة الى مشاركتهم معهم معاناة الخضوع للحكم البرتغالى الذى تحرروا منه، فقد كانت بين الجانبين صلات قوية تعود الى عهود قديمة قبل الاسلام، حيث كان المهاجرون العمانيون كغيرهم من عرب الجزيرة يتوجهون الى تلك المناطق بدافع التجارة أو طلبا للرزق وتطورت هذه الهجرات بعد ظهور الاسلام فالى جانب الدوافع السابقة ظهرت عوامل أخرى كانت سببا فى هجرة أعداد هائلة من سكان الجزيرة العربية الى مناطق شرق افريقيا وهى الرغبة فى نشر الاسلام أو الهجرة نتيجة للمنازعات السياسية أو المذهبية (٤٨)

وفيما يتعلق بعمان فان الظروف السياسية التي تعرضت لها فى عهد دولتى بنى أمية وبنى العباس قد دفعت باعداد غفيرة من العمانيين فى الهجرة الى شرق افريقيا، ولعل أهم تلك الهجرات هى هجرة الاخوين سليمان وسعيد بن عباد الجلندى فى الفترة من عام ٦٩٤ ـ ٧٠٤(٤٩)

وتوالت الهجرات العمانية بعد ذلك منها هجرة سليمان بن سليمان بن مظفر النبهانى فى القرن الثالث عشر الميلادى وقد وجد العمانيون فى شرق افريقيا الامان ورغد العيش فساهموا فى الحركة التجارية وازدهار الثقافة الاسلامية وانتشار الدين الاسلامى هناك

ولا شك أن هذه الصلة العصوبة اضافة الى الصلة الدينية كانت وراء اهتمام العمانيين بتحرير شرق افريقيا حتى قبل أن يزيلوا الوجود البرتغالى من عمان نفسها ففى عهد الامام سلطان بن سيف طلب سكان شرق افريقيا المساعدة

لعمانيين بعد أن سمعوا بنجاحهم في
دة البرتغاليين، فلبى السلطان
ناثتهم وأرسل أسطوله الى سواحل
افريقيا عامي ١٦٥٠، ١٦٥٢
مت أساطيله زنجبار وباتا ودمر
من التحصينات البرتغالية [٥٠]

كان هذا الحادث عاملا مشجعا
يين للقيام بالثورة ضد البرتغاليين
كان عاملا مفزعا بالنسبة للبرتغاليين
سارعوا بارسال حملة عسكرية
ة «كابرا» نزلت بالقرب من باتا
ت من تحرير الاسرى البرتغاليين
لك أن قام البرتغاليون باضطهاد
يين والتنكيل بهم انتقاما منهم،
أثر ذلك طلب المسلمون النجدة مرة
، من ائمة عمان

ان أئمة عمان يعتمدون في حربهم
وة عسكرية بحرية يقودها «رجال
درمون خبروا مياه المحيط الهندي
هور سفنهم منذ صغرهم [٥١]» وقد
لامام سلطان بن سيف أسطوله
عام ١٦٦٠ فاستولى على مدن
ممبسة» غير أنه لم يسيطر عليهما
باعاتهما، ثم عين السلطان العماني
بن مبارك حاكما على تلك الجهة،
و مسرعا الى عمان نتيجة لبعض
ث التي وقعت في عمان اثناء
مما كان له اثر كبير في تمكن
ليين من الاستيلاء على ممبسة مرة
ام ١٦٦١

هذه الاحتكاكات الحربية اتخذت
ين عمان والبرتغال بساحل شرق
طابع اضرار كل منهما على الحاق
ه بالآخر اذ بينما كان العمانيون مندفعين بروح الجهاد وبحلاوة الانتصارات العسكرية، كان البرتغاليون يستميتون في الدفاع عن آخر بقايا امبراطوريتهم في الشرق ففي عام ١٦٦٩ اتجه أسطول عماني الى ممبسة وموزمبيق ثم انسحب وتبعه توسع برتغالي في الساحل حيث استولوا من جديد على سيو ولامو وماندا وارتكبوا أفظع الجرائم ضد المسلمين، لدرجة انهم اتخذوا من مسجد باتا [٥٢] اسطبلا لخيولهم، مما دفع الامام سيف بن سلطان الى ارسال أسطول تمكن من تحرير باتا فانسحب البرتغاليون الى موزمبيق عام ١٦٧٩م وحررت ممبسة عام ١٦٩٨ بعد حصار دام شهورا عديدة عانى البرتغاليون خلاله كثيرا من المآسي سواء في نقص المؤن أو المعدات الحربية أو في الخسائر البشرية اضافة الى الظروف النفسية التي عاشوها خلال الحصار، خاصة بعد فشل كل المحاولات البرتغالية في فك الحصار مما أدى في النهاية الى سقوطها في يد العمانيين [٥٣]

وبالرغم من أن تحرير ممبسة قد كلف العمانيين جهدا كبيرا وتضحيات جسيمة الا أنه مع ذلك لم يثبط من اصرارهم على هزيمة البرتغاليين، بل على العكس كان عاملا مشجعا لهم اذ تلا ذلك تحرير ممبا وكلوة وباتا وزنجبار، كما كان عاملا مفزعا بالنسبة للبرتغاليين لأن تحرير ممبسة كان ايذانا بأفول شمس الامبراطورية البرتغالية في ساحل افريقية الشرقية وقد تكررت المحاولات البرتغالية لاستعادة ممبسة وذلك في الاعوام ١٦٦٩، ١٧٠٣، ١٧١٠ حتى اذا كان عام ١٧٢٨ تمكنوا من استعادتها

ولكن بقوا فيها لمدة سنتين فقط ارتكبوا خلالهما اشد الفظائع ضد المسلمين، ولكن لم يستسلم المسلمون لبطش البرتغاليين وانما قاوموا كل المحاولات البرتغالية وصمموا هذه المرة على التحرر النهائي، فقاموا بالثورة وطالبوا بالنجدة من ائمة عمان وانتهز المسلمون فرصة انشغال البرتغاليين في الاحتفال بأحد اعيادهم فنزلت جموع المسلمين الى الشوارع للانقضاض على البرتغاليين وهوجمت الكنائس واستسلم حصن ممبسة وفي اثناء ذلك وصلت النجدة العمانية بقيادة محمد بن سعيد المعمورى فاستولى نهائيا على حصن ممبسة وعين نائبا للامام في تلك الجهات

وهكذا تمكن العمانيون والمسلمون في شرق افريقيا من هزيمة البرتغاليين - سادة الأمس - هزيمة ساحقة في ممبسة وبدأت المناطق الأخرى تخوض غمار الثورة حتى تحررت افريقيا الشرقية في عهد الامام احمد بن سعيد من الحكم البرتغالى واصبحت المنطقة من خليج دلجادو جنوبا الى مقديشيو شمالا تابعة للحكم العمانى(٥٤)

مركز الاسلام بساحل شرق افريقيا والقرن الافريقي قبل مجيء البرتغاليين وحتى الآن :

يحتاج الحديث عن هذا الموضوع الى بحث مستقل وليس غرضي هنا سوى أن أشير اليه مجرد اشارات عابرة موجزة املا في أن افرد له بحثا خاصا في المستقبل

من المعلوم انه كانت في شرق افريقيا والقرن الافريقي في العصور الوسطى حضارة راقية مزدهرة، وقد اعترف بذا البرتغاليون انفسهم وغيرهم من القوى الاوروبية التى قدمت الى المنطقة فيما بعد، كانت هذه الحضارة شاملة لجميع أوجه الحياة وهى الانتاج العقلى والمادى الذي ساهم في بنائه المسلمون سواء أكانوا أفارقة أو عربا أو فرسا، وكان طابع هذه الحضارة عربيا - اسلاميا على اساس أن لغتها كانت العربية

لم تقم هذه الحضارة على التوسع الحربى، وانما قامت على المبادىء الاسلامية طبقا للآية الكريمة «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» وبذا كانت حضارة سلمية طابعها التفاهم والحوار والاستقرار، وقد قامت نتيجة لذلك مدن أو سلطنات أو دويلات اسلامية على طول الساحل الشرقي لافريقيا الشرقية والقرن الافريقى ويلاحظ أن هذه الحضارة كانت محصورة في الساحل بالنسبة للساحل الجنوبى من افريقيا الشرقية حيث قامت فيه مدن مثل كلوة وماليدى وممبسه بينما كانت في منطقة القرن الافريقي اكثر ازدهارا وأوسع رقعة اذ امتدت الى داخل الهضبة الحبشية وكانت هناك سلطنات قوية مثل سلطنة مقديشيو أو دويلات قوية أمثال دولة أوفات ودولة عدل (زيلع) التى نقلت العاصمة فيما بعد من زيلع الى هرر(٥٥)

كانت لكل هذه المدن أو السلطنات أو الدويلات نظمها السياسية القائمة على نظام الشورى الاسلامى، كما كان يسود فيها النظام الاسلامى في القضاء والمال

ـرة والحرب والتعليم
ت الحركة العلمية مزدهرة في كل
بقاع، حيث قامت هناك مدن
، مثل مقديشيو وبراوة وزيلع
وكلوة وممبسة وقد توافد على هذه
لجامعية العلماء من بعض أنحاء
الاسلامي وأخرجت هذه المدن
ية علماء في التفسير والحديث
وعلماء العلوم العربية وحفظة
والكتبة وكان لهذه الطبقة المثقفة
العصر الحديث) مركزها السياسي
ماعي ودورها الريادي في نشر
م وترسيخ العقيدة الاسلامية، كما
دورها القيادي للوقوف في وجه
البرتغالي في الساحل الجنوبي
راط في صفوف المجاهدين وتعبئة
ين في منطقة القرن الافريقي
ي للعدوان الحبشي واتضح دور
طبقة خاصة في حروب الامام أحمد
اهيم في القرن السادس عشر
ما الحالة على هذا النحو، أي
واستقرار وانتشار تدريجي
م نحو الداخل في الساحل
ي وعلمية سياسية وفكرية
ين في منطقة القرن الافريقي، مع
مذهل للاسلام نحو الداخل،
لى المنطقة طلائع الغزو البرتغالي في
القرن الخامس عشر وبداية القرن
س عشر، فيصبح شرق افريقيا كله
لحروب صليبية مريرة، ليس
ها أوروبا وحدها (كما كان الحال
ة للحروب الصليبية في بلاد الشام)
اوروبا والحبشة معا (وكما يحدث
فيتعرض الساحل الجنوبي للغزو
الي من البحر ويتم احتلاله، بينما

تعرض القرن الافريقي للغزو الحبشي من البر والغزو البرتغالي من البحر، وتمت هزيمة الجيوش الصومالية

وهكذا فقد الاسلام مركزه السياسي وانتقلت السيادة السياسية الى الصليبيين الذين استهدفوا اقتلاع الجذور الاسلامية من الأساس، واتبعوا في سبيل تحقيق ذلك سياسة قمعية ضد المفكرين والعلماء والامراء فأصيبت المنطقة كلها بجمود فكري وتوقف حضاري ولكن لحسن الحظ يشاء الله ما لم يكن في حسبان الصليبيين فنتيجة للاضطهاد لجأ عدد كبير من علماء المسلمين الى المناطق الداخلية فانتشر الاسلام هناك وانتعش وأصبحت المناطق الداخلية بمرور الزمن مصدر المدد البشري المسلم لمقاومة المحتلين ولما تحررت المنطقة من الحكم البرتغالي زادت المسئوليات الملقاة على عاتق المسلمين،

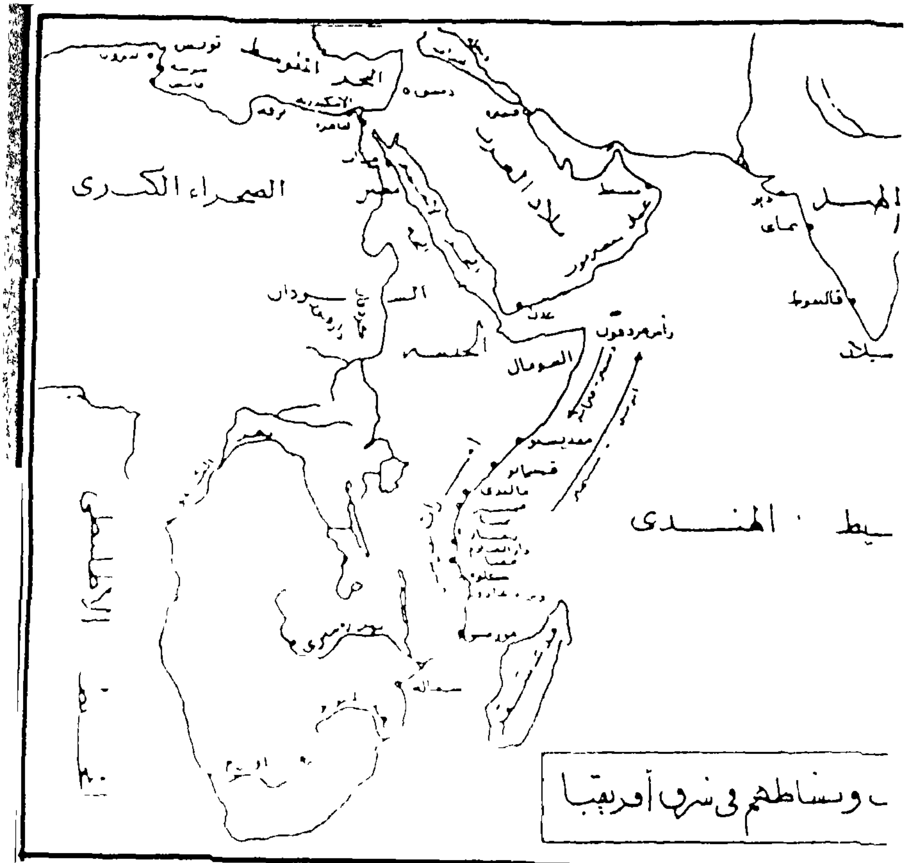
وبدأ المسلمون يعوضون ما فاتهم عمله في السنوات التي عاشوها تحت الكابوس البرتغالي، وبدأ الدعاة في لم الشمل من جديد للجهاد السلمي لنشر الاسلام وتحرك الاسلام نحو عمق القارة فوصل الى موزمبيق وسفالة ونياسالاند وكينيا وتنجانيقا وأوغندا وهضبة البحيرات والى داخل الحبشة وبدأت المراكز الحضارية الساحلية تنتعش من جديد في تخريج الدعاة، والعلماء، وحفظة القرآن، وأئمة المساجد وانتشر الدعاة في كل مكان في الداخل وبنيت المساجد ومدارس القرآن ومراكز علوم الدين والعلوم العربية

ومرة أخرى بينما الحالة على هذا النحو السالف الذكر في شرق افريقيا

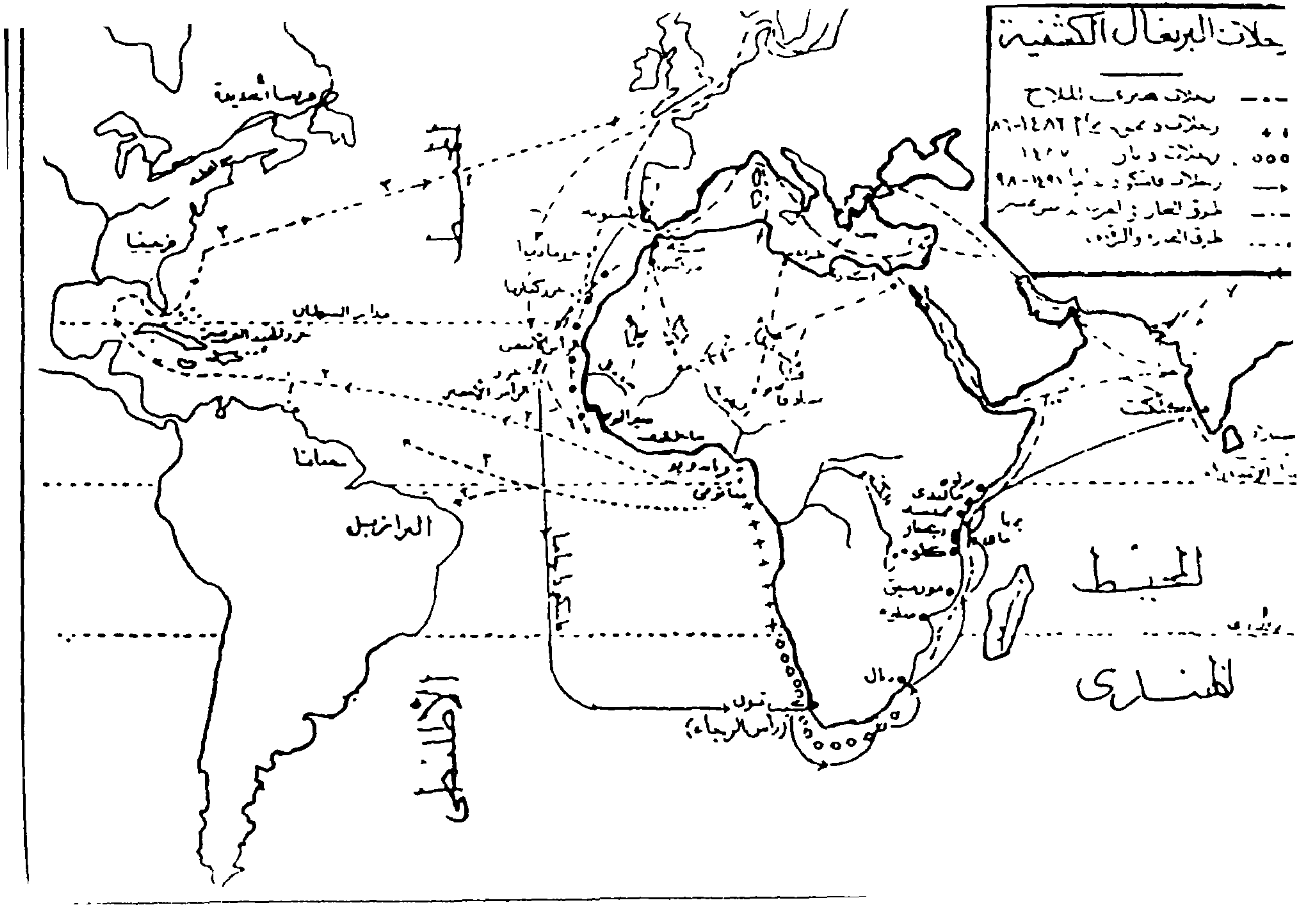
يصل الى المنطقة غزاة اوروبيون جدد المان - انجلير - ايطاليون - فرنسيون يأبون أن يبقى سكان المنطقة أحرارا، فيتقاسمون المنطقة ويصبح الساحل الجنوبي من نصيب بريطانيا، ويتفقون على تفتيت الجسم الصومالي الى خمسة احراء، فتحتل بريطانيا أقصى جنوب الصومال وتضمه اداريا الى كينيا ليصبح فيما بعد جزءا من كينيا، كما تحتل منطقة شمال الصومال، وتحتل ايطاليا جنوب الصومال، كما تحتل ارتيريا وتحتل فرنسا أقصى شمال الصومال وتحظى الحبشة بمكانة الدولة الممتازة كما كانت في العهد البرتغالي ويهدى لها الصومال العربي أي (الأوجادين) مكافأة لها لدورها الصليبي في المنطقة وهكذا مرة اخرى فقد المسلمون في شرق افريقيا دورهم الريادي السياسي وحتى الآن

وبعد أليست هذه الحالة نتيجة لحروب صليبية تقوت بقدوم البرتغاليين ثم الانجليز والايطاليين والفرنسيين وهي مستمرة حتى الآن؟ والا ما معنى ما حدث للصومال من تفتيت وما معنى ما يحدث للاسلام الآن في تنزانيا وكينيا من مسخ، وابادة جماعية للمسلمين في اوغندا، وما يحدث للمسلمين في الصومال العربي أو ما يحدث لمسلمي الحبشة وما معنى ما حدث ويحدث للمسلمين في ارتيريا من ابادة وتشريد، ثم ما معنى ما يحدث الآن في جنوب السودان ثم بماذا يفسر المركز الخاص الذي كانت وما زالت تتمتع به الحبشة قديما وحديثا من لدن الدول الأوروبية غربية كانت أم شرقية اضافة للولايات المتحدة الامريكية؟

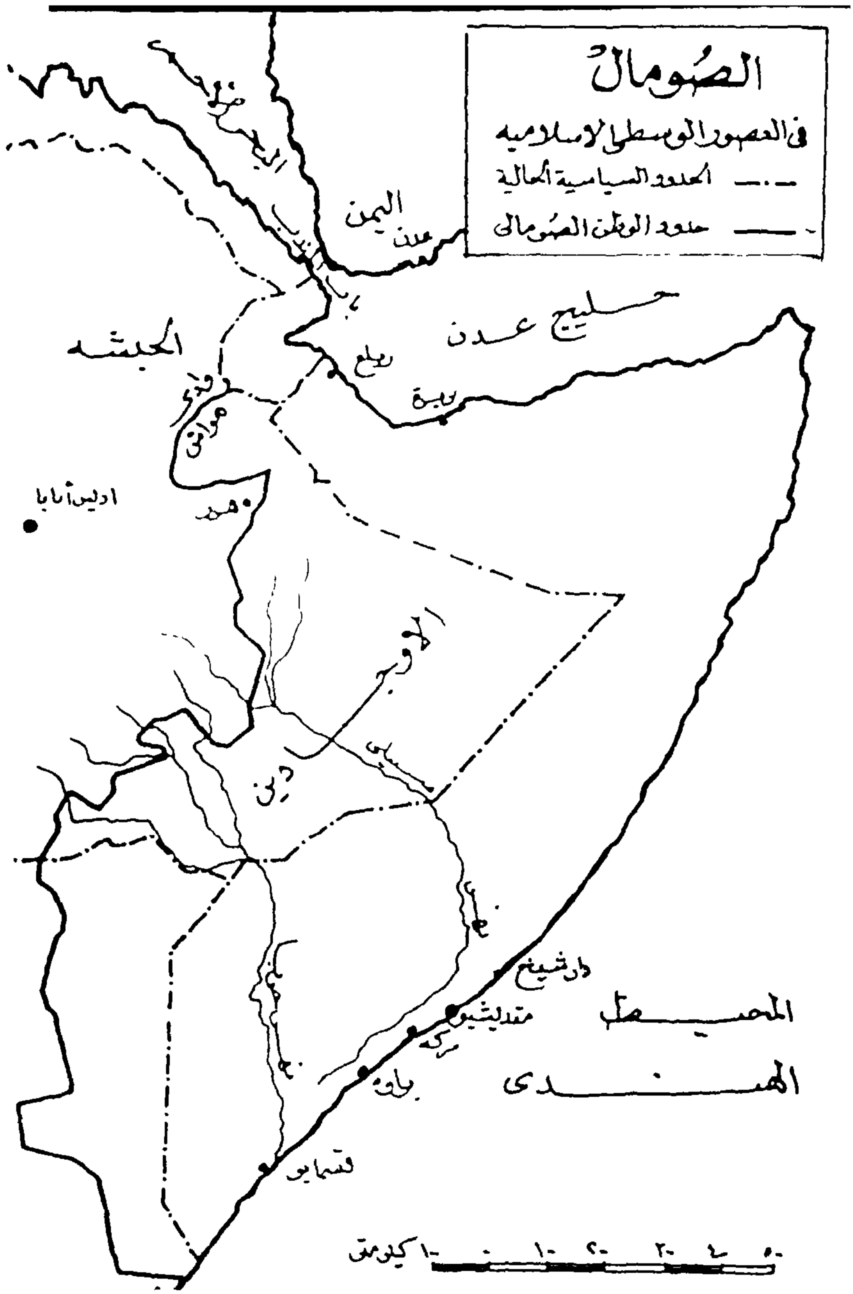
ومرة اخرى أليست هذه حروب صليبية؟ نعم على الاقل طبقا لوجهة نظرنا نحن أبناء المنطقة



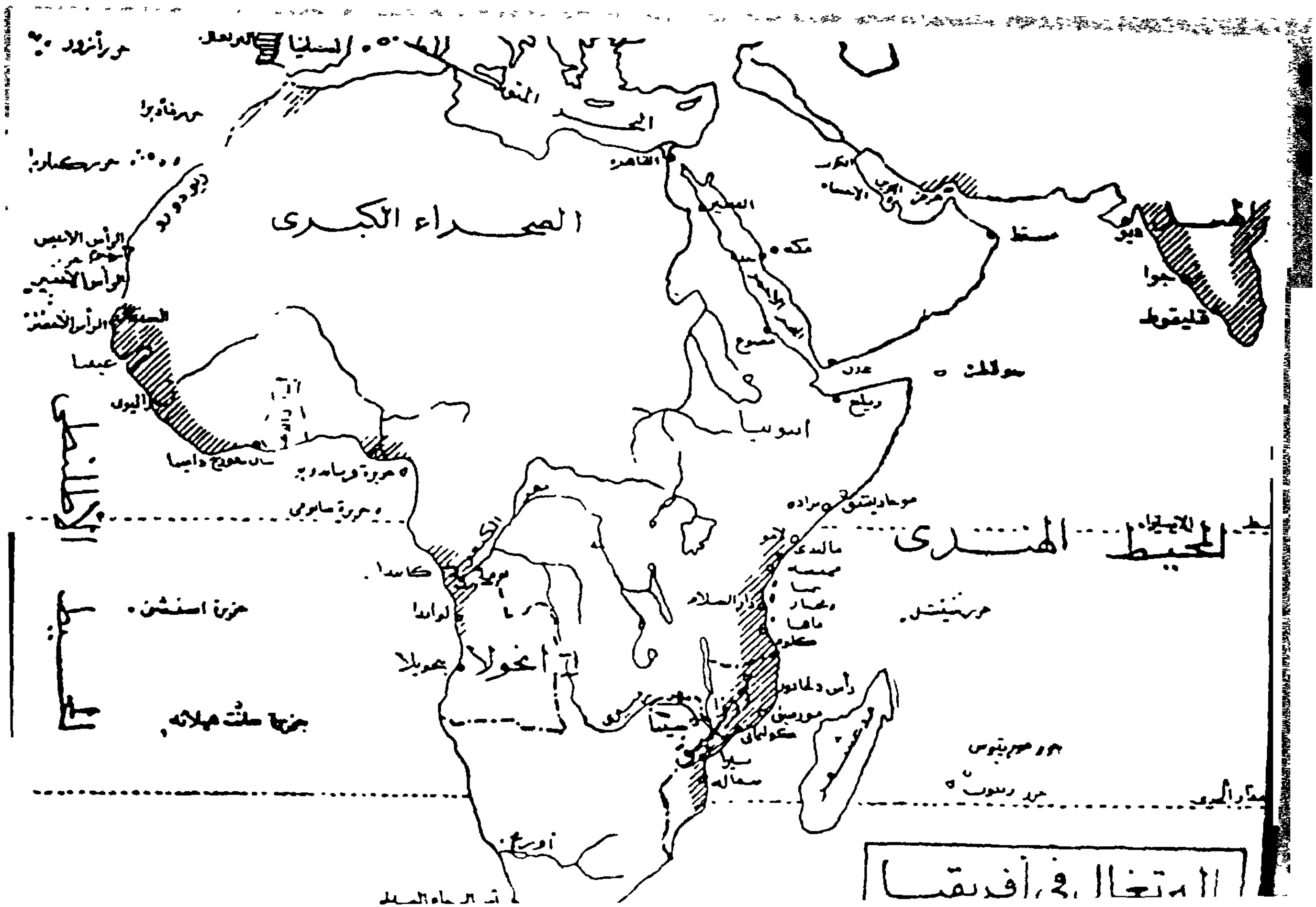
وتسلطهم فى شرق أفريقيا



رحلات البرتغال الكشفية
رحلات هنري الملاح
فرجينيا
البرازيل
الأطلنطي
المحيط
الهندي
(رأس الرجاء)



الصومال
في العصور الوسطى الإسلامية
الحدود السياسية الحالية
حدود الوطن الصومالي
اليمن
عدن
خليج عدن
الحبشه
زيلع
بربرة
هرر
أديس أبابا
الأوجادين
المحيط
الهندي
مقديشو
مركه
براوه
كسمايو
كيلومتر



البرتغال في أفريقيا
الصحراء الكبرى
المحيط الهندي
المحيط الأطلسي
البحر المتوسط
القاهرة
مكة
عدن
مسقط
جوا
ديو
قاليقوط
سوقطرة
زيلع
مقديشو
ممباسة
دار السلام
موزمبيق
مدغشقر
جزيرة موريشيوس
جزيرة سنت هيلانة
جزيرة اسنشن
انجولا
بنجويلا
لواندا
كاسنجا
جزيرة فرناندو بو
جزيرة ساوتومي
اسوسيا
الرأس الأبيض
الرأس الأخضر
السنغال
الحبشة
مدار الجدي

الهوامش

١ ـ د عبدالعزيز عبدالغنى ابراهيم ـ علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، ص ١٧ ، دارة الملك عبدالعزيز ، الرياض ، ١٩٨٢

٢ ـ د جلال يحي ـ تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر ص ٧٢ ، المكتب الجامعى الحديث ـ الاسكندرية ـ ١٩٨٤ ، انظر كذلك
E.W Bovill – The Golden Trade of Moors, P 91

٣ ـ نوال حمزة يوسف الصيرفى ـ النفوذ البرتغالى فى الخليج العربى فى القرنين ١٠هـ/١٦م ، ص ٦٩ ، الرياض ، ١٩٨٣

٤ ـ د محمود متولى ود رافت الشيخ ـ افريقيا فى العلاقات الدولية المعاصرة ، ص ١٤١ ، دار الثقافة ـ القاهرة

٥ ـ نوال حمزة ـ مصدر سابق، ص ٦٨

٦ ـ المصدر السابق ص ٦٦، لمزيد الاطلاع على دوافع البرتغال الدينية انظر شوقى الجمل ـ تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ص ١٣١ ، ط ٢ مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٠ وكذلك د محمود متولى ود رافت الشيخ ـ مصدر سابق، ص ٣٣ ـ ٣٧

٧ ـ نوال حمزة ـ مصدر سابق ، ص ٦٧

٨ ـ د سيد مصطفى سالم ـ الفتح العثمانى الاول لليمن (١٥٣٨ ـ ١٦٣٥) ص ٦٣ ، ط ٣ ، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٨

٩ ـ د عبدالعزيز عبدالغنى ابراهيم ـ مصدر سابق، ١٨

١٠ ـ د السيد رجب حراز ـ افريقية الشرقية والاستعمار الاوروبى ص ١٣، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨ ونوال حمزة مصدر سابق ص٧٠

١١ ـ نوال حمزة ـ مصدر سابق ص ٧٢ ، لمزيد الاطلاع عن البعثات الدينية البرتغالية الى الحبشة انظر ممتاز العارف ـ ارتيريا بين احتلالين ص ٥٥ ، دار الجاحظ ، بغداد

١٢ ـ لمعرفة حوادث هذه الحرب انظر كلا من ـ
ا ـ عرب فقيه (شهاب الدين احمد عبدالقادر بن سالم بن عثمان

الجيزانى) تحفة الزمان (فتوح الحبشة) الجزء الاول وقد عاصر هذا المؤلف احداث الحرب ووصفها وصفا دقيقا وموضوعيا

ب ـ د رجب محمد عبدالحكيم ـ العلاقات السياسية بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشة فى العصور الوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٥

١٣ ـ نوال حمزة ـ مصدر سابق ص ٧٨

١٤ ـ د محمود متولى ود رافت الشيخ ـ مصدر سابق ، ص ٥٤

١٥ ـ بحوث مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية ، ج ٢ ، ص ٦٢٤، الدوحة ١٩٧٦

١٦ ـ د حسن ابراهيم حسن ـ انتشار الاسلام فى القارة الافريقية، ط٣ ، ص ١٧٦، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٤

١٧ ـ د محمود متولى ود رافت الشيخ ـ مصدر سابق ، ص ٣٣ ـ ٣٥

١٨ ـ المصدر السابق ، ص ٤٦

١٩ ـ د السيد رجب حراز ـ مصدر سابق ص ١١ ـ ١٢ ، وانظر كذلك كتاب العلاقات العربية الافريقية، دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار ص ٦٣ ، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٧

٢٠ ـ د حسن ابراهيم حسن ـ مصدر سابق ـ ص ١٧٧

٢١ ـ نوال حمزة ـ مصدر سابق ـ ص ٩٥

٢٢ ـ د السيد رجب حراز ـ مصدر سابق ـ ص ١٤

٢٣ ـ المصدر السابق ـ ص ١٥

٢٤ ـ د حسن ابراهيم حسن ـ مصدر سابق ـ ص ١٧٨

٢٥ ـ صلاح الدين حافظ ـ صراع القوى العظمى حول القرن الافريقى، ص ٥٣ ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٢

٢٦ ـ د السيد رجب حراز ـ مصدر سابق ـ ص١٥

٢٧ ـ يرد اسمه فى كل المصادر هكذا الامام احمد بن ابراهيم الملقب بـ «جرين» اى «الاشول» وهو خطا ناتج من خطا فى ترجمة كلمة "GUREY" الصومالية التى تطلق على الاشول ، وترجمتها بالعربية حرفيا هى «جُرَى» وليست «جرين» او «غرين» ولذا وجب التنويه

٢٨ ـ مجلة دراسات افريقية، ص ٥٥ ، العدد الاول، ابريل ١٩٨٥ ، المركز الاسلامى بالخرطوم، وانظر كذلك ندوة البحر الاحمر فى التاريخ والسياسة المعاصرة ـ ص ٢٣٨ ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٩

٢٩ ـ العلاقات العربية الافريقية ـ مصدر سابق ـ ص٦٦

٣٠ ـ د السيد رجب حراز ـ مصدر سابق، ص١٥

٣١ ـ د حسن احمد محمود ـ الاسلام والثقافة العربية فى افريقية، جـ١ ، ص

٤٧٦ ، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣
٣٢ ـ صلاح الدين حافظ ـ مصدر سابق ـ ص٥٤
٣٣ ـ ج ج لوريمر ـ دليل الخليج ، القسم التاريخى، الجزء الاول، ص٦٤٣ ، الدوحة ، ١٩٧٦
٣٤ ـ نوال حمزة ـ مصدر سابق ـ ص١٨٦
٣٥ ـ د حسن احمد محمود ـ مصدر سابق ـ ص٤٧٧
٣٦ ـ صلاح الدين حافظ ـ مصدر سابق ـ ص٥٤
٣٧ ـ بحوث مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية ـ مصدر سابق، ص٦٤٣
٣٨ ـ المصدر السابق ـ ص٦٥٠
٣٩ ـ المصدر السابق ص ٦٤٧ ، د شوقى عطا الله الجمل ـ دور مصر فى افريقيا فى العصر الحديث ، ص ١٠٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤
٤٠ ـ د حسن احمد محمود ـ مصدر سابق، ص٤٦٦ ، العلاقات العربية الافريقية ـ مصدر سابق ـ ص٧٥
٤١ ـ ندوة البحر الاحمر ـ مصدر سابق ص٢٣٨ ـ قيل ان الامام انهى علاقاته مع العثمانيين لسببن ـ
ا ـ تذمره من مطالبات الجنود العثمانيين الكثيرة فى الغنائم
ب ـ غضب الدولة العثمانية لقتله القائد البرتغالى، وكان العثمانيون يريدون ان يسلم لهم وهو حى حتى يستفيدوا منه فى معرفة الخطط البرتغالية الحربية فى الحبشة
٤٢ ـ العلاقات العربية الافريقية ـ مصدر سابق ـ ص٧٣
٤٣ ـ د حسن احمد محمود ـ مصدر سابق ـ ص٤٧٨
٤٤ ـ د السيد رجب حراز ـ مصدر سابق ـ ص ١٨
٤٥ ـ المصدر السابق ـ ص٢٠
٤٦ ـ المصدر السابق ـ ص٢١
٤٧ ـ المصدر السابق ـ ص٢١
٤٨ ـ المسح الشامل ـ مصدر سابق ص ٦٢
٤٩ ـ بحوث مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية ـ مصدر سابق ص٧٧٦ ومجلة دراسات افريقية ، العدد الثانى، ص ٨٣ ، المركز الاسلامى بالخرطوم/١٩٨٦
٥٠ ـ بحوث مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية ـ مصدر سابق ص٧٨٣
٥١ ـ جلال يحي ـ مصدر سابق ـ ص٢٠٥
٥٢ ـ بحوث مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، مصدر سابق ص٧٨٥
٥٣ ـ العلاقات العربية الافريقية ـ مصدر سلبق ـ ص٨٤

٥٤ ـ المصدر السابق ـ ص٨٥ ، دونالد ويدنر ـ مصدر سابق ـ ص١٤٨
٥٥ ـ ١ ـ كلوة وجزيرة زنجبار وتوابعها في جمهورية تنزانيا الحالية
٢ ـ مالندى وممبسة ولامو في كينيا
٣ ـ مقديشيو ، براوة، كسمانيو، ريلع، بربرة في جمهورية الصومال الديمقراطية
٤ ـ هرر عاصمة الصومال الغربى المحتل من قبل الحبشة

المراجع

١ - د السيد رجب حراز - افريقية الشرقية والاستعمار الاوروبى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٨

٢ - د السيد رجب حراز، ارتيريا الحديثة (١٥٥٧ - ١٩٤١) معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٤

٣ - جامعة عين شمس - البحر الاحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة (سمنارات الدراسات العليا للتاريخ الحديث) ، القاهرة ١٩٨٠

٤ - ج ج لوريمر - دليل الخليج، القسم التاريخى، الجزء الاول، اعداد قسم الترجمة بقصر الدوحة، قطر

٥ - د جلال يحي - تاريخ افريقية الحديث والمعاصر، المكتب الجامع الحديث الاسكندرية ، ١٩٨٤

٦ - د جلال يحي - مصر الافريقية والاستعمار الاوروبى فى القرن التاسع عشر، دار المعارف، الاسكندرية

٧ - دونالد وتدر - تاريخ افريقيا جنوب الصحراء ، ترجمة راشد البراوى مكتبة الوعى العربى، القاهرة

٨ - و جون فيج - موجز تاريخ افريقيا، ترجمة دولت صادق ومحمد السيد غلاب

٩ - حمدى السيد سالم - الصومال قديما وحديثا (جزءان)، وزارة الاستعلامات الصومالية، مقديشيو ، ١٩٦٥

١٠ - د حسن ابراهيم حسن - انتشار الاسلام فى القارة الافريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٤

١١ - د حسن احمد محمود - الاسلام والثقافة العربية فى افريقية، الجزء الاول، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣

١٢ - مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية (بحوث المؤتمر - الجزء الثانى)، الدوحة - قطر، ١٩٧٦

١٣ - د محمد عبدالعال احمد - البحر الاحمر والمحاولات البرتغالية الاولى

للسيطرة عليه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، ١٩٨٠
١٤ ـ د محمود متولى ود رافت الشيخ ـ افريقيا فى العلاقات الدولية المعاصرة ، دار الثقافة، القاهرة
١٥ ـ ممتاز العارف ـ ارتيريا بين احتلالين، دار الجاحظ ، بغداد، ١٩٧٩
١٦ ـ معهد البحوث والدراسات العربية ـ المسح الشامل لجمهورية الصومال الديمقراطية ، بغداد ، ١٩٨٢
١٧ ـ معهد البحوث والدراسات العربية ـ العلاقات العربية الافريقية ، دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار، القاهرة، ١٩٧٧
١٨ ـ نوال حمزة يوسف الصيرفى ـ النفوذ البرتغالى فى الخليج العربى فى القرين العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى ، دارة الملك عبدالعزيز الرياض، ١٩٨٣
١٩ ـ د سيد سالم مصطفى ـ الفتح العثمانى الاول لليمن (١٥٣٨ ـ ١٦٣٥) ط٣ ، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٨
٢٠ ـ عبدالمجيد عابدين ـ بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربى، القاهرة
٢١ ـ د عبدالعزيز عبدالغنى ابراهيم ـ علاقة ساحل عمان ببريطانيا، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٩٨٢
٢٢ ـ عبدالرحمن النجار ـ الاسلام فى الصومال ، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية، القاهرة ، ١٩٧٣
٢٣ ـ عرب فقيه (شهاب الدين احمد عبدالقادر بن سالم بن عثمان الجيزانى) ـ تحفة الزمان او فتوح الحبشة ، الجزء الاول ، تحقيق فهيم محمود شلتوت، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤
٢٤ ـ د فاروق عثمان اباظة ـ عدن والسياسة البريطانية فى البحر الاحمر (١٨٣٩ ـ ١٩١٨)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦
٢٥ ـ فتحى غيث ـ الاسلام والحبشة عبر التاريخ ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة
٢٦ ـ صلاح الدين حافظ ـ صراع القوى العظمى حول القرن الافريقى، عالم المعرفة الكويت، ١٩٨٢
٢٧ ـ د رجب محمد عبدالحليم ـ العلاقات السياسية بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشة فى العصور الوسطى، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٨٥
٢٨ ـ شارل اندريه جوليان، تاريخ افريقيا، ترجمة طلعت عوضى اباظة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٦٨
٢٩ ـ د شوقى الجمل ـ تاريخ كشف افريقيا واستعمارها، ط٢ ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥

٣٠ ـ د شوقى الجمل ـ دور مصر فى افريقيا فى العصر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤

٣١ ـ E,W Bovill - The Golden Trade of The Moors, Oxford Un. Press

٣٢ ـ الدارة (مجلة)، العدد الثانى ، السنة العاشرة، دارة الملك عبدالعزيز الرياض، سبتمبر ١٩٨٤

٣٣ ـ دراسات افريقية (مجلة)، العدد الاول، ابريل ١٩٨٥، المركز الاسلامى الافريقى بالخرطوم

٣٤ ـ دراسات افريقية (مجلة) ، العدد الثانى، ابريل ١٩٨٦ ، المركز الاسلامى بالخرطوم


من علوم العرب
البحرية
الاهتداء بالنج
في
ظلمات البح
«وهو الذي جعل لكم النجوم لتهت
بها في ظلمات البر والبحر قد فص
الآيات لقوم يعلمون»
صدق الله العظيم (سورة

حسن شهاب

لا يزال رجال البادية ، في بلاد العرب ، حتى الوقت الحاضر يهتدون في ظلمات البوادي بالنجوم ، ومثلهم أيضا بعض بحارة الجزر والمراسي الصغيرة في البحر الاحمر.

وحتى أيام المقريزي (١٣٦٤ - ١٤٤٢ م) كان البحارة العرب لا يستعملون إبرة أو سمكة المغناطيس ، لمعرفة الجهات من حولهم ، إلا اذا كانت الليلة مظلمة ، ولم يروا من النجوم ما يهديهم الى الجهة المقصودة . فكانوا حينئذ يخرجون حديدة مجوفة على شكل سمكة ويبالغون في ترقيقها ، جهد المقدرة ، ثم يعمل في فم السمكة شيء من مغناطيس جيد ، ويحك فيها بالمغناطيس . فإن السمكة اذا وضعت في الماء دارت واستقبلت القطب الجنوبي واستدبرت القطب الشمالي [1] . فإذا عرفوا جهة القطب الشمالي سهل عليهم معرفة بقية الجهات .

يخبرنا الرحالة العربي ابن جبير [...]١١ - ١٢١٧ م) بأنه سافر في البحر [...]ر من (عيذاب) على الساحل المصري [...](جدّة) ، وعندما اقتربوا من ساحل [...]جاز وشاهدوا الطيور المحلقة من بر [...]جاز ، لمع برق من جهة البر المذكور ، [...] جهة الشرق ، ثم نشأ نوء أظلم له الأفق [...]ن كسا الآفاق كلها ، وهبت ريح شديدة [...]ت المركب عن طريقه ، راجعا وراءه ، [...]ي عصف الرياح ، واشتدت حلكة [...]ة وعمت الآفاق فلم ندر الجهة [...]صودة منها ، الى ان ظهر بعض النجوم [...]ل بها بعض الاستدلال [2]

[...]ال ابن جبير روى لنا بزرك (نحو [...]) قصة قصها عليه محمد بن بابشاد [...]له . أي محمد بن بابشاد ، مكان يمضي [...]كه من (فنصور) [3] يريد عمان ، فلما [...]بحر (هرقند) [بين الهند وسيلاني [...]ا ويقع في بحر الهند [بين الهند

وشرقي افريقيا] ، وعزم على أن يعبر الى بلاد العرب ، قال له ربان مركبه : أي مرسى تعلق من مراسي العرب ؟ قال : أعلق (ريسوت) [4] أو فوقها بفرسخ أو دونها بفرسخ . فقال له الربان : نحن نعلق المرسى الفلاني ، دون (ريسوت) بخمسين فرسخا . فتخاطروا في عشرين دينارا يتصدقون بها . وبين الموضع الذي هم فيه وبين (ريسوت) ، على الأقل أربعمائة فرسخ . فساروا خمسة عشر يوما الى ان قدروا أنهم قد قاربوا جبال العرب ، وأخذوا يتكلمون فيما كانوا تخاطروا فيه الى الليل ، وساروا الى غد ذلك اليوم . فلما أصبحوا صعدوا بالديدبان [5] ، الى رأس الدقل ، فلم ير شيئا فنزل . فلما صلوا العصر قال محمد بن بابشاد : [...] الجبال ، فقالوا : ما نرى شيئا . فقال للديدبان : اصعد ، فلما صعد [...] واستقر على رأس الدقل صاح [...] كبرا فكبروا [...]

الفرح والسرور وساروا طيله ليلتهم الى قرب السحر فلما كاد الفجر ان يطلع قال محمد بن بابشاد اطرحوا الأنجر فطرحوه ، وحطوا الشراع وقال للربان أين نحن ؟ فقال في موضع كذا وذكر موضعا بينه وبين ريسوت) أربعون فرسخا فقال له محمد ن بابشاد نحن على (ريسوت) سواء إما ن تكون بين ايدينا برمية سهم ، أو بحذاء لمركب ، أو دوننا برمية سهم فأصبحوا هم على ريسوت سواء » [٦]

هذه الحكاية تثبت بشكل قاطع ان البحارة في القرن الرابع الهجري ، لم تكن لديهم ضوابط تحدد اتجاه المجرى الى المكان المقصود ، كأجزاء أو اخنان دائرة بيت الإبرة (البوصلة) ، التي نجدها عند البحارة المتأخرين . فمحمد بن بابشاد وربانه ، بعد ان استدارا حول جزيرة (سيلان) من الجنوب ، ودخلا بحر الهند ، سارا نحو الجهة الشمالية الغربية الى بلاد العرب ، مسترشدين بالنجوم التي تهديهم الى هذه الجهة . فلو كان لديهما ما يحدد لهما اتجاه المجرى الى أي مرسى يريدونه غير النجوم لما سأل الربان صاحب المركب أي مرسى تعلق من مراسي العرب ؟

ويفخر ابن ماجد في قصيدته «الذهبية» بأنه سافر من غير حقه أي (بيت الإبرة) في موسم الديماني ، وهو الربع الأخير من موسم الرياح الجنوبية الغربية ، وتسافر فيه المركب من بلاد العرب وشرقي افريقيا الى الهند قال

ومن سار في الديمان من غير حقه
في المرسى المراد المخالب [٧]

«قال في قصيدته «كنز المعالمة» إن قضى الله عليك يوما بركوب البحر فما عندك ما تهتدي به في ظلماته غير النجوم الزهر ففيها علوم يهتدى بها الى معرفة المسافات في البر والبحر ، في البر تقدر بالأميال ، وفي البحر بالأزوام وهي ، أعني النجوم تدور حول محور الفلك ، محبوبها ، عن يمينه وعن شماله

فإن قضى الله يوما بالركوب له
لا يهتدى سوى الزهر المشاعل
لأن فيها علوما يهتدون بها
في البر والبحر دازام ودا ميـ
تدور عن محور الأفلاك ميمنة
ويسرة وهو محبوب ومشمـ

ابن ماجد بات خمسين حج يسامر النجوم

مع مرور الزمن تطورت معرفة البحـ العرب بالنجوم والاستفادة منها في الملاحـ بحيث أصبحت خريطة النجوم عند بمثابة خريطة بحرية يعرفون منها مو المراسي ، والرؤوس ، والجزر وغيرها الأماكن التي تهم البحار معرفتها ، وأصـ من السهل على من يجيد قراءة الخريطة ، من البحارة ، ان يستخرج عرض البلد الذي يقصده ومقدار بعده ع

وبلغ هذا العلم حد الدقة والكمال القرن الخامس عشر ، على يد الـ العربي ، أسد البحار ، أحمد بن ماجـ

رحم الله ابن ماجد ! لقد بات ! النجوم خمسين حولا ، حتى تخيلها الفته لها ومرافقتها في أسفاره الـ كائنات حية ، تحزن لفراقه ، وتشكوه لـ اذا ما هجرها قال في القصيدة «الذهـ

إلا فمن حر لفقدي ترلرلت
فلا شك أفلاك السما بالكواكب
من بات يرعاهن خمسين حجة
على طلب عاف الكرى في الغياهب
قال في قصيدة أخرى
هدي النجوم اشتكت مني لخالقها
تقول هذا جفانا في تنخوده
قد كان يوصلنا طول الزمان وقد
كانت منافعنا جماً على يده
ويعاف النجم قياسه اذا ما مات ، لأنه
لن يجد من بعده من يجيد قياسه مثله . قال
في «المكيّة»
إذا مت عاف النجم بعدي قياسه
ولي تشهد الرائيتين النوادر
وحصر قياسات النجوم القريبة من الأفق
يهتدي بها سالك البحر المحيط
حصرت نجوم الأفق في البحر هاديا
بها سالك البحر المحيط المعظم
ودعا بالهلاك على من لا يهتدي بقياسات
النجوم ، وأنكر نسبته اليه ، وتبرأ من
صحبته . قال في «الذهبية»
عدمت الذى لا يهتدي بقياسها
ولا هو من قومي ولا ذاك صاحبي
ولقد هداه طول تأمله في النجوم الى
ابتداع قياسات جديدة لم تكن معروفة من
قبل ، وهذب كثيرا من القياسات الشائعة بين
بحارة عصره . لكن حساده من الربابنة ،
ينكرون فضله في تهذيب وتطوير القياسات ،
قال في «الذهبية»
كشفت جميع البحر مع جملة السما
فإن مت فلا حي يعد كغائب [8]
فياعجبا يا قوم والحق أبيض
وقد بلغ السيل الربا والهواضب

أينكر افعالي وقولي جماعة
مسوّدة والعار شر العواقب
فهبوا أنكم حسادنا فتأملوا
لما هو ماض من سيوف قواضب

القيـــاس

المسافة بين النجم وخط الأفق استفاد البحارة منها في تحديد مواقع الأماكن من رؤوس ، وبنادر ، وأخوار وغيرها ، وسموها ، أعني المسافة ، أي ارتفاع النجم ، قياسا . وكانوا يقيسونها في بادىء الأمر - كما يبدو - بالبنانة العادية . قال ابن ماجد في «المكيّة»

أصابع سبعا قستهم بأناملي
وينقص ربعا ليس فيه مكاثر
وقال في قصيدة أخرى
ومن قاس في جاه أربع سماكة
فخمس يراه من اناملة العشر

يقول من قاس ارتفاع نجم (السِّماك الرامح) عندما يكون ارتفاع نجم (الجاه) أربع أصابع فسيرى قياس السماك خمس أصابع من أصابعه العشر .

والقياس بالبنان ظل مستعملا ، حتى عهد قريب جدا ، عند بعض بحارة المحيط الهندي ، ويعرفون عند البحارة الذين يستعملون قياس ميل الشمس عن دائرة خط الاستواء - كما أخبرني أحد المسنين من الربابنة - بأهل التبنين [9] .

لكن مقدار البنانة أو الإصبع العادية يختلف بالطبع ، من شخص لآخر ، تبعا لاختلاف حجم كفّ كل منهما ، لذلك اتفق علماء الملاحة في المحيط الهندي ، من عرب وهنود وغيرهم ، على جعل مقدار الاصبع ربع (دبّان) ، وجعلوا مقدار (الدبّان) من الشطب ، أي الشقوق ، التي في راحة الكف

اليمنى ، والتى تلي مباشرة الأصابع ، الى ما يقابل منتصف ظفر الخنصر (١٠) . فهذا القدر من الكف يساوي اربع بنان ، أي (دبان) (١١)

وبموجب (الدبان)قدروا أطوال عيدان القياس ، اي العيدان التى يقيسون بها ارتفاع النجم عن خط الأفق ، وهي عند ابن ماجد اثنا عشر عودا اربعة منها للقياسات المرتفعة ، من اثنتي عشرة بنانة الى تسع بنان ، وأربع للقياسات المعتدلة الارتفاع وهي من ثمان بنان الى خمس ، والأربع الأخيرة للقياسات المنخفضة القريبة من الأفق ويشترط ابن ماجد على القائس ان يجعل بين راس العود وأسفل النجم مقدار خيط كحد السكين ، ومثله بين خط الأفق وأسفل العود وان يمد يده بالعيدان الكبيرة ، قدر ما يستطيع ، بين عينه والمسافة التى بين النجم وخط الأفق وان يقصر يده ، قدر استطاعته ، بعيدان القياسات المنخفضة أما المعتدلة فيمد بها يده كالعادة (١٢) ويشترط عليه أيضا ان يغسل وجهه قبل القياس بالماء البارد ، وأن يغمض عينه اليسرى ويفتح اليمنى ، وأن يكون سليم النظر ، وان يمد يده اليمنى بالعود ، وأن يجلس القرفصاء على صدر المركب وأن يكون الجو صافيا عند القياس ، بحيث يستطيع تمييز صفحة الماء من صفحة السماء وألا يقيس في ضوء القمر الباهر (١٣)

ولا يزيد القياس على اثنتي عشرة بنانة ، فإذا ارتفع النجم على هذا القدر من البنان ، يؤخذ قياس غيره من النجوم القريبة من الأفق وأصح القياسات هي قياسات النجوم المجاورة للقطبين ، لأنها بطيئة السير ، وأضعفها قياسات النجوم المجاورة للمشرق والمغرب ، لأن نجومها سريـ السير (١٤)

ولا يعني ارتفاع النجم ارتفاعه النا عن دوران الأرض ، وإنما ارتفاعه باقترا منه ، اذا كنت تسير نحوه ، وانخفاض بابتعادك عنه إذا كنت تسير نحو النجـ المقابلة له

القياسات الأصلية

هي القياسات التى جعلوها عروض للبلدان البحرية ، وهي بالطبع أصح وا من عروض البلدان ، المقدرة بالدرج المعروفة في كتب الجغرافيا فالبحار معلوماته الجغرافية ، يختلف تماما ع الجغرافي التقليدي ، فهذا يتعامل نظريا م المادة الجغرافية ، أما البحار فإن طبي عمله تفرض عليه أن يعرف بالممارسة صفا تضاريس الساحل الدقيقة ، وأعماق بحـ وطبيعة قاعه فأدنى خطأ في معلوما الجغرافية قد يؤدي الى هلاكه كذلك إذا يكن قياس عرض المكان الذى يقصـ صحيحا تجاوزه أو قصر عن بلوغه ، فيوا حينئذ المتاعب والمصاعب وقد يوا المخاطر ، إن كان البحر حوله خطرا

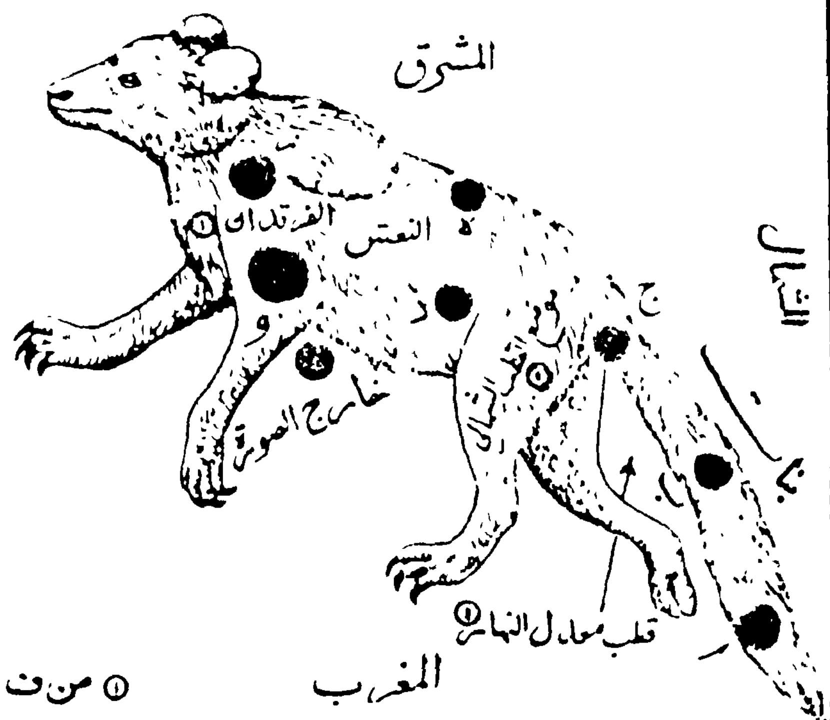
والقياسات الأصلية ثلاثة قياس نـ القطب الشمالي ، المعروف عند البحا بـ «الجاه» ، وهو أحد نجوم «الدب الأصغـ التى تسميها العرب (بنات نعـ الصغرى) وقياس (الفرقدين) ، وهـ الكوكبان النيران من كوكبة (الد الأصغر) ويشبه ابن ماجد صورة هـ الكوكبة بحرف اللام ، ويمثل الفرقدان عـ اللام ويمكن مشاهدة هذه الصـ بسهولة في الجانب الشمالي ، وهي تدور حـ مركز القطب الشمالي ، ونجم الجاه أ

نجوم التى تمثل الخط المستقيم من حرف لام أما القياس الثالث فهو قياس لنعش» الخامس والسادس من نجوم بنات نعش الكبرى) أو (الدب الأكبر) نجوم هذه الصورة يمكن تمييزها أيضا بسهولة من بين نجوم الجانب الشمالي أربعة منها على شكل مربع يمثل جسم الدب ، وثلاثة تمثل ذنب الدب ، أسفل المربع وهي أعلى من صورة الدب الأصغر (١)

ويبدأ قياس نجم (الجاه) عاليا من ارتفاع احدى عشرة اصبعا ، وهو عرض رأس (الحد) بالطرف الجنوبي الشرقي من عُمان ويقاس نجم (الجاه) وبقية نجوم القياسات الأصلية ، وقت استقلال منزله (الصرفة) ، أي عند وقوفها في منتصف السماء ثم يتناقص قياس النجم تدريجيا نحو الجنوب الى ان يصير إصبعا واحدة ، اى ان نجم الجاه يكون حينئذ مرتفعا عن خط الأفق بمقدار ساية . ويكون ارتفاع الفرقدين حينئذ ايضا ثمان أصابع وهذا القياس ، أعني قياس اصبع لنجم الجاه وثمان اصابع للفرقدين هو عند سليمان المهري ، قياس حريرة (كنديكل) أول جزر (ديبة المهل) (مالديف حاليا) وراس حريرة (سمطره) (سمطرى) ، و(السيف الطويل) من ساحل الصومال الشرقي (١)



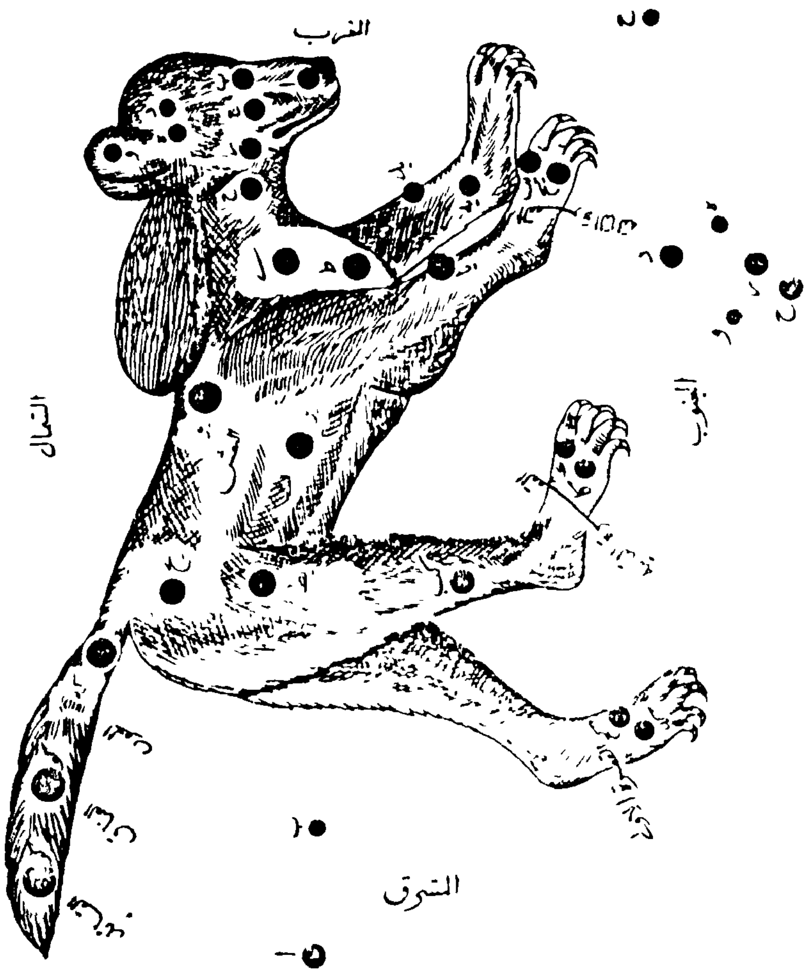
صورة الدب الأصغر على ما ترى في السماء



لمعرفة الوضع الصحيح لنجوم هذه الصورة في السماء اجعل الصورة بوضع أفقي فوق الراس بحيث يكون شمالها مواجها للشمال وجنوبها نحو الجنوب

(صورة الكواكب لأبي الحسين الصوفي)

صورة الدب الأكبر على ما ترى في السماء



لمعرفة الوضع الصحيح لنجوم هذه الصورة في السماء اجعل الصورة بوضع أفقي فوق الرأس بحيث يكون شمالها نحو الشمال وجنوبها نحو الجنوب

ويؤخد قياس (الفرقدين) بدلاً من قياس (الجاه) في البحار الجنوبية التي لا يري فيها نجم (الجاه) ويتناقص كذلك قياس (الفرقدين) إذا ابتعدنا عنه نحو الجنوب، ويكون ارتفاعهما عند خط الاستواء - كما قال ابن ماجد - خمس أصابع ( )، أي أن خط الاستواء، عندهم، على عرض خمس بان بقياس الفرقدين فإذا تابعنا السير نحو الجنوب حتى نرى (الفرقدين) على إرتفاع إصبع عن خط الافق عند الجزيرة (الخضراء)بجوار ساحل شرقى افريقيا الجنوبية، او جزيرة (تـوس) بشرقي جزيرة(جاوه) ويختفى الفرقدان بعدهما الى الجنوب

فناخذ بعدهما، إذا استمررنا في السير نحو الجنوب،قياس (النعش) الخامس والسادس من نجوم(بنات نعش الكبرى) (الدب الأكبر)، وارتفاعهما عن خط الأفق هناك، الى الجنوب من الجزيرة (الخضراء) او جزيرة(توس) اثنتا عشرة إصبعا وستمر في قياسهما الى ان يصبح ارتفاعهما عن خط الأفق مقدار اصبع واحدة وهو قياس جنوبى (سفالة) وجزيرة (مدغشقر)

فجملة أصابع قياسات العرض من (رأس الحد) شمالاً إلى جنوبي جزيرة (مدغشقر) هي ثلاثون إصبعاً

الجاه	١١
الفرقدان	٧
النعش	١٢
	٣٠

والاصبع تقدر بدرجة وخمسة اسباع الدرجة [١٧] فتصير الثلاثين الاصبع باحدى وخمسين درجة، وثلاثة أسباع الدرجة

ويقاس نجم (الجاه) وهو على ارتفا اثنتي عشرة بانة، وهو غاية قياسه عادة عند البحارة، أما داخل الخليج العربي والبحـ الشمالي من البحر الأحمر، حيث ارتفاع نـ (الجاه) اكثر من ثلاث عشرة اصبعـ فيقيسون النجوم الجنوبية

ولابد لقياس نجم من شاهد يضبط وقـ قياسه، والشاهد يكون بقياس نجم اخر بعـ في جانب بعيد عنه، وباستقلال احـ المنازل، فلو اننا قسنا أحد الكواكب عنـ طلوعه في الساعة الرابعة من فجر احـ الأيام، مثلا، فإننا نجده في مثل هذا الوقـ من الليلة التالية قد ارتفع عن المستوى الذي قسناه في الليلة الاولى، بسبب طلوعه قبل الوقت الذى طلع فيه في الليلة الاولى وهكذ يستمر في التقدم في طلوعه، حتى يطلع عنـ غروب الشمس بعد حوالى ستة اشهر. اما اذا قيدنا وقت قياسه بموقع نجم اخر، كان يكون بوسط السماء، او على جانبها في المشرق او المغرب فاننا نقيسه عندما يكون النجم الذى جعلناه شاهدا عليه في موقعه الصحيح، ولا يتغير الا وقت قياسه فإذا قسناه في الليلة الاولى في الساعة الرابعة فإننا نقيسه في الليلة التالية قبل هذا الوقت اي عندما يكون شاهده في موقعه الذي قسناه فيه في الليلة الاولى [١٨]

وتختلف قياسات بعض عروض البلدان البحرية عند البحارة العرب عن قياساتهم عند البحارة الهنود، بمختلف طوائفهم الا ان الاختلاف لا يزيد على اصبع واحدة وغالباً، ما يكون الاختلاف بينها بنصف اصبع، ويرجع سليمان المهرى سبب

حتلاف في القياسات بوجه عام الى (١٩)
الاختلاف في حجم عود القياس من حيث
طول والقصر
النقل الفاسد، كالنقل عن شخص قليل
عرفة بعلم البحر

فساد القياس المنقول عنه
الغلط في فهم اللغة كنقل العربي عن
هندي او العكس

ولم يستعمل البحارة الاسطرلاب، والربع
حيث (٢) في قياس النجوم، لأن القياس
ما يحسب بالدرج وليس بالأصابع فابن
حد يقول في «السفالية» انه قاس نجمي
هيْل والعيّوق في سدر (زنجبار) بشرقي
ريقيا، بالاسطرلاب فوجد قياسهما ٣٩
حة

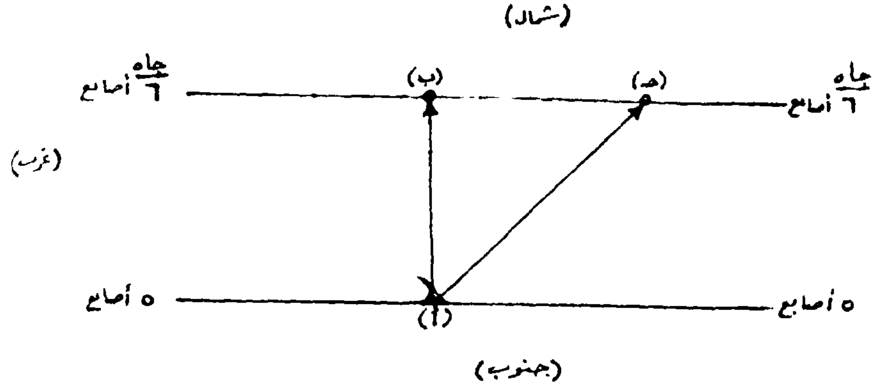
سريانيين لهم حساب
قد قستهم هناك بالاسطرلاب
انوا بها هناك تسع زوايده
على الثلاثين درجة بالقاعدة

اما طريقة القياس بواسطة قطعة العظم
العود المثقوب التي يحركها القائس عند
قياس على عُقد الخيط الذي يخترق
عظمة، والتي وصفها الملاح التركي
شهور (سيد علي ريّس) فلا نجد لها ذكراً،
ند ابن ماجد، وسليمان المهري (٢١) ولعلها
ندى الطرق القديمة، وتقوم العقد مقام
اصابع، وتبدأ من (الدبان) وتنتهي بالثنتي
شرة اصبعاً
خط طول واحد

مسافة الاصبع العرضية

تختلف هذه المسافة باختلاف اتجاهاتها فاذا كنت، مثلاً، تقصد مكاناً عرضه ست أصابع، أي أن ارتفاع نجم (الجاه) عنده ست اصابع، وقت استقلال منزلة (الصرفة) وكنت انت في مكان عرضه، بقياس نجم (الجاه) ايضا، خمس اصابع، بفارق اصبع واحدة بينهما، وكانا على خط طول واحد، بحيث تصل اليه بالجري في خط مستقيم نحو الشمال، فانك تقطع مسافة الاصبع الفارقة بين عرض مكانك وعرضه في ثمانية ازوام، واذا كان الفرق بين العرضين اصبعين فانك تقطعهما على حسابهم، في ستة عشر زاما وقس على ذلك، وتسمى هذه الأزوام ازواماً قياسية، وحسابية، وهي تختلف عن الازوام الزمنية العادية، التي يقدر الواحد منها بثلاث ساعات، والتي يسميها ابن ماجد أزوام (الخُمّة) (٢٢) لكن اذا كان المكان الذي تقصده منحرفاً عن خط طول مكانك، يميناً او شمالا، فإنك تقطع مسافة الاصبع الفارقة بين العرضين بجري اكثر من ثمانية أزوام وهكذا كلما ازداد انحراف المكان المقصود، اي كلما ازداد طوله بعداً عن طول مكانك، ازداد طول مسافة الاصبع العرضية بينهما، كما نرى في الشكل التوضيحي التالي (٢٣)

وتعرف مسافة الإصبع العرضية عندهم بـ (التِّرفة) والبحارة في عدد ازوامها مختلفون وسنشرح سبب هذا الاختلاف في موضع آخر إن شاء الله



(أ) و (ب) يقطع المركب مسافة الاصبع بينهما في ثمانية ازوام لأنهما في خط طول واحد
(أ) و (حـ) مسافة الاصبع بينهما يقطعها المركب في ستة عشر زاماً لانحراف (حـ) عن خط طول (أ) بخمس واربعين درجة وهو اتجاه خن مطلع العيوق

قياس سرعة المركب

كما استفاد البحارة من المسافة بين خط الأفق وموقع احد نجوم القياسات الأصلية ، أي مقدار ارتفاعه عن خط الأفق من البنان ، في تحديد عروض البلدان ، كذلك استفادوا من ارتفاع النجم الذي أمام صدر المركب ، وانخفاض الذي خلف عجزه ، في تقدير سرعته وما قطعه من الأزوام قال ابن ماجد في الفصل العاشر من أرجوزة «الحاوية»(٢٤)

وإن ترى نجمان قد استقلا
عن حسبة القياس لا تتخلا
عن خطئة اثناعشر اصبع
وهم على قطية المشبع
فقسهما وقس بعجز المركب
نجماً وقيد ثم اجر واكتب
وكلما غاص نجيم الثفر
اصبع محقق أيها المسافر
لأنّ مركبك قطع ثمانية
ازوام لم تنقص بل هي وافية
اما الذي قيّدت في القطية
بحالة إفتهم الوصيّة(

يقول إن رأيت نجمين قد استقلا ، ا
ارتفعا على جانبي سطح مؤخرة المركب ،
تتخلى عن أدوات القياس ، عن عود اثن
عشرة بنانة ، فقسهما ، على قطية المركب
وانت على القطية أحد جانبي سطح مؤ
المركب المعروف بـ(البيّم) عند بحارة الخ
العربي وعند بحارة حضرم
بـ(الشتري) ثم قس ارتفاع النجم المقا
لعجز المركب ، أي خلف مؤخرته تما
وقيّد قياس النجمين المقابلين لقطية المر
ليكون شاهدا على وقت قياسك للنجم الم
لثفر المركب أي مؤخرته فاذا رأيت نجم ا
قد هبط مقدار بنانه عن مستواه الذي ق
في الليلة الأولى فاعلم ان مركبك قد

تقطعها في ستة ، والتقيل في عشرة».[٢٧]

(مدركة) و(صوقرة) بساحل بلاد العرب الجنوبي التابع لعمان ، وقياس عرض راس (صوقرة) ثمان أصابع بقياس نجم الجاه وعرض (مدركة) تسع أصابع ، الفرق بين عرضيهما اصبع واحدة ، يقطعها المركب - كما قال ابن ماجد - في ستة عشر راماً قياسياً أو حسابياً لأن (مدركة) تقع في اتجاه مطلع حن أو نجم (العَيُّوق) عن (صوقرة) ، على بعد خمس واربعين درجة إلى الشرق عن حن او نجم (الجاه)[٢٨] الذي يطابق خط طول (مدركة) والإصبع في اتجاه مطلع أو مغيب العيوق يقطعها المركب ، على حسابهم ، في ستة عشر راماً حسابياً (انظر الشكل التوضيحي السابق) لكن هذه المسافة يقطعها المركب العادي في ثمانية أروام عرفية ، اي في اربع وعشرين ساعة (٣×٨=٢٤) ، والمركب السريع يقطعها في ستة أروام ، والمركب الثقيل البطيء السير يقطعها في عشرة أروام عرفية وعلى هذا يمكن ان يقطع المركب ، المعتدل السرعة ، الثمانية الأروام القياسية في اربعة أروام عرفية أو - كما يسميها ابن ماجد - أروام (حُمَة)[٢٩]

السفر في ليالي الغيوم

في بعض الرحلات الطويلة يحدث أن يواجه البحار ليالي تحتجب فيها النجوم بالغيوم فلا يرى منها شيئاً فبماذا كان يهتدي في مثل هذه الليالي ؟ سؤال نجد الجواب عنه عند ابن ماجد في أرجوزته «الملعقية» التي يصف فيها الرحلة من (كليكوت) ، اهم موانيء (المليبار) بساحل

...انية أروام أما القياس الذي قيدته وانت ...ي قطية المركب فيبقى كما قيدته في الليلة ...ولى فإذا قست ارتفاعهما عشر بناب ، ...ثلاً ، في الليلة الأولى ، فقس النجم الذي ...لف عجز المركب في الوقت الذي يكون فيه ...ياس كل من النجمين المقابلين للقطية عشر ...ان كل ليلة فيصير قياسهما ضابطاً لوقت ...ياس نجم التفر ويعطي ابن ماجد ...ستقلال النجم معنى ارتفاعه إلى حد اثنتي ...شرة بنانة ، وهذا الحد يصل إلى منتصف ...جانب المقابل لوجه من ينظر إلى الأفق ، من ...لسماء تقريباً

وابن ماجد هنا استعمل قياس النجم ...ذي خلف المركب ، وهذا القياس يتناقص ...لما ابتعد المركب عنه ، بخلاف قياس النجم ...ذي أمام صدر المركب ، الذي يزداد ...زدياد اقتراب المركب منه والإصبع ...تحتسب ، في حالة زيادة القياس أو ...قصانه ، بثمانية أروام فإذا استعملت ...ياس النجم الذي أمام صدر المركب فإن كل ...صبع تزيد في قياسه تحتسب بمثابة أروام ...ثل قياس نجم التفر[٢٦] ولا بد من ساهد ...ضبط وقت قياس النجم الذي أمام المركب ...رحلفه وذلك بتقييد قياس نجم آخر أو ...جمين

والزام القياسي أو الاصطلاحي يحتسب ...مشي المركب بأي ريح كان ، ضعيفاً كان أو ...وياً» أما الزام العرفي الزمني فيحسب ...مشي «المركب بريح غامر معتدل» أي بريح ...معتدلة القوة (التحمة) إلّا ان الزام العرفي ...أكثر من الزام القياسي «لأن من (مَدْرَكَةْ) إلى ...صَوْقرة) ستة عشر زاماً ، وربما يقطعها ...لمركب في أقل من ثمانية أزوام ، والنادرة

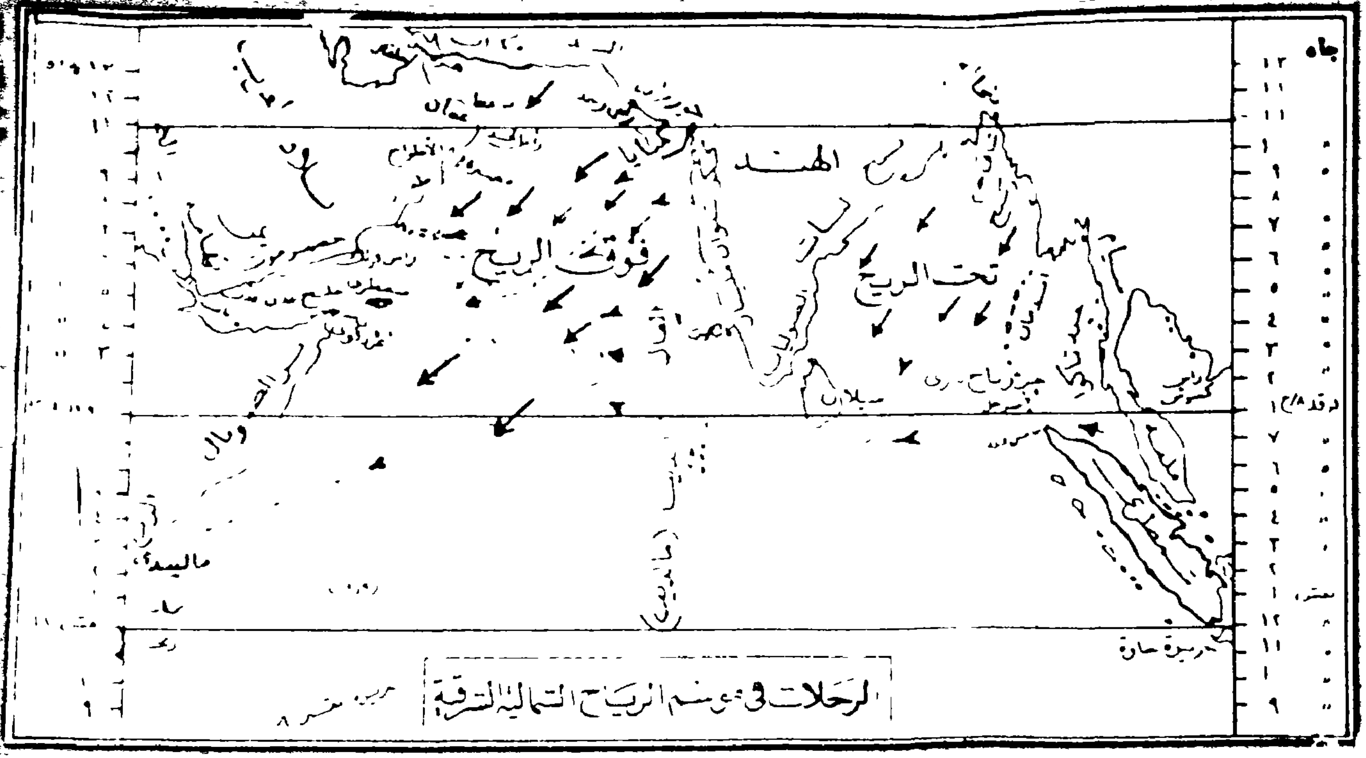
الهند العربي ، إلى (ملقه) او (ملعقة) بشبه حريرة ملقا (مليريا حاليا) . في موسم (الدامايي) . الايام الاخيرة من موسم الرياح التجارية الجنوبية العربية ففي هذا الموسم يستمر غالبا احتجاب النجوم بالغيوم في أغلب ليالي هذه الرحلة ، خاصة من (كليكوت) إلى حرر (بال باري) . إلى الشمال العربي من حريرة (سمطرى) لذلك نجد ان ماجد يستعمل عدد الأروام التي تستغرقها الرحلة ، والمجربة لدى البحارة ، كضابط لطول الرحلة قال

لكن ارواممي لكم اساس
جعلتها خيرا من القياس
جعل الأروام بدلا من القياس في ضبط مسالك هذه الرحلة

خوفا من السحاب الدامايي
مع عدم القياس يارساس
وحملة الأروام من (كاليكوت) إلى (بال باري) حوالي مائة رام ، بثلاثة عشر يوماً تقضيها في مسالك هذه الرحلة ، وهذه الأروام مشهورة عند البحارة

فإن أروامك المذكورة
قريب مائة رام هي مشهورة
من صوب (كاليكوت) لـ(بال باري
ثلاث عشرة يوم في المجارى
وهناك علامات أخرى كان البحارة العرب يسترشدون بها في معرفة الطرق بالليل دون الاستعانة بالقياس إلاّ في حالات قليلة جداً ، كما يسترشدون بها في النهار أيضا ومن أهم هذه العلامات أعماق البحر ولونه ففي الرحلة من (ديو) بساحل (كجرات) ، الجزء الشمالي من ساحل الهند العربي ، إلى (شاتي جام) بساحل بنجالة (بنجلادش) نجد سليمان المهري يسق طريقه في عرض البحر من شرقي جزيرة (سيلان) إلى (ركنج) بساحل (بورما) ومن (ركنج) إلى (شاتي جام) ، أهم موانيء (بنجالة) قديما ، يهتد بأعماق البحر ولونه الى ان يصل الى (شاتي جام) قال ما معناه فإن كشفت (ركنج) فاجر في اتجاه جن مغيب (النعش) ، على عمقه خمسة وعشرون باعا ، فيأتي قد (هيوميوه)[٣] إلى يمينك ، وكن حذرا د الفست فإذا خلّفت الفشت مل قليلا ناحية البر ، واجر على ماء عمقه ستة ع باعا ، فتأتيك جزر (درديوه) إلى يمينك وا في مجراك فإذا خلّفت هذه الجزر اجر ماء اثني عشر باعا في اتجاه جن مغ النعش ، فتأتي إلى جوركنير[٣١] يقال (باكال) ، وبعده تقابلك خمسة رؤوس يحسبها من لا يعرفها جزرا وبعد الرؤو تأتيك عُنّة (مرقة) ، كلها سع واوساح[٣٢] تسمى (كوكرديو) ، وبعد ترى جزيرة (ربحليا) أمام صدر المر تماما ، وانت تجري في اتجاه مـ (النّعش) فإذا اقتربت من (ربحليا) مل عرض البحر قليلا لأن براسها الجنوبي (ماء ضحل) يبدو ماؤه مبيضا ، وترى جهة عرض البحر الماء مخضرا فمل ناحيته وعمق ماء مجراك يزداد قليلا الى ان يصير ثمانية عشر باعا أو سبعة باعاً[٣٣]

وهكذا يمضي سليمان المهري في و أعماق الطريق للمسافر من (ركنج) (شاتي جام) بالبحال



نشرت هذه الخريطة فى كتابى «الدليل البحرى عند العرب».

الهوامش

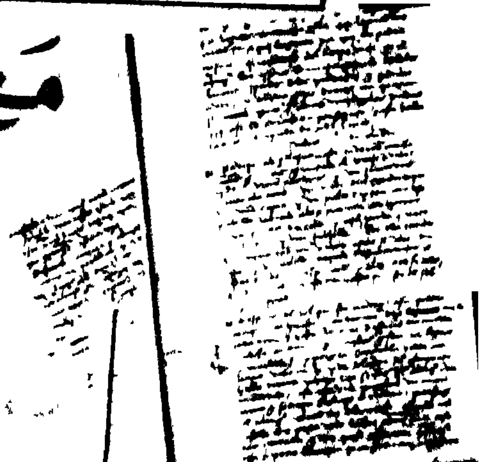
١ - المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج[١] ، ص٢١٠
٢ - ابو الحسين محمد بن احمد بن جبير ، الرحلة ، ص٥٨ (الطبعة الاولى) القاهرة
٣ - فنصور اهم ميناء بساحل جزيرة (سمطرى) الغربي
٤ - ريسوت ميناء بساحل بلاد العرب الجنوبي ، تابع لسلطنة عمان
٥ - الديدبان يسمى في ايام ابن ماجد (الفنجري) ، ومهمته تسلق عود الدقل الرئيسي ليستكشف ما في الافق حول المركب
٦ - بزرك شهريار عجائب الهند ، ص٩٠ - ٩٢
٧ - موضع النقط لفظة مصحفة ليست واضحة المعنى
٨ - في الأصل «يعد كفايت» وهو تصحيف واضح
٩ - اهل التَّبْنين اصحاب القياس ببنان اليدين ودلك بان يمد الواحد يديه جاعلاً بنان كفيه في وضع افقي امام عينيه ، بين النجم وخط الافق
١٠- انظر التفاصيل في كتابي «فن الملاحة عند العرب»
١١- شهاب الدين احمد بن ماجد ، كتاب الفوائد في اصول علم البحر والقواعد ، ص٢٦ ، ٢٧ (تحقيق خوري) دمشق ١٩٧١
١٢- نفس المصدر ، ص٦٠
١٣- نفس المصدر ، ص٢٣٦
١٤- سليمان بن احمد المهري ، شرح تحفة الفحول في تمهيد الاصول في اصول علم البحر ، ص ٩٧ (تحقيق خوري) دمشق ١٩٧٢
١٥- للمزيد من التفاصيل انظر كتاب «فن الملاحة عند العرب»
١٦- سليمان المهري ، المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر ، ص٤٩ (تحقيق خوري) دمشق ١٩٧٠
١٧- سليمان المهري ، شرح التحفة ، ص٦١
١٨- انظر «فن الملاحة عند العرب»
١٩- سليمان المهري ، شرح التحفة ، ص١٠٠ و١٠١
٢٠- انظر التفاصيل في «فن الملاحة عند العرب»

٢١ـ سيدي علي ريس) امير البحرية المصرية ، واحد علماء الملاحة البحرية ، له كتاب «المحيط» فرغ من تاليفه سنة ١٥٥٤م حطمت العاصفة اسطوله ، الذي قاده من البصرة ، على ساحل (كجرات) بالهند
٢٢ـ ابن ماجد ، الفوائد ، ص١٧١
٢٣ـ انظر التفاصيل في «فن الملاحة عند العرب»
٢٤ـ ابن ماجد ، ارجوزة «حاوية الاختصار في اصول علم البحار» في الف واثنين وثمانين بيتا ، فرغ من نظمها سنة ٨٦٦ هـ ، وهو في اول الشباب
٢٥ـ اسقاط في الشطر الثاني من البيت اخل بوزنه
٢٦ـ انظر كتاب «فن الملاحة عند العرب»
٢٧ـ ابن ماجد ، الفوائد ، ص١٧١
٢٨ـ انظر التفاصيل في «فن الملاحة عند العرب»
٢٩ـ ابن ماجد ، الفوائد ، ص١٧١
٣٠ـ الفشت قطعة مستوية ، في مستوى سطح البحر او تعلوه قليلاً ، من الرمل والحجارة الهشة (الحشا)
٣١ـ الحور لسان من البحر داخل في البر ، أو خليج صغير
٣٢ـ الشعاب صخور مرجانية والاوساخ يطلق على كل ما فيه خطورة على الملاحة من حجارة وعروق صخرية ونحوها
٣٣ـ سليمان المهري ، العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية ، ص١٨٦ ـ ١٨٧ ، (تحقيق خوري) دمشق ١٩٧٠

الوثيـــقة..
وأهميتها في الدراسات التاريخية

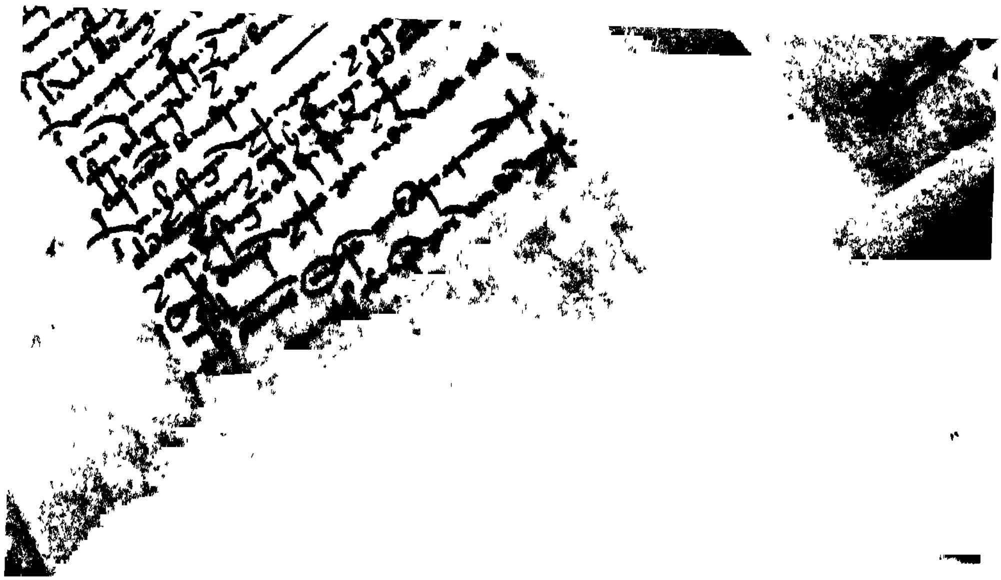
بقلم الدكتور سامي عبدالحافظ القيسي

مع دراسة لمختار
من المادة الوثائ
في مركز الشرق الأو
في جامعة أكسف





يهدف هذا البحث الى دراسة وتحليل معد
الشخصية التى تعود لعدد من الأفراد الد
مسئوليات مختلفة في الشرق الأوسط خلال الف
من عشرينات هذا القرن وحتى الخمسينيات
الأوراق الشخصية لها أهمية خاصة لأنها تكش
في حقل البحوث التاريخية أمورا لا يجدها
العامة التى اعتاد الباحثون مراجعتها في د
العامة



رغم الاختلاف بين الوثائقيين في تعريفهم للوثيقه فيمكن القول
تعني : «الوثيقة العامة المتعلقة باعمال جهاز اداري رسمي
غير رسمي - حكومي أو غير حكومي - أو فرد أو جماعة والتى
ي العمل منها بحيث يمكن الرجوع اليها مستقبلا عند الحاجة
فظ بطرق خاصة لغرض صيانتها والمحافظة عليها ولها قيمة
خية واهمية قانونية ومالية وادارية [1] .

على هذا الأساس لا يقتصر معنى الوثيقة على الأرشيف
قي الذى يشمل الرسائل والبيانات والتقارير والبرقيات
رائط والقصاصات الصحفية ، بل يتعداه ليشمل البرديات
قوق والأختام والنقود والتسجيلات الصوتية وغيرها من
د المسجل عليها أي نوع من النشاط حدث في وقت ما وتم
ظه ليشكل فيما بعد دورا مصدريا اصيلا في الدراسات
يخية التى لا يستغنى عنها الباحث . نظرا لما تقدمه الوثيقة
ف عنه من معلومات وتفاصيل تساعده في التوصل الى آراء
سيرات جديدة وفهم أعمق للأحداث التاريخية .

وهذا الأمر يعتمد بالأساس على المركز أو المكانة التى يتمتع بها كاتب الوثيقة أو مؤلفها سواء أكان اداريا أو سياسيا أو عسكريا أو اقتصاديا أو صحفيا بما يؤهله ذلك المركز الذى يشغله من حرية الاطلاع على بعض حيثيات الأحداث وتفاصيلها .

والحق يقال ان بعض الأكاديميين والباحثين يعلقون أهمية كبيرة جدا قد تصل أحيانا الى درجة المبالغة ـ على استخدام الوثائق وتوظيفها في البحث . حتى ان البعض منهم يرى أن البحث أو الدراسة قد تكون ضعيفة أو قليلة الشأن إن لم تكن قائمة المصادر تحتوى على عدد كبير من الوثائق لا سيما غير المنشور منها

ورغم ان هذا التوجه الوثائقي له أهميته الا انه لا يخلو من مخاطر فالثابت ان الوثيقة رغم ضرورتها وأهميتها فانها تفتقر الى جملة عناصر من البحث التاريخي منها انها مختصرة ولا تمثل الحقيقة كلها أحيانا ، فضلا عن إفتقارها الى عنصر التسلسل التاريخي للأحداث وانها تمثل أحيانا وجهة نظر شخصية

من هذه الزاوية بات من الضروري على الباحث في حقل التاريخ العربي الحديث والمعاصر ان يتعامل مع الوثائق بشكل حذر ، ويضع المعلومات التى تقدمها له الوثائق موضع المقارنة والدرس والتحليل ، مع ما يتوفر من معلومات تاريخية معتمدة في المصادر

وكتب المذكرات والوثائق الوطنـ والمخطوطات بهدف تشخيص مواطـ الضعف والتحيز والتعصب [٢]

الوثائق البريطانية ـ تاريخها وتطورها :

لقد أخذت الدول المتقدمة تتسا فيما بينها للاهتمام بالوثائق وحمع وصيانتها ودراستها وفهرستها وتسر وتأسيس المباني الفخمة لحفظها حت أصبحت مراكز دور الوثائق من المطا الحضارية التى تفخر بها الأ والشعوب وفي بريطانيا كانت الوثا موزعة هنا وهناك شأنها شأن الوثائق الدول الأوربية الأخرى ولكن حل عام ١٨٣٨ تأسس أول مركز للوثائق لندن بموجب قانون دار الوثائق العامة Public Record Office الذى تم بمو تجميع كافة المواد الوثائقية المتفر ووضعها تحت إشراف كبير القضا Master Of The Rolls [٣]

وفي سنة ١٨٥١ وضع حجر الأسا لبناية خاصة كانت بمثابة مركز وط للوثائق العامة في بريطانيا نقلت اليه الم الوثائقية بعد تحديد نوعها بمو القانون وقد بلغت تكاليف البناء في حـ ما يقرب من ٨٨٤٩٠ جنيها استرليد

وتقرر أن يكون مركز الوثائق مستـ وليس تابعا لأي وزارة وان يهتم بوثائق الحكومة المركزية وثانيا بالوثـ المحلية والخاصة .

وفي عام ١٨٨٨ تأسست في بريط

جمعية الوثائق البريطانية The British Records Societ التى لعبت دورا مميرا في تعرير الاهتمام بالوثائق والعمل الجاد على تأسيس وانشاء دور خاصة لها مع تأكيد الاستمرار في العناية بها

وفي الربع الثاني من القرن العشرين ازداد الاهتمام بصورة أكثر فأكثر بالوثائق الاقليمية المحلية Local وكان من نتائج ذلك تكاثر مراكز الوثائق وانتشارها أما في المناطق التى لا توجد فيها مراكز أو دور للوثائق فان المكتبات عوضت عن ذلك كما ان الوثائق والأوراق الشخصية كانت هي الأخرى موضع اهتمام وعناية الجهات الوثائقية المختصة (١)

وبمرور الأيام تضخمت وتعاظمت المادة الوثائقية وازداد العمل الوثائقي واتسعت حقوله وتضاعفت أعداد الباحثين في الملفات الوثائقية لذا أنشأت الحكومة البريطانية مركزا جديدا للوثائق في منطقة كيو جاردن Kew Garden نقلت اليه أكثر من مليون ونصف وثيقة واحد بتقديم خدماته للقراء والباحثين منذ حزيران ١٩٧٧

وهكذا شهدت فترة السبعينات والثمانينات من هذا القرن تطورا واضحا في الدراسات التاريخية الوثائقية لا سيما بعد ان وضعت الوثائق البريطانية التى تم الكشف رسميا عنها تحت تصرف الباحثين وفق أساليب متطورة في الاستعارة تعتمد على أساليب التكنولوجيا الحديثة والخدمة السريعة لذا توجه اهتمام الباحثين الأكاديميين الى تحديد دراساتهم وفقا للأقطار في الوثائق الأجنبية خلال فترة تاريخية محددة وقد حظيت أقطار الوطن العربي بمجال أوسع في مثل هذه الدراسات الوثائقية التخصصية وكان البعض منها قد ترجم الى اللغة العربية فأضاف الى المكتبة العربية اضافات جديدة (٢)

وثائق مركز الشرق الأوسط في جامعة اوكسفورد :

الى جانب دار الوثائق العامة في لندن (P R O) تتوفر في الجامعات البريطانية كجامعة اوكسفورد وجامعة درهام وجامعة اكستر مراكز دراسية متخصصة عن الشرق الأوسط تحتوى مكتباتها على مادة وثائقية مهمة (٣)

وفي جامعة اوكسفورد يوجد مركز الشرق الأوسط The Middle East Centre التابع الى كلية سانت أنطوني St Antony College الذى تحتوى مكتبته على مجموعة وثائقية متنوعة تغطي فترات زمنية مختلفة ان موضوعات تلك الوثائق مهمة جدا بالنسبة للمؤرخ إذ تتعلق أغلبها بالأمور الاقتصادية والسياسية والاجتماعية أما لغة الوثائق فهي الانكليزية عدا بعض الوثائق العربية

ومن ضمن هذه المجموعة الوثائقية سجلات وفايلات لأوراق شخصية Private Papers فريدة في نوعها تعود الى أناس كانوا يشغلون في يوم من الأيام

مراكز ووظائف مختلفة في بلدان الوطن العـربي في فترة مـا بين الحـربين العالميتين وبدلا من ضياع وتلف هذه الأوراق قام ورثتهم بايداعها في مركز الشرق الأوسط لحفظها أولا ولجعلها تحت تصرف الباحثين ثانيا

من هذه الوثائق أوراق تعود الى قادة بريطانيين شغلوا وظيفة مندوب سام كهربرت صمويل والسير الن كنحهام وديكسون وغوردون ومايلز لامبسون وأوراق أخرى لأناس كانوا قناصل وخبراء أراضي كالسير أرنست داوسن في العراق وادواردس في مصر ورجال شرطة وأمن وكمارك كأدموندز والمس بيل وكروري وديدس وأوراق أخرى تركها بعض من اشتغل في تخطيط بعض المدن العربية وأصحاب شركات ونشاطات اقتصادية وأطباء ورؤساء لجان الاشراف على التشكيلات العسكرية في بعض البلدان العربية

وفضلا عما تقدم فهناك أوراق تعود لبعثات تبشيرية اشتغلت في المنطقة العـربية بين الحربين ومذكـرات لصحفيين ومثقفين عرب وأجانب وكذلك أوراق أخرى على شكل مراسلات تعود الى الملك فيصل الأول مـع بعض البريطانيين وأوراق أخرى تتضمن جانبا من نهاية عهد الملكية في مصر وسقوط الملك فاروق

ان هذه الأوراق موزعة على فايلات ومرتبة بشكل بسيط غير معقد اعتمادا على الحروف وطبقا لنظام يعتمد على استخدام الكارت الذى يحتوي عل تفاصيل تخص المؤلف والموضوع أم النظم والأساليب المتبعة في المركز فتمتا بوضوحها وسهولتها فضلا عن توف القـوائم والكتشـافـات التفصيليـ للمحموعات المحفوظة لديهم

وفيما يلي دراسة لمختارات من هد المادة الوثائقية علها تفيد الباحث المؤر المهتم بدراسة تاريخ الوطن العربـ الحديث والمعاصر وكذلك لتسهم ؛ تسليط الضوء على ان الباحث رع اعتماده على الوثائق الموجودة في دا الوثائق العامة (P R O) فانه لا يستغد عن الوثائق الموجودة في المراكز الأخر إتماما للفـائدة واستكمـالا لمتطلبا البحث

١ ـ أدمسون ، ريتشارد

Adamson, Richard

في أوراقه الخاصة تفاصيل وحـ النظر البريطانية فيما يتعلق بمحاك بعض العناصر الوطنية التى ساهمت ثورة ١٩١٩ في مصر وكذلك تفاصيل ؛ الـوضع الأمني في القـدس حـلا المظاهرات التى حصلت أثنـاء ع الفصح عام ١٩٢٠

٢ ـ اللنبي ، السير أدموند

Allenby, Sir Edmund

تـرك اللنبي في أوراقه الخـاه تفاصيل تخص الحملة الى فلسطين ؛ التى قـادها عـام ١٩١٧ نمـا ومقتبسات من رسائل شخصية زوجته تتعلق باحتـلال حلب ١٨

وزيارته الى اسطنبول في شباط ١٩١٩ كذلك احتوت أوراقه الشخصية على رسائل وتقارير كتبها أناس كانوا شهود عيان للفترة نفسها منها مثلا رسائل من هـ. شوفيل ورسائل الى السير هربرت صموئيل ١٩٢٠ - ١٩٢٥ ورسالة الى السير و هيتر مؤرخة في ١٩٢٤/٥/٦ حول سعد زغلول فضلا عن رسائل استلمها من ويفل و ح ديلاني حول كتاب ويفل المعنون «اللنبي في مصر»

٣ - مشروع الأرشيف الانجلو - فلسطيني

Anglo- Palistine Archives Projec

يحتوي هذا المشروع على (١٢) مجلداً من الفايلات والسجلات التى تتضمن مراسلات مختلفة مع أشخاص ومؤسسات متعددة كذلك احتوت سجلات هذا المشروع على دليل مطبوع وعلى قائمة بالمصادر تتعلق بالمؤسسات والهيئات منها هيئة الوثائق الانكلو - فلسطينية ومحاضر لاجتماعات مختلفة

٤ - أنطونيوس ، جورج

Antonius, George

ترك أنطونيوس في أوراقه الخاصة تقارير عن فلسطين ولبنان ومصر وسوريا والعراق للفترة من ١٩٣٠ - ١٩٣٩ كان انطونيوس قد جمعها وأضاف اليها بعض الملاحظات عن قضية طه حسين عام ١٩٣٢ وجمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده

٥ - عارف ، العارف

Aref El- Aref

اشتملت اوراقه الخاصة على يوميات مكتوبة باللغة العربية من ضمنها يوميات عن عمان غطت الفترة ١٩٢٦ - ١٩٢٨ وكذلك يوميات عن الأحداث في غزة للفترة من تموز ١٩٣٩ الى حزيران ١٩٤٠

٦ - تصريح بلفور

Balfour Declaration

نسبة الى آرثر جيمس بلفور وزير الخارجية البريطاني الذى اشتهر بوعده المتضمن «اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين» وفي هذه السجلات توجد رسائل وتقارير وملاحظات متنوعة لها علاقة بموضوع وعد بلفور وكيف صدر وما هي آثاره

٧ - باربور ، نيفل

Barbour, Nevill

احتوت أوراقه الخاصة على نسخ من مقالات ونشرات اذاعية حول الشرق الأوسط وشمال افريقيا وكذلك مواضيع أخرى متعددة حول الصهيونية ونشاطاتها تعطي الفترة من ١٩٣٦ - ١٩٦٣ مع ترجمة باللغة الانجليزية لجزء من مذكرات صدقي باشا

٨ - بارنج ، إفلين

Baring, Evelyn (I st Earl of Cromer

في أوراقه الشخصية مسودة لرسالة كتبها كرومر الى الملكة فيكتوريا مؤرخة يوم ١٩٠١/١/١٤ ورسائل أخرى كتبها الى ميشيل - اسز تاريخها ١٩٠٧/٤/٢٠ ورسالتان الى هاري بويل مؤرختان يوم ١٠/٥ و١٩١٤/١٠/١٠ تتضمنان مناقشة لامكانية اثارة العرب

للقيام بثورة ضد الأتراك

٩ ـ بيل ، جرترود

Bell, Gertrude

احتوت أوراق المس بيل على يوميات لرحلتها الى حائل من كانون الثاني الى مارس ١٩١٤ ورسائل الى همفري بومان ١٩٢٠ ـ ١٩٢٥ والى اللورد اللنبي بتاريخ ١٩٢٠/٥/١٣ كذلك توجد ضمن أوراقها الشخصية أوراق لمحاضرة عنوانها «جرترود بيل في الشرق الأوسط» الا ان مؤلف هذه المحاضرة وتاريخها مجهولان وفضلا عن ذلك توجد ضمن أوراقها مجموعة تركها و سي دوبكين عنوانها رسائل جرترود بيل (نيوكاسل ١٩٦٦)

١٠ ـ بنتوج ، نورمان

Bentwich, Norman

احتوت أوراقه الشخصية على رسائل في اللغتين العربية والانكليزية تسلمها خلال خدمته مستشارا قانونيا في حكومة فلسطين ١٩٢١ ـ ١٩٢٩ كذلك فان هناك أوراقا أخرى تتعلق بالادارة القانونية في العراق وفلسطين في ظل الانتداب البريطاني فضلا عن أوراق أخرى تتعلق بالمهمات والأعمال التي انيطت به في اثيوبيا عام ١٩٤٣ وأخرى لها علاقة بادعاءات اثيوبيا في اريتريا والصومال

١١ ـ بلينكينسوب ، ف ، و ، ج

Blenkinsop, F.W.G.

في أوراقه الخاصة مذكرة تتضمن بعض الأفكار عن الصراع العربي ـ الصهيوني مؤرخة في ١٩٤٤/١١/١

١٢ ـ بليث ، ي

Blythe, Miss E.

في مجموعة المس بليث أور شخصية تتعلق بالاسقف بليث وتتعـ الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى و ضمنها كتاب عنوانه

...e All Highest Goes To Jerusalem (london, 1918) وفي هذا الكتاب يومي تصف زيارة الامبراطور الألماني ..ا الثاني الى الأراضي المقدسة كذلك هذه الأوراق الشخصية مناقشات لبعـ دورات مجلس اللوردات وملاحظـ وبيانات سياسية الخ حول فلسـ للفترة ١٩٢٠ ـ ١٩٢٩ مع قصاصـ صحفية

١٣ ـ بووين ، هـ سي

Bowen, H.C.

في أوراقه الشخصية مخطوط لمحاضرات عددها ست حول الو العربي في شمال افريقيا واسبا مصادر لتاريخ المسلمين في أوربا وأو تعطي جوانب متعددة في التا الاسلامي وكذلك ملاحظات حول تا الامبراطورية العثمانية

١٤ ـ بومان ، هـ ي

Bowman, H.E.

يوميات تشمل الفترة الممتدة ١٩٠٣ ـ ١٩٤٩ ومن ضمنها يوميات مصر للفترة ١٩٠٣ ـ ١٩١١ ، السو ١٩١١ ـ ١٩١٤ ، العراق ١٩١٨ ١٩٢٠ ، فلسطين ١٩٢١ ـ ١٩٣٧

رسائل شخصية أرسلت له من السير
وغ بيل والسير رنتورر خلال الفترة
١٩١ ـ ١٩٥٤ تعيينه مديرا للتعليم
العراق ١٩١٧ ـ ١٩٢٠ عروض
تعيينه في وزارة التربية المصرية للفترة
١٩١٩ ـ ١٩٢٠ مراسلات مع
الحكومة المصرية ١٩٢٢ ـ ١٩٢٥
تضمن التوقيعات التقاعدية ، اللجنة
الملكية الفلسطينية في التعليم متفرقات
تضمن أوراقا مختلفة ورسائل شخصية
لى والديه كذلك محاضرات عن الجنرال
كوردن وعروض لكتب مختلفة ومراسلات
مع المندوب السامي البريطاني في
فلسطين ١٩٣٤ ـ ١٩٣٦

١٥ ـ بويل ، هاري

Boyle, Harry

مراسلات مع زوجته وأمه للفترة من ١٨٨٤ ـ ١٩٢٣ ومتفرقات تشمل أوراقا شخصية ورسائل الى اللورد ريبيل تاريخها ١٩٠٢/١٠/١١ و١٩٠٧/٤/٢١ كذلك مذكرة يرجع تاريخها الى ١٩٠٥ حول الخلفيات التاريخية للاحتلال البريطاني لمصر مذكرة دبلوماسية سرية أرسلها الى السير كري تاريخها ١٩٠٨/٨/١٦ ، مهمة ملنر ، ١٩٢١ رسائل ومذكرة

١٦ ـ برود هيرست ر جى سى

Broadhurst, Brig R.j.c

أوراق مختلفة تتضمن معلومات مفيدة عن الكمارك ومسائل مختلفة تتعلق بقضايا النفط في مصر ١٨٨٦ ـ ١٨٨٧

يوميات مخطوطة من قبل عضو في الكتيبة الايرلندية الملكية حول حملة النيل لسنة ١٨٨٩ مع قصاصات مختلفة لمعلومات عن الفترة تتضمن تقارير في كيفية التغلب على التهريب والمهربين نتيجة خدمات حراس الساحل المصري للفترة ١٨٨٩ ـ ١٨٩٠

١٧ ـ برونتون ، سي دي

Brunton, Capt. c.d.

احتوت أوراقه الشخصية على مطبوعة «من هو في دمشق لعام ١٩١٩» كذلك أوراق مختلفة عن الوضع السياسي في فلسطين للفترة ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ مقترحات «للقوة الاحتياطية» في الاردن تاريخها ١٩٢٠/٩/١١ مقالة بقلم و ذات عنوانها «بدايات الفيلق العربي» وهو مستل من مجلة دراسات الشرق الأوسط

١٨ ـ كافيراتا ، ر او

Cafferata, Col.R.O.

نسخ مصورة من مقتطفات الصحف وملاحظات عن حياة الكولونيل كافيراتا حول «الشرطة في فلسطين ١٩٢٢ ـ ١٩٤٨»

١٩ ـ جانسيلور ، السير جون

Chancellor, Sir John

من أوراقه الخاصة تصريح تاريخه ١٩٢٩/٩/١ له علاقة بأحداث حائط المبكى في فلسطين وهذا التصريح نسخه بالعربية والانكليزية والعبرية .

٢٠ ـ تشيتهام ، السير ملن

Cheetham, Sir Milne

تحتوي مجموعة أوراقه الخاصة على رسائل شخصية وبرقيات الى السير ا نيكلسون ، السير لويس ماليت ، السير الدون غورست واللورد كتشنر وجميعها تدور «حول السياسة البريطانية في مصر ١٩١٠ ـ ١٩١٤» كذلك هناك رسائل من ر س باترسون ، السير ر غراهام ، اللورد اللنبي وملنر وهي تتعلق بمصر وتشمل الفترة ١٩١٩ ـ ١٩٢٠

٢١ ـ كلايتون ، السير جلبرت

Clayton, Sir Gilbert F.

من أوراقه الشخصية نسخة مصورة لرسالة بعثها الى السير ر ويكيت يعود تاريخها الى ٣/٨/١٩١٦ تتعلق بأحوال القاهرة حينذاك

٢٢ ـ كلايتون ، التايد ن

Claton, Bri. Iltyd N.

اشتملت أوراقه الشخصية على مذكرات كتبها الميجر بوربري حول حصار الكومة فلسطين أوراق رسمية (من وعد بلفور الى ١٩٣٩) مجلدة بغلاف قوي أوراق متنوعة تشتمل اجزاء من مذكرات الى عام ١٩٢٩ نسخة من مقال كتبه البرت حوراني عنوانه «بريطانيا العظمى والقومية العربية» عام ١٩٤٣ مقال عنوانه «مستقبل فلسطين» مع المراسلات المتعلقة بالموضوع عن فلسطين للفترة من عام ١٩٤٤ وما بعدها مقالات عن لبنان بقلم حاريس مالك عام ١٩٤٤ مقال بقلم موسى العلمي عن مشروع استصلاح الأراضي مع المراسلات المتعلقة بعام ١٩٤٦ مخطوطة مطبوعة بقلم السـ حلبرت كلايتون عنوانها «يوميات كلايتون في مهمة الى ابن سعود» كذلك هناك مخطوطة مطبوعة الا انها مجهولة المؤلف عنوانها خلفيات أعمال المر البريطاني في مصر»

٢٣ ـ كوركيل ، دكتور ن ل

Corkill, Dr. N.L.

تضمنت أوراقه الشخصية مقالا وأوراقا مختلفة عن أوضاع الصحة ايران ، أبوظبي ، المملكة العربية السعودية وكذلك بعض القبائل البدوية كذلك بعض الملاحظات عن الاحوال الصحية لدى قبائل شرقي عدن للفترة ١٩٢٧ ـ ١٩٦٤ مسح اقتصادي التغذية في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في ربيع ١٩٥١

٢٤ ـ كورنواليس ، السير كنهان

Cornwallis, Sir Kinhan

ترك كورنواليس رسالة مؤرخة ب ١٧/٥/١٩٣٩ الى اللورد ويفل مد فيها الحديث الذي حصل بين فيه واللنبي في دمشق بتاريخ ٣/١٠/١٩١٨ كذلك ترك تفاص الصلاة التأبينية التي أقيمت في لندن الاطاحة بنوري السعيد عام ١٩٥٨

٢٥ ـ كرين ، تشارلز ر

Crane, Charles R.

نسخ مصورة لرسائل مختلفة أرس اليه من البلاد العربية تعود الى شتاء ١٩٢٦ ١٩٢٧ ، مع مقتطفات يوميات جدة عام ١٩٣١

٢٦ ـ كروسمان ، ر هـ اس

Crossman, R.H.S

من أوراقه الخاصة فايلات ومقتطفات رسائل ومسودات الخ حول تفاصيل مهمة لجنة التحقيق الانجلو ـ امريكية لـ Unscop لأعوام ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧ ما تبع ذلك من تفاصيل تتعلق بالاعتراف «باسرائيل» كما احتوت مجموعته على (١٣) رسالة خاصة ارسلت الى المسز ريتا كروسمان من فلسطين ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧ ومن ضمنها رسالة الزيارة التى قام بها الى حاييم ايزمان

٢٧ ـ كرودي ، جى دي

Crowdy, J.D

اربع رسائل تركها كرودي على شكل كتاب أشبه باليوميات عن خدماته خلال الحملة البريطانية على العراق خلال اعوام ١٩١٦ ـ ١٩١٨

٢٨ ـ كننجهام ، السير الن

Cunningham,Sir Alan

ترك في أوراقه الخاصة مجموعة من البرقيات والأوراق الرسمية عن الفترة التى خدم فيها مندوبا ساميا في فلسطين لاشد فترات تاريخها تداخلا ١٩٤٥ ـ ١٩٤٨

٢٩ ـ ديدس ، ويندهام

Deedes, Wyndham

الامبراطورية العثمانية وفلسطين يبدو انه مشروع كتاب احتوى على رسائل عديدة أرسلها الى دويه وصح فيها تفاصيل عن خدمته في الخدرمة العثمانية ، حملة عاليبرلى ، حملة فلسطين كذلك من أوراقه الخاصة مجموعة من رسائل حول خدمته مديرا للأمن في مصر ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ ، ورسائل اخرى عن خدمته في فلسطين ١٩٢٠ ـ ١٩٢٣ وما تبع ذلك من علاقاته بالصهاينة وبالحركة الصهيونية

٣٠ ـ ديلاني ، جيرالد

Delany, Gerald

من أوراقه الخاصة مجموعة ملاحظات تركها عن مساهمات جي سي سيندر في التسوية المصرية عام ١٩٢١ وملاحظات أخرى عن اللورد لويد وسعد زغلول والنقراشي باشا مخطوطة الفصل الأخير بكتاب اليجود ب تاريخ مصر Elgood's History Of Egypt وقد كتب هذا الفصل خلال الحرب العالمية الثانية باللغة العربية مذكرة حول الوطنية والمسائل المتعلقة بالمسكلة الزراعية في مصر مقال في جريدة Spectator تاريخه ١٩٤٥/٣/٢ حول اغتيال أحمد ماهر باشا

كذلك ترك ضمن أوراقه رسائل من ويفل حول كتابه عن اللورد اللنبي ورسائل من ابن ويفل عن حياة أبيه اللورد ويفل ورسالة الى اللورد ويفل الأصغر يعود تاريخها الى ١٩٥٣/٧/٢٧ حول الأوضاع السياسية في مصر خلال مسئولية ويفل قائدا لقوات الحلفاء مقره في القاهرة خلال الحرب العالمية الثانية

٣١ ـ ديكسون ، هـ ر ب

Diekson H.R.P.

ترك ديكسون رسائل عديدة تضمنت معلومات مختلفة منها الحملة البريطانية

في العراق ، عمليات سوق التسويخ ، التهدئة في المنتفك ١٩١٨ - ١٩١٩ ، العراق ١٩١٧ - ١٩١٩ وحوادث الناصرية للفترة نفسها اوضاع الادارة والخدمات في ولاية البصرة وبغداد التقارير الادارية للوكالة السياسية في الكويت خلال اعوام ١٩١٨ - ١٩١٩ ، ١٩٢١ - ١٩٣٢ البحرين يوميات عن مهمته في البحرين ١٩١٩ - ١٩٢٢ رسائل شخصية ذات طابع سياسي عن العراق ومنطقة الخليج العربي أرسلت الى الهند خلال العشرينات ومن ضمنها رسائل الى السير ب كوكس ، ا ت ويلسون ، فيلبي ، برترام توماس تقارير من الحملة ١٩٢١ - ١٩٢٢ اوراق تخص مؤتمر العقير ١٩٢٢ الكويت والصحراء ، مقالات ومقتطفات صحفية ١٩٣١ - ١٩٤٨ الكويت ، التجهيزات التجارية ١٩٣٢ - مختصر تقارير الاستخبارات في الكويت لعام ١٩٣٤ من الشهر ٢ - الى الشهر ٤ ، الشهر ١٠ - الى الشهر ١٢ ، عام ١٩٣٥ كامل ، عام ١٩٣٦ - الشهر الأول فقط يوميات الكويت ١٩٣٧ - ١٩٥٨ الكويت والمملكة العربية السعودية والمملكة المتحدة تشمل مجموعة تفاصيل تتضمن المعاهدات والمؤتمرات وملاحظات عن الحدود العراقية - الكويتية

٣٢ - ديكسون ، جون

Dickson, John

مراسلات مختلفة للفترة من ١٨٧٦ - ١٩١٦ مع جرترود بيل وآخرين حول مواضيع تتعلق بالرحلات والآثار يوميات خلال عمله قنصلا في دمشق ١٨٨٢ - ١٨٨٨ ورسائل عائل تتضمن معلومات عندما كان قنصلا عا في القدس ١٨٩٢ - ١٩٠٦ ومتفرقا لرسائل اخرى من قنصليات بيروت دمشق والقدس خلال الفترة ١٨٩٠ ١٩٠٠

٣٣ - داوسن ، السير ارنست

Dowson, Sir Ernest

رسالة الى ف م ادوارد حو موضوع ضرائب الأراضي في فلسط مؤرخة في ٢٥ ايلول ١٩٣٧

٣٤ - ادموندز ، سي جي

Admonds, C.J.

من اوراقه الشخصية رسائل مختل تتضمن تفاصيل عن خدمته في العرا للفترة ١٩١٥ - ١٩٤٥» وأوراقا اخر خلال مسئوليته مفتشا اداريا ١٩٢٢ ١٩٢٤ وضابط ارتباط خلال عمل اللج الدولية للتحقيق في مسألة الموص ١٩٢٥ - ١٩٢٦

٣٥ - فاروق ، ملك مصر السابق

Farouk, Ex- King

نسخ من نشرة أخبار الامبراطو Empire News للفترات التالية ٢ ١٩ ، ٢٦ شهر تشرين الأول ، ٢ ، ٩ ، ٦ ٢٣ ، ٣٠ شهر تشرين الثاني ، ٧ ، ٤ ٢١ ، ٢٨ كانون الأول ١٩٥٢ وكذ ٤ ، ١١ كانون الثاني ١٩٥٣ جميع النسخ من النشرة تحتوى على معلوم تتعلق بسقوط الملك فاروق وانتهاء ملك

٣٦ - فيصل - ملك العراق السابق

Feisal, (King Of Ira

اوراق محتلفة ومن صمنها تقارير ستحبارية كتبت بالعربية والانكليزية عطي الفترات ١٩١٦ ـ ١٩٣٩ ، ١٩٤ ، ١٩٣٩ ، ١٩٤١ ١٩٦٥ ـ راسلات مع الحبرال عورو ، اللورد لنبي في حزيران ١٩١٨ وفي لندن ١٩١٩/١

٣' ـ فوستر ، ترنر ، و

Foster- Turner, W

من أوراقه الحاصة بيانات واوراق عن حطيط المدن والحدمات العامة في لسطين ١٩٣٣ ـ ١٩٤٦

٣ ـ غوردون ، الجنرال سي جي

Gordon, Gen. C. G

اوراق متنوعة تشتمل على رسائل من لسودان والتى تعطي الفترة ١٨٧٤ ـ ١٨٨ وواحدة من هذه الرسائل بعثها ن ماساوه في ١٨٧٩ يصف فيها زيارته لامبراطور حون امبراطور اتيوبيا كذلك اوراقه دراسة عن حياته كتبها ف ي ريسى فصلا عن ٣٤ رسالة بعثها وردون بفسه الى المستر فريسي ١٨٧٤ ـ ١٨٨ هناك أيضا محطوطة (رسالة) عتها الى أخيه من السودان تاريحها ١٨٧٨/١٢/١١ يشير فيها الى طموحات حديو مصر في اتيوبيا والصومال

٣٩ ـ كري ـ مكنزي وشركاه المتحدة

Cray, Mackenzie & Co

وثائق محتلفة حول الملاحة البحارية في دحلة والفرات ووثائق آخرى تحص متيار طريق طهران دزفول ١٨٨٢ ـ ١٦٢:

٤٠ ـ كيرني ، السير هنري

Curney, Sir Henry

«ملحق فلسطين» يشتمل على وثائق للأيام الأخيرة للانتداب (من صمنها يوميات تشمل الفترة من ٣/١٥ ـ ١٩٤٨/٥/١٣)

٤١ ـ هينيج ، ليوتانت جنرال ر هـ

Haining, Lt. R.H.

برقيات رسمية حول العمليات العسكرية نفذت من قبل القوات البريطانية في كل من فلسطين وشرقي الاردن حلال فترة قيادة الجنرال هيننج من ١٩٣٨/٤/١ ـ ١٩٣٩/٧٧/٣٠ القدس حلال عام ١٩٣٩ وقصاصات صحفية عن الفترة نفسها ورسالة من مالكولم ماكدونالد

٤٢ ـ هينسي ، إيه اس ف

Hennessey, A.S.F.

ترك صمن اوراقه الشخصية تفاصيل رحلته الى الرياض مرافقا للجنة التحقيق الانجلو ـ امريكية حول فلسطين عام ١٩٤٦

٤٣ ـ هربرت ، ميرفين

Herbert, Mervyn

في أوراقه الحاصة يوميات تعطى فترة خدمته في القاهرة ١٨٨٧ ـ ١٩٢٣ ومن صمنها جرنال ـ الأول يحص الفترة ١٩١٢ ـ ١٩١٧ كذلك رسالة تاريخها ١٩٢٥/١١/٢٠ من اللورد لويد حول انطباعه الأول كسفير الى القاهرة

٤٤ ـ هوجارت ، د جي

Hogarth, D.G.

ملاحظات ورسائل وبيانات تغطي

الفترة ١٨٩٧ ـ ١٩٢١ بعثها الى امه وروجته وابنه دكر فيها دراسة عن بعض الشخصيات متل المس بيل ، لورنس ت ا كذلك ضمن أوراقه رسالة بعثها لورنس نفسه الى اس هوجارث تاريخها يعود الى ١٩٢٨

٤٥ ـ هولدين ، اندرو

Holden, Andrew

في أوراقه بيانات وتفاصيل تؤرخ للفترة التى كان يعمل فيها لدى الحكومة المصرية ١٩٠٧ ـ ١٩٥٢ تتضمن تحميات لضريبة الارض ومحاولات شراء الأراضي في أبي قير وضمان اعتماد لمشاريع الري والزراعة وبعض الموضوعات عن الحركة الوطنية المصرية

٤٦ ـ هولمس ، ر جي

Holmes, R. J

عدن مراسلات وتقارير وبيانات عن بعض القضايا ١٩٤٢ ـ ١٩٦٧ أوراق حول المؤتمر الانحلو ـ يمني ١٩٥٠ مراسلات محلس ميزانية شرق افريقيا ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ مراسلات ومذكرات حول التطور الدستوري في الامارات العربية المتحدة ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢ بريطانيا والجنوب العربي مخطوطة لكتاب عن التاريخ الدستوري والقانوني للجنوب العربي يشمل الفترة التى سبقت الاستقلال وهو يقع في ٢٤٨ ص

٤٧ ـ هورنسبي ، السير برترام

Hornsby, Sir Bertram

أوراق حول خدماته الحربية في مصر ١٩١٥ ـ ١٩١٩ مخطوطة مجهولة المؤلف والأرجح ان كاتبها مصري يبتـ فيها المسودة التى وضعها السير بريباني حول الاصلاح الدستوري مصر والتى وضعت عام ١٩١٨ العلاقات الانجلو ـ مصرية خلال مدّ اللورد اللنبي واللورد لويد مواضـ اقتصادية ومالية مختلفة لسـ ١٩٢٢ ـ ١٩٢٣ مسودة لمخطو مجهولة المؤلف (بيد كاتب بريطا ينتقد فيها الحكومة البريطانية حـ مباحثات المعاهدة ١٩٢٩ ـ ٩٣٠ مشروع رهن عقارات فلسطين ٩٣٣ أوراق حول عمل وطبيعة البنك الوطني مصر وعلاقته مع الحكومة المصرية ـ ١٩٣٩

٤٨ ـ إنجرامس ، وليم هارولد

Ingrams, William Harold :

تقرير حول مؤتمر القاهـ ١٩٢١ متنوعات أوراق حول المـ وحضرموت خلال الثلاثينيات الستينيات مختصر تقارير الاستخبار (عدن) ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ مختـ تقارير الاستخبارات (حضرموت ١ ـ ١٤٤ (١٩٣٧ ـ ١٩٤٠) مختـ تقارير الاستخبارات (شرقى عد ١٩٤١ ـ ١٩٤٤ ملاحظات ، مقتطفـ صحف أوراق ورسائل ، برقيات عن ـ خلال الفترة من الأربعينيات الستينيات مقال حول التركيب الـ والولاءات في اليمن كتب عام ٦٥ لأغراض استخدامات وزارة الخار البريطانية (F O)

٤٩ ـ جاردن ، ليونيل

Jardine, Lionel

حملــة الفــرات (بعثــة الفــرات
ستكشافية) نسخة من التعليمات الى
كولونيل حسني لندن ١٨٣٧
ارطة أخذت من الجيش التركي في
رمادي ١٩١٨ ، قراءة في الادارة المدنية
لاد مابين النهرين عام ١٩٢٠ وكذلك
راق متنوعة تتعلق بأحوال العراق
لال الحرب العالمية الأولي

٥ ـ القدس والبعثة الشرقية

Jerusalem & the East Missio

تتضمن هذه المجموعة الوثائقية
لفات وفايلات للفترة بين ١٨٤١ ـ
١٩٧ من ضمنها مواد عن فلسطين
سوريا والعراق والأردن وإيران والخليج
عربي ومصر والسودان وقبرص وشمالي
ريقيا ، مع مراسلات خاصة عن
وضع السياسي في فلسطين ١٩١٦ ـ
١٩٦

٥ ـ كيث ـ روتش ، ادوارد

Keith-Roach, Edward

تتضمن أوراقه نسخة من مخطوطة
طبوعة تقع في جزئين عنوانها باشوات
لقدس تعطي الفترة الواقعة بين عامي
١٩١ ـ ١٩٤٣ ، فضلاً عن مقتطفات
ات أهمية خاصة للفترة نفسها

٥٢ ـ كيون ـ بويد ، السرا

Keown - Boyd, Sir A.

اشتملت أوراقه على تفاصيل خدمته
السودان ومصر للفترة ١٩١٤ ، وكذلك
لفترة ١٩١٩ ـ ١٩٢٢ ومذكرة بين
يها رأيه عن إنتخابات مصر لعام
١٩٣ ، ورسائل متفرقة للفترة نيسان

١٩٥١ وتموز ١٩٥٣ وجميعها تتناول موضوع السياسة المصرية

٥٣ ـ كسلر ، ل مع جولدسمد ، كولونيل

Kessler, L. & Goldsmid, Col. A. :

تفاصيل مدونة في كتاب يبحث حول مدى امكانية أو عملية إسكان اليهود في سيناء ١٩٠٣

٥٤ ـ كنتش ، ادوارد الك

Kinch, Edward Alec :

ملاحظات عن سيرته الذاتية للفترة ١٨٩٦ ـ ١٩٥٨/٥٩ ومراسلات عندما كان مستشارا سياسيا في الموصل ، ومراسلات مع السر كنهان كورنواليس واخرين تعطي الفترة ١٩٤١ ـ ١٩٤٤

٥٥ ـ لامبسون ، مايلز ، و

Lampson, Miles W. .

كان مندوبا ساميا في مصر وترك يوميات احتوت على معلومات مهمة تعطي الفترة ١٩٣٤ ـ ١٩٥١

٥٦ ـ لورنس ، ت أ

Lawrence, T. E. :

في أوراق لورنس رسالة بعثها الى الكولونيل س ف نيوكمب ويعود تاريخها الى ١٩١٧/١/١٧ كذلك احتوت أوراقه على رسالة الى الشريف حسين ـ ملك الحجاز ـ تاريخها ١٩١٨/٦/٢٥ حول بعض التفاصيل التي تخص الثورة العربية نسخة من رسالة الى حي، و أ يونغ يرجع تاريخها الى شباط ١٩٢١ وفيها يعلق لورنس على مقاله لزيارته الى جدة رسالة من رنيل رود الى ليدل هارت تاريخها ١٩٥٤/٤/٥ تتعلق

بالعرض على لورنس لتولي سكرتارية بنك انكلترا

٥٧ ـ ليتشمان ، كولونيل جي

Leachman, Col. G. :

احتوت أوراق ليتشمان على يوميات للفترة ١٩٠٠ ـ ١٩٠٢ (حرب البوير) ، ١٩٠٤ (العراق وسوريا) ، يوميات بدون وجود تواريخ عليها تتعلق بالعراق

٥٨ ـ لي رى، هـ ج

Le Ray, H. G. :

تقارير سنوية لمدير المساحة ، فلسطين ، ١٩٢٠ ـ ١٩٣٩ مواد اخرى حول قوانين الأرض ، ضرائب الأرض ، وكذلك عن توزيع الاراضي في فلسطين خلال فترة الانتداب

٥٩ ـ لودر، جي، دي فيري

Loder, J. de Vere :

دفتر رسائل ويوميات عن حملات غاليبولي وفلسطين ، ١٩١٥ ـ ١٩١٨ ، ومذكرة لدراسة الشخصيات الأعضاء في المنظمة الصهيونية لعام ١٩١٨

٦٠ ـ ليوك، السر هاري سي

Luke, Sir Harry C. :

تتضمن أوراق ليوك يوميات تغطي الفترة ١٩٠٣ ـ ١٩٥٩ ومن ضمنها معلومات عن خدمته خلال الحرب العالمية الأولى في قبرص وفلسطين ورسائل حول النزاع على حائط المبكى عام ١٩٢٩ ملاحظات عن الجلسة ١٧ للجنة الانتداب الدائمة والتابعة لعصبة الأمم كذلك في أوراقه الخاصة بيانات ومذكرات ووريقات صغيرة تتعلق بفلسطين

(٩/٥/١٩٣٠) والوكالة اليهودية
wish Agency

٦١ ـ ماكليفري ، السر دونالد

Macgillivray, Sir Donald :

في أوراقه الخاصة بيانات محتل ومعلومات تغطي الفترة التي خدم فيها فلسطين ١٩٣٨ ـ ١٩٤٥ كذلك اور اخرى عن استمرار الثورة الفلسطي لعام ١٩٣٦ وعن فلسطين للفت (١٩٤٤ ـ ١٩٤٧) وعن الانسحـ البريطاني (١٩٤٧ ـ ١٩٤٨)

٦٢ ـ ميرتز هاجن ، كولونيل ر

Meinertzhagen Col. R. :

ترك في أوراقه الخاصة رسالة ب تاريخها الى ١٢/١/١٩٤٦ ارسلت لندمان ذكر فيها ان بلفور ولويد جو كانت لهما بعض الآراء المتعلقة بسيا تخص شرق الأردن ، إلا ان ه السياسة اعيدت صياغتها في مو القاهرة عام ١٩٢١

٦٣ ـ مونكتون ، ر ف ب

Monckton, R. F. P. :

اشتملت أوراقه الخاصة على بيـ ورسائل لفترة خدمته في كل من فلسـ وشرق الأردن ١٩١٧ ـ ١٩٢٥ ضمنها مواد عن الفترة السابقة لتد الأمير عبد الله في شرقي الأردن واحـ مدونة تخص شرقي الأردن كذلـ أوراقه ملاحظات حول أوراق سومـ ومراسلات مع مركز الوثائـ (اسرائيل) وقائمة بأسماء الضبـ حكومة فلسطين لعام ١٩٣٠ و

مراسلات لفترة الستينات

٦٤ - مونرو ، اليزابيث

Monroe, Elizabeth

تتضمن أوراقها الخاصة ترجمة بعض وثائق من الأرشيف القيصرى حول سقوط الامبراطورية العثمانية ١٩١٤ - ١٩١٥ ملاحظات حول المكتب العربي ١٩١٦ - ١٩١٩ كذلك في اوراقها الخاصة رسائل من سي جي ادموندز حول لجنة الموصل ، الاكراد المعاهدة العراقية - البريطانية لسنة ١٩٢٦ رسائل من فريا ستارك ٤/١١/١٩٤٣ - ١٨/٦/١٩٤٤ حول جوانب مهمتها الى الولايات المتحدة الامريكية ملاحظات حول السياسة البريطانية في فلسطين للفترة من ١٩٤٤ - ١٩٤٨ مع الاشارة خاصة الى ارنست بيفن «وزير الخارجية البريطانية عبدال» رسائل حول أوضاع الاردن ١٩٥١ - ١٩٥٥ الدعاية الناصرية في الخليج العربي ١٩٥٥ - ١٩٥٧ وتاثيرات ازمة السويس على السياسة العراقية رسائل حول التطورات في كل من إيران العراق خلال عام ١٩٥٧ ومذكرة حول المملكة العربية السعودية ١٩٧٠ - ١٩٧١ خارطة لسكة حديد الحجاز مواد حول الجهود المصرية لنشر الدعاية لمصر من خلال ارسال المدرسين والمندوبين المصريين الى الخارج

٦٥ - موت رادكليف ، تشارلس

Mott- Radclyffe, Charles

مذكرة حول وضع الجيش البريطاني في منطقة قناة السويس مع تقارير عن لقاءاته بكل من جمال عبد الناصر ومحمد نجيب في مايو ١٩٥٤

٦٦ - نالدر ، ال ف

Nalder, L. F. .

في اوراقه الخاصة ترجمة مع النص العربي لرسالتين بعثهما الأمير فيصل الى والده الشريف حسين خلال نهضة العرب وثورتهم الكبرى عام ١٩١٦

٦٧ - فلسطين مؤتمرات حول فلسطين

تفاصيل الاجتماعات التى عقدت بين الجانبين البريطاني - العربي للفترة من شباط الى ازار ١٩٣٩

٦٨ - بروں ، ستيورات

Perowne, Stewart :

تتضمن رسائله الشخصية رسائل الى عائلته تعطي فترة حياته العملية من ١٩١٣ - ١٩٤٧ ومن ضمنها اوراق خدمته الى اليزابيث مونرو مؤرخة في ٥/٨/١٩٧١ حول استخدام سكك حديد فلسطين للمواصلات مع حكومة فيشي الفرنسية في سوريا خلال الحرب العالمية الثانية

٦٩ - فيلبي ، هـ ست جي

Philby, H. St. J. :

مراسلات ومذكرات ويوميات لرحلات ومخطوطات مطبوعة وغير مطبوعة تشمل مواضيع متعددة تتعلق بالأردن والعراق وفلسطين والمملكة العربية السعودية وتعطي الفترة الواقعة بين ١٩١٥ - ١٩٥٧

٧٠ - روليام ، بريجدير سي دي

Ruilliam, Brig. C. D. :

رسائل وقصاصات مختلفة من النقراشي باشا ومس ليستر وآخرين كذلك رسائل وأوراق مختلفة تتعلق بمحاكمة وعقوبة الاعدام التي انزلت بحق رئيس الوزراء المصري السابق إبراهيم عبد الهادي (١٩٥٣)

٧١ ـ راپ ،السر توماس

Rapp, Sir Thomas :

تتضمن اوراقه الشخصية مذكرات غير مطبوعة تعطي فترة خدمته في مصر في منطقة قناة السويس ١٩٢٠ ـ ١٩٢٢ ، ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥ ، ١٩٥ ـ ١٩٥٣ . مصر ١٩٢٢ ـ ١٩٢٥ ، ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢ . الحجاز ١٩٢٤ ، المغرب ١٩٢٦ ـ ١٩٣٠ ، أذربيجان ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤

٧٢ ـ راندل ، السر جورج

Rendel Sir George. :

من ضمن أوراق راندل مذكرة كتبها عندما كان سكرتيرا أول في المفوضية البريطانية في أثينا في اليونان خلال الحرب العالمية الثانية عنوانها «ملاحظات حول مساهمات اليونان المقترحة خلال الحرب» كذلك بعض المقترحات لموضوع تعديلات في الحدود العراقية السورية ١٩٢٩ ـ ١٩٣١ وموضوع أخر حول المملكة العربية السعودية خلال فترة الثلاثينات ، ومسألة انتقال الوكالة البريطانية من بوشهر الى البحرين فضلاً عن موضوعات أخرى تتعلق بالكويت

٧٣ ـ رنتون ، ميجر جنرال ،جي م ل.

Renton Maj. Gen J. M. L. :

تتضمن اوراقه الخاصة مواد حول الآثوريين وقوات الليفي في العراق وكذ معلومات عن تطور الجيش العراق ١٩٣٥ ـ ١٩٥٤

٧٤ ـ رولات ، السر فردريك

Rowlatt, Sir Frederick :

في اوراقه الخاصة محاضر إجتم مع التجار البريطانيين في الاسكندر عام ١٨٦٤ مع خارطة للأضرار ال لحقت بالبيوت اثناء عمليات قصف مد الاسكندرية في عام ١٨٨٢ رسائل تعيينه نائبا للحكومة المصرية وح للبنك الوطني في مصر عام ٨٩٨ رسالتان من اللورد كرومر تاريخهما ١٩٠٦ مع نسخة مصورة لخارطة تو فيها الاحياء السكنية في الحر والقاهرة مع اسماء الساكنين واعما (١٩١٧)

٧٥ ـ صاموئيل ، هربرت

Samuel, Herbert L.:

معظم أوراق صاموئيل تد بفلسطين ومستقبلها ، وعد مكما للشريف حسين ، الصهيونية ومشار الاستيطانية في فلسطين ١١٤ ١٩٣٩ كذلك في أوراقه مراسلات اللورد كرزن وغيره حول مواضيع ت بالقومية العربية فضلا عن الا العربية المجاورة لفلسطين ، الفرنس في سوريا الح

٧٦ ـ سبيرس ، الميجر جنرال ، السر ا

Spears, Maj. Gen. Sir E.L. :

تشتمل أوراق سبيرس على موا متعددة منها على سبيل المثال وثائق مهمته في سوريا ولبنان ١٩٤١ ـ ٤

ن ضمنها مراسلات مع تسرتشل
ايدن محاضر ومذكرة حول اللجنة
سورية عام ١٩٤١ ومواد مختلفة حول
ازمة الدستورية في لبنان عام ١٩٤٣
لعلاقات البريطانية - الفرنسية في كل
ن سوريا ولبنان تسويات ما بعد
حرب ومواد حول فلسطين من ضمنها
واد عن لجنة التحقيق
انجلو - امريكية (١٩٤٦) وتقرير
كونت برنادوت الى هيئة الامم ١٩٤٨
راسلات شخصية مع الساسة العرب
ع الساسة العربيين حول فلسطين ،
صهيونية وشئون الشرق الاوسط بشكل
ام

٧ - سايكس ، السير مارك

Sykes, Sir Mark

اربع بكرات مايكروفيلم مع نسخ
صورة للوثائق المرقمة من ١ - ١٣٠
ستمل على مواد حول الثورة العربية
١٩١ - ١٩١٦ واتفاقية
سايكس - بيكو ١٩١٦ واحتلال بغداد
ام ١٩١٧ واتفاقيات تخص اسيا
صغرى ومواضيع اخرى عن
صهيونية والتسويات في فلسطين
١٩١ - ١٩١٩

٧ - تيجارت ، السر تشارلز

Tegart, Sir Charles

ان معظم أوراق تيجارت ذات طبيعة
سية منها تعليمات الدفاع عن فلسطين
١٩٣ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ وتعليمات
طواريء عام ١٩٣٦ ويوميات ١٩٣٧ -
١٩٣، أوراق حول الشرطة وشئون
لامن في فلسطين ١٩٣٧ - ١٩٣٩

مواد أخرى حول لجنة اللورد بيل ولجنة
وودهيد اوراق حول الثورة الفلسطينية
١٩٣٦ - ١٩٣٩ ومن ضمنها التقارير
اليومية للتحقيقات الجنائية حول الأحوال
العامة في المناطق الريفية وفي المدن وكذلك
مواد حول الجمعيات والاشخاص
البارزين

٧٩ - طيباوي ، عبد اللطيف

Tibawi, Abdul-Latif

رسالتان مطبوعتان من بطريارك
القدس وانطاكية (١٨٨٧) ، خارطة
الاقسام الادارية لسوريا (الكبرى)
١٩١٤ ، الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦
مع بيانات القاوقجي الاول والثالث
مجموعة مقالات ورسائل ومقتطفات
صحفية مع بيان عنوانه «مراسلات
حسين تويدي اوين مكماهون» او
«فلسطين كانت ضمن وعود بريطانيا عام
١٩١٥ المتعلقة باستقلال العرب ، يافا ،
١٩٣٩ تقرير حول التعليم في سوريا من
شباط ١٩٤١ الى تشرين الاول ١٩٤٥

٨٠ - تويدي ، أوين

Tweedy, Owen :

يوميات تغطي الفترة ١٩٢٦ - ١٩٥٢
وتشمل احوال مصر والشرق الأوسط
بشكل عام ١٩٢٦ - ١٩٢٧ ، ١٩٢٩ -
١٩٣٠ ، ١٩٣٠ - ١٩٣١ ، ١٩٥١ -
١٩٥٢ ، فلسطين ، قبرص ، اريتيريا ،
جدة ١٩٢٨ - ١٩٢٩ روسيا ، ١٩٣٣
المانيا

٨١ - وثائق الدبلوماسية الامريكية

U. S. Dept of State :

ملفات وزارة الخارجية الأمريكية

المتعلقة بالشؤون الداخلية في العراق ١٩٣٠ ـ ١٩٤٤ وهي في (١٨) مايكروفيلم

٨٢ ـ وترفيلد ، جوردون

Waterfield, Gordon :

نسخ من وثائق وزارة الخارجية البريطانية (F. O) تتضمن معلومات عن فارس ١٩٢٠ ـ ١٩٢٦ مصر ١٩٢٩ ـ ١٩٣٦ ، تركيا ١٩٣٣ ـ ١٩٣٨ ، إيطاليا ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠ ونسخا لرسائل عددها ست من جرترود بيل الى برسي لورين ١٩٢١ ـ ١٩٢٢

٨٣ ـ وينجت ، السر رونالد

Wingate, Sir Ronald :

التصريح البريطاني لكانون الاول ١٩١٤ والمتعلق بعزل خديو مصر وتاسيس الحماية البريطانية في مصر محاضرة عن خدماته للفترة بين ١٩١٧ ـ ١٩٢٢ في العراق وجنوب شرقي الجزيرة العربية اوراق عن خدمته في مسقط ١٩١٩ ـ ١٩٢٢ وفي العراق عام ١٩٢٠

٨٤ ـ ييل ، وليم

Yale, Willam :

مايكروفيلم ونسخ مصورة لتقارير من القاهرة والقدس ولندن التي تغطي الفترة بين عامي ١٩١٧ ـ ١٩١٨ وكذلك مؤتمر الصلح في باريس ١٩١٩ واوراق عن تعيينه في القاهرة ١٩١٧ رسالة من اللورد اللنبي تاريخها ١٩١٩/١/٢٨ ومقابلات في لندن ١٩١٩ ومراسلات تتعلق بفلسطين ١٩٢٠ ـ ١٩٥١ ومراسلات مع البرابيث مونرو خلال الستينات

٨٥ ـ يونج ، السر هيوبرت

Young, Sir Hubert :

رحلة عبر الامبراطورية العثمانـ ١٩١٣ واوراق حول خدماته في الشـ الاوسط ١٩١٧ ـ ١٩٣٢ وبشكل خاصـ في العراق وتشتمل ايضا على خدـ الاشراف ١٩١٧ ـ ١٩١٨ وبعضـ الاوراق حول مستقبل فلسطين

التعريف ببعض اصحاب الاورا الخاصة :

١ ـ ادمسون ، ريتشارد

رحل امن بريطاني استعر موسسات السلطة البريطانية في كل ـ مصر وفلسطين خلال عشرينات هـ القرن وقد عكس في اوراقه الخاصـ وجهة النظر البريطانية حيال الثو المصرية عام ١٩١٩ والثورة الفلسطيـ عام ١٩٢٠

٢ ـ اللنبي ، السر ادموند (١٨٦١ ١٩٣٦)

مارشال انجليزي قاد القوا البريطانية في كل من مصر وفلسطـ ١٩١٧ ـ ١٩١٨ وعين مندوبا ساميا مصر معاصرا لسعد زغلول

٣ ـ انطونيوس ، جورج

من المثقفين العرب ومن اصـ فلسطيني تولى سكرتارية الوفد العر في مؤتمر المائدة المستديرة الخـ بالقضية الفلسطينية عام ١٩٣٩

لفاته البارزة كتاب «يقظة العرب» الذي
حم وأعيد طبعه عدة مرات
- بلفور آرثر (١٨٤٨ - ١٩٣٠)
سياسي بريطاني تراس الوزارة
١٩ - ١٩٠٥ كان وزيرا للخارجية
١٩١ - ١٩١٧ اشتهر بوعده المشؤوم
-ي وعد فيه الصهاينة باقامة وطن
مي لليهود في فلسطين
- بارنور نيفل
إذاعي وصحافي بريطاني له مقالات
تعددة حول فلسطين وأطماع الحركة
صهيونية له كتاب مطبوع باللغة
لانكليزية عن تاريخ القضية الفلسطينية
نوانه Nisi Dominus Asurvey of the Palestine Controversy (London 1946)

- بيرنك ، إفلين
وهو اللورد كرومر الذي تحكم باحوال
صر في الفترة التي سبقت الحرب العالمية
لأولى

- بيل ، جرترود
اشتهرت بالمس بيل أصبحت في عام
١٩١ موظفة في المكتب العربي في
قاهرة بصفة مترجمة وعميلة للمخابرات
بريطانية وفي السنة التالية التحقت
لقوات البريطانية في العراق توفيت
ام ١٩٢٦ بعد أن لعبت دورا بارزا في
حوال العراق السياسية من مؤلفاتها
لمطبوعة

1 - Desert and the Snow (London 1907)

2 - The letters of Gertrude Bell (London, 1927)

٨ - ستوج ، نورمان
عمل مستشارا قانونيا لدى حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين للفترة ١٩٢١ - ١٩٢٩ ونقلت خدماته الى اثيوبيا خلال الحرب العالمية الثانية

٩ - بومان ، هـ ي
كان مسئولا عن أحوال التعليم في العراق خلال ١٩١٧ - ١٩٢٠ وقدم معلومات مهمة عن تطور التعليم في فلسطين الى لجان التحقيق التي كانت قد شكلت لدراسة عوامل الصراع على الأرض الفلسطينية

١٠ - كلايتون ، السر جلبرت

أصبح مندوبا ساميا في العراق في ازار ١٩٢٩ كان عضوا في مؤتمر جدة الذي عقد للنظر في العلاقات العراقية - السعودية كما انه إشتهر بنشاطاته الاستخبارية في المكتب العربي في القاهرة في بداية الحرب العالمية الأولى ، وأصبح فيما بعد ضابط الارتباط في الشام

١١ - كورنواليس ، السر كنهان
من خبراء بريطانيا في الشرق الأوسط ومن رجال وزارة الخارجية البريطانية البارزين عرف بعلاقاته غير الودية والمعادية لرجال ثورة مايو ولحكومة رشيد عالي

١٢ - كننجهام ، السر الن
أصبح مندوبا ساميا في فلسطين خلال ١٩٤٥ - ١٩٤٨ وفي أوراقه الخاصة معلومات مهمة عن القضية الفلسطينية والتحولات حولها خلال هذه الفترة

١٣ ـ ديدس ، ويندهام
أصبح مديراً للأمن في مصر ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ ثم إنتقل بعد ذلك الى فلسطين عام ١٩٢٠ ـ ١٩٢٣ وقد اشتهر بدعمه للصهيونية ولنشاطاتها العدائية

١٤ ـ ديلاني ، جيرالد
من رحال بريطانيا البارزين وخبرائها عن مصر في فترة مابين الحربين ترك أوراقا شخصية تضمنت معلومات مهمة عن مصر ورجالاتها

١٥ ـ ديكسون ، هـ ر ب
كانت خدماته تابعة الى حكومة الهند ترك تقارير ورسائل وبيانات غاية في الأهمية عن العراق ومدنه وعن بلدان الخليج العربي له كتاب مطبوع عنوانه
Kuwait and her Neighbours (London, 1968)

١٦ ـ داوسن ، السر أرنست
خبير الأراضي المشهور الذي درس موضوع ضرائب الأرض في فلسطين ، كما ترك كتابا مترجما عنوانه بحث في كيفية التصرف بالأراضي والمسائل المتعلقة بذلك (بغداد ، ١٩٣٢)

١٧ ـ شركة كري ـ مكنزي
شركة للملاحة إستأثرت بالملاحة في دجلة والفرات ولها فرع في البصرة وفي أوراق الشركة الخاصة معلومات تجارية وملاحية مهمة

١٨ ـ أدموندز ، سي جي
من رجال بريطانيا الذين شغلوا وظائف مهمة في العراق ولاسيما خدمته الطويلة مستشارا في وزارة الداخلية وكون علاقات متينة مع ساسة العرا ورجالاته وكانت لتقاريره عن أوضا العراق اهمية إستثنائية ، كما ترك بعد المؤلفات المطبوعة منها
...rds, Turks and Arabs, (London, ...57)

١٩ ـ هيننج ، ليوتانت جنرال هـ
قائد عسكري بريطاني خدم فلسطين وشرقي الأردن في الفتر الحرجة التي سبقت قيام الحرب العا الثانية وكانت لتقاريره العسكرية اه بالغة لدى أصحاب القرار في الوز البريطانية

٢٠ ـ هينني ، أ س ف.
خبير بريطاني ساهم مع ل التحقيق الانجلو ـ أمريكية د فلسطين عام ١٩٤٦

٢١ ـ هربرت ، ميرفين
من رجال وزارة المستعم البريطانية إشتغل في مصر وترك يوم مهمة عن أحوال مصر للفترة من ١٩١٢ ـ ١٩٢٣

٢٢ ـ هوجارت ، د جي
من العناصر البريطانية التي إشت في المكتب العربي في القاهرة خلال سن الحرب العالمية الأولى وكون علا وطيدة مع كثير من البريطانيين ا إشتغلوا في الشرق الأوسط في فترة ال العالمية الأولى كما ترك بعض المؤ المطبوعة منها

Arabia (Oxford 1922)

The Penetration of Arabia — a reco of the development of Western kno ledge concerning the Arabian Penins la (London, 1905)

٢٣ ـ هولدين ، آندرو

من خبراء الأرض الذين إشتغلوا في مصر وتعتبر نشاطاته مشابهة لاعمال مشاريع أرنست داوسن في العراق

٢٤ ـ هورنسبي ، السر برترام

خدم في مصر خلال اعوام ١٩١٥ ـ ١٩١٩ ولاسيما في الجهاز العسكري وقد ترك في أوراقه الخاصة معلومات مفيدة جداً عن الثورة المصرية لعام ١٩١٩ والعلاقات البريطانية المصرية خلال فترة اللورد اللنبي واللورد لويد

٢٥ ـ انجرامس ، وليم هارولد

ترك أوراقا مهمة عن أحوال اليمن وحضرموت وعدن غطت فترة الأربعينيات والخمسينيات والستينيات لأغراض استخدامات وزارة الخارجية البريطانية فضلا عن التقارير الاستخبارية للفترة من عام ١٩٣٥ ـ ١٩٤٤ وله كتاب مطبوع عنوانه Arabia & the Isles (London, 1943)

٢٦ ـ جاردن ، ليونيل

من خبراء الملاحة الذين عملوا ضمن بعثة الفرات الاستكشافية وقد ترك أوراقا احتوت على معلومات وبيانات مهمة عن العراق خلال الحرب العالمية الأولى بعنوان قراءة في الادارة المدنية لبلاد مابين النهرين عام ١٩٢٠

٢٧ ـ القدس والبعثة الشرقية

وهي بعثة تبشيرية لها فروع في بلدان الشرق الأوسط وفي أوراقها ملفات وسجلات وبيانات واحصاءات تغطي الفترة من ١٨٤١ الى ١٩٧٠ وتشمل البلدان التالية فلسطين وسوريا والعراق والأردن وإيران وبلدان الخليج العربي ومصر والسودان وقبرص

٢٨ ـ كيون ، بويد السر أ

من خبراء بريطانيا عن مصر وله عنها أوراق مهمة غطت فترات متفرقة ، لعل أبرزها تلك الرسائل للفترة من نيسان ١٩٥١ وتموز ١٩٥٣

٢٩ ـ لامبسون ، مايلز

من رجال وزارة الخارجية البريطانية المشهورين كان مندوباً سامياً في مصر خلال أحرج السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية وفي اثنائها وقد كان لتقاريره المستمرة الى وزارة الخارجية البريطانية أبلغ الأثر على توجيه السياسة البريطانية وعلى أصحاب القرار في الخارجية ولاسيما فيما يتعلق بموضوع القضية الفلسطينية وصدور الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩

٣٠ ـ لورنس ، ت أ

من رجال الاستخبارات البريطانية الذين لعبوا دورا مهماً قبيل الحرب العالمية الأولى وفي إثنائها وفي أوراقه الخاصة معلومات وبيانات مهمة عن الثورة العربية الكبرى ومن مؤلفاته المطبوعة Seven Pillars of Wisdom, (London, 1952)

٣١ ـ لي ري ، هـ ج
إشتغل لدى حكومة فلسطين خلال فترة العشريات والثلاثيات خبيرا في الاراضي والزراعة والمساحة وفي اوراقه معلومات مهمة عن مسكلة الأراضي في فلسطين خلال فترة الانتداب

٣٢ ـ لودر ، جي دي فيري
في اوراقة الخاصة معلومات عن فلسطين وعن الحركة الصهيونية ورحالاتها كما ان له كتابا مطبوعا عنوانه The truth about Mesopotamia, Palestine & Syria (London, 1923)

٣٣ ـ ليوك ، السر هاري سي
من رحال وزارة المستعمرات البريطانية إشتغل في قبرص وفلسطين والعراق في فترة مابين الحربين العالميتين كما انه ترك كتابا مطبوعا عن الموصل عنوانه Mosul and its Minorities (London, 1925)

٣٤ ـ ماكليفري ، السر دونالد
إشتغل لدى حكومة فلسطين ضمن ملاكات وزارة المستعمرات البريطانية وفي أوراقه الخاصة معلومات مهمة عن فلسطين لاسيما عن الثورة الفلسطينية لعام ١٩٣٦ وعن أوضاعها خلال أعوام ١٩٤٤ ـ ١٩٤٨

٣٥ ـ مينرتز هاكن ، كولونيل ر
عمل ضابطاً سياسياً في سوريا لجليبرت كلايتون خلال أعوام ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ . وله كتاب مطبوع عنوانه Middle East Diary 1917 — 1956 (New York, 1960)

٣٦ ـ مونرو ، اليزابيث
صحفية بريطانية وكاتبة متخصصة في شئون الشرق الأوسط ضمن ملاك جريدة التايمس البريطانية لها مؤلفات مطبوعة كما ان في أوراقها الخاصة معلومات مهمة عن العراق وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر والمملكة العربية السعودية خلال فترات الأربعينات والخمسينات والستينات

٣٧ ـ موت ، رادكليف ، تشارلز
عسكري بريطاني برتبة عالية ضمن التشكيلات البريطانية في منطقة قناة السويس في اوراقه الخاصة نقل الانطباعات التي تولدت لديه عندما قابل كلا من جمال عبد الناصر ومحمد نجيب في مايو ١٩٥٤

٣٨ ـ بالدر ، آل ف
من ملاك المقيمية البريطانية في بغداد في فترة الانتداب ١٩٢٠ ـ ١٩٣٢ ترك معلومات قيمة عن الموصل والحدود ومعاهدة ١٩٢٧ فصلاً عن التقارير الادارية لولاية الموصل من ١٩١٩ الى ١٩٢١

٣٩ ـ برون ، ستيوارت
من ملاك حكومة فلسطين سجل إنطباعاته ومذكراته عن أحوال فلسطين للفترة من ١٩٢٥ ـ ١٩٣٤ بضمنها معلومات عن حائط المبكى وثورة عام ١٩٣٣ تم نقلت خدماته الى العراق في السنوات ١٩٤١ ـ ١٩٤٧

٤٠ ـ فيلبي ، هـ ست جي
من الشخصيات البريطانية البارزة

، بعض الذكريات عن خدماته في
راق خلال العشرينات تم انتقاله الى
لكة العربية السعودية حيث بقي
رما للملك عبد العزيز ال سعود
نوات طويلة وتعتبر اوراقه الخاصة
ة جدا لما حوته من معلومات تتعلق
ردن والعراق وفلسطين والسعودية
غطيتها فترة زمنية طويلة إمتدت من
١٩ الى ١٩٥٧ وله بعض المؤلفات
نوعة منها Arabia of the Wahha-
bis (London 1928)

ـ راب ، السر توماس

من موظفي وزارة الدفاع البريطانية
ين عملوا في قناة السويس لفترة طويلة
العشرينات وحتى الخمسينات

ـ راندل ، السر جورج

من رجال وزارة الخارجية البريطانية
ررين وقد شغل مسؤولية الدائرة
رقية في الوزارة المذكورة خلال فترة
ثينات وكانت علاقته مع وزير
ارجية البريطاني (السر انطوني
ن) والسفير البريطاني في القاهرة
سير مايلز لامبسون) قد امتازت
فاهم والانسجام والاحترام وتعتبر
اقه الخاصة في مركز الشرق الاوسط
الوثائق المهمة التي يعول عليها
را

ـ ريتون ، ميجر جنرال

شغل وظيفة المفتش العام في الجيش
راقي وكان رئيسا للبعثة العسكرية
يطانية في العراق وتشكل اوراقه
اصة مادة أساسية لمن يريد الكتابة
تطور الجيش العراقي

٤٤ ـ رولات ، السر فردريك

من العناصر البريطانية التي أسهمت في تعزيز النفوذ البريطاني في مصر عبر النشاطات الاقتصادية وكان شاهد عيان لاحداث ضرب الأسكندرية عام ١٨٨٢ وعلى أثر موقعة التل الكبير ويبدو أنه كان مهتما بالأحوال الديموغرافية في كل من القاهرة والاسكندرية

٤٥ ـ صامونيل ، هربرت

أول مندوب سام في فلسطين خلال العشرينات من هذا القرن في أوراقه الخاصة معلومات قيمة تتعلق بمراسلات حسين ـ مكماهون كذلك مقترحات عدة لوضع حلول للمشكلة الفلسطينية ومراسلاته مع الزعماء العرب بصددها

٤٦ ـ سبيرس ، الميجر جنرال

كان سفيرا لبريطانيا في سوريا ولبنان خلال سنوات الحرب العالمية الثانية ولأوراقه الخاصة أهمية إستثنائية لتنوعها وشمولها لمعلومات عديدة تخص سوريا ولبنان ويبدو أن لا أحد يستغني عن مراجعة هذه الأوراق فيما لو تصدى لدراسة موضوع استقلال سوريا ولبنان

٤٧ ـ سايكس ، السير مارك

صاحب اتفاقية سايكس ـ بيكو السيئة الصيت وقد نقل في أوراقه الخاصة بعض المعلومات عن التسويات الشرق أوسطية في أعقاب الحرب العالمية الأولى

٤٨ ـ تيجارت ، السر تشارلز

من موظفي الحكومة البريطانية في

فلسطين وقد شغل مسئوليات أمنية في فلسطين في فترة الثلاثينات ومعظم أوراقه الشخصية ذات طبيعة أمنية تخدم وجهة النظر البريطانية

٤٩ ـ طيباوي ، عبد اللطيف

من المثقفين العرب له مؤلفات مطبوعة عن سوريا ولبنان وفلسطين وفي أوراقه الخاصة معلومات مفيدة جداً فيما يتعلق بمراسلات حسين ـ مكماهون وكذلك تقرير مهم عن أحوال التعليم في سوريا خلال أعوام من ١٩٤١ الى ١٩٤٥

٥٠ ـ وثائق الدبلوماسية الأمريكية

تتضمن ملفات وزارة الخارجية الأمريكية على شكل مايكروفيلم وعددها (١٧) تخص الشئون الداخلية في تركيا بين عامي ١٩١٠ ـ ١٩٢٩ و (١٨) تخص الشئون الداخلية في العراق بين عامي ١٩٣٠ ـ ١٩٤٤ من ضمنها مراسلات ناستو الى وزارة الخارجية الأمريكية أثناء ثورة مايو ١٩٤١

٥١ ـ وينكت ، السر رونالد

في بداية الحرب العالمية الأولى كان ممثلاً للحماية البريطانية في مصر وفي أوراقه الخاصة معلومات عن خدماته في مصر والعراق وجنوب شرقي الجزيرة العربية التي غطت السنوات من ١٩١٤ الى ١٩٢٢

٥٢ ـ يونج ، السر هيوبرت

من رجال بريطانيا الذين اشتغلوا في أجهزة استخباراتها في القاهرة في بداية الحرب وكان على علاقة وثيقة مع بعض الساسة والزعماء العرب تنقل في الحجاز والعراق وفلسطين وله مؤلفات مطبوعة منها ndependent Arab, London, 1933)

الخاتمة :

ذكر أحد الباحثين المتخصصين في صدد كلامه عن الوثيقة التاريخية وأهميتها قائلاً بأن الوثائق هي «مادة التاريخ وأهم مصادره المعتمدة فلا تاريخ بدون وثائق فالوثائق هي ذاكرة الجنس البشري»

وانطلاقاً مما تقدم أخذت الكثير من الدول في القرن العشرين تتسابق فيما بينها للاهتمام بالوثائق وجمعها ودراستها عبر إنشاء وتأسيس دور الوثائق القومية كعنصر هام من عناصر الثقافة القومية ومستودعاً أساسياً لأدوات البحث التاريخي

وهكذا وجدنا أنفسنا أمام ظاهرة خلاصتها أن الباحث يواجه في بعض البلدان صعوبة في الحصول على المعلومات نتيجة تعدد مراكز البحث التي تحتفظ بالوثائق وهذا ما يدفعه الى الانتقال من مكان الى اخر مع ما يلاقي في ذلك من متاعب أخرى

وكانت قد توفرت لكاتب هذا البحث ـ عندما كان يعد أطروحته للدكتوراه ـ فرصة التنقل بين مراكز الوثائق البريطانية سواء المركزية منها في لندن أو تلك الموجودة في الجامعات البريطانية أو في المكتبات

لية في بعض المدن وقد عجب لما
ده من مادة وتانقية هنا وهناك
ظام الذي تخضع له والاساليب
تخدمة في استخراجها
تمادها

من هده المراكز الوثانقيه المهمة
الوتائق في جامعة اوكسفورد
كما دكر سابقا . يحتوى على
لات وفايلات لاوراق شخصيه
ص الأفراد الدين مارسوا
وليات مختلفة في الشرق الاوسط
رة مابين الحربين العالميتين

عليه فإن الباحث في تاريخ العرب
يث والمعاصر لايمكن ان يلم
تيات بحثه دون الرجوع الى هده
انق

كثيرون هم اولئك الدين كتبوا عن
زة العربية الكبرى والمراسلات
سبقتها والظروف التى احاطتها
تائج التي تلتها ولكن قليلين من
ك ممن راجع تلك الاوراق
خصيه التى تركها أولئك الرجال
عاصروا احداث تلك الفترة
لهم دور مباشر في توجيه
السياسة وجهتها التي باتت معروفة لدينا

وهذا الامر يصدق على من يكتب عن القضية الفلسطينية والصراع العربى ـ الاسرائيلي

إد كيف يمكن للباحث ان يعطي الموضوع حقه دون مراجعه ودراسه لاوراق اولئك الرجال الذين عملوا في اجهزة سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين للفترة من ١٩٢٠ ـ ١٩٤٨ علما بان البعض منهم كان صهيونيا

وكدلك الحال عند الكتابة عن موضوع الحركه الوطنيه في سوريا ولبنان فيما بين الحربين . حيث تشكل اوراق الميجر جنرال سبيرس مصدرا اوليا حول الموضوع

وهكذا نخلص الى القول ان الباحث ، ايا كان ، رغم اطلاعه على المادة الوثائقيه الموجودة في دار الوثائق العامة في لندن . تبقى المصادر الوثائقيه الاخري المتوفرة في المراكز الاخري تشكل مصدرا اوليا لتعزيز البحث ولسد الثغرات ولدعم الباحث وطروحاته

الهوامش

١ - مصطفى مرتضى الموسوى واخرون ، الوثائق ، (بعداد، ١٩٧٩)، ص ٨
٢ - من عرض للدكتور عبدالجبار ناجى لكتاب « اليمن تحت حكم الامام احمد » الذى حققه ابراهيم الرشيد انظر مجلة الخليج العربي ، عدد ٢ سنة ١٩٨٨، ص ٢٥٠
٣ - المعلومات المتعلقة بالتطور التاريخي للاهتمام بالوثائق في بريطانيا مستقاة بشكل اساسى من سالم عبود الآلوسى ومحمد محجوب مالك، الارشيف تاريخه، اصنافه ، ادارته (بعداد، ١٩٧٩)
٤ - الآلوسى ومالك، المصدر السابق، ص ٢١
٥ - ناجى، المصدر السابق، ص ٢٥١
٦ - أشتهر مركز الشرق الاوسط في جامعة درهام بالدراسات عن السودان ومصر والمغرب، في حين برز مركز الشرق الاوسط في جامعة اكستر بالدراسات عن منطقة الخليج العربى والصراع العربى - (الاسرائيلى)

الأسس الاقتصادية للاستعمار البرتغالي في الخليج العربي

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

الدكتور محمد عارف الكيالى

نعتقد ان علماء التاريخ سيرحبون جدا عندما تختلط دراساتهم التاريخية لاى حدث، بالعوامل والاسباب الاقتصادية له. ورغم اننا لن نذهب وننحو منحى الاخرين في اعتبار العامل الاقتصادى هو العامل الوحيد في تفسير التاريخ . لكنه بالمقابل يبقى عاملا عريضا وكبيرا ولا يمكن تجاهله في اية دراسة جادة وموضوعية .

والاستعمار كظاهرة اقتصادية سياسية استيطانية، وبشكليه القديم والحديث، مهما ادعى اصحابه ومؤيدوه من ان غرضه الاساسي كان دينيا تبشيريا او ثقافيا تعليميا او حضاريا فانه في التحليل الاخير خارج كل ذلك. انه تحويل للريع وفائض القيمة من الاطراف الى المركز عبر اليات السيطرة المنظمة والمدعمة بالقوة العسكرية والاعمال الهمجية الوحشية. والاستعمار البرتغالي للخليج العربي في القرنين السادس عشر والسابع عشر لا يخرج عن هذا الاطار .

ولكي يبرر الاستعمار نهبه هذا فلا بد ان يستخدم ويستند على ثقافة معينة يدعم بها توجهاته. فلقد استغل العواطف البريئة لدى الجماهير



امة من الناس تارة باسم الدين وتارة باسم الثأر. من اجل ان يغطي
امالته بالايرادات والنفقات تلك الاهتمامات التي كانت اكثر بكثير من
امه بنشر التعاليم المسيحية او القيم الغربية.

طرح مثل هذا الموضوع القديم – في رأيي – في هذا الوقت بالذات له اكثر
همية ودلالة. وربما يأتي على قمتها، ان الحوادث التي جرت في الخليج
حو خمسة قرون تتكرر اليوم تقريبا ولو كانت بصورة اخرى. ومن هنا
لدراسة الموضوعية للاستعمار البرتغالي في الخليج تقيم اطرافا متعددة
لنا العربي. فالوقوف على الماضي يقدم لنا زادا دسما يغذي عقولنا في
اخطائه والتسلح بعبره.

اساطيل البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين والانكليز والتي شكلت
ة الثلاثة للاستعمار الغربي للشرق، تعود اليوم للخليج العربي بشكل
يل امريكية وانجليزية وفرنسية وغيرها. والصراعات القديمة بين
ك والفرس والعرب، تعود اليوم في صراعات قبلية بل في حرب طاحنة
عراق وايران. مع وجود اكثر من عامل ينطوي تحت لوائه امل التصالح في

مواجهة الاخطار الاجنبية الخارجية الكبرى، والتى تتخذ احيانا صفة صليبية الى جانب اهدافها الاقتصادية الاساسية ان عدم ايقاف الحرب بين دولتين جارتين مسلمتين مهما كانت مبرراته يصب فى النتيجة فى طاحونة اعداء الامة العربية والاسلامية على السواء

كان الاساس الاقتصادى للاستعمار البرتغالى ينصب على عنصرين، هما جلب المواد الاولية بما فيها المعادن (الذهب والفضة واللؤلؤ) وتامين سوق لتصريف الفائض من البضائع الاوروبية كل ذلك مع احتكار الموقع الجغرافى المتميز للخليج وبالتالى احتكار طرقه التجارية مع الهند شرقا وافريقيا واوربا غربا

وهذا هو المحور الاساسى الذى انصب عليه الجهد الاساسى فى هذا البحث ولا بد من الاشارة الى الصعوبات الجمة التى صادفت الباحث واولها عدم توافر المصادر عن هذا الموضوع القديم ان الدراسات القديمة وبالاخص العربية كانت تركز على الجوانب التاريخية والحربية، وتغفل تماما الجوانب الاقتصادية رغم اهميتها القصوى وربما يعود ذلك الى عدم ظهور علم الاقتصاد آنذاك بهذا المفهوم اليوم اولا وثانيا ان العوامل الدينية والمعنوية والقيمية كانت تاخذ حيزا كبيرا في وعي وادراك الاقدمين اكثر من العوامل المادية والاقتصادية

التقــويم التاريخى للعــامل الاقتصادى :

ان تفوق العرب الاقتصادى الحالى على الشرق لا يزيد عمره عن بضع مئات من السنين ، وهى فترة لا تكاد تبلغ الا كسرا عشريا فى التاريخ المدون للانسانية، اما تفوق اهل الشرق وبخاصة العرب فانه يرجع الى بضعة الاف من السنين قبل الميلاد ويبرر هذا التفوق فى العصر الوسيط ابان الزخم الاسلامى، اذ تمكن العرب بهدى الدين الاسلامى الحنيف ان يكونوا امة تمتد من خليج بسكاى الى دلتا السند، وان يقربوا بين الشرق والعرب الى حد لم يكن معروفا حتى ذلك الحين وساهموا بشكل فعال فى الحركة التجارية التى امتدت الى كوريا وارخبيل الهند من ناحية وجنوب شرق افريقيا واوربا والبحر البلطيقى من ناحية اخرى [١]

ان نصيب اوروبا في التجارة الدولية في العصر الوسيط كان دون شك متواضعا للغاية ، اذ قل سكانها وضعف انتاجها وتقلصت حضارتها لتصبح حضارة ريفية قائمة على الاقطـاع واذا كـانت الجمـاهـ

وروبية لم تستهلك الا ما تنتجه في
صها فان الصفوة من اهل
سياسة والعلم والقوة فيها كانت
ستري منتجات الترف للمساكن
لملابس من الشرق فلم تخل
ساكن والحصون الاوروبية من تاثير
شرق العربي عليها سواء في المواد
ولية او الهندسة المعمارية ، كما ان
سيوف الفرنسية والصقلية كانت
سوق على بطيراتها عندما كانت تصنع
الطراز الشرقي . ان اميرات
روبا كن يتباهين بلباسهن الدمشقي
سبة الى دمشق) والموسليني (نسبة
الموصل) واذا اضفنا الى ذلك كله
سول العرب المسلمين الى الاندلس
قاءهم هناك قرونا عديدة ونقلهم
حضارة الشرقية عامة والاسلامية
صة بما فيها علوم الطب والهندسة
فلك والكيمياء الخ لادركنا كم
تطاع الشرق الاسلامي العربي ان
ط اوروبا به لا سياسيا وحسب بل
تصاديا[٢]

وليس من الصدفة ان تكون المدن
وروبية على ساحل البحر المتوسط
الاخص الايطالية بصفة الشرقية ،
ي لم تهدأ قط طيلة العصور
سطى مثل البندقية وسالرنو
بيسيا في مقدمة العوامل التي
ت الى النهضة الاقتصادية في الغرب
. اواخر القرن العاشر الميلادي[٣]
ان الحروب الصليبية التي شنتها
وبا على العالم العربي الاسلامي
ة مائتي عام ، لم تكن باهدافها
المعلنة الدينية . وانما في جوهرها ، تحويل للريع الذي ينتجه الفلاحون العرب الى رجال الاقطاع الأوروبيين تحت حجج ومراعم دينية رائفة وبعد هزيمة الصليبيين ، ادرك بعض رجال الفكر والسياسة الاوروبيين اعتماد الدول الاسلامية والعربية في الشرق على تجارة الهند لذا وضعوا اقتراحات وخططا معينة لتدميرها (ان ماريبو سانيتو (Marino Sanuto) اقترح حلقا مع (Tortary dnubia) وبناء اسطول في المحيط الهندي للسيطرة على جزره وسواحله ، في حين ساهل عليوم ادم (Gilloum Adam) من اجل بناء اربع سفن ضخمة في هرمز لتقفل البحر الاحمر من جزيرة سوقطره معتمدا على مساعدة العرب والمسيحيين له[٤]

ان مثل هذه الاعمال تضمن للغرب عدة فوائد في ان واحد فأولها انها تصل الى المواد والسلع التي تحتاجها دوله من الهند والارخبيل الاندونيسي والشرق الاقصى ، دون وساطة العرب وثانيها ، تضعف العرب والمسلمين عن طريق قفل باب التجارة ومصدر الرزق الاساسي لهم ، وثالثها ، تؤمن اسواقا لتصريف منتجات العرب الفائضة ، بعد ان بدات بشائر نظام الانتاج الرأسمالي تحل محل نظام الانتاج الاقطاعي في اوروبا بدءاً من القرن الخامس عشر

ان سيطرة البرتغال على المحيط الهندي والخليج العربي تندرج تحت

هدا الاطار . ولم يكن عملا ترفيا او استكشافيا او محرد معامرة بعض الملاحين

ان الاستعمار البرتغالي وهو باكورة الاستعمار في العصر الحديث كان نتيجة لتحضيرات طويلة وخطط متقنة وناصحة محكومة بظروف موضوعية ورغم ان التحرك الاستعماري البرتغالي الى المنطقة العربية كان هو الاخر بحجج دينية والانتقام من العرب المسلمين الذين سيطروا على شبه الجزيرة الايبيرية الا ان الهدف الاساسي للطموحات البرتغالية كان لاحكام السيطرة الاقتصادية واحتكار التجارة الشرقية

فقبل وصول البرتغاليين كانت تجارة الهند والشرق الاقصى بيد المسلمين واغلبهم من العرب (من جنوب وغرب الجزيرة العربية وعمان) ، وكانت الطرق التجارية (البحرية والبرية) تمتد من الهند الى هرمز واعالي الخليج العربي ووادي الرافدين وحلب ، او عبر الخليج جنوب وغربا الى عدن وجده والقاهرة وفينيسيا ان اهالي جنوب ايطاليا اشتروا التوابل من الشرق وبيروت والاسكندرية لتوزيعها في اوروبا وموانىء شمال افريقيا واكثر الارباح كانت تجنى من عملية التجارة في المحيط الهندي . وكانت ارباح السلاطين في الخليج العربي وحتى سلاطين مماليك مصر كبيرة ومضاعفة ومن جهة قدمت التعريفات الجمركية وسائل سهله في جمع عوائد تلك الدول التي فيها موانىء بحرية او محطات لوسائط النقل البري ومن جهة ثانية خلقت العمل للأعداد الغفيرة من الجماهير الشعبية لتعمل في التجارة والملاحة والنقل وغيرها ومن جهة ثالثة امنت الكثير من المواد الغذائية والملابس للعديد من المدن التي كان من الصعب العيش فيها دون تلك التجارة[٥]

لم يقتصر الامر على سلب العرب تجارتهم عند وصول البرتغاليين الى الاراضي العربية والهند وافريقيا انما عملوا على تدمير الحضارة العربية والاسلامية عن طريق تجميد اشكال الانتاج (الصناعة والزراعة) السائدة انذاك والتي كان بامكانها التطور الى مراحل راقية وصولا الى مجتمعات متقدمة بالمفهوم السائد اليوم لقد وجد البرتغاليون انفسهم في أراض أكثر غنى من اراضيهم واستطاعوا التعرف على صناعات حرفية راقية اكبر واهم بكثير من صناعاتهم . بالاضافة الى ذلك انهم وجدوا ملاحين مهرة من العرب والهنود وعلى رأسهم البحار العربي المشهور (احمد بن ماجد) الذي استعان به فاسكو دي جاما ليعرفه على سواحل شرق افريقيا والمحيط الهندي ويوصله الى مدينة كلكتا[١]

...لاستعمار البرتغالي :

لقد نجح البرتغاليون في نهاية ...لطاف في اكتشاف طريق بحري الى ...الهند يتجنب طرق القوافل القديمة بين ...البحر المتوسط من جهة والبحر الاحمر ...الخليج العربي من جهة ثانية . وانهم ...انوا يدعون بانهم يقومون بشيء ذي ...همية بالغة بالنسبة للعالم(٧)

لاشك ان اكتشاف طريق رأس ...رجاء الصالح وبعض مناطق امريكا ...لاتينية(٨) افاد البشرية ولكن اقامة ...حصون والمحطات التجارية على ...سواحل الافريقية والعربية ...لاسيوية وتجنيد المرتزقة وقتل ...اهالي او ارغامهم على العمل ...السخرة وتهجيرهم واصطيادهم ...قوة خارج القارة الافريقية (تجارة ...رقيق) كل ذلك كان من صلب ...ستعمار البرتغالي

ان السبب الموضوعي والاساسي ...كتشافات الجغرافية - كما هو ...عروف تاريخيا - انغلاق الاقتصاد ...وروبي بعد سيطرة العثمانيين على ...حر المتوسط والبحر الاحمر وبالتالي ...لع المتنفس الوحيد على الاوربيين ...كما كانت الحروب الصليبية هي ...نفذ الوحيد للاقطاع (الكنسي ...لاجتماعي) كذلك كانت الاكتشافات ...النافذة الوحيدة للاقتصاد الاوروبي ...ويتحول الى الرأسمالية على كل حال ...د اطلقت هذه الاكتشافات الجغرافية سلسلة من ردود الفعل الاقتصادية وغير الاقتصادية واحدثت اثارا تراكمية متصاعدة نتج عنها ثلاث نتائج هامة

١ - تراكم وانتقال كميات هائلة من الذهب والفضة (رأس المال النقدي) بسبب ما فرضه المستكشفون على اهالي المناطق من اتاوات وضرائب، أو ما نهبوه بشكل مباشر من المناجم او الخزائن وكان هذا النهب احد أهم المصادر الاساسية للتراكم البدائي لرأس المال الذي وفر الظروف المواتية لنشوء الرأسمالية كعملية اجتماعية تاريخية

٢ - تدويل السوق لقد حولت الاكتشافات الجغرافية السوق الاقتصادية من وطنية قومية داخلية الى عالمية، لقد حدث اختلال في هيكل السوق بين قوى العرض المحلية المحدودة وقوى الطلب العالمية المتعاظمة فالطلب اصبح عالميا والعرض لا زال محليا قوميا وبقى هذا التناقص يتعاظم الى ان وصل الى الذروة، فكان لا بد من حدوث عمل ليحل هذا التناقص فكان نشوء الثورة الصناعية وهذا هو بالضبط سبب نشوء تلك الثورة التى هى وليدة النظام الرأسمالى وليست خالقة له انها شرط تاريخى لاعادة النظام الرأسمالى الى التوازن بعد ان احتل انها حل للصراع بين المنتج والمستهلك بين الطلب (علاقات الانتاج)

والتكنيك (العرض) (قوى الانتاج)

٣ ـ والنتيجة الثالثة والتى تحدم عرضنا بالدرجة الاولى، هى نشوء النظام الاستعمارى وليس من قبيل الصدفة ان تظهر كلمة المستعمر فى القواميس الاجنبية مند القرن الرابع عشر [٩] اى على وجه التحديد فى فترة الانتقال التى سبقت قيام المشاريع الاستعمارية الكبرى للدول العربية (البرتغال واسبانيا وفرنسا وانكلترا وهولندا) كانت الحروب الصليبية فى الواقع قد انتهت مند عهد قريب، وكانت الاحداث تدفع نحو فترة الكشوف الجغرافية الكبرى، وتضع اوروبا وجها لوجه امام عالم جديد يصبح مزرعة لها ان ظاهرة الاستعمار حولت النظام الراسمالى من نظام مستقل وطنى (يعيش فى مكانه) الى نظام تابع طفيلى يعيش على حساب وحياة الاخرين ومن هنا وبعد ان اصبح النظام الراسمالى عالميا فلا يمكن فصله عن مشكلة التقدم والتخلف [١٠] ان هاتين الظاهرتين لا يمكن إدراكهما على حقيقتهما دون الوقوف على ظاهرة الاستعمار

لقد قام تصنيع اوروبا الذى شجع عليه تراكم الثروات وهو التراكم الذى يعزى فى المحل الأول الى الاستعمار على شرطين استيراد المواد الاولية وايجاد منافذ لتصدير فائض الانتاج فقد كان على الاستعمار منذ تلك اللحظة ان يحل المشاكل التى يثيرها هذان الشرطان كانت المناطق المستعمرة تقوم بتزويد المواد الاولية الضرورية للصناعات الاوروبية الناشئة والمتطورة وتستخدم فى الوقت نفسه كاسواق لفائض الانتاج الاوروبى ولم تكتف الدول الاستعمارية بذلك بل كان لا بد من ثقافة معينة تدعم هذا التوجه مع اجراءات عملية لكى تبرر الدول المستعمرة أعمالها الشنعة ضد سكان المستعمرات، فكانت تثقف شعوبها على ان عملها هذا هو مجرد ثأر للفتوحات الاسلامية فى القرنين السابع والثامن الميلاديين . والعرب فى رأيهم قد توسعوا فى الحد الغربى وفتحوا شبه جزيرة ايبيريا واستعمروها وها هم اليوم (البرتغاليون) يهاجمون شواطئ الجزيرة العربية نفسها، بل ويهددون اقدس الاماكن الاسلامية (مكة المكرمة) ويخضعون الامراء العرب والمسلمين على السواء فى هرمز ومسقط وملقا [١١]

ان مثل هذه الادعاءات لا تحتاج فى تفنيدها الى عناء كثير فالعرب المسلمون عندما دخلوا شبه الجزيرة الأيبيرية وجنوب ووسط فرنسا، فانهم حرروا سكانها من الظلم والاضطهاد ونشروا علومهم ودينهم الحنيف واقاموا العدل فى الارض ولقد سار العرب المسلمون فى فتح الاندلس على مبدأ تقسيم الاقطاعيات والاراضى الزراعية بين فلاحيها الذين كانوا

حرومين من تملك الارض في عهد الفزيغوت) وقد دكر المستشرق عروف (دوزى) في كتابه (تاريخ الاندلس) « لقد انقد الاسلام طبقات الدنيا من الاوروبيين العبيد قنان الارض في العصور الوسطى، حررهم من سلطة الاقطاعيين الاقوياء الذين كانوا يعتبرون فلاحين لا عبيدا لهم وحسب، بل عبيدا للارض» (١٢)

لقد كان الفتح الاسلامي في الواقع برة وحسنة لاسبانيا والبرتغال، اد قق ثورة احتماعية واقتصادية بالغة، زال سلطة الطبقات ونقل المجتمع الاوروبي لاول مرة من مجتمع طبقي به عبودى (اقنان ونبلاء) الى جتمع لا طبقي بقضائه على امتيازات للطبقات العليا الاقطاعية وريعه الاراضي على اكبر عدد ممكن ن افراد الطبقات المستغلة الاقنان) ويذكر مستشرق اخر هو ليفي بروفانسال) في كتابه اسبانيا المسلمة في القرن العاشر) ان الازدهار الزراعي الذى اصاب سانيا بعد الفتح الاسلامي يعود الى تقسيم الكبير لملكية الارض » (١٣)

اين موقف العرب والمسلمين هذا ، موقف البرتغاليين عندما ستعمروا بعض مناطق الخليج عربي ؟ لقد نزعوا كل سلطة من لوك والامراء والرؤساء التقليديين سحاب البلاد الاصليين، ووضعوا البلاد في الموضع الذى ارادوه لها واستحودوا على ثرواتها الطبيعية وادوات الانتاج فيها، ودمروا الصناعات التقليدية الحرفية فيها (والتي كانت ستتقدم على تطيراتها في اوروبا والبرتغال نفسها) وحولوا الشعوب التي استعمروها الى أيد عاملة دليلة، وفرضوا عليها قوانين ومعايير وقواعد تتفق وخصوصياتهم، واخضعوا السكان الاصليين الى عملية سيكولوجية تهدف الى تسييرهم في اتجاه يتفق ومصالحهم (١٤) وهناك الامثلة الكثيرة على معاملة البرتغاليين الوحشية للمناطق التي استعمروها وبالاخص سكان الخليج العربي ويكفي ان ندلل على حادثة واحدة وقعت عندما هاجم البوكرك (قائد البرتغال) بلدة خورفكان (الفجيرة) حاليا وقام بنهبها فانه قام بتقطيع اذان وانوف السكان الذين كان يطلق سراحهم ومثل هذا العمل كان روتينيا في المدن العمانية الاخرى (١٥)

ان البورجوازية في مراحل استعمارها حققت اكبر قدر من الارباح من مستعمراتها واجبرت كل الامم المستعمرة على اتخاد اسلوبها في الانتاج، بعد ان قوضت الاساس القومي الوطني للصناعات المحلية واكسبت الانتاج والاستهلاك في جميع البلدان صفة عالمية انها بالنهاية تقسر هذه البلدلن والامم على دخول الحضارة المزعومة (١٦)

ان الاستعمار البرتغالى للخليج العربي ولافريقيا لم يخرج عن هذا الاطار، بل انه اول من طبع هذا الاسلوب بشكل عملي فلقد حققت المستعمرات البرتغالية امتيازا مزدوجا للبلد المركز. فقد كانت تشكل اراضي تستقبل فائض السكان وتنتج منتجات تفتقر اليها الاوطان ويمكن ان تستخدمها كمواد للتبادل وكانت تجارة التبادل تشكل قاعدة العلاقات الاقتصادية في العالم القديم في القرن السادس عشر وقد حلت محلها التجارة النقدية على نحو مطرد كلما حققت اوروبا غلبتها وسيادتها على العالم (١٧) ان الحصيلة التي تقدمها المستعمرات تسهم باستمرار في تعديل الابنية الاقتصادية للوطن (الام) ولكن الاهداف تتغير متفرض على الاستعمار اسلوبا ومجرى جديدا

ومن هذا كله نخلص الى ان الاستعمار البرتغالي انطلاقا من دافع المنفعة والمصلحة المادية بالدرجة الاولى، ارتكز على دعامتين اقتصاديتين او اساسين هما الموارد الاقتصادية والسوق.

الموارد الاقتصادية :

في الخليج العربي يلتقي الماضي المجيد بالحاضر المشرق وتاريخيا كان الخليج ولا يزال يتمتع بموقع استراتيجي جعله محط انظار العالم منذ الازمنة الغابرة. ومع اكتشاف النفط فيه فقد تضافرت عوامل الجيولوجيا مع عوامل الجغرافيا لتجعل منه اليوم اهم منطقة حيوية في العالم

ولكن الخليج العربى لا يحتوى على النفط وحسب، وقديما احتوى على ثروات طبيعية هائلة وخاصة في منطقة عمان، فالموارد الزراعية كانت مصدرا كبيرا من مصادر الاقتصاد القومي، ففي المناطق الجنوبية من الخليج حتى اواسطه (الامارات العربية حاليا) توجد مساحات معتبرة من الاراضي الخصبة والعديد من الواحات الداخلية التي تزرع بها الفاكهة، ففي منطقة الباطنية الساحلية ووادى سمايل وواحة العين وغيرها، يزرع النخيل والمانجو والرمان والجوز والخضراوات والشعير والحنطة وقصب السكر وحتى القطن كان يزرع في سهول عمان الشمالية ويغزل وينسج ويباع محليا وعالميا (١٨). والثروة الحيوانية بشقيها البرى (الماشية) والبحرى (الاسماك) تكاد تكون هائلة فالغنم والماعز والجمال والابقار والجياد العربية الاصيلة كانت متوافرة للغاية في الخليج العربي

ان طول الشاطىء العماني وحده حوالي (١٥٠٠) كم وبمثله تقريبا بقية المناطق العربية في الخليج وامتداداته ان الثروة السمكية حتى اليوم تزيد عن حاجة الاستهلاك المحلي حتى ان المواطنين يقومون

جفيف الاسماك وتصديرها
تقديمها علفا للحيوانات

ولقد ذكر ابن بطوطة في رحلته في
قرن الثامن الهجري بلاد عمان
بأنها ذات أنهار وحدائق وأشجار
حيل » [19] ووصفها ياقوت بأنها
تشمل على بلدان كثيرة ذات نخل
درع» [20] ولقد عاين المقدسي في
قرن الرابع الهجرى - العاشر
يلادي - اقليم عمان بنفسه وقال
التجارات في هذا الاقليم مفيدة لأن
مرضتي الدنيا فاليه يحرح
وات الصيادلة والعطر كله - حتى
سك - والزعفران والصاح
الحتب) واللؤلؤ والديباح والياقوت
الابنوس والنارحيل والحديد
الرصاص والخيزران والفلفل وغير
ك [21]

ولقد لحص البشارى المقدسي
صحار وباقي مناطق عمان وقصباتها
ثلا «انها بلد عامر، أهل محسن،
يب، نزه، ذو يسار وتجار وفواكه
خيرات اغنى من زبيد
صنعاء » [22]

وفي مجال التجارة، فبالاضافة الى
وقع الممتاز الذي يربط الخليج
عربي افريقيا بآسيا ويجمع على
اطئه العرب وغيرهم ويعتبر نقطة
وصل بين بلاد الرافدين والشام
اسيا الصغرى مع شبه القارة
هندية والجزيرة العربية فان التاجر
عربي والملاح العربي الذى وصل
ى الصين وارخبيل اندونيسيا شرقا

وشواطىء افريقيا غربا كان نموذجا
للاهتداء به من قبل بحارة العالم
وتجارها [23] وفي هذه المنطقة
العربية كان لصناعة السفن شهرة
عالمية خاصة ولقد ذكر ذلك الملاح
العربي الشهير احمد بن ماجد في
العديد من كتبه التي بقيت تدرس في
المدارس والجامعات الغربية حتى
زمن طويل في بداية العصر الحديث
لقد اشتهرت المدن العمانية بهذه
الصناعة مثل مسقط ومطرح وصور
وصحار وكان العمانيون مهرة بدرجة
فائقة ولم يكتفوا بمواردهم المحلية
من الاخشاب لهذه الصناعة، بل ان
بعضهم كان يذهب الى الهند لصنع
السفن هناك[24] ولقد ضم الاسطول
العماني اكثر من (٤٠٠) سفينة من
مختلف الاحجام والانواع في النصف
الثاني من القرن الثامن عشر وكانت
هذه السفن تمخر عباب البحار
والمحيطات والانهار، رابطة العالم
العربي من شماله (وادى الرافدين
وبلاد الشمال) الى جنوبه في اليمن
وظفار ومن زنجبار الى اندونيسيا
واليابان [25]

ان صناعة الغزل والنسيج كانت
متقدمة في الخليج اكثر مما كانت عليه
في البرتغال نفسها، ولقد فوجىء
البرتغاليون بوجود صناعات نسيجية
متطورة وملابس راقية، تنم عن ذوق
سليم، ومتانة في التصنيع بعضها
صنع محليا والبعض الاخر استورد
من خارج الاقليم وبالاخص الجزائر

التي كانت تستورد من الهند وبلاد الشام [٢٦]

ولم يرق ذلك في سمع وبصر البرتغاليين، فقد عمدوا الى ابادة او محق الاسلام والتجار المسلمين فقد ارسلوا حملات متعاقبة الى المدن الاسلامية والجوامع لحرقها او تفجيرها وهي مملوءة بالمصلين، ان المشاغل الحرفية كانت تحرق في اى مكان يلطخه البرتغاليون [٢٧] كل ذلك كان يتم عن حقد اعمى دفين، اضافة الى الهدف الاقتصادى وهو تدمير القاعدة الاقتصادية الوطنية وربط البلد باقتصاديات المستعمر وجعله تابعا له كي يسهل استمرار الاستعمار وبهذه العملية انتقلت الممرات التجارية من مدن الخليج وحولت الى الجنوب، ولذلك فان تلك المدن التى كانت متطورة صمرت واصبحت بائسة وفي مجال الصناعات المعدنية، فقد وجدت الاواني الفضية والنحاسية والادوات الحديدية. وألات الحراثة، اضافة الى الصناعات الحربية كالسيوف والعجلات والمدافع والمجانيق وغيرها

ونحن نتكلم عن الموارد الاقتصادية للخليج العربي لا بد وان نعرج على اللؤلؤ والذى يعتبر من ارقى أنواع اللؤلؤ في العالم. لقد تعددت مغاصات اللؤلؤ في الخليج بدءا من عمان اقصى الجنوب (خليج عمان) الى الكويت في اقصى الشمال ولكن اهمها واندرها ما كان يستخرج من مغاصات صور في عمان ورأس الخيمة في الامارات

ان البرتغاليين الذين عمدوا الى الاستيلاء تقريبا على اغلب او جميع هذه الموارد الاقتصادية وبالقوة المسلحة وغالبا دون تعويض، فانهم لم يعمدوا الى استغلال مغاصات اللؤلؤ مباشرة عكس مصادر الثروة الاخرى حيث ان عملية الغوص شاقة وخطرة ولذلك قاموا بفرض ضرائب باهظة على المختصين بهده المهمة، اد كانو يجبرون السكان على بيعها باثمان بخسة وينقلونها الى الغرب ويحصلون على ارباح وايرادات ضخمة من هذه التجارة الرائجة

السوق :

كانت السوق الاقتصادية في الخليج العربي معتبرة جدا في الفترة ١٧٠٠ - ٢٣٠٠ ق م حيث كان المركز الحصرى للبحرين صلة الوصل بين حضارة وادى الرافدين وحضارة الاندوس التي بزغت في مناطق السند والبنجاب [٢٨] ولقد لعبت التجارة دورا مهما في الخليج العربي وكان ذلك بسبب حاجة المنطقة الى الاخشاب والمعادن غير المتوفرة والتوابل والاقمشة المصنعة محليا او المستوردة وكانت صيغة التبادل في هذه السوق الاقتصادية الواسعة الممتدة من اندونيسيا شرقا الى بلاد الشام وشرق افريقيا وجنوب اوروبا/ تمارس في صيغة

لقايضة ولكن مع اردهار التجارة
.ى ذلك الى استعمال النقود على
طاق واسع، واستعملت النقود
معدنية وبالاخص (الفضة والدهب)
مقياس مشترك للقيمة ولكن مع
جيء عصر الاستعمار البرتغالي،
دى ارتبطت مقوماته بالتبادل
دولي فلم يقم التبادل في هده
سوق على التبادل المتعادل للسلع
الجيوش البرتغالية وبعثات
لاستكتشاف في طبيعتها تشكل
هديدا مباشرا وفي تركيبها بما
ستطيع حمله معها من المبهوبات
كانت احيانا اداة الدفع الفضة/
مخس الاتمان وعلى اية حال لم
كن هناك صرورات ايجابية لانشاء
حدات اقتصادية حقيقية او اسواق
لمعنى العلمي الصحيح لها حيث
ن دلك يؤدي الى اقامة تبادل متعادل
، ظروف تنافسية، تتقرر فيها
لاتمان بشكل موضوعي

ان الاجراءات القسرية التي
ستخدمتها الكولونيالية البرتغالية في
خليج العربي، قد استطاعت اقامة
بادل دولي الا انه لم ينفع الاقطار
تى قامت بالسيطرة عليها ودلك لان
ة سلعة تشتريها بالاضافة الى
جزية التى تتقضاها غصبا، كانت
دفع اثمانها مما كانت تستخلصه
ن دافعي الجزية والضريبة
فسهم أن رسائل كولومبوس الى
لكه بعد اكتشاف القارة الجديدة
شير بما لا يقبل الجدل إلى صحة
ذلك

«هؤلاء الرجال لا يحسنون استخدام السلاح ويكفي خمسون جنديا لاخضاعهم وحملهم على ان يفعلوا كل ما يريده المرء ان يفعلوا» [٢٩] انها عبارات قليلة كافية للتعبير عن كل تاريخ الاستعمار القديم. ويلاحظ سيرى اندرسون ان الاستعمار البرتغالي هو (استعمار رد الفعل) ولسنا بصدد مناقشة ذلك ولكن يؤكد صاحب الفكرة على ان الهدف الجوهري لهذا الاستعمار من وراء الاكتشافات والرحلات هو السعي الى المنفعة، من خلال الوصول الى الهند وثرواتها الطائلة [٣٠]، ولكن طريقة هذا السعي تتغير وفقا للظروف الطارئة

لقد حصلوا على الذهب من غينيا وحملوا به سفنهم وكرروا هذا الذهب واستبدلوه بذهب السودان الذى اخذ يشح وينضب [٣١] والواقع انه مع نهاية عصر الصليبيين في بلاد الشام ومصر، احدث التجارة الاوروبية تعاني من عجز لم يكن ذهب السودان يعطي الا جزءا منه ان البرتغاليين لم يقتصروا على تجارة الذهب والمواد الاخرى بل اخذوا يحملون معهم العبيد[٣٢] الى لشبونة او مزارع القطن الامريكية ان ما يسمى بتجارة العبيد يشكل وصمة عار في جبين المدنية الاوروبية الحديثة فلقد حملت اساطيل الدول الاستعمارية من افريقيا اكثر من

(٢٢) مليونا من سكانها غصبا الى نصف الكرة الغربي للعمل في المزارع او المناجم لحساب الرجل الابيض وقد قتل او مات اكثر من ربع هذا العدد حتى قبل وصوله اليابسة(٢٣)

كانت السلع التجارية الاساسية تصادر في اغلب الاحيان من قبل المرتزقة البرتغاليين، او تقوم باثمان بخسة للغاية، وكان الملك البرتغالي يحتكر لحسابه الخاص اللؤلؤ والتوابل والعطور والحرير وعندما كان يتدهور سلطان الملك في ذلك الاحتكار يحول الى قواد الحاميات ان البرتغال نظرت الى الخليج العربي من زوايا ثلاث

اولا موقعه الممتاز فهو يصل بين قارتين هامتين من العالم القديم (افريقيا وأسيا) وطرفه الشمالي يقرب المسافة بين اوروبا والشرق في حالة استخدام القوافل البرية وبالفعل وصل البرتغاليون في مرحلة ما الى منطقة البصرة وشنوا غارة مفاجئة عليها في عام ١٥٥٦ والحقوا بها بعض الأضرار بالميناء كونهم لم يستطيعوا الاستيلاء عليه . اما منطقة الفاو فقد استخدموها كقاعدة وميناء لهم لفترة زمنية معينة . كما ان الخليج يسيطر على طرق الملاحة المتجهة من أوروبا الى الهند والشرق الأقصى وبالعكس

ثانيا ان شركاتها ورحلاتها الملاحية نظرت اليه من زاوية المصالح التجارية وخاصة في القسم الشرقي منه (بلاد فارس) اذ كانت سوقا استهلاكية لتصريف المنتوجات الأوروبية وما كانت تجلبه معها الى الهند ، وبالمقابل فقد كان الخليج منطقة تصدير المواد الأولية والحرير والأخشاب والمواد الغذائية

ثالثا انه مصدر نقدي كبير ، سواء بما احتواه من مواد نقدية معدنية كالفضة والذهب واللؤلؤ او بما فرضته السلطات البرتغالية من ضرائب ورسوم وأتاوات خيالية على العمل والانتاج والملاحة وحسب ما يرويه احد حكام هرمز من البرتغاليين في عام ١٥٥١ وكان يدعى الفارودى ان سلفه جمع أثناء عمله في حكم الحريرة (١٤٠) الف بردوسه من العملة البرتغالية ، أما هو فقد جمع ضعف هذا المبلغ (٢٤)

ومن الشروط التى قدمها فيليب الثالث الى شاه ايران عام ١٦١٨ ما يتعلق باحتكار الحرير « ينبغي على التجار الايرانيين سواء كانوا مسلمين أم مسيحيين أن ينقلوا ما يصدرونه من حرير الى هرمز او جوا واذا ما نقلوا بضائعهم الى مكان آخر فسوف تتخذ الاجراءات الضرورية لمنعهم (٢٥) .

وأخيرا لا بد من التنويه الى ان البرتغال شأنها شأن اسبانيا طبقت

ـياسة اقتصادية في داخل أراضيها رفت باسم السياسة المعدنية أو سبائكية تقوم على الحصول على ذهب والفضة من المستعمرات طريق مباشر (المناجم أو الضرائب) قد انتقلت كميات كبيرة من هده لعادن الثمينة الى داخل شبه جزيرة الايبيريه كما منع خروجها ..ر المستطاع اعتقادا من ان وفرة دين المعدنين يعني غنى الدولة وقوة تصادها وبالتالي قوتها

والى جانب هذه السياسة المحلية داخلية ، كانت الدول الاستعمارية ا فيها *البرتغال* تطبق *ما* يعرف باسم عهد الاستعماري ومضمونه ان ستعمرات ليست سوى مناطق علت لخدمة اقتصاديات الدول كبرى الاستعمارية وبالدات سهيل الحصول على ميزان تجارى جابي ويتلخص هذا العهد في يادين الآتية ان كافة المنتجات لعبيد التى تدخل المستعمرات لا بد ـ تأتي من الدول الأم وعن طريقها بسفن تابعة لها أما عن المنتجات لعبيد التى تصدر من المستعمرات ، جب ان تذهب فقط للدول لاستعمارية (الأم) وعلى سفن تابعة ا . وكذلك لا يمكن للتجار في الدول لاستعمارية شراء منتجات ستعمرات الا من المستعمرات تابعة للدولة واخيرا يحرم على المستعمرات (الأطراف) اقامة صناعات بها [٣٦] ان هذا العهد وحده يفند كل نظريات التخلف التقليدية التى تعزو التخلف الى اسباب اجتماعية أو اقتصادية أو حتى عرقية أو طبيعية ان عملية التراكم الأولى التى حرت لصالح المراكز المتقدمة على حساب الأطراف (المتخلفة) هي التى تشكل الميدان الذى تخوض فيه نظرية التراكم على الصعيد العالمي والتى بوسعها وحدها ان تفسر تخلف بعض البلدان وتقدم البعض الآخر [٣٧]

الخـــاتمة :

ان البرتغاليين اكتفوا طوال قرنين من تاريخهم الاستعماري للخليج العربي بترديد مزاعمهم الكاذبة عن مسئولياتهم الحضارية والمسيحية ، في حين انهم لم يحققوا أى شيء من التقدم في الخليج ولا في مستعمراتهم التى كانت منتشرة في افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية [٣٨] بل على العكس يعود تخلف منطقة الخليج العربي شأنها شأن باقي المناطق المتخلفة في العالم بالدرجة الأساس الى ممارسات الاستعمار البرتغالي والحملات الاستعمارية الغربية الأخرى ، والتى لا تزال نراها عملية معاصرة ولكن بأثواب جديدة وأساليب مختلفة .. ان

تحرير الاقتصاد من التبعية للغرب
واتباع طرق وأساليب انتاج ملائمة ،
واستراتيجيات تنموية خاصة ، هي

الضمان الأكيد للتوجه نحو التقدم
والرفاه الاقتصادي والاستقرار
السياسي والتماسك الاجتماعي

المراجع

ولا : المصادر العربية :

- بورد هنرى (راهبة البرتغال) القاهرة، شركة فن الطباعة، الجزء الاول
- نجاتي صدقي، «فاسكودا غاما وابن ماجد» مجلة الاديب، العدد ٤ نيسان ١٩٦٨
- صوت افريقيا الناهضة، عرض نشر بمجلة المبادىء، العدد (١ ـ ٢) السنة الرابعة، يناير، فبراير، ١٩٦٤، الرباط
- عبد اللطيف الخطيب ، «كامونيوس ـ (شاعر الفتوحات البرتغالية)، ترجمة نشرت بدعوة الحق، فبراير ١٩٦٤
- عصام عاشور، وسائل التعاون الاقتصادى بين بلدان الخليج العربى وسائر البلدان العربية
- حصاد ندوة الدراسات العمانية، ستة مجلدات (١ ـ ٦) مجموع البحوث والدراسات التى قدمت فى الندوة، ذو الحجة ١٤٠٠ هـ نوفمبر ١٩٨٠ سلطنة عمان ـ وزارة التراث القومي والثقافة، وفى هذه الندوة مالا يقل عن عشرة ابحاث
- سمير امين «التراكم على الصعيد العالمي ـ «نقد نظرية التخلف»، دار ابن خلدون، بلا تاريخ
- لبيب شقير، تاريخ الفكر الاقتصادى، القاهرة
- إسماعيل صبري عبد الله، نحو نظام إقتصادى عالمى جديد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧
١ـ محمد عارف الكيالي، معالم الفكر الاقتصادى الاسلامي، مجموعة محاضرات القيت على طلبة قسم الاقتصاد، جامعة بغداد، للأعوام ١٩٨٠ ـ ١٩٨٥
١ـ روبرت لوبينز. «التاثيرات الشرقية والنهضة الاقتصادية فى الغرب»، دار النشر للجامعات المصرية، ١٩٦١، ترجمة توفيق إسكندر
١ـ غي دى بوشير ، «تشريح جثة الاستعمار»، ترجمة ادوار الخراط، دار الآداب ـ بيروت ١٩٦٨
١ـ مصطفى صادق السباعي، «اشتراكية الاسلام»، دمشق ١٩٥٨، ص١٠٦ .

١٤ـ جيمس دفي. «الاستعمار البرتغالي في افريقيا». ترجمة د. شوقي حسن المراكبي، القاهرة. مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٣.

ثانيا : المصادر الانكليزية :

1. R.B. Serjeant, "The Portuguese off the South Arabian Coast," Libraire Du Liban, Beirut 1974.

2. Gamal Zakaria Kassem, "OMANI, Portuguese Conflict in the 16th and 17th Centuries, Bulletin of A.R.S.(A.L.E.C.S.O.) The Institute of Arab Research Studies, V & X, 1979/1980, Cairo.

3. John Paxton, "The Stateman's Year Book, 1970-1972, Macmillan.

4. C.R. Boxer "Portuguese Society in the Tropics, 1510-1800, University of Wisconsin Press, 1965.

5 Luella J. Hall "The U.S.A. and Morocco, 1971, 1776-1956.

6. Encyclopaedia Americana No. 27, pp, 441-442.

7. Encyclopaedia Britannica No. 1-4, pp. 882-882, 1046-1049.

8. The Middle East and North Africa in World Policies, 2nd edition, Vol. I, 1535-1914, Compiled, translated by: J.C.Hurawi, Yale University Press, 1975.

الهوامش

١) محمد عارف الكيالي، معالم الفكر الاقتصادي الاسلامي، عصر صدر الاسلام محاضرات القيت على طلبة قسم الاقتصاد في جامعة بغداد، كلية الادارة والاقتصاد، للأعوام ١٩٨٠ ـ ١٩٨٥

٢) روبرت لوبينز، التأثيرات الشرقية والنهضة الاقتصادية في الغرب، ترجمة توفيق اسكندر في كتاب معنون (بحوث في التاريخ الاقتصادي)، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، ١٩٦١، ص ١٤٢

٣) روبرت لوبينز، مصدر سابق ذكره، ص ١٤٤

(4) R. B. Serjeant «The Portuguese Off The South Arabian Coast», Libraire d Liban, Beirut, Printed In London, 1974, PP, 3 - 4.

(5) R. B. Serjeant, «Op. Cit», P. 3

(6) Gamal Zakaria Kassem «Omani Portuguese Conflict In The 16th & 17t Centuries. Bulletin Of Arab Research Studies. Arab Leage Educationa Cultural and Scientific Organization. The Institute Of Arab Researc Studies, V & X 1979/1980 Cairo, p. 143.

٧) س بكنهجام « بعض الملاحظات عن البرتغاليين في عمان » حصاد ندوة الدراسات العمانية، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، المجلد السادس، ذو الحجة ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٥، ص ١٨٨

٨) تؤكد بعض المصادر ان البحارة العرب اكتشفوا امريكا قبل كولومبوس بثلاثة قرون، بناء على دراسة قدمها عدة علماء امريكان من اصل صيني هم (هوى ليندلى ولنجواى ياى واخرون) انظر امين سعيد «الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة » دار الكاتب العربي، بيروت بلا تاريخ، ص ١٣ ـ ١٤

٩) غي دوبوشير « تشريح جثة الاستعمار »، ترجمة ادوار الخراط، دار الاداب، بيروت، ١٩٦٨، ص ١٣ ـ ١٤

١٠) محمد عارف الكيالي « محاضرات في الفكر الاقتصادي لطلبة الاقتصاد » غير

منشورة، الدراسات العليا (الماجستير) للعام الدراسي ١٩٨٧/٩٨٦ كلية الادارة والاقتصاد، جامعة بغداد

(١١) س بكنهجام ، مصدر سابق ذكره، ص ١٨٦
(١٢) مصطفى صادق السباعي « اشتراكية الاسلام »، دمشق، ١٩٥٨ ص ١٠٦
(١٣) ترجمة الدكتور عبدالرحمن الكواكبي، ص ١٦١
(١٤) غي دي بوشير ، مصدر سابق ذكره، ص ٤٣ ـ ٤٥
(١٥) س يكنجهام، مصدر سابق ذكره، ص ١٨٧
(١٦) كارل ماركس وفردريك انجلز « نصوص بشان الاستعمار »، في مصدر غي دي بوشير ، السابق الذكر، ص ٤١
(١٧) غي دي بوشير، مصدر سابق ذكره، ص ٣٩
(١٨) صلاح العقاد، «دور العرب والفرس في مكافحة الاستعمار البرتغالي في الخليج»، دراسة مقارنة، حصاد الدراسات العمانية، مصدر سابق ذكره، ص ٥٩ ـ ٦٠
(١٩) سعيد عاشور، «عمان حصن الامان للعروبة والاسلام»، المجلد الاول لندوة الدراسات العمانية، مصدر سابق ذكره، ص ٢٧٠
(٢٠) المصدر نفسه، ص ٢٧٠
(٢١) المصدر نفسه، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣
(٢٢) المصدر نفسه
(٢٣) احمد شلبي، «عمان في التاريخ من اقدم العصور حتى الآن»، المجلد الاول لحصاد ندوة الدراسات العمانية، مصدر سابق ذكره، ص ٢٧ ـ ٢٨
(٢٤) صلاح العقاد، مصدر سابق، ص ١١٠
(٢٥) احمد شلبي، مصدر سابق، ص ٢٩
(٢٦) المصدر نفسه
(27) Gamal Zakaria Kassim, Op. Cit. pp. 145 - 146.
(28) N.R. Banerjee, «The Iron Age in India», Delhi, 1965, pp. 113 - 114.

(٢٩) غي دي بوشير، مصدر سابق ذكره، ص ١٤٦
(٣٠) بيري اندرسون، «البرتغال ونهاية آخر عصر الاستعمار»
(٣١) غي دي بوشير، مصدر سابق، ص ١٣٥
(٣٢) غي دي بوشير، المصدر نفسه، ص ١٣٥
(٣٣) عبدالرسول سلمان، «معالم الفكر الاقتصادي»، بغداد ١٩٧٤، ص ٥٠، وما بعدها
(٣٤) صلاح العقاد، مصدر سابق، ص ٧٦ ـ ٧٧
(٣٥) المصدر نفسه، ص ٧٩
(٣٦) لبيب شقير، «تاريخ الفكر الاقتصادي»، مطبعة الانجلو المصرية ، القاهرة بلا تاريخ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨، ومن الجدير بالذكر أن العهد ليس معناه انه قائم على اتفاق

او عقد بين المستعمرات والدول الاستعمارية، وانما هو التزام تلتزم به المستعمرات في علاقاتها مع الدول المستعمرة والعالم الخارجي .

٣٧) هناك تحليل واسع ورائع لكاتب عربي هو الدكتور سمير امين حول هذا الموضوع بعنوان «التراكم على الصعيد العالمي ، نقد نظرية التخلف» دار ابن خلدون ، ترجمة حسن قبيس، والكتاب على ما يبدو كتب بلغة اجنبية (فرنسية) ولكن للأسف فإن الترجمة ليست على ما يرام

٣٨) جيمس دفي، «الاستعمار البرتغالي في افريقية» ترجمة د شوقي حسين المراكبي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٣، ص١٢ .

أصـ



في أدب

صلات الادب بالبيئة العامة والخاصة وتأثره باحوالهما الطب
والاجتماعية والثقافية والسياسية مازالت تشغل النقاد ومؤ
الادب والفلاسفة وعلماء النفس والاجتماع وغيرهم. وبفضل
التأثر والتأثير تنكشف الروابط الوثيقة التي تشد الادب الى التا
وتصل التاريخ بالادب حتى لتجد صفحات وفصولا مما يـ
المؤرخون ترفل بأساليب ادبية جميلة وتزهو بصور وصيغ
فاتنة(١) . كما تجد فصولا اخرى وكتبا ورسائل كتبها الادباء وا
كثيرا مما ينظمه الشعراء اشبه بالوثائق التاريخية التي لا يستـ
عنها المؤرخ(٢) . لهذا كان التاريخ ومايزال اقرب العلوم الانسانـ
الادب. وكثيرا ما اجتمعا في رجل واحد. وفي تاريخ الفكر الـ
والعربي العشرات من الاعلام الذين جمعوا بين الادب والتاريخ
المقفع والجاحظ وابن قتيبة والصولي ومسكوية وغيرهم من الـ
والمؤرخين القدماء(٣) . ولم يختف هذا المظهر من مصابيح
والثقافة والادب حتى اليوم على الرغم من شيوع التخصص الـ

والحق ان الشعر والنثر العربيين
يكشفان عن كثير من الاحداث التاريخية
ويسلطان الاضواء من زوايا فنية وغير فنية
على اسرارها وخفاياها. والظاهر ان اهتمام
الشعراء والكتاب باحداث عصرهم يزداد في
عصور القوة والازدهار ويخفت في عصور

الضعف والانحدار. هذا سبب التا
الشديد والصعوبة المنهجية البالغة ا
يعاني منها الذين يدرسون مواقف الا
من الاحداث بعد الخلافة العباسية
٦٥٦ هـ/١٢٥٤م لانها عصفت
الحكم العربي في العراق والشام

...زو البرتغالي
...ليج العربي

بقلم الدكتور :

علي احمد الزبيدى

ويخضعها لسلطان الاعاجم من ...س وترك وفرنجة ، ولا تنس ان ...يا بهذا الحدث او ذاك خلال تلك ...المظلمة كان يتوارى تحت ركام ... والازمات والمحن هذا فضلا عما ...شعر والنثر من تدهور وجمود ...تخلف واستهلاك المواهب في ...صنعة البديعية واستنفاد القدرات ...تفريع البديع وتعقيد وتكبيل ...شعرى والنثرى بالقيود الثقيلة (٢) .

...ية الكشف عن مواقف ادباء ...خليج من الاحداث لا يعنى انهم ...ل عنها فلم يخضعوا بها ولم تؤثر ...من الاحداث كل ما في الامر ان ... [illegible]

النبوية ومراثي آل البيت والشعر التعليمي وما شاكل ذلك .

وكان مد الشعر الديني طاغيا في شمال بلاد العرب ووصلت امواجه القوية الى ادب الجزيرة العربية بحرف تيار التصوف والزهد وتأثيراتهما السلبية فتت الشعراء واضعف استجاباتهم المباشرة لاحداث عصرهم وهمومها وازماتها ومشاكلها فالغزو البرتغالي الذي يدور عليه هذا البحث كان اشد الاحداث خطرا في تاريخ شرقي جزيرة العرب وجنوبها في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين (السادس عشر والسابع عشر الميلاديين) ولكننا لا نكاد نجد له صدى يذكر الا في الادب الشعبي ولم نعثر له على اثر يذكر في الشعر الفصيح ... [illegible]

توفرت المصادر وسمح الوقت بتوسيع هذه الدراسة[٩] .

ان منهج بحثنا يحتم علينا ان لا ننقل بالتفاصيل التاريخية دراسات وافية عن الغزو البرتغالي وسنكتفي بلمحة تاريخية خاطفة تحدد المواقع المكانية والزمانية لابراز احداث الغزو ليتسنى لنا استقصاء انعكاساتها فى الشعر والنثر والادب التاريخى .

لقد وقع اول احتكاك بين البرتغاليين والمشرق العربى عند وصول فاسكو دى جاما الى موزمبيق سنة ١٤٩٧م واعتدائه على مينائها (سفالة) وصعوده شمالا الى ماليندى وممباسا وارهابه اهلها وحكامها ثم ابحاره الى الهند بمعونة الملاح العربى ابن ماجد او ملاح مسلم اخر كما يرى بعض الباحثين[٦] وقد تحول هذا الاحتكاك الى صدام خطير فى البحر والبر خلال رحلة دى جاما الثانية سنة ١٥٠٢م/٩٠٨هـ لانه صمم على اغلاق البحر الاحمر بوجه الملاحة العربية بعد ان احتل كلوه وزنجبار على ساحل افريقية وكلكتا على ساحل الهند مرتكبا فى البر والبحر فى اثناء غزواته ورحلاته جرائم وحشية فظيعة ثم توالت احداث العدوان والرد على العدوان بين العرب والغزاة البرتغاليين . وقد تمكن الاسطول البرتغالى بقيادة دالميدا ثم الاميرال البوكيرك من احتلال جزيرة سوقطرة القريبة من عدن سنة ١٥٠٧م كما حاول البرتغاليون الاستيلاء على عدن نفسها فأرتدوا خائبين[٧] . ثم اتجهوا الى سواحل عمان وأغاروا فى طريقهم على المكلا وسواحل حضرموت واستولوا على عدد من السفن العربية التجارية ثم قتلوا ملاحيها وركابها واحرقوا عددا منهم احياء بعد ان قطعوا آذانهم وانوفهم . وفى عام ١٥٠٨م هاجم البوكيرك مسقط فأحتلها بعد ان قاومت مقاومة باسلة فخرب رجاله بيوتها وهدموا جامعها الذى كان تحفة فنية اثرية رائعة وقتلوا مئات النساء والاطفال وقبيل ذلك كان البرتغاليون قد احتلوا ظفار وشيدوا فيها حصنا منيعا واستولوا على الموانىء العمانية القريبة من مسقط مثل قلهات وصور وقريات والمطرح كما استولوا على جزيرة هرمز وانقضوا سنة ١٥٢١ على القطيف والبحرين فاستولوا عليهما وبنوا قلعة فى المنامة واخرى فى القطيف وبذلك هيمنوا على الخليج العربى هيمنة كاملة طوال القرن السادس عشر (العاشر الهجرى) ونصف السابع عشر ومع ان نفوذهم قد تقلص لاستمرار المقاومة ولتدخل العثمانيين الا ان انهيارهم لم يبدأ الا فى عهد الامام ناصر بن مرشد (١٠٢٤ ـ ١٠٥٠ هـ) فهو الذى اخرجهم من الموانىء العمانية الجنوبية وضيق الخناق عليهم فى مسقط واخيرا تمكن اليعاربة في عهد خليفته سيف بن سلطان بن سيف من تحرير مسقط والبحرين فى سنة ١٦٥٠م/ ١٠٦٠هـ وتطهير الخليج وبحر العرب وموانىء الساحل الافريقى كزنجبار وممباسا وكلوه ومقديشيو من آخر الغزاة والقراصنة البرتغاليين[٨] . لقد طالت مدة العدوان كما يلاحظ فاستغرقت قرنا ونصف القرن ويجمع المؤرخون من القدماء والمحدثين على

سبب انتصار البرتغاليين وبقائهم في
ـار وعمان والبحرين هو سوء الاحوال
ياسية في عمان واقطار الجزيرة العربية
، انهكها الصراع المستمر على السلطة
الرؤساء والشيوخ والامراء وانتشار
ن الدينية والحروب القبلية في اواخر عهد
ـهانيين [٩] وحتى حكم اليعاربة بتولى
ـام ناصر بن مرشد (١٠٢٤ هـ/
١٦م/ ١٠٥٠ هـ/ ١٦٤٠م) كما اشرنا
وقد سرد صاحب تحفة الاعيان وقائع
اع بين النبهانيين والاباضية وتمكن
اضية من عزل الامام النبهاني وتولية
ـد بن اسماعيل الخروصي سنة ٩٠٦
، ١٥٠٠م وحكم هذا تم عزل لسوء
سته سنة ٩٤٢/ ١٥٣٥م[١] وفي عهده
البرتغاليون في شرق افريقيا وغزوا عمان
ـتولوا على ظفار والمطرح ومسقط وكان
ـراع على السلطة والامامة قد اشتد في
حكمه ، ثم ازداد شدة في عهد ابنه
يفته بركات، قال السالمي واصفا ذلك
ـزق «ولبث محمد الهنائي في بهلى وال عمر
ـمائل ومالك بن ابي العرب اليعربي في
ـتاق والجبور في الظاهرة والنصارى
رتغاليون) في (مسقط) وصحار وجلفار
ـور وقريات وجزيت عمان بعد العدل
ـمان وعاشت فيها الجبابرة وقل فيها العلم
ـير .»[١١] ومما قاله ايضا «وبقيت
ن كذلك حتى اظهر الله الامام الارشد
ـر بن مرشد رحمه الله فاستفتح جميع
ن ودانت له جميع البلدان وطهرها من
ـي والعدوان والكفر والطغيان[١٢] وعن
ـلة عودة النبهانيين الى السلطة خلال
النصف الثاني من القرن العاشر للهجرة قبيل تولي ناصر بن مرشد يقول السالمي «وبنصب الائمة في وقت واحد، (ثلاثة ائمة) تشتتت الكلمة وتفرقت الجماعات وضعفت دولة المسلمين ووهت قوتهم، وطمع فيهم من كان لا يطمع فصار الملك متفرقا في ايدى الرؤساء من النبهانية وآل عمير وآل هلال وهم رهط الجبور وصارت الشدة على اهل عمان ولم تبق دولة المسلمين الا في مكان دون مكان»[١٣]

وقبل ذلك العهد المضطرب كان العمانيون سادة المحيط الهندي وبحر العرب والخليج[١٤] وقد لاحظ ذلك المسعودي في القرن الرابع للهجرة[١٥] واكد قوة هذه السيادة واستمرارها الرحالة المغربي الشهير ابن بطوطة بعد نحو خمسة قرون[١٦] . ولم ينافسهم منافس حتى الغزو البرتغالي لساحل افريقيا الشرقي والساحل العربي الجنوبي الشرقي والخليج العربي في القرن العاشر للهجرة ولهذه السيادة العربية البحرية اهمية كبيرة في تاريخ الحضارة العربية والاسلامية لانها نشرت الاسلام واللغة العربية في شرق افريقية ورفدت اللغة الافريقية بفيض من الالفاظ والمصطلحات العربية وادت الى نشوء ادب عربي فصيح في مناطق زنجبار ومقديشيو وممباسا وغيرها ونقلت كثيرا من عناصر الحضارة العربية الاسلامية الى شرق القارة ووسطها[١٧] ولم يوقف الغزو البرتغالي ولا الاستعمار الاوروبي من بعد هذا التأثير العربي العميق فاستمر الى يومنا هذا، وخير دليل على قوته وعمقه ان معجم اللغة السواحلية ونحوها

وشعرها وادبها القصصي الشعبي والديني تؤكد صلات اللغات الافريقية الشرقية وآدابها باللغة العربية وآدابها[١٨] ولا ارتاب ايضا من ان الغزو البرتغالي كانت له اصداء وآثار في ادب المقيمين العرب في حواضر وثغور الساحل الشرقي لافريقيا [١٩]،وفي الاداب الافريقية الشعبية الاسلامية وغير الاسلامية، ولكن هذه الاداب لم تصل الينا لانها لم تدون لانتقالها من جيل الى آخر بالروايات الشفهية وقد اكدت الدراسات الحديثة من الادب الصومالي ان معظم الشعر الديني والصوفي المنظوم بالعربية وبالسواحيلية قد ضاع والمقصود هنا ما نظم قبل مدة قصيرة فكيف بالشعر الذي قيل قبل قرون ؟(٢)

ان هذه الدلائل التاريخية تؤكد ان ادب الاعصر المتأخرة لم يكن بمعزل عن الاحداث السياسية والحربية على الرغم من ضغوط الحكم الاجنبي وكثرة عوامل التخلف والجمود والعقم والملاحظ ان مؤرخي الادب العربي المحدثين والمعاصرين لم يهتموا كثيرا بدراسة آدابها فوسموه بشدة الضعف والجمود بصورة مطلقة فوسموا ادب الجزيرة العربية بما وسموا به عموم ادب الفترة المظلمة بل ذهب كثير منهم الى ان الادب في اقطار الجزيرة العربية كان اشد تخلفا لما كان يسودها من حروب قبلية ونزاعات مذهبية وتأخر ثقافي واجتماعي واقتصادي .[٢١] الخ وبالغ نفر منهم كمحمد اسعد طلس الذي اعتمد على احكام امين الريحاني وبعض المستشرقين كبروكلمان ونيكلسون وهوار في تعميم هذه الاحكام العامة كما فعل اواخر المصنفين كعمر فروخ وحنا الفاخوري ولم ينتبه الى وجه الخطأ في مثل هذه التعميمات الا بعض مؤرخي الادب كشوقي ضيف الذي اثبت في كتابه الاخير ان صورة الادب العربي في الجزيرة اكثر اشراقا مما توحي به اقوال مؤرخي الادب السابقين وان لم يشر الى ذلك صراحة(٢٢)

لقد فاتهم ان اقطار الجزيرة قد سلمت من الغزو والاحتلال والاستباحة والخراب التي انزلها المغول بالعراق والشام وفلسطين ، فلم تتعرض اللغة العربية وآدابها في الجزيرة العربية الى غزو لغوي او ثقافي واجتماعي كما حدث في الشمال صحيح ان ادب الجزيرة قد تأثر بالتيارات والموجات التي اشاعت التخلف والجفاف في عموم الادب العربي ولكنه استطاع ان يحتفظ بسلامة اللغة بالقياس الى ما طرأ عليها في العراق والشام فكان الشعر في اقطار الجزيرة اكثر نشاطا وحيوية من شعر الشمال العربي بصرف النظر عن انحرافه بموجة التصنع البديعي التي كانت مسيطرة على آداب العصور المتأخرة في كل مكان وعن ابتلاء اقطار الجزيرة العربية بسموم التفرقة وشرور التمزق والانقسام الى امارات ومشيخات صغيرة عاثت شر التنازع من اجل الرئاسة والامارة والمشيخة والاحقاد التي تضرمها العصبيات القبلية وكان الشعر في العراق والشام قد خمدت جذوته منذ سقوط الخلافة في القرن السابع وزوال الحكم العربي واستيلاء المغول والفرس والترك وغيرهم من الاعاجم على السلطان والمال والجاه ولم يسلم الشعر في مصر ايضا من هذا الجمود في عهد المماليك على الرغم من

امهم للعربية وادابها لانهم اعاجم
سباب احرى يطول شرحها وكان من
يعي والاحوال كما نرى ان يحتفظ
ب والشعر فى حريرة العرب بكثير من
ائص الشعر والنثر وتقاليدهما التى
ت او كادت تحتفى من الشمال العربى
ر الحرب والحماسة والفخر بقى حيا
وما فيه وان تخلف وراء الشعر القديم
الحروب والنزاعات المستمرة فى اقطار
زيرة بين الامراء والشيوخ والقبائل كانت
ه وتغديه وقديما قال الاصمعي ان طريق
عر هو طريق شعر الفحول مثل امرىء
س وزهير والنابغة (الذبيانى) من صفات
ار والغزل والهجاء والمديح والتشبيب
ساء وصفة الخمر والخيل والحروب
فتخار فاذا ادخلته فى باب الخير[٢٣]
ر المديح فى اقطار جزيرة العرب لم
ش كما انكمش فى شمالها للاسباب
كورة ولان الممدوحين عرب اقحاح
ون للمديح ويتذوقونه ويفيدون منه على
صعيدين الاجتماعى والسياسى ويجزلون
طاء للشعراء فى حين ان شعراء العراق
شام ومصر كانوا بعد زوال الحكم العربى
يادة الاعاجم لا يجدون اميرا عربيا يفهم
يح ويثيبهم عليه ولا بطلا قوميا عربيا
يدون ببطولته ولا أغالى إذا زعمت انما لا
. فى القرنين التاسع والعاشر الهجريين فى
راق والشام ومصر شعراء افضل من كبار
راء عمان والبحرين واليمن لقد كان
صفويون الفرس يحتلون معظم العراق،
لاد خراب يباب، والحياة الثقافية
علمية راكدة، والناس فى كرب وهلع، ولم
ث العثمانيون الاتراك ان هاجموا العراق
ة ٩٢٥ بعد ان استولوا على الشام ومصر

وقتلوا الغورى آخر المماليك[٢٤] وكان قانصوه الغورى قد ارسل قوة بحرية لتساعد عدن وامير مالابار الهندية فى صد البرتغاليين فدمرها هؤلاء[٢٥] وثمة فوارق اخرى بين ادب شبه الجزيرة العربية وادب شمالها لا مجال لشرحها هنا ، مثل النهج التقليدى والطابع البدوى، وتقلص شعر المجون وقلته وانتشار شعراء الزهد والتصوف والمدائح النبوية ومدائح آل البيت واتسام هذا الشعر بالحرص على تجنب ما يبلبل العقيدة ويثير الشك والالحاد فى حين ان شعر التصوف فى العراق والشام وغيرهما لم يتقيد بمثل هذا الحرص والحذر ومن الخصائص ايضا استمرار وصف الصحراء وحياتها فى شعر الاعراب ومقلديهم ووصف البحر والسفن والمعارك الحربية البحرية والمدن الساحلية ولاسيما الموانىء الافريقية الجميلة كزنجبار وممباسا وكلوه كما فى شعر الحضارمة والعمانيين المارين والمقيمين الخ ومهما كان فالذى يهمنا هنا ان الشعر (كان على كل لسان على حد تعبير الدكتور شوقى ضيف فى عرضه القيم الممتع للحياة الادبية فى الجزيرة العربية[٢٦] وقد راج شعر الحرب والحماسة والفخر والمديح وبعض الاغراض التى تتسم بالاحداث الحربية والسياسية لان الحياة فى اقطار الخليج كانت توفر لها الحوافز والدوافع والظروف الملائمة فتتواثب فى قصائدها واشعارها صور الغزوات والمعارك والحروب الداخلية والخارجية وكان العدوان البرتغالى اشد هذه الحروب وبالا واطولها عمرا فى تاريخ الجزيرة العربية فترددت اصداؤه فى شعر عمان وحضرموت والبحرين وفى نثرها الادبى والتاريخى،

وتفاوتت تأثيرات تلك الاصداء واختلفت قوة وضعفا باختلاف الظروف الحربية والسياسية والنفسية التى احاطت بأحداث ذلك الغزو الاستعمارى الذى دام قرنا ونصف القرن

وهنا يجب ان نؤكد ان متابعة تلك الاصداء والصور فى دراسة كهذه لا تلتزم مطلق الالتزام بالمعايير النقدية الخاصة بالادب الرفيع ولا تهملها كل الاهمال لان الاهتمام هنا ينصب على الجانب التاريخى ومع هذا فان مؤرخ الادب لا يستطيع ان يتخلى عما يميز الدراسة الادبية التاريخية عن البحث التاريخى الصرف ويحسن ان نعترف ايضا ان موضوعنا هذا وما يماثله من موضوعات لا تحظى عادة بأهتمام خاص لان حدثا تاريخيا كالغزو البرتغالى يتحرك حول محور واحد من محاور الادب ويدور حول موضوع رئيسى كبير تلتف حوله عدد من الموضوعات الثانوية ولا تجد لها أثرا الا فى اغراض شعرية معينة كشعر الحرب والحماسة والفخر والمديح وبعض انواع الوصف لذا يندر ان نجد مؤرخا او باحثا يحصر اهتمامه فى موضوع كهذا ولا يتعداه لغيره الا اذا كانت هناك مناسبة كمناسبة إعداد هذا البحث التى خصصت لفترة الغزو البرتغالى فلولاها لما خطر ببالي ان اجازف لتصيد اصداء الغزو البرتغالى فى الشعر والنثر لقد خيل لى من بادىء الامر اننى كالراكض وراء السراب رد على هذا ان تاريخ اداب الجزيرة العربية وتاريخها السياسى والاجتماعى ما زالا محتاجين الى دراسات كثيرة وابحاث مفصلة عديدة واذا كانت الحياة الادبية فى اليمن قد نالت قسطا من العناية فى السنوات الاخيرة فان اقطارا اخرى كعمان والامارات وحضرموت لم تحظ الا بدراسات قليلة تعد على الاصابع والحق ان حظ المؤرخ افضل بكثير من حظ الاديب لوفرة الدراسات التاريخية الحديثة التى قام بها المستشرقون والعرب والمصادر التاريخية الاولية المطبوعة والمخطوطة لذا كانت الشكوى من غياب المصادر الادبية وقلة الدراسات الحديثة تتكرر فى كل دراسة ادبية حول الادب وفنونه فى اقطار الجزيرة العربية فمعظم دواوين الشعر قد فقدت والقليل الذى سلم من الضياع مازال مخطوطا محتجبا فى اماكن يتعذر الوصول اليها وكتب التراجم المعنية بالشعراء والادباء ليس لها وجود والمتأخر منها كخلاصة الاثر للمحبى وريحانة الالباء للخفاجي والسلافة لابن معصوم ونفحة الريحانة للخفاجى ايضا ونشوة السلافة لمحمد على بشارة وامثالها قلما تعنى او تهتم بشعراء وادباء عمان وحضرموت واليمن فإن صادف وجود تراجم لبعض رجالها المشهورين فهي موجزة إيجازاً مخلا يحرج الباحث ويزعجه [٢٧]

كانت عمان كما يعرف المؤرخون القطر العربى الذى نكب بالغزو البرتغالي مدة قرن ونصف فقد احتل الغزاة اكثر ثغورها وفتكوا بأهلها واشاعوا فيها الخراب، وقد تعرضت البحرين والقطيف للعدوان والاحتلال ايضا مدة طويلة ومع هذا فلانجد شيئا فيما كتبه شعراؤهما يرضى الباحث عن اثر الغزو البرتغالى فى الشعر والنثر اما عمان فأهم دراسة عن شعرها للدكتور على عبد الخالق [٢٨] ليس فيها الا بعض الاشارات والنصوص لمستشهديها قليلة وقد سبق ان انتبه الى بعضها الدكتور شوقى ضيف وبعض المؤرخين [٢٩] وكانت

موت قد اصيبت هي ايضا بويلات
البرتغالي وان لم يحتل البرتغاليون
يها وسواحلها وانما اكتفوا بالاغارة
وباعمال القرصنة في مياهها مرات
ة خلال المرحلة الاولى من غزوهم على
ص ومع هذا لا نجد شيئا فيما عرفنا
عرها ونثرها الادبي والتاريخي فكتاب
اف تاريخ الشعراء الحضرميين وهو
في ثلاثة اجزاء او جزء فيها المؤلف نحو
وعشرين ترجمة لشعراء حضارمة عاش
عشرات خلال القرنين الهجريين العاشر
ادي عشر للهجرة (فترة الغزو البرتغالي)
د فيه نصا شعريا او نثريا واحدا
ن عليه ظل حدث صغير او كبير من
ث الغارات البرتغالية المتعاقبة على
ل حضرموت وجزرها وسفنها[٣] وقد
البرتغاليون القطيف كما ذكرنا وبنوا
حصنا ولكننا لا نجد في كتاب شعراء
ف للشيخ على المرهون اية اشارة او
يتردد فيه صدى ضعيف من اصداء
ان البرتغالي الذي دام اكثر من
٣) ونصطدم بالعقبة نفسها اذا اتجهنا
ب البحرين التي احتلها البرتغاليون
وا فيها قلعتين طوال مدة وجودهم في
ج العربي ولا نستطيع التثبت بعدم
اثر لهذا الغزو في ادب البحرين ولعلنا
ون اذا توفرت لدينا بعض المصادر
ن هي العقبة الكأداء اعني مشكلة قلة
در للدراسات الخاصة باقطار الخليج
يرة العربية ولو لا فضل نفر قليل من
ـين واهتماماتهم الادبية وكثرة
وص الشعرية والنثرية التي ذكروها ،
لو لا هؤلاء الافاضل كالاركوى
لي وابن رزيق والمعبرى من القدماء

وشوموفسكي واستاذه كراتشكوفسكي ووندل فيليبس وفران وغيرهم لما استطعنا ان نضيف شيئا الى الاشارات الخاطفة والوقفات القصيرة التي وجدناها في بعض الدراسات الأدبية والتاريخية [٣٢]

واقدم اشارة ادبية الى البرتغاليين وردت في احدى الاراجيز الثلاث المنسوبة للملاح العربي الذائع الصيت شهاب الدين بن ماجد التي اكتشفها المستشرق الروسي كراتشكوفسكي بعد الحرب العالمية الاولى[٣٣] ثم قام بتحقيقها ودراستها بعد ذلك تلميذه تيودور شوموفسكي ونشرها بعنوان ثلاثة ازهار في معرفة البحار في ليننغراد سنة ١٩٥٧[٣٤] وهي كما لاحظ كراتشكوفسكي غير الاراجيز الشهيرة المسماة بالحاوية الموجودة في كتاب (الفوائد في اصول علم البحر والقواعد) الذي قام المستشرق الفرنسي جبرييل فران بدراسته والكتابة عنه ثم نشره في باريس سنة ١٩٢٢[٣٥]

يقول الاستاذ الروسي شوموفسكي في دراسته (والترجمة العربية لمحمد منير مرسي ناشر الكتاب) والجزء الثاني من الارجوزة الاولى حفل بالاشارات المتكررة (الى) الفرنجة (البرتغاليين) ويتكرر اسمهم (بقصد الاشارة اليهم) اربع عشرة مرة[٣٦] ويقول وفي الاخبارات (هكذا جمعها) عن رحلات الفرنجة الذين وصلوا الى الحبشة واخذوا معلومات وصفية من كل قادم من الهند ومن هذه الانباء عظمة واتزان فكر الانسان ولكن يتغير هذا الفكر لدى ابن ماجد، شاهد العيان لوقائع الاستعمار البرتغالي بنظامة الدخيل على المحيط الهندي الذي اساء الى الملاحة العربية فيجد انه من

الضرورى ان يعبر فنيا عن احساسه الثائر فيقول عن المستعمر البرتغالي

وجـاالكاليكـوت خد ذى الفـائدة
لعـام تسعمـايـة وست رائـدة
وبـاع فيهـا واشتـرى وحكمـا
والسـامـرى (بـرطلـه) وطلمـا
وسـار فيهـا معص الاسـلام
والناس فى حوف (وق) اهتمـام
وانقطع المكس عن ارص السامرى
وشـد جـردمـون للمسـافـر
(وخـرني) مـا حملـه الفـريحى
من جانب السودان شط اللحىّ
وهـو الدى قـد قهـر المخـاربـة
وانـدلس فى حكمة مناسـبة[٣٧]

ويمضي شوموفسكي قائلا

«وبعد فترة قصيرة يعود المؤلف (يعني ابن ماجد) الى احداث عام ١٥٠٠ - ١٥٠١م (ص ٩٤ اس ١٦ - ٢٠)

وبعـد دا من عـام تسعمـايـة
وست حـاءوا الهـد يـاأحـايـه
واشتـروا البيـوت ثـم سكنـوا
وصـاحبـوا وللسـوامـر ركنـوا
والنـاس تصرب فيهم الطـونـا
دا حـاكم او سـارق محـبوسـا
وتصرب السكـة وسط البـدر
بـدر كـاليكـوت بـين السفـر
يـاليت شعرى مـا يكـون منهم
والنـاس معجبـين من امـرهـم

ويرى المستشرق ان فى ابيات الاراجير نبرات ندم فيقول بعد هذه الابيات «وبهدا الندم المرير لملاح فاسكو دى حاما والتاريخ الدى يشير اليه شهادة ذات اهمية تاريخية ادبية من الدرجة الاولى ولا يوجد حتى الان اى مصدر احر يتضمن هده المعلومات من المصادر التى بنيت عليها دراسة فاسكو دى حاما وابن ماجد وهناك فى نهاية كل من الاراجيز الثلاث يرد لحن خاص يكمل الصورة العامة للمراح الفكرى عند المؤلف (الناظم) فهناك الشكوى من هبوط روحه المعنوية التى يفسرها على ما يبدو بضعف التأثير الاسلامى فى الحارج[٣٨] واشارات ابن ماحد الى البرتغاليين وملاحظات محققها المذكورة اثارت اهتمام المستشرق الروسى الاستاد اولد وروجى الدى كتب لها مقدمة يقول فيها بعد ان دكر اربعة ابيات منها اولها (وحاالكاليكوت)

«وكان قدر ابن ماجد تراجيديا، فقد كان شاهدا على ما قام به البرتغاليون من افناء للسلاطين العرب فى شرق افريقيا وتدعيم قبضتهم على لبنة الاستعباد الاستعمارى لشعوب جنوب اسيا ومند ذلك الحين مرت ٤٥٠ عاما كانت لشعوب الشرق فترة ظلم واستعباد «الح[٣٩] وادرك شوقى ضيف اهمية رحر ابن ماحد التاريخية الادبية تاريخ الجزيرة العربية وادبها واهمية ملاحظات شوموفسكي واولد روجي فقال وهو يتحدث عن الملاحة العربية وعن ابن ماحد

«ومن سوء طالع هذا العالم العربى الفد فى علم الملاحة البحرية وهو على وشك ان يختم حياته وقد بلغ سبعين عاما ونيفا ان تعرف عليه فى (مالندى) بشرقى افريقيا فاسكو دى جاما البرتغالي وكان قد يئس من الوصول الى الهند عن طريق البحر اد كان يجهل هو ورفاقه البرتغاليون الطريق البحرى اليها، وكانت سفنهم كلما خرجت فى المحيط الهندى واتجهت نحو الهند تحطمت ولم ينج منها احد وعجب ان نرى ابن

يتحول له مرشدا يهديه الطريق في سنة
للهجرة الى كلكتا في الهند وبذلك يكون
ملته - اداة للاستعمار البغيض
تالي اولا، ثم الانجليزي والفرنسي
لندى من شاطىء افريقيا الشرقي الى
لهند الشرقية وبحر الصين وسرعان ما
بسوء فعله فصور ذلك مرارا في الم
ة عن فاسكودي جاما واصحابه
تاليين في الارجوزة الاولى من «ثلاث
في معرفة البحار»

كاليكوت حد ذي الفائدة
لعام تسعمائية وست رائدة
ار فيها معص الاسلام
والناس في خوف وفي اهتمام
ـروا البيوت ثم سكنوا
وصاحبوا وللسوامر ركنوا

و يريد - الكلام لشوقي ضيف - امر البرتغاليين نسبة الى السامرى صنع العجل وعبده بنواسرائيل ، يريد كفار ومع ذلك صاحبهم حاكم تعر وت في الهند وكأنما عرف قصر نظره عة عمله بعد فوات الأوان ومع انه ن الاراجيز والقصائد مما يدل على أن شاعرية عنده كان فياضا يحتل الوزن أحيانا (٤)

ـسير شوقي ضيف لمعنى لفظة امر) لا وجه له هنا فالسوامر هم رهط رى حاكم كاليكوت كما ذكر زين الدين ى في (تحفة المجاهدين) وابن رزيق لي وغيرهم من المؤرخين وقد عاصر ى تفاصيل الفظائع التي ارتكبها اليون وصب بعض غضبه وسخطه على رى والسامريين باسلوب يتسم بالألم ة التي لاحظناها في رجز ابن ماجد

ان القيمة الفنية والأدبية لمنظومات ابن ماجد ضئيلة لافتقار الشعر التعليمي كله الى عناصر الفن والجمال إلا أن هذه القيمة الضئيلة لا تنفي أنها أثر منظوم من آثار الأدب عكس مشاعر عالم كبير وأديب شاعر عبر تعبيرا صادقا عما تركه الغزو البرتغالي في نفسه ونفوس العرب والمسلمين من أبناء عصره ولا يفوتنا أن ابن ماجد ينظم للربابنة والملاحين وهم صنف لا يلم بأصول الثقافة الأدبية واللغوية المام طلاب علوم اللغة والنحو والفقه والكلام وسائر الدين اعتادوا أن ينظم لهم شيوخهم اراجيز الشعر التعليمي ثم ان اراجيز ابن ماجد بمثابة دليل بحري ملاحي علمي جغرافي للرحلات عبر البحار والمحيطات فهو ادنى ضرب من النظم يتيح للناظم فرصا للتصوير والتلوين والتنويع والتطرق الى بعض الأحداث ووصف أحوال البحار والجزائر على الرغم من الصعوبات العديدة التي تعترض النظم في هذا النوع الفريد النادر من الشعر التعليمي لأن كثرة الأسماء العربية للجزائر والبحار والسواحل والمدن والأقوام اضافة الى ما تنطوي عليه علوم الملاحة من المصطلحات العلمية والأسماء الأعجمية والمعربة والمحرفة والعامية تضطر الناظم الى اثقال النحو المنظوم وارباك وزنه بالعلل والزحارف والألفاظ والعبارات الخارجة على قواعد اللغة والنحو والصرف ومع هذا كله فان هذه المساوىء والهنات قليلة بالقياس الى ما ذكرناه من خصائص هذا الضرب من النظم ومشكلاته

وإذا تركنا ابن ماجد واراجيزه فلا نكاد نجد في آثار القرن العاشر الأدبية ما يدل على تأثر الشعراء والكتاب والأدباء بأحداث

الغزو البرتغالي وهو في مرحلته الأولى أيكون هذا خطأ سببه قلة مصادرنا وضياع الأشعار ودواين الشعر والنثر ؟ أو أن الهزائم التي انزلها البرتغاليون بالعرب من العمانيين والحضارمة وأبناء الخليج والهنود المسلمين وبالأسطول المصري والعثماني قد شلت المواهب وأخرست الألسن فسكتت وكأنها تنتظر نصرا كبيرا على الغزاة ينفس عن مشاعر الغيظ المكتوم ويطلق السنة الشعراء والأدباء من حبوسها ؟ وهل كان سبب هذا السكوت الصراعات العنيفة على السلطة والحروب الداخلية المستمرة في عمان وحضرموت وأقطار الخليج العربي من شيوخ القبائل والأمراء وهي حروب استهلكت طاقات الشعراء ومواهبهم وشغلتهم كما شغلت الزعماء المتنازعين هجمات البرتغاليين المتوالية ونجاحهم في احتلال صحار وظفار وقريات وهرمز والبحرين والقطيف والصعود حتى جده ومحاولة غزوها وقطع الطريق على السفن العربية في المحيط الهندي ومنعها من الوصول الى شرقي افريقيا والهند وارتكابهم ابشع جرائم القرصنة في البحر والحرق والنهب والتدمير واسترقاق الأسرى والسبي في البر ثم قيامهم زيادة على هذا بالتدخل بين المتنازعين في عمان وظفار ومساعدة بعضهم وتحريضه على الآخرين للتخلص منهم جميعا وهل كان السبب ضعف العرب والمسلمين في ذلك العصر نتيجة التفرق والتمزق وسقوط الدول العربية الكبرى وغير ذلك مما يطول ذكره ؟ مهما كانت أسباب سكوت الشعراء والأدباء ازاء الغزو البرتغالي فما على الباحث إلا تسجيل هذا السكوت والمضي في البحث والتنقيب أملا في العثور على ما يغير الصورة أو يصححها

ففي سنة ١٤٩٧/٩٠٥م ـ وصل فاسكودي جاما الى شرقي افريقيا ثم عبر الى الهند وعاد في سنة ١٥٠٠م ـ عاد بأسطول أكبر إلى المنطقة وانتزع السيادة على المحيط الهندي من العمانيين ثم غزا السهالي آخر أمراء بني نبهان وقد عزله العمانيون في تلك السنة نفسها بعد ثورة الإباضية وأنصارهم فهرب الى هرمز وعاش حتى سنة ٩١٥هـ/١٥١٠ أترى أن هذه الحروب الداخلية قد شغلته عن إدراك خطر الغزو البرتغالي ؟ أو أن أحداثه المنكرة جرت في شرق افريقيا والهند بعيدا عن عمان ؟ ولكن الوقائع التالية من تاريخ عزل الأمير السهالي سنة ٩٠٦هـ وفراره ووفاته سنة ٩١٥ دارت على سواحل عمان نفسها ، فقد احتل البرتغاليون صحار وقريات وقلهات قبل وفاته ولكن الذين رووا بعض أخباره وأشعاره ونشروا ديوانه في عصرنا هذا لم يشيروا الى أي أثر من اثار الغزو البرتغالي في شعره ولم أعثر على نسخة من الديوان في بغداد كي أتأكد من خلوه من أية اشارة الى البرتغاليين وهو ما ارجحه لأن الأمير الشاعر كان مشغلا بالدفاع عن عرشه وحياته وما جلب له عزله وفراره من هموم وصدمات نفسية ابعدته عن مسرح الأحداث وكان السهالي أكبر شعراء عمان في عصره وشعره كما يقول شوقي ضيف «يفيض بثقافة لغوية وأدبية جيدة وهي ثقافة تتضح بجلاء في معارضاته الكثيرة للشعراء ولكن من الحق أنه مع هذه المعارضات الكثيرة في ديوانه واغاراته على معاني الأسلاف واحيلتهم وأفكارهم شاعر مجيد يحسن رصف الكلم والموضوع الأساسي في ديوانه هو الفخر وهو

طبيعى إذ كان سلطانا وصاحب
الخ» (٤١) وينصب اهتمام النبهانى
على الغزل ووصف مجالس الشرب
، ويقول على عبد الخالق عن شعر
بى انه «تعبير عن ملذاته ونمط حياته
ذاتية ملك شاعر ، تماما كما كان
ى امرىء القيس الملك الضليل ،
انى هو الملك العربى وقد دفعه الى ذلك
الترف واللهو والعبث الخ» ثم يبالغ
عبد الخالق حين يعقب «وشعر
بى أصدق مثال للغزل الفاضح واللهو
ن » (٤٢) فاذا وصفنا غزل النبهانى
ى التقليد والنسج على منوال
ليين والاسلاميين بالعربدة والمجون
نقول عن غزل ابى نواس وأضرابه ومن
لفهم ؟ ونصل المقال عن النبهانى
ه أن ظروف حياته وسلطته التى
ت بها الأهوال السياسية الداخلية ،
اء الغزو البرتغالى ى شرقى افريقية
٩٠٦هـ هى السنة التى خلع فيها
ل البرتغاليين الى عمان بعد خلعه
قصير ثم وفاته عام ٩١٥هـ قبيل
ا مسقط بأيديهم كل ذلك حال دون
وتأثر شعره بوقائع الغزو البرتغالى
له المدمرة ولم تتحسن الأحوال
سية فى عمان خلال امامة محمد بن
عيل الخروصى (٩٠٦ ـ ٩٤٢هـ) بل
ت سوءا وتمزقا فى آخر سنى حكمه
حكم خلفه بركات بن اسماعيل وبقيت
وأ حال حتى عام ١٠٢٤هـ/١٦١٥م
بايع العمانيون ناصر بن مرشد
بى الاردى وبولايته انتهى عهد بنى
الاخير وأسست دولة اليعاربة التى
ت اليها الوحدة والقوة وبعثتها بعثا

جديدا وكان البرتغاليون قد احكموا سيطرتهم على ثغور عمان وتحصنوا فى مسقط والبحرين والقطيف وهيمنوا على الخليج العربى هيمنة تامة ومرصوا سيادتهم على ساحل الهند الغربى الشمالى وعلى كلكتا وعلى الثغور المهمة من ساحل افريقيا الشرقى والقرن الافريقى وجعلوا المحيط الهندى تحت قبضتهم البحرية وبامامة ناصر بن مرشد ابتدأت مرحلة تحول حاسم فى تاريخ عمان والخليج العربى والمحيط الهندى فقد وحد الصفوف بقوة وحزم وحنكة سياسية وقضى على الفتن والمغامرات والأطماع وجعل من عمان دولة قوية وسجل بداية النهاية لمأساة الغزو البرتغالى عندما دحر البرتغاليين عدة مرات واسترجع منهم معظم الثغور العمانية حتى مسقط وحاصرهم وضيق الخناق عليهم فى مسقط التى اصبحت آخر المعاقل الحصينة التى احتموا بها

والذى يعنينا هنا أن المصادر التى بين ايدينا لا تقدم لنا بنصوصها الشعرية أثرا أو صدى من أصداء الغزو البرتغالى فى أدب عمان والخليج بين أوائل القرن العاشر وأواسط القرن الحادى عشر للهجرة . لقد انجبت عمان وأقطار الخليج عشرات الشعراء والأدباء فالشعر كان وما زال فيها هو الفن المفضل على فنون الأدب بدليل أن أسماء شعرية عديدة تتردد فى المصادر التاريخية مع نماذج أو شواهد من شعر الحماسة والفخر والمديح الذى قيل فى أثناء النزاعات والحروب المتوالية بين الأمراء أو بين شيوخ القبائل الكبيرة ، وليس من المعقول أن تتعاقب أحداث الغزو البرتغالى وتمر على اغتصابهم الثغور العمانية السنين

دون أن يسمع صدى من الأصداء في شعر شاعر أو ناثر أديب والرأى الراجح أن ضياع دواوين الشعر والمصنفات هو الذى حرمنا من العثور على نصوص نجد فيها بغيتنا ولعل اكتشاف ما فقد أو بعضه ونشره في المستقبل كفيل بإزاحة الظلام المخيم على الحياة الأدبية خلال فترة العرو التى استغرقت القرن العاشر والحادى عشر ومحت من تاريخ عمان العصر التاريخى والأدبى الممتد بين آخر عهد النبهانيين وأواسط عهد اليعربيين فالملاحظ أن الحياة الأدبية قد نشطت وأن الشعر قد انتعش بعد انتقال الحكم الى اليعاربة ونجاحهم في بعث عمان القوية من جديد وتسنى للشعراء ان يتغنوا بأمجاد ناصر بن مرشد وأخلافه وانتصاراتهم على الغزاة البرتغاليين وفي هذا يقول الدكتور علي عبدالخالق «كان قيام الدولة اليعربية (١٦٢٢ ـ ١٧٤١م) مدفوعا بأسس دينية ، وبدا منذ نشأتها دورها البارز في طرد البرتغاليين من منطقة الخليج العربى وشرق افريقية الى جانب صراع المواجهة المنتظر مع الفرس جهة الشرق ووضحت القوة الحربية لهذه الدولة ، كما أصبح اسطولها يسيطر سيطرة شبه كاملة على طريق التجارة الى الهند ومع هذه النهضة الحربية فاننا سنكتشف أن الحياة الأدبية فيها بقيت تسير على نمط الشعر في عهد بنى نبهان (٥٤٩ ـ ٨٠٩هـ/ ١١٥٤ ـ ١٤٠٦) رغم ان كثيرا من الائمة كانوا يتذوقون الشعر كما ورد عن الامام يعرب بن سلطان اليعربى قوله

ولما رايت الناس لم أر صاحبا
أخا ثقة في النائبات العظائم
وأبصرت فيهم من رخاء وشدة
فلم أر منهم غير كسب الدراهم

اما شعراء هذا العصر فمن حملتهم خلـ بن سنان العافرى، ومحمد بن مسعـ الصارمي، وعلي بن ناصر الريا والمحروقي والحبسي وهؤلاء قالوا الشعر في مدح ائمة اليعاربة وذكر انتصاراتهم في الخليج والهند وشرق افريقيه (٤٣)

ونحن لا يهمنا كثيرا في هذه الدراسة ما قيل عن القيم الفنية والجمالية لشعر هذا العهد من خلال موازنته بشعر العهد النبهانى والعهد العباسى، ولا يصح ايضا الحكم عليه وفق معايير النقد الحديث والذوق الادبى والنقدى المعاصر وهذا ما يلاحظ على اقوال صاحب (الشعر العمانى) وأحكامه انما الذى يعنينا ويشغلنا حقا ان الحملات التى شنها اليعاربة على البرتغاليين المعتدين والانتصارات التى احرزوها ونجاحهم في طرد الغزاة من ثغور الخليج والبحر العربى ومن موانىء الساحل الافريقى الشرقى قد انعكست صور منها في شعر الشعراء وفي النثر الديوانى الرسمى والنثر التأريخى صحيح ان هذه الصور والاصداء ليست كثيرة او انها لا تتناسب مع الانتصارات العربية وان قيمتها الفنية لم تصل الى المستوى الذى وصل اليه الشعر العربى في عهود الازدهار والتفوق الماضية الا انها ذات اهمية كبيرة إذا قيست بظروف العصور المتأخرة السياسية والحربية والادبية والفنية ولو وصلتنا دواوين شعراء العصر اليعربى لتوفر لنا شواهد اكثر مما رواه ابن رزيق والسالمى والمصادر التأريخية والغربية

نجد فى شعر العهد اليعربى قصائد او ...ات تشيد بإيمان الامام ناصر بن ... مؤسس دولة اليعاربة وتنعى ...اراته على البرتغاليين الا ان الادب ...ى والقصص والشعبى يحفل ...صيص واخبار اشبه بالاساطير ...ايات التى ينسجها الخيال الشعبى ...كبار الابطال ولعل الشعر الذى قاله ...اء فى مدحه فقد اولم يصل الى الرواة ... اعتمد عليهم ابن رزيق والسالمى ...ا او ان هذا الامام اليعربى الزاهد ... بالرسول (ص) والصحابة الابرار ... يثيب الشعراء او يجزل لهم العطاء ...سان اعلى مؤسسى الدول الكبار لذلك ... كل الاشعار التى تغنت بانتصارات ...ين وصورت هزائم البرتغاليين موجهة ... ناصر بن مرشد ولا سيما خلفه وابن ...لطان بن سيف (١٠٥٠ ـ ١٠٩١ ... الذى شمر وجاهد ونصب الحرب لمن ...ن النصارى (البرتغاليين) بمسكة ...ط) وسار عليهم بنفسه حتى نصره ...يهم وفتحها، ولم يزل يجاهدهم فى بر ...استفتح من بلدانهم وخرب كثيرا من ...م وغنم كثيرا من أموالهم» (٤٤) كما ...لشعراء بامجاد ابنه وخليفته بلعرب ...طان ثم خلفه سيف بن سلطان الملقب ... الارض) الذى « حارب النصارى ...لاقطار واخرجهم من ديارهم وابترهم ...اهم وأخذ منهم بندر ممباسه ...رة الخضراء (زنجبار) وكلوة وبت ... من البلدان من ناحية الزنج بأرض ...ل (٤٥) وكان والده سلطان كما يقول وندل فيليبس « قد وجه اهتمامه خلال حكمه ايضا الى افريقيه فطرد البرتغاليين من كل الموانى شمال قناة موزمبيق، وجعل من عمان العامل الحاسم فى شئون شرق افريقيا » (٤٦) ويذكر المؤرخون انه قام بذلك مستجيبا لاستنجاد وفد من كبار رجال ممباسه ناشدوه انقاذهم من نير البرتغاليين وجرائمهم الوحشية، فقامت السفن العمانية بالغارة على زنجبار واستولت على المستوطنات البرتغالية فيها فأعلنت زنجبار ولاءها لسلطان عمان (٤٧) ولا ريب فى ان هذه الانتصارات المجيدة قد الهبت حماسة الشعراء فترنموا فى مدائحهم لهؤلاء الائمة السلاطين ولا ريب ايضا فى ان تحسن الاحوال المالية بفضل هذه الانتصارات قد اتاح لهم ان أجزلوا العطاء للشعراء فافاضوا فى مدحهم والاشادة بامجادهم الحربية وكان الشاعر خلف بن سنان الغافرى اول من لفت انظار مؤرخى الادب الذين انتبهوا الى الغزو البرتغالى وبعض اصدائه فى الشعر العمانى وكان ابن سنان احد قضاة الامام سلطان بن سيف اليعربى وكان عالما فقيها محبا للادب يحسن قرض الشعر على طريقة الفقهاء المهتمين بالتأريخ وقد نظم قصائد طويلة فذكر السالمى فى تحفة الاعيان ثلاثة واربعين بيتا من احداها وقد لفتت بعض ابياتها التى ذكرت البرتغاليين واشادت بانتصارات الامام سلطان عليهم أنظار بعض المؤرخين العرب المهتمين بتأريخ الخليج كالاستاذ سليم طه التكريتى فذكر ثلاثة ابيات منها فى فصل تأريخى خصصه للغزو البرتغالى (٤٨).

ولفت هذا الموضوع نفسه انظار مؤرخ الادب الكبير الدكتور شوقي ضيف فقال وهو يتحدث عن شعراء الخوارج في الجزيرة العربية « وتعود عمان الى النبهانيين فترة من القرن العاشر، ثم يستولى عليها نهائيا ناصر بن مرشد (١٠٢٤ ـ ١٠٥٠هـ) وتظل منذ هذا التاريخ في ايدي الخوارج وكان البرتغاليون قد نزلوا في شواطئها، فأخذ ينازلهم وظلت مدينتا صحار ومسقط في ايديهم، واستطاع خلفه سلطان بن سيف اليعربي (١٠٥٠ ـ ١٠٩١هـ) ان يطردهم من البلاد نهائيا وتبعهم اسطوله ينكل بهم وباسطولهم في شرقي افريقية وغربي الهند وفي ذلك يقول شاعره خلف بن سنان الغافري ممجداً

ثم اوری لمسقط سقط عـزم
اسقط الظـالمين منـه ضرام
وغدت من عمان كف بني الأصـ
فر صفرا قد هزها الانهزام
وبمباسـة اذاقهم بـاسـابئيـ
سـا سيئـت بـه الاصنـام
ولـدى زنجبـار زمجـر فيهم
وعد زجر لم ينج منه اعتصام
وببمبـانی نـالهم منـه نـات
لم يشبـه عن المضى انهتام

وهو يشير الى انتصارات اسطول سلطان على الاسطول البرتغالي في ممباسة وزنجبار وبمبى بالهند وهى انتصارات جديرة بكل تمجيد واشادة [٤٩] وليس هذا كل ما جاء في هذه القصيدة الطويلة عن انتصـارات سلطان بن سيف على البرتغاليين فمنها ايضا

وفدوا (مسقطا) وعـدة بلد
ان عليها ومع القسوس سجا.

وقوله يصف رعب البرتغاليين

ابهم العقـل عنهم فـاتـاهم
عنوة ما اصفـرت بـه الابهـام
همهمت فيهم رعـود حتـوف
من همـام في ملكـه مهمـام
وسباهم الفى اسير كـان قد
مـازج الـدمـع منهم العـلام
واقتنى منهم كنوزا عدا يبـ
هـر منها قارون بـل بهـرام

وعن استيلاء العمانيين على حصنين في مسقط هما الجلالي والميراني يقول ابن سنان

مـاد عن ارضها كفيتـا ومور
بعد شهد له المرار طعام [٥٠]
وتجـلى عنـهـا جـلال
فلله علينا الا جلال والاعظام

وواضح ان هذا الشعر بعيد جدا عن الذى وصل اليه شعر الحماسة في العصرين الجاهلي والاسلامي وفى العصر العباسى وخاصة في شعر ابى تمام والمتنبى وأبى فراس الحمدانى وليس هذا بغريب فقد غلب الضعف على الشعر العربي بوجه عام في هذا العصر، انما ازاء شعر نظم في القرن العاشر للهجرة وهو من اشد عصورنا الادبية ظلاما وهو ظلام يقطع أنفاس الشعراء بل يخنقهم خنقا ولعل عمان هى المكان الوحيد في الوطن العربي الذى نجد فيه شعراء يتغنون بانتصارات عربية خالصة

وقد امتدح شاعر آخر هو محمد بن

د الصارمى سلطان بن سيف اليعربى
دة طويلة وصف فيها هجومه على
) التى كان البرتغاليون يتحصنون
هناه بالنصر مفتخرا بشجاعته وحسن
، وفتكه بالبرتغاليين واسترجاعه
ن منهم ودمعهم بالذل والخزى
صاح ويفتتح الصارمى قصيدته
، على عادة الشعراء القدماء قائلا

عن تلك الوجوه الصباح
اذ رمت العيس ليوم المزاح
ن يختلن يعاتبنني
يبسمن عن دركلون الاقاح

ها يقول عن الهجوم على بته وتحريرها
رتغاليين

ى الفلا واليم فى فيلق
يطفىء ضوء الشمس والجو صاح
اتيا بته بالضحى
ثم نزلناها بارض مراح
لاصحابى لا تحزنوا
من عزه الله فلا يستباح
ـوا الصبر ولا تجبنوا
عند الوغى فالجبن لؤم صراح
علموا لا بد للمرء من
موت وبالهدى فيه الفلاح
ـوا الامر ولا قصّروا
وجردوا اسيافهم والرماح
ـوا السور كاسد الفلا
واشتدت الحرب وضرب الصفاح
ا القتلى بارجائها
من فئة الافرنج صرعى طراح
ـم اعجاز نخل بها
منقعر من عاصفات الرياح

فانهزم الافرنج من بتة
بالذل والخزى وبالافتضاح
بعدا لهم بعدا وسحقا لهم
من قوم سوء ووجوه قباح
بعزم سلطان بن سيف الذى
اباد اهل الكفر يوم الكفاح

ويكثر القصص الذى يصور بطولة سلطان بن سيف محرر مسقط المنتصر على البرتغاليين فى كل مكان وجدوا فيه فى عمان وسواحل الخليج والساحل الشرقى لافريقيا. وبعض هذا القصص دار حول وقائع حقيقية كالرواية التى تسرد حكاية الهندى البانيانى سكنبلة الذى كان هو واخوه نروثم يعملان مع البرتغاليين وكيف حاول القائد البرتغالى إجباره على ان يزوجه ابنته الهندية الجميلة وكيف رفض البانيانى ذلك ثم تظاهر بالموافقة واتصل برجال الامام سلطان بعد ان استعان بالحميلة فاتلف طعام البرتغاليين. ونصح العمانيين بالهجوم فجر يوم الاثنين لأن البرتغاليين يعجزون عن القتال لكثرة ما يشربون من خمور وما يأكلونه مساء الاحد (٥٢)

ومن الادب الفصيح المواعظ والرسائل التى كان يكتبها الزهاد والعلماء من اهل الادب للامام ناصر والامام سلطان وقد ذكر احداها السالمى فى تحفة الاعيان وهى فصيحة اى موعظة وجهها الشيخ سعيد بن احمد لاحد الامامين ناصر او سلطان لان الناقل لم يعرف لايهما وهى طويلة غطت نحو سبع صفحات من كتاب تحفة الاعيان. وتبدأ الموعظة بالبسملة وحمد الله والدعاء للامام وللامة بالرحمة والنصر وقهر الاعداء.

واسلوبها فصيح والفاظه مختارة وعباراته واضحة يقل فيها السجع وتكلف البديع واستعمال الغريب وهى على أية حال نموذج جيد يمثل رواج أدب المواعظ فى هذا العصر المتأخر

ويتوفى سلطان بن سيف ويتولى الامامة بعده ابنه بلعرب بن سلطان سنة ١٠٩١هـ فقام بالحق وسار بالعدل وعمر جبرين وبنى فيها حصنا وانتقل من تروى اليها الخ

ومن اطراف ما روى المؤرخون من اخباره وصول رجل من تونس يدعى الشيخ عمر بن سعيد الحربى الاباضى وقد سر الشيخ المغربى بأحوال عمان ولكنه رأى مجالس العلم بها قليلة فكتب للإمام موعظة تنصحه بأن يحث الرعية على طلب العلم وإقامة المجالس وعمارة المدارس وهى موعظة طريفة واسلوبها بعيد عن التعقيد يختلف عن اساليب مواعظ العصور المتأخرة المثقلة بالسجع وبانواع البديع المتكلف (٥٣) وطرافة هذا الخبر تتجلى من دلالته على اهتمام العمانيين الإباضية بدعم علاقاتهم بأباضية المغرب والتعاون واياهم فى المجالات الدينية والثقافية والافادة مما ينجم عن هذا التعاون من منافع سياسية (٥٤)

وقد نشط الشعراء فى مدح الامام بالعرب يقول السالمى وقد كثر الناس فى الثناء على هذا الإمام، ورأيت فى مدحة ديوانا حافلا محتويا على قصائد طنانة بلغت من فنون البلاغة مبلغا عظيما وعلى هوامشها تنبيهات على انواع البديع فى الابيات وقد غاب عنى هذا الديوان فلم اره منذ زمان وانما رأيته ايام الصغر واحفظ من اوائل بعض قصائده ابياتا الخ والقصيدة الثا[نية] التى أحفظ منها ابياتا مطلعها

الله اكبر جاء الفتح والظفر
واشرقت فى الدياجى الانجم الزهر
واصبحت سبل الاسلام واضحة
اعلامها واستقام السمع والبصر (٥٥)

وواضح ان معنى البيتين يتضمن فيما يتضمن التنويه بانتصار العمانيين على الغزاة البرتغاليين فالفتح والظفر واشراق الانجم فى الدياجى ووضوح سبل الاسلام واعلامها تدل على ان الهزيمة قد لحقت بالمعتدين على بلاد العرب والمسلمين واكبر شعراء ايام الامام بلعرب بن سلطان (١٠٩١ ـ ١١٠٤هـ) هو الحبس راشد بن خميس بن جمعة وقد اشاد بشاعريته السالمى فى تحفة الاعيان وكتب له ترجمة وافية ذكر فيها ان للحبس مدائح فى الامام بلعرب وله فيه رثاء ومدائح فى غيره من ائمة اليعاربة وله مدائح سوية على عدد حروف المعجم صدر بها ديوانه الذى فيه من فنون الشعر شىء كثير (٥٦) ولم يصل الينا هذا الديوان ومع هذا فان فى القطعة التى ذكرها السالمى وهى من قصيدة نونية فى مدح الامام بلعرب ابياتا تفخر بانتصارات العمانيين على البرتغاليين ولا سيما قوله

وقائل من ملوك الارض خائفة
منه وتحمده فى السر والعلن
ومن اذا سار فى جيش تضيق به
وسع البلاد ووسع السهل والقنن
جيش يبيد العدا فى البر يعقبه
جيش يبيد اهيل الشرك فى السفن (٥٧)

ولا ريب ان المقصود بـ (اهيل الشرك فى

،) هم البرتغاليون الذين بقيت فلول
وبعض سفنهم التي كانت تمارس
نة في الخليج بعد ان فقدت صلتها
ها ولم تبق لها قاعدة بحرية ترسو
لم تروِ المصادر كثيرا من شعره مع انه
كبر شعراء العصر واكثرهم مدحا
بلعرب وخلفه سيف بن سلطان (قيد
) الذي قضى على الغزاة البرتغاليين
تاما وحارب النصارى في جميع
وعمل لهم مراكب عظيمة في البحر،
جيشه وقوى سلطانه حتى قيل انه
له في الجيش الذي دخل به الهند ستة
ن الف عنان (يعني الحصان
) وكان له تسعون الف حصان ذكرها
في قصيدة خاصة بها سماها الخيلية
ن اجود شعره كما يرى السالمي وقد
في بعض ابياتها عبارات وصور
اة فيما يبدو من الحروب والحملات
التي شنها الامام قيد الارض على
برتغاليين كقول الحبس فيها يصف

تكون مع الفتعاء طائرة
لو لم تكن بيدي فرسانها اللجم
قوى العدا يوما على شهب
بها الشياطين في يوم الوغى رجموا
ج منهزم منهم وملتجيء
لو انه بروؤس النيق معتصم
ق البر والامطار ساكبة
وتقطع البحر والامواج تلتطم

ان يروى السالمي القصيدة كلها
نلا عن الامام قيد الارض

« واخذ من النصارى ممباسا والجزيرة الخضراء وكلوة وبتة وغيرهن من البلدان التي بالزنج ومن البلاد التي بالهند كذا قيل والصحيح ان ممباسا وكلوة اخذها والده الامام سلطان بن سيف » (٥٩) وقد مر بنا شعر محمد بن مسعود الصارمي الذي يصف هجوم سلطان على (بتة) في شرقي افريقية واقتحام حصنها واحتلاله، وطرد البرتغاليين منه وارجح الظن ان هذه الحملة البحرية البرية هي التي طردت البرتغاليين ايضا من ممباسا وغيرها من المواقع على الساحل الافريقي وممن اشار الى الغزاة البرتغاليين والانتصار عليهم شاعر آخر غير معروف هو محمد بن صالح المنتفقي البصري ساكن الصير، ويبدو انه شاعر عراقي نزح اليها، ورد ذلك في قصيدة رثى بها سيف بن سلطان بعد وفاته سنة ١١٢٣هـ ويقول السالمي انه لم يظفر بها كلها وانما وجد منها قطعة لا تخلو من تحريف والذي يهم موضوعنا منها قول المنتفقي فيها (٦٠)

فسل النصارى ما راوا من برهم
والبحر من تلك الجيوش الغاشية
كم احرقوا كم اغرقوا من مرة
كم ذوقوا ضربا يهد الناصية
كم مزقوا بددا فشبههم على
ضان غشت فيها سباع ضاربة
ما بالكم اولاد الاصفر صفرت
جمر الوطيس وجوهكم يا صابية
ثم انقلبتم خاسئين ومسكم
نفخ الوبا فبطونكم كالخابية
وانشد مراكبه التي صدمت مرا

كبهم واهدتها بنادق حامية
الملك ثم الفلك ثم الناصرى
مع كعب راس كالجبال الراسية
كم خرقت كم غرقت كم حرمت
من برشة حربية او باغية
كم غادرت جثث الكلاب مجافة
او جيفة فى البحر تذهب طافية (٦١)

هذا ما جاء فى القصيدة من الابيات التى تصف اندحار البرتغاليين وسفنهم وتفخر بقوة الاسطول العماني وشجاعة رجاله ومع ان هذا الشعر لا يرقى الى المستويات الفنية العالية شأنه شأن اكثر ما قاله الشعراء فى احداث العرو، فان وصف الشاعر المتفقى ما حل بالغزاة من الهرائم وما اصابهم من الويل والقتل واسر فى البر والبحر لا يخلو من الانفاس الشعرية أما قيمته التأريخية التوثيقية مغاية فى الاهمية لانها اوصاف شاهد عيان تصور على ما فيها من مبالغات الاصداء المدوية التى ستها الانتصار على الغراة البرتغاليين فى المحافل الادبية وفى المجتمعات العربية فى الخليج وفى البلاد العربية والاسلامية الاخرى

واذا استثنينا الحبس وهو شاعر فحل يتأثر اسلوب ابى تمام والمتنبى ولا يسرف اسراف شعراء عصره فى استعمال البديع فأكثر ما قاله الشعراء فى العرو البرتغالى ضعيف وقد لاحظ الدكتور على عبدالخالق فى قصيدة خلف بن سنان « على هذا النحو يصور الشاعر فتوحات الامام (سلطان بن سيف اليعربى ١٠٥٠ ـ ١٠٩١) على البرتغاليين ويتحدث عن انتصاراته عليهم فى جزر زنجبار وممباسة ثم بمباى بأرض الهند وعلى الرغم من أنها حروب ضارية وانتصارات عظيمة، الا ان تعبير الشاعر جاء ـ كما ترى ـ غاية فى الضعف والركاكة ولو أن الشاعر جرى على سجيته واطلق لوجدانه عنان التعبير ولم يتقيد بقيود الزخرف واغلال البديع لاصاب القول، ولامس فى القلوب ولما وصل شعره الى هذا الدرك من الرداءة التى افقدته روح الاصالة واتقاد العاطفة والنغم المطرب والمعنى المستقيم (٦٢) وأول هذا الكلام صحيح ولكن آخره الذى بدأ بقوله ولو ان الشاعر جرى على سجيته الخ قول فيه نظر لان خلف بن سنان كان فقيها يحسن النظم على طريقة الفقهاء ويعجز عن البث والتفس فى التعبير والتصوير كما يفعل الشعراء فشعره والحالة هذه شعر علماء وقلما وجدنا فقيها او عالما يستطيع التحليق مع الشعراء المبدعين والحق ان خلف بن سنان قد اطلق لوجدانه العنان فعواطفه صادقة بادية القوة، وابتهاجه بالانتصار على البرتغاليين غير مصطنع ولكن موهبة الفقيه قاصرة، وقدراته استنفدها اختصاصه بالفقه واشتغاله بالقضاء وتأثره المستمر بالبلاغة واساليبها والكلف بالبديع الذى اغرم به شعراء العصور المتأخرة لا يمنع الموهبة الشعرية المقيدة باغلاله من ان تنتقص مرة او مرات من قيودها فتجيد هنا وهناك فتطلق قطعة صغيرة رائعة او بيتا سائرا قادرا على ارضاء كل الاذواق فى كل العصور

وما يقال عن شعر ابن سنان ينطبق على شعر ابن مسعود الصارمى وقد مرت بنا قصيدته الحائية التى اشادت بانتصارات

ن بن سيف في عمان وفي شرقي افريقيا
كما يقول علي عبدالخالق لم يستطع
ر الحب تصويرا صادقا معزلة تقليدى
، عليه منهج القصيدة القديم . ولم
ع تصوير رغبته في قتل الاعداء والذود
وطن » وليس سبب ذلك ان نفسه كانت
، بين عاطفة الحب والواجب الوطنى
رى الباحث (٦٣)، فليس في شعره ما
على اصالة الحب وقوة العاطفة لانه
ع ذلك، اصطناعا في اول قصيدته
على العادة الفنية التقليدية لهذا جاء
ره للحب وللانتصارات على الاعداء
ا فاترا كما في قوله

ى الفلا واليم في فيلق
يطفيء ضوء الشمس والجو صاح
اتينـا (تبـة) بـالضحى
ثـم نـزلنـاهـا بـأرض بـراح

فيلق الذى يطفيء ضوء الشمس لا بد
فيها « في جو صاح » فكيف يمكن ان
ء ضوأها اذا حجبها الغمام، فالعبارة
: اقحاما ثقيلا من اجل القافية وكذلك
والمجرور (بالضحى) في البيت الثانى
لقة لانها الصقت الصاقا، اما عبارة
ها بأرض براح) فهى ركيكة باردة
ت ما في البيت من فتور
المتفقي فنظمه اكثر برودة وفتورا
أشبه بالنثر العلمى لا النثر الادبى
، فيها ما لا يطاق من الفهاهة التى
شعر الفخر والحماسة الذى لا يحتمل
دا الاسلوب الباهت والقافية المائعة
ة المتعثرة التى جعلت هذا (الشعر)
بالنظم التعليمى المبسط فارجع الى

القصيدة وهى طويلة كي تلاحظ صحة ما اقوله عنها منذ اول بيت في النطق

فسل النصارى هل رأوا في برهم
والبحر من تلك الجيوش الغاشية
كم احرقوا كم اغرقوا من مرة
كم ذوقوا ضربا يهد الناصية

وشاعر العصر الكبير المقدم بلا منازع هو لحسن » فشعره صورة لحياته من فخر واعتزاز بأصله ونسبه، كما كان صورة حياة الدولة اليعربية وانتصاراتها (٦٤) ولكن ديوانه لم يصل الينا فليس له ذكر بين الدواوين المخطوطة التى ذكرها الدكتور على عبدالخالق في اخر كتابه ولا ريب في ان هذا الديوان يضم قصائد او اشعارا تتغنى بالانتصار على الغزاة وتقترب من الشعر الحماسى القديم والمحدث لأن الحسن يمتاز بموهبة شعرية متدفقة، وثروة لغوية كبيرة واسلوبه حسن السبك قوى التعبير يتابع اساليب كبار شعراء الاعصر العباسية كأبى تمام والمتنبى وقد كانت للغزو البرتغالى اصداء وانعكاسات وأثار في الادب المنثور لا تقل اهمية عما وجدناه في الادب المنظوم وتلاحظ هذه الاصداء اول ما تلاحظ في الرسائل الرسمية المتبادلة بين السلاطين العمانيين وقادة البرتغاليين وقد ذكر السالمى رسالتين رسالة القائد البرتغالى وهى اشبه بالانذار الى الامام سيف بن سلطان، وجواب سيف قال السالمى وهذا كتاب من النصارى للامام سيف بن سلطان اليعربى

الحمد لله فاطر السموات والارض أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون.

اعلم بأننا جنود الله مخلوقون من سخطة، مسلطون على من يحل عليه غضبه، ولا نرق لشاكي ولا نرحم عبرة باكي، فقد نزع الله الرحمة من قلوبنا فالويل كل الويل لمن لا يمتثل لأمرنا قد خربنا البلاد واهلكنا العباد، واظهرنا في الارض الفساد فان اعجبكم شرطنا كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا وان انتم ابيتم وعلى غيكم تماديتم، فالحصون منا لا تمنع، والعساكر لدينا لا ترد ولا تدفع، لانكم اكلتم الحرام وضيعتم الجمع فابشروا بالذل والجزع، اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تعملون فان اعجبكم كلامنا أنبا كفرة فقد صار عندنا انكم فجرة، قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال، كثيركم عندنا ذليل، وعزيزكم عندنا قليل قد ملكنا الارض شرقا وغربا، واخذنا منها كل سفينة غصبا وقد أرسلنا اليكم هذا الكتاب فاسرعوا برد الجواب قبل ان ينكشف الغطاء ولم تبق لكم باقية وينادى عليكم بالفناء هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ذكرا وقد انصفناكم وارسلنا اليكم جواهر الكلام والسلام

وهذا جواب الامام لهم

« قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء بيدك الخير انك على (كل) (ساقطة من النص) شيء قدير » قد حصل الوقوف على هذه الكتبة الشاهرة لقولكم قد نزع الله الرحمة من قلوبكم، فهذا من اقبح عيوبكم واشد واشنع وبعيتم وذكرتم انكم كافرون الا لعنة الله على الكافرين، من تعلق بالاصول فلا يبالى بالفروع نحن المؤمنون لا يصدنا عنكم ولا يدخلنا شك ولا ريب والقرآن علينا قد نزل فهو رحيم بنا لا يزل وخيولنا برية بحرية وهممنا سامية عليه. ان قتلناكم فنعم البضاعة وان قتلتمونا فبيننا وبين الجنة ساعة « لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله وقولكم قلوبكم كالجبال وعددكم كالرمال الحرار لا يبالى لكثرة الغنم وان الله مع الصابرين ان عشنا عشنا سعداء وان متنا متنا شهداء الا ان حزب الله هم الغالبون، لقد جئتم شيئا اذا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا فقل لصاحبك اذا رصع وشيد مقالته حصل الوقوف على هذا الكتاب كصرير باب وطنين ذباب سنكذب ما قالوا ونمد لهم العذاب مدا وما عندنا بعد ذلك الا الخيل تمطر بالويل والنار مطهرة العار، والسيوف مسقية الحتوف والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى، واطاع الملك الاعلى واختار الاخرة على الاولى والصلاة والسلام على خير الانام محمد عليه افضل الصلاة والسلام (٦٥)

ورسالة القائد البرتغالى ضعيفة وان اتبعت نهج الرسائل الديوانية العربية لابتدائها بحمد الله وانتهت بلفظة السلام وحدها والفاتحة والخاتمة فتخيد التعبير باسلوب المسلمين ولعل كاتبها راهب يعرف العربية ومن الغريب ان تتضمن عبارة تصف البرتغاليين بالكفر وترد على لسانهم هم

اما جواب سيف بن سلطان فنموذج جيد

ائل الديوانية الرسمية فقد افتتحها
س ما تفتتح به الرسائل وهى الاية
يمة قل اللهم مالك الملك ورد على
ة خصمه أحسن رد لا يخلو من منطق
اح بأقل لفظ واتم معنى وبحد الكلام
ودل وقد استشهد فى انهائها باية
ى ورد على التهديد بالتهديد والوعيد
يد والخاتمة احل واروع ما فيها فلفظة
لام التى ختمت بها الرسالة ليست موجه
. البرتغالى لأنها اخر جملة الصلاة
لام على النبى ومع هذا فورودها فى اخر
الة لفتة بارعة فى غاية الفطنة والذكاء
لا اشك فى ان رسائل كثيرة من هذا
ع قد يتبادلها الطرفان ولكن المصادر لم
سوى هاتين الرسالتين والاسلوب
ح بعيد عن التعقيد واستعمال السجع
سنات البديعية، مما يدل على احد
ا بالامر الواقع الذى تفرضه امور
اسة والحرب على الاسلوب وكان ان
ن قبل هذا العصر قد نصح بالتزام
لوب المرسل فى الرسائل السياسية وقد
، وبدل فليبس الرسالتين المذكورتين الى
الانجليزية ونقلهما الى العربية مترجم
ـ عن النص الانكليزى (٦٦) ولم يكلف
، مراجعة النص العربى الذى نقله
ح الانجليزى عن تحفة الاعيان ولكن
جم لم يكتف بهذا الخطأ الفاحش
اف اليه ترك الهوامش والفهارس التى
ا وبدل فليبس ولهذا تعذر علينا معرفة
نص رسالة اخرى وجهها ملك ممباسا
ملك ماليندى يحذره من البرتغاليين
ة عندما نزلوا عاصمته ممباسا بقيادة

الميلاد سنة ١٥٠٥ م ومن المحتمل ان تكون الرسالة المذكورة باللغة العربية لان حكام شرق افريقيا كانوا يستعملونها فى مراسلاتهم الرسمية والتجارية ولم تتوفر لدينا النسخة الانجليزية لنعرف المصدر الذى نقل عنه المؤرخ الانجليزى واذا لم تكن قد كتبت بالعربية فلا ريب انها حررت باللغة السواحيلية وسواء كانت بالعربية او بالسواحيلية فهى تمثل صدى رسميا للغزو البرتغالى واليك نصها كما جاء فى اللغة العربية لكتاب وبدل فيلبس

« بارك الله فيكم يا سيدى علي، اكتب اليكم هذا لابلاغكم ان سيدا عظيما مر بهذه البلدة واحرقها وتركها خرابا وقد جاء الى البلدة بقوة ووحشية بالغة، حتى انه لم يترك رجلا او امراة، كهلا او شابا بل واصغر طفل حتى اولئك الذين فروا من ضراوته وهو لم يكتف بقتل الرجال وحرقهم بل واسقط حتى الطيور فى السماء ان رائحة الجثث فى البلدة بلغت حدا شنيعا حتى انى لا أجرؤ على الذهاب الى هناك، كما لم استطع التأكد او تقدير مدى ما نهبوه من ثروات من البلدة وانا ابعث اليكم هذه الانباء السيئة فى سبيل سلامتكم » (٦٧) ولم تقتصر انعكاسات الغزو البرتغالى على الرسائل الرسمية المتبادلة بين الحكام العمانيين والافارقة فقد ظهرت كما قلنا فى الانواع النثرية الاخرى كالقصص والحكايات والاخبار التى دارت حول الاحداث المختلفة وقد اشرنا الى بعضها كقصة الهدى البانيانى نرويم مع فريرا قائد الحامية البرتغالية فى مسقط، وقصص

القتال العنيف الذى دار فى اثناء اول هجوم برتغالى بقيادة البوكيرك ثم القصص الذى روى احداث القتال الذى دار حولها وفى داخلها فى اثناء هجوم العمانيين على المدينة المشهورة ووصف تفاصيل خطط الهجوم على البرتغاليين المتحصنين فيها والانتصارات عليهم واسترجاع المدينة منهم وطردهم الى الابد من عمان (٦٨) ويطول البحث ويتشعب اذا تتبعنا نصوص هذه القصص ودرسنا خصائصها الادبية واللغوية ويطول ايضا اذا دخلنا فى التفاصيل الخاصة بالآداب الشعبية المنظومة والمنثورة التى صيغت باللهجات المحلية وتداولتها الاجيال المتعاقبة وجمع بعض النماذج والنصوص المختلفة يحتاج الى استقصاء دقيق طويل لان المدون الباقى فى ذاكرة الشعب منها اقل من القليل شأن الاداب الشعبية عند كل الامم وفى جميع العصور

اما النثر الأدبى التاريخى فتمثله المصادر القليلة التى اعتمدنا عليها فهى خير نموذج يصور قيمة هذا النثر ويشخص خصائصه الأدبية فكتاب تحفه الاعيان للسالمى والفتح المبين لابن رزيق يتفوقان على افضل انواع النثر الأدبى التاريخى المتحرر من السجع والازدواج وانواع التصنع البديعى فهما لا يلجأن الى فنون التصنيع الا قليلا ويستخدمانها فى اعتدال وبلا افراط مترسمين خطى اوائل العصر العباسى، كالطبرى والمسعودى ثم ان الكتابين كليهما مصدران للتاريخ وللأدب فى ان واحد ولا سيما فى التحفة يجد مؤرخ الادب الكثير من الشعر الذى قيل كما يجد القصص والحكايات ونصوص العهود والرسائل السياسية وغير السياسية والمواعظ ورسائل العلماء والقضاة وغيرهم وكان اعتمادنا على هذين الكتابين فى استخراج النصوص الشعرية والنثرية التى انعكست عليها او فيها أصداء الغزو البرتغالى، فى حين ان مؤرخين اخرين كابن قيصر لا يقدم اى نص يشير الى هذا الموضوع من قريب او بعيد اما صاحب كشف الغمة فلا نجد لديه كثيرا من نصوص الشعر والنثر الفنى ويمتاز كتاب الفتح المبين بشدة عناية مؤلفه بالحياة العلمية والأدبية وكثرة العلماء الذين ترجم لهم ذاكرا مؤلفاتهم المختلفة ومهما يكن من أمر فإن ما يخص الغزو البرتغالى من النصوص الواردة فى المصادر المطبوعة والمخطوطة يمثل حقلا مهما من حقول الدراسة الادبية للنثر التاريخى حول الغزو البرتغالى او تأثره به

الهوامش

- اشتهر كثير من المؤرخين العرب بجودة نثرهم وبعنايتهم بالشعر والشعراء والادب والادباء كالجهشياري وابن قتيبه والمسعودي والقاضي التنوخي وابن شداد وابن الساعي وعبدالله ومؤلفاتهم معروفة لا وجوب لذكرها هنا
- الاشارات التاريخية كثيرة في الشعر العربي في جميع عصوره وقد نظم ابن المعتز ارجوزة تاريخية طويلة في مدح الخليفة المعتضد ضمنها وصف الحوادث الدامية في القرن الثالث للهجرة الناجمة عن تسلط الجند الاتراك
انظر ديوان ابن المعتز
- انظر مؤلفاتهم الادبية والتاريخية الفهرست لابن النديم وكشف الظنون لحاجي خليفة وتاريخ الادب العربي لبروكلمان وفي مؤلفاته الكثيرة عن كل واحد منهم
- انظر بحثنا الأدب في العصر المغولي والأدب في العصر العثماني كتاب حضارة العراق ١١/بغداد ١٩٨٥ وانظر ايضا بحثنا في الموضوع نفسه مجلة كلية الاداب بجامعة بغداد ١٩٧٨
- لم اعثر على اشارة واحدة الى البرتغاليين في كتاب السقاف تاريخ الشعر الحضرمي وهو بثلاثة اجزاء القاهرة ولا في كتاب شعراء القطيف للشيخ المرهون النجفي ولم اعثر على نسخة واحدة لكتاب شعراء هجر لعبد الفتاح الحلو في بغداد رغم البحث في المكتبات
- اجمع الباحثون من المستشرقين كراتشوفسكي وشوموفسكي وجابرييل فران وغيرهم والباحثون العرب والمسلمون على ان ابن ماجد كان دليل فاسكودى جاما وخالفهم الاستاذ وادلته ضعيفة
انظر ندوة عمان
- حسن صالح شهاب اضواء على تاريخ اليمن البحري (١٩٥ - ٢١٦) فصل التدخل البرتغالي ونهاية زعامة العرب الملاحية في المحيط الهندي ط ٢ بيروت ١٩٨١
- سياتي ذكر ذلك والتفاصيل في (الفتح المبين) لابن رزيق ط القاهرة ١٩٧٧ م وفي (تحفة الاعيان) للسالمي، القاهرة ١٣٥٠هـ ومن تاريخ عمان لوندل فيليبس، ترجمة محمد بن عبدالله القاهرة ١٩٨١)

٩ - اكد المؤرخون العرب القدماء والمعاصرون دور النزاع الداخلي في نجاح الغزو البرتغالي وعزاه بعضهم الى تفوق اسلحة البرتغاليين النارية كالمدافع والبنادق وقدم اسلحة العرب وسفنهم

١٠ - تحفة الاعيان ١/٣٢٨ - ٣٤٦ والفتح المبين ٢٥٧ - ٢٦١

١١ - تحفة الاعيان ١/٣٤٩

١٢ - م ن ٣٤٩

١٣ - تحفة الاعيان ١/٣٣٥

١٤ - اكد المعنيون بتاريخ عمان هذه الحقيقة انظر وندل فيليبس تاريخ عمان ٣١ - ٣٧ ومراجعة في النسخة الانجليزية صلاح الدين حافظ صراع القوى العظمى حول القرن الافريقي ٣١ - ٤٥ وهوامشه سلسلة عالم المعرفة ٤٩ الكويت ١٩٨٢ ومحمد عبدالغني سعودى قضايا افريقية/عالم المعرفة ٣٤ الكويت ١٩٨٠ ولا سيما قسم افريقيا والعرب عامي ٥٨ - ٦٣ و في ٦٤ - ٦٧ وص ١٢٥ وفيه نخبة حسنة من المراجع العربية والاجنبية والدكتور سعودى من خيرة المتخصصين بالشئون الافريقية وانظر ايضا كتاب العرب والملاحة في المحيط الهندى

١٥ - المسعودى مروج الذهب ٢/٦ - ٧ ط الثانية القاهرة ١٩٤٨ وقد اشار اليه د سعودى بلا هامش محدد

١٦ - رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار/١٦٠ - ١٧٤ ط المكتبة التجارية، القاهرة ١٩٣٨ م وقد انتقد السالمي في تحفة الاعيان ابن بطوطة وفند بعض اقواله واخباره عن اهل عمان وقاضيها وبعض احوال اهلها انظر تحفة الاعيان ١/٣٠٩ - ٣١٩

في فصل (ذكر قدوم ابن بطوطة على عمان) وعينا هنا ما جاء بالرحلة عن مقديشو وسلطانها واهلها وعن كلوا وممباسا وغيرها من جزر ومدن شرقي افريقيا وعلاقاتها الحميمة بالعمانيين والحضارمة

١٧ - سعودى قضايا افريقية ٨٤ - ٩٠ و١٤٣ - ١٤٨ وهوامشه

١٨ - المرجع السابق نفسه وصلاح الدين حافظ المرجع السابق ص ٣٥ - ٤٠ باب جسور اللغة والدين بين العرب والافارقة

١٩ - ابن رزيق الفتح المبين ١٥٠ حيث يذكر تراجم العلماء العمانيين وبعضهم كان يقيم في زنجبار وانظر وندل فيليبس تاريخ عمان الفصل الثاني ٢١ - ٣٦

٢٠ - علي الشيخ يلحو الادب الصومالي المعاصر رسالة ماجستير مطبوعة بالالة الطابعة قدمت لمعهد البحوث والدراسات العربية ببغداد ١٩٨٥ وللمؤلف نفسه الادب الصومالي بحث للدبلوم مقدم للمعهد نفسه ١٩٨٤ وانظر مقدمة كتاب (ابن نواس) للعقاد

حيث يتحدث عن شخصية ابي نواس في الادب السواحيلي وتطرقت الى هذا الموضوع كتب وابحاث كثيرة لمؤلفين عديدين نذكر منهم حسن محمود، وحسن

ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين ، وعبده بدوي وغيرهم

- تشترك في هذا التصور التاريخي جميع تواريخ الادب العربي المتداولة انظر مثلا كتاب عمر فروخ تاريخ الادب العربي ٣/٤٢٦ حيث خص ادب الجزيرة العربية بثلاثة اسطر فقط وانعكس ذلك على دراسة للشعر العماني للدكتور علي عبد الخالق (انظر الهوامش التالية) ولاحظ ما ذكره محمد اسعد طلس في كتابه عصر الانحدار ١٢١ - ١٢٢ وكتابه ادب الدول المتتابعة في مواضع عديدة
- شوقي ضيف وهو اول وافضل من كتب الادب في اقطار الجزيرة العربية بين مؤرخي الادب العربي المعاصرين انظر كتابة الاخير عصر الدول والامارات الفصل الثاني والفصل الثالث دار المعارف القاهرة ١٩٨٠

- المرزباني الموشح ٨٥ . ٩٠ وابن رشيق العمده والشريف المرتضى امالي المرتضى ١/٢٦٩ ذكره احسان عباس تاريخ النقد الادبي عند العرب ص ٥٠
- تفاصيل ذلك في كتب التاريخ الاسلامي لبروكلمان وفيليب حتى وحسن ابراهيم حسن وشفيق غربال ومحمد سليم وغيرهم
- حسن صالح شهاب المرجع السابق ١٩٧
- شوقي ضيف المرجع السابق (عصر الدول) ٨٨ - ١١٠ وعبارة (الشعر على كل لسان) جعلها عنوان القسم الاول من الفصل الثالث
- شكا من قلة المصادر جميع الذين كتبوا عن الادب في الجزيرة العربية تقريبا ومنهم د علي عبد الخالق في مقدمة كتابه الشعر العماني والسقاف وعبد العزيز المقالح في دراساته عن الادب في اليمن الخ
- الشعر العثماني ٢٦ - ٣٣ و ٣٤ - ٣٩ باب ملامح الادب من عصر بني نبهان وباب الشعر في عصر اليعاربة وهي مباحث صغيرة موجزة ط دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤ وسنشير اليه بعنوان الشعر العثماني في الهوامش القادمة
- شوقي ضيف المرجع السابق ٦٢ ، ١٧٢
- السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين
- علي الشيخ منصور المرهون شعراء القطيف ط النجف
- اشرنا الى ذلك في الهوامش السابقة+
- كراتشوفسكي مع الخطوات العربية ١٧٣ - ١٨٤ بعنوان ربان فاسكودي جاما ط دار التقدم موسكو ١٩٤٨ وانظر تيودور شوموفسكي ثلاث ازهار في معرفة البحار ٧٥ - ٧٦ القاهرة ١٩٦٩ ترجمة محمد منير مرسي

- شومو فسكي المرجع السابق (هامش ٣٣)
- ابن ماجد الفوائد في اصول علم البحر والقواعد نشر جبرييل فران المستشرق الفرنسي باريس ١٩٢٢
- شومو فسكى المرجع السابق ١١٨

٣٧ ـ المرجع السابق ١١٩
٣٨ ـ المرجع السابق ١٢٠
٣٩ ـ المرجع السابق المقدمة ص ١١ اولد روجي احد المستشرقين الروس الدي قدم للكتاب وامتدحه
٤٠ ـ شوقي ضيف عصر الدول والامارات ٦٢
٤١ ـ المرجع السابق ١٤٠ ـ ١٤٢
٤٢ ـ علي عبد الخالق علي الشعر العماني ٣١ ـ ٣٢
٤٣ ـ الشعر العماني
٤٤ ـ الازكوى كشف الغمة ١٠٨ نشر وتحقيق الاستاد عبد المجيد حسيب القيسي بعنوان تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لاخبار الائمة وقد تكرم الدكتور محمود على الداود باهدائى النسخة التي اهداها اليه محقق الكتاب وهو اول سلسلة مصادر ـ التاريخ العماني (١) ابو ظبي ١٩٧٦
٤٥ ـ الازكوى المرجع السابق ص ١٠٩
٤٦ ـ وندل فيليبس تاريخ عمان ٦٤ ترجمة محمد امين عبد الله القاهرة ١٩٨١
٤٧ ـ نفسة
٤٨ ـ سليم طه التكريتي المقاومة العربية في الخليج العربي ٥٨ وانظر الفصل الثالث القيم عن الغزو البرتغالي ٢٩ ـ ومنشورات وزارة الاعلام بغداد ١٩٨٢ وامتاز المؤلف بالتفاتته البارعة الى سفر خلف بن سنان واستشهاده به خلال تتبعه الغزو البرتغالي
٤٩ ـ شوقي ضيف المرجع السابق (عصر الدول) ١٧٢
٥٠ ـ تحفة الاعيان ٢ / ٦٠ ـ ٦٢ وقد دكر اكثر ابيات القصيدة وانظر الشعر العماني ٣٥ ـ ٣٦ حيث اقتطع عددا من ابياتها
٥١ ـ تحفة الاعيان ٢ / ٧١ ـ ٧٣ وهي قصيدة طويلة استشهد ببعض ابياتها د علي عبد الخالق الشعر العماني ٣٦ ـ ٣٧
٥٢ ـ القصة من تحفة الاعيان ٢ / ٦٤ ـ ٦٥ وفي الفتح المبين ٢٨٦ ـ ٢٩٠
٥٣ ـ تحفة الاعيان ٢ /٦٥ ـ ٧٠
٥٤ ـ تحفة الاعيان ٢ /٧٩
٥٥ ـ تحفة الاعيان ٢ /٨٣
٥٦ ـ تحفة الاعيان ٢ /٨٦
٥٧ ـ تحفة الاعيان ٢ /٨٧
٥٨ ـ تحفة الاعيان ٢ /٩٦ ـ ٩٨
٥٩ ـ نفسه ٩٨
٦٠ ـ تحفة الاعيان ٢ /٩٩

٦ ـ تحفة الاعيان ٢/٩٩ ـ ١٠٢ وذكر القصيدة كلها
٦ ـ الشعر العماني ٣٦
٦ ـ نفسه
٦ ـ المرجع السابق ٣٧
٦ ـ تحفة الاعيان ٢/١٠٦ ـ ١٠٧ ومنه نقلنا نص الرسالتين
٦ ـ وندل فيليبس تاريخ عمان ٦٧ ـ ٦٩ حيث ترجم المعرب نص الرسالة من الانجليزية الى العربية ولم يرجع للنص العربي
٠ ـ المرجع السابق ٤٨
٠ ـ تحفة الاعيان وقد سرد تفاصيل هجمات ناصر بن مرشد على الحصن وانظر ٢ / ٦٢ ـ ٦٥ والفتح المبين ٢٧١ ـ ٢٧٩

الخليج العربي
الأهمية الاستراتيجية
وملامح السياسة البريطانية

تعتبر منطقة الخليج العربي من اهم المصادر الاولى للحضارة العربية ، حيث هيات للعرب منذ القدم اسباب المهارة فى الملاحة واتساع الميادين فى التجارة وكانت محط انظار الغزاة الطامعين والمستعمرين فى العصور القديمة طمعا فى السيطرة على العالم العربى والاسلامى والافريقى .

وكان للخليج العربى دور مهم فى كافة مراحل تطور الحضارة الانسانية والتاريخ الدولى عبر العصور ، ففى الماضى السحيق كانت منطقة الخليج ممرا حضاريا رئيسيا فى تاريخ الشرق القديم وهو اليوم قلب السياسة الدولية ومن هنا تاتى اهمية هذه الدراسة . ولقد مضت آلاف السنين والخليج العربى ينقل حضارات الشعوب وثقافتها وليس فى تاريخ البشرية خليج اثر على المجتمعات الانسانية بقدر هذا الممر المائى الذى امتاز بكونه مركزا لاقدم الحضارات العالمية واكثرها اصالة .

وتتميز المنطقة الخليجية بانها متشابهه ومتجانسة فهى بيئة صحراوية ساحلية كما انها تشترك فى وحدة الرقعة اى ذلك الاتصال الجغرافى المستمر للمنطقة . ويحتفظ سكانها كسائر ابناء الامة العربية - وباستثناء مجموعات المهاجرين غير العرب - بقدر كبير من التجانس فى الملامح والسمات وبدرجة مميزة فى وحدة السلالة واصالة العروبة والوحدة الروحية الإسلامية . وكان لذلك اثره - وفى اطار الوحدة الجغرافية ووحدة التجربة التاريخية - على تجانس الاسس الاجتماعية لسكان المنطقة وفيما يتعلق بالعادات والتقاليد وكيفية الإستجابة للمؤثرات الخارجية .

لذلك فإن هذه المنطقة كانت هدفا للطامعين والمستعمرين فقد تعرضت



اعداد الأستاذة نوار عبد الوهاب قاسم القيسي

لحملة الاغريق في عهد الاسكندر المقدوني ثم الرومان وبعدها اخذت الافكار الاستعمارية الغربية تتجه صوب هذا الخليج وخاصة في عهد الاستكشافات الجغرافية التي كانت بزعامة البرتغال في مطلع القرن الخامس عشر هذا القرن الذي يواكب مطلع العصور الحديثة بصفة عامة . كما انه شهد اول حركة استعمارية اوربية تصل الى منطقة الخليج . ونعني بها حركة الاستعمار البرتغالي حين شهد حملات عسكرية بحرية ضمت المراكز التجارية العربية في الخليج العربي . كما انها سيطرت على مراكز استراتيجية على ساحليه الشرقي والغربي كذلك سيطرت على اكثر جزر هذا الخليج واتخذت فيها مراكز عسكرية هجومية تشنها على المدن الامنة على ساحليه . ولم تزل اثار هذا الاستعمار ماثلة في قلاعه ومدافعه في بعض الجزر او المدن الساحلية كما في رأس الخيمة والشارقة .

وفي هذه الدراسة عن استراتيجية الخليج العربي والاستعمار البرتغالي ستتناول الموضوع كالاتي :

أولاً : الأهمية الاستراتيجية لمنطقة الخليج العربي

ثانياً : السيطرة البرتغالية في الخليج العربي

١- الوضع السياسي العام في منطقة الخليج العربي قبل الغزو البرتغالي

٢- انتشار السيطرة البرتغالية في منطقة الخليج العربي

٣- أنماط السيطرة البرتغالية في منطقة الخليج العربي

٤- [illegible] السيطرة البرتغالية في منطقة الخليج العربي

أولا ـ الأهمية الاستراتيجية لمنطقة الخليج العربى ..

قبل البدء بالبحث عن الأطماع البرتغالية فى الخليج العربى لابد من الإشارة الى الأهمية الاستراتيجية التى تتمتع بها منطقة الخليج العربى (١) ، وأثر ذلك فى الميزان السياسى الدولى وتأتى هذه الأهمية فى استراتيجية الموقع الجغرافى فالعامل الجغرافى يأتى فى مقدمة هذه الاهمية ، حيث ان المنطقة تتوسط العالم القديم (٢) وبحكم ذلك فهي كالجسر الذي يربط دول الشرق القديم وحضاراته فقد تأثر الخليج العربي تأثرا مباشرا بحضارة وادي الرافدين حيث يتصل من الناحية الشمالية بنهر دجلة والفرات عبر شط العرب وكانت العلاقات العراقية القديمة واسعة ومتعددة وشملت نواحي النشاط الانساني المختلفة كالثقافة والفنون والتجارة وتلك الاوضاع ادت الى تفاعل الحضارات في المنطقة وعليه يحتل الخليج العربي موقعا فريدا او تؤلف سواحله الغربية المنافذ الطبيعية للاقاليم الداخلية فكانت اهميته تتركز في كونه جسرا او معبرا بين الغرب والشرق وطريق مواصلات فريدا بين أوروبا والشرقين الادنى والاقصى ومن هذا كله كان موقعه هو سبب التنافس على مر العصور بين الدول الطامعة فيه وفي ثرواته وخيراته منذ فترة مبكرة من التاريخ(٣)

واشتد ذلك التنافس الاستعمارى وعلى الاخص الاوروبى منذ القرن الخامس عشر اى بعد الاستكشافات الجغرافية وبازدياد هذه الأهمية إزداد الصراع الاستعمار والسيطرة الأجنبية والتسابق من أجل التوسع والاستحواذ على موارده الطبيعية وجزره الغنية بالثروات الطبيعية (٤)

وقد برزت أهمية الخليج العربى كطريق تجارى مهم منذ فترة بعيدة اذ كون مع المعبر البرى الذى يقع بين نطاق زاجروس - طوروس الطريق الأوسط من طرق التجارة الشرقية وقد استمر هذا الطريق يلعب دوره الهام فى نقل هذه التجارة وغيرها من الاتصالات البشرية الأخرى بين عالم المحيط الهندى وعالم البحر المتوسط منذ أقدم العصور الى أن تم فتح طريق قناة السويس (٥) وكانت السفن العربية منذ القدم تسلك فى ابحارها وهى تنقل المصانع والثروات من الشرق الأقصى والهند طريق بحر الصين فى المحيط الهندى ثم البحر العربى فالخليج العربى حتى رأسه الشمالى جنوب العراق ومن هناك تنتقل تلك الحمولات برا عبر العراق الى حلب لموانىء البحر المتوسط ليتم نقلها الى البندقية وبقية أنحاء أوروبا (٦)

وقد عبر عدد من الباحثين ورجال السياسة فى كتاباتهم وأبحاثهم عن تلك الأهمية الاستراتيجية الكبيرة التى يتمتع بها الخليج العربى ومكانتها فى التطبيق الجيوبوليتيكى للسياسة الدولية ويمكن التمحيص فيما كتبه «فيرجريف» الذى أطلق تسمية (منطقة الارتطام والتصادم على المنطقة البينية التى هى جغرافيا بيئية بموقعها فى العالم وتمثل تلك المنطقة بطبيعتها وبيئتها منطقة انتقال تجمع بين

لصفة البحرية والبرية بدرجات متفاوتة هى استراتيجيا جبهة تصادم ومن ثم رض المعركة فيما إذا حدثت بين أى قوى (٧)

وقد حدد فيرجريف تلك المنطقة الاستراتيجية وجعلها تشمل الوطن العربى بما فيها منطقة الخليج العربى اضافة الى مناطق أخرى غير عربية كجنوب شرقى آسيا وجزء من إيران وهذا مايثبت بشكل تطبيقى اهمية الخليج العربى على مر الزمن منذ العصور القديمة واستمرارها حتى الوقت الحاضر حيث تعتبر منطقة الخليج العربى من المحاور الأساسية للصراع الدولى فى المنطقة العربية فهى بمثابة المجال الطبيعى الحيوى للعالم العربى إذ لا يمكن الاطمئنان على أمنه وضمان تقدمه إذا تحكم أجنبى فى تلك المنطقة

وما من شك أن المنافسة الاستعمارية التى شهدتها المنطقة منذ القرن الخامس عشر كانت نتيجة طبيعية للتسابق بين الدول الاستعمارية لاستغلال هذا الموقع وإدراكا منها للقيمة الخطيرة والفعلية للموقع الجغرافى ولقد أدرك البرتغاليون اهمية الخليج العربى من الناحية الاستراتيجية ودور المنطقة فى السيطرة على الهند وجنوب شرق آسيا فقد ذكر القائد البرتغالي البوكيرك من هذه الأهمية -

(هناك ثلاثة مراكز للهند تعتبر المفاتيح الرئيسية لتجارة الشرق والسيادة على التجارة العالمية وهى ملقا عند مدخل مضايق سنغافورة وعدن عند مدخل البحر الأحمر والمركز الثالث هو هرمز عند مدخل مضايق الخليج العربى وتعتبر هرمز حسب ما اعلم أهم هذه المراكز جميعها ، ولو كتب لملك البرتغال السيطرة على عدن وتحصينها بقلعة قوية لأصبح سيد الموقف فى آسيا بدون منازع ولو سيطر على هذه المراكز الثلاثة فى الشرق الأوسط لأصبح سيد العالم كله كما أصبح الأسكندر قبل ذلك عندما توغل فى قلب السهول فى الكنج وأصبح بإمكانه إغلاق الأبواب المؤدية الى الشرق بوجه كل طامع فى البحار الهندية) (٨)

ولما سبق فإن منطقة الخليج كانت تعتبر دربا فى الأزمنة القديمة ثم تحولت الى معبر للحضارات وأصبحت فيما بعد محورا للمنافسة الاستعمارية التى شهدتها المنطقة منذ القرن الخامس عشر إدراكا منها لأهميته الممتازة

وكان لظهور البرتغاليين فى أوائل القرن السادس عشر أثر بعيد فى التاريخ السياسى للخليج العربى واقطاره فهو من جهة يمثل بداية عهد الأطماع الأوروبية الاستعمارية ذلك العهد الذى لم ينته الى وقتنا الحاضر ورغم انسحاب بريطانيا من المنطقة

ثانيا : السياسة البرتغالية فى منطقة الخليج العربى ..

١- الوضع السياسى العام فى منطقة الخليج العربى إبان الغزو البرتغالى ..

كان لظهور البرتغاليين فى أوائل القرن السادس عشر أثر بعيد فى تاريخ الخليج العربى واقطاره وهو يمثل من ناحية أخرى بداية عهد الأطماع الأجنبية والاستعمار وفى

هذا المجال سببين تلك الأوضاع التى كانت تتمتع بها المنطقة فى فترة الغزو البرتغالى

منطقة الخليج العربى كانت تزخر بالمناطق التجارية لا سيما عند مدخل الخليج العربى وتعتبر سيراف من أقدم هذه المراكز التى تمتعت بهذه الشهرة لفترة أكثر من قرنين ، ويعنى بذلك منذ بداية القرن العاشر الميلادى حتى القرن الثانى عشر عندما انتقل النشاط التجارى الى مركز آخرمجاور هو هرمز ، والتى قضى عليها الغزو المغولى إلا أن تجارها لم يستسلموا لغزوات المغول وانتقلوا الى جزيرة أخرى فى مواجهتها أطلقوا عليها نفس الاسم وتمكنوا ان يؤسسوا فيها دولة من أعظم الدول ثراء حيث أصبحت تمثل حلقة هامة فى نقل التجارة العالمية بين الشرق والغرب وفى الجانب الآخر فإن البندقية كانت لها نفس الأهمية فبعد سقوط بيزنطة استولت الجمهورية الايطالية على اليونان واصبح تجارها يترددون وباستمرار على موانىء الشام وازداد طلب منتجات الشرق الأقصى واستفادت من ذلك هرمز ، وأصبح لها سمعتها الممتازة فاستطاعت أن تبسط سلطانها السياسى على أجزاء مترامية من شواطىء الخليج العربى وجزره شملت ساحل عمان حتى القطيف شمالا ودخلت جزر البحرين وجزيرة قشم فى تبعيتها كما ضمت قسما من الساحل الشرقى وهيمنت على مصائد اللؤلؤ وفرضت الرسوم الجمركية على الموانىء التابعة لها

كان ذلك وضع هرمز إبان الغزو البرتغالى للخليج وكانت هذه الدولة تتكفل بحماية الخليج من الغزو الخارجى ، وكانت الدو[لة] الصفوية قائمة فى فارس إلا أنها لم تمد [يد] مساعدة لهرمز فى هذه المهمة . وفى ذلك دل[يل] على عدم تبعية هرمز للدولة الصفوية خلا[فا] لادعاءات بعض الكتاب الايرانيين من [أن] نفوذ فارس كان يمتد على طول سواحل شب[ه] الجزيرة العربية وحتى عدن وحقيقة الأم[ر] أن هرمز لم تكن فارسية بل كانت تضـ[ـم] مختلف الأجناس الاسلامية التى تسكـ[ـن] حول شواطىء الخليج العربى واضاف[ة] لوجود الدولة الصفوية فى الشمال الشـ[ـر]قى كانت هناك الدولة العثمانية فى الشمال العربى ولم تساهم أى من الدولتين فى مقاو[مة] البرتغاليين قبل منتصف القرن السادس عشر واشتغلتا فى صراعاتهما المذهبية بل بلـ[ـغ] الأمر بالدولة الصفوية الى حد التحالف مـ[ـع] البرتغال للتخلص من منافسة الدول[ة] العثمانية لها فى سواحل الخليج [9] وكا[ن] لذلك أكبر الأثر فى اضعاف المقاومة العربيـ[ـة] فى المنطقة اضافة الى ان تلك الانقسامات بين الدولتين العثمانية والصفوية كانت تؤدى الى ايجاد انقسام جديد بجانب الانقسامات السياسية والقبلية فى المنطقـ[ـة] والتى اضعفت أيضا من المقاومة الوطنيـ[ـة] ضد البرتغال

وفى أكثر من مناسبة كانت الدولة الصفوية تبدى استعدادا للتحالف مع دول أوروبية ضد العثمانيين ودخلت الدولتان العثمانية والصفوية فى صراعات وحروب وفى عام ١٥٣٤ كان للعثمانيين اسطول فى بغدادوالموصل وتأخروا نحو خمسة عشـ[ـر] عاما فى تأسيس اسطولهم فى البصرة التى

ىر نقطة انطلاقهم نحو الخليج وحين
وا بذلك كان البرتغاليون قد أكدوا
طرتهم عليه وفى تلك الفترة كانت منطقة
ليج خالية من أى تنظيم سياسى يشبه
ولة (باستثناء عمان والتى كانت أكثر
حاما بالسكان وأقرب الى المجتمعات
صرية وامتد ذلك الى عدن ايضا)
ستغل البرتغاليون الأوضاع السيئة
لف المرافق الاقتصادية واهمال
اريع فى مجالات الرى والسدود وطرق
اصلات وتأخر الزراعة والصناعة
ـمون واستعدوا لغزوها عسكريا
تصاديا وبدأ عهد الامتيازات الأجنبية فى
طقة التى تعرضت شعوبها لأفظع عوامل
ستغلال الاقتصادى واخضاع شعبها
ربى لمختلف ضروب العسف والجور
صبحت هذه البقعة التى كانت تعرف بقلب
رق أكثر المناطق تخلفا بفضل السياسات
ستعمارية والامبريالية المستغلة

ساليب السياسة البرتغالية فى منطقة الخليج العربى

كان الخليج وما زال محط اطماع الدول
رى لما له من أهمية تعاظمت فى الفترة
صرة ويمكن ارجاع الاطماع الأجنبية
بية فى منطقة الخليج الى عام ١٤٩٨
ما تمكن الملاح البرتغالى (فاسكو دى
ا) من اكتشاف الطريق الى الهند عبر
، الرجاء الصالح وكان ذلك بمساعدة
ح العربى أحمد بن ماجد الذى يعود
ه الى مدينة (جلفار) رأس الخيمة ،
ن ذلك الاكتشاف ايذانا بمجىء

الاستعمار الغربى (الطامع فى مناطق الشرق الى الخليج [١]

ومما لا شك فيه أن الاستعمار الغربى قد اتحد من بعض القوى المحلية وجملة الظروف المحيطة بها سلما لبلوغ مآربه وما كان بمقدور الاستعمار البرتغالى والذى قطع المسافة البحرية الطويلة من شبه جزيرة ايبريا الى أقصى الشرق أن يبسط نفوذه بامكانياته الذاتية التى كانت غاية فى التواضع فاذا استثنينا كون البرتغال من رواد الأمم البحرية فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر فانها كانت بلدا صغير الرقعة قليل الموارد والسكان (عدد سكانها يقل عن مليون نسمة) لذلك فقد كان على القوى البرتغالية أن تتبع سياسة معينة لتنفيذ اغراضها والاستعانة بأدوات محلية بجانب ما لديها من قوة [١١]

وقد استفاد البرتغاليون من المعلومات البحرية التى برز العرب بها فى الملاحة وصناعة السفن والتجارة البحرية وصيد الأسماك واللؤلؤ وقد نجم عن السيطرة البرتغالية على بحار الشرق تطبيق اسلوب الاحتكار الذى تميز به البرتغاليون وما عمدوا اليه من حرمان القوى الملاحية المحلية من المشاركة بنصيب فى تجارة الشرق بما اتبعوه من أساليب شاذة وقاسية فى المعاملة لذلك فان وصول البرتغاليين الى الهند يعد نهاية للعصر الذهبى للملاحة العربية والاسلامية فى بحار الشرق [١٢]

كذلك فان افتقاد القوى المحلية للوحدة فيما بينها بسبب انقساماتها وخلافاتها ساعد على احكام السيطرة البرتغالية على

منطقة الخليج العربى والتى استمرت خلال الفترة ١٥٠٧م - ١٦٥٠م وتعتبر ثانى موجة استعمارية غربية على الوطن العربى بعد الحروب الصليبية للسيطرة على الأراضى المقدسة فى فلسطين وحين بدأ الغزو لم يكن هناك من كيان سياسى فى المنطقة سوى الدولة الصفوية الناشئة ولابد من الاشارة الى أن الغزاة البرتغاليين قد أتوا الى الشرق وهم مشبعون بالروح الصليبية وأثار حروبها المريرة من جهة والصراع مع العرب المسلمين فى الجزيرة الايبيرية وشمال افريقيا من جهة اخرى ، لذا فقد انصب اهتمامهم أيضا فى معاداة المسلمين ومحاربتهم لاخضاعهم وانتزاع ماق أيديهم والإمعان فى إذلال الدولة الاسلامية

وشهدت فترة الحكم البرتغالى صراعا عنيفا بين عرب المنطقة وبين قادة الأساطيل البرتغالية الذين استخدموا أفظع اساليب الارهاب والقسوة لاخضاع هذه المنطقة للاستعمار الجديد الذى كان على درجة من القسوة والبشاعة ليس لها نظير فحرقوا العديد من السفن فى خورى هجره وحرمه ومسقط وقلهات وسلبوا مدن قريات ومسقط وقلهات ولجأوا لقتل الرجال والنساء والأطفال دون تمييز وبوحشية متناهية فيما حاولوا من جهة أخرى اجبار السكان العرب على التنصر ومصادرة الأسلحة وفرض الأتاوات الباهظة كل ذلك فى سبيل اشاعة الرعب والارهاب بين سكان المنطقة ليحل الجيش فى المنطقة وكان قدر يسير من هذه الاعمال كافيا للانباء بنوايا الغزاة واهدافهم [١٣] والتى سيتم التطرق لها

٣ - ابعاد السياسة البرتغالية فى منطقة الخليج العربى ..

لقد كانت التجارة بين الشرق والغرب تتبع طريقين رئيسيين طريق البحر الأحمر ومصر وطريق الخليج العربى والعراق وسوريا وكان كل من هذين الطريقين تحت السيطرة العربية ، وفى مناسبات عديدة اغلقت هذه الطرق نتيجة لمنازعات وصراعات سياسية وقد سبب ذلك أضرارا جسيمة لواردات أوروبا من البضائع الشرقية ما عدا تلك التى كانت تنقل عن طريق وسط اسيا [١١] ورغم أن فينيسيا وجنوه كانتا من الدول الأوروبية المهمة التى تاجرت مع الشرق على نطاق واسع منذ القرن الخامس عشر إلا أنها خسرت مركزها الاقتصادى الممتاز بعد استيلاء الأتراك على القسطنطينية عام ١٤٥٣م اضافة الى أن السياسة الاقتصادية للمماليك فى مصر افقدت هذه المدن ما تبقى لها من أفضلية وأصبح واضحا أن اكتشاف طرق جديدة للهند وجنوب شرق أسيا سيدر فوائد عظيمة للدول ذات الأهداف الاستعمارية وفى مقدمتها البرتغال الدولة الأوروبية الأولى ذات الأهداف الاقتصادية الاستعمارية والتجارية ليس فى منطقة الخليج العربى فقط بل وفى الهند وجنوب شرق آسيا

وفى منتصف القرن الخامس عشر دفع الملك البرتغالى (دوم هنريك) الذى عرف بالملاح الدول الأوروبية التجارية للتوجه عن طريق رأس الرجاء الصالح نحو الشرق تجنبا لملاقاة الأتراك الذين كانت ...

سيطرة التامة على البحر المتوسط بعد
حهم للقسطنطينية وعلى كافة الطرق
ؤدية الى وادى الرافدين والخليج العربى
سيا الوسطى وتم ذلك فى عام ١٤٩٨م حين
كن البرتغاليون من الوصول الى الهند عن
ريق رأس الرجاء الصالح

ادن كان الهدف الرئيسى فى التوسع
رتغالى هو الوصول الى الهند والشرق
أقصى مباشرة دون الحاجة الى توسط
سلمين والبنادقة فى نقل التجارة (١٥)
لهدف من استعمار الهند هو لما كانت
متع به من حضارة وثراء واعتبر الخليج
بوابة المؤدية الى الهند لذا كانت اهميته فى
ين المستعمر نابعة من كونه قريبا من الهند
مكن البرتغاليون من تثبيت أقدامهم على
واحل الهند عام ١٥٠٥م حينما أسسوا
ا حكومة يرأسها نائب الملك ورغم انهم
نوا ما يزالون فى دور بناء امبراطوريتهم
هند فقد اتجه اهتمامهم لمناطق الخليج
عربى وشبه الجزيرة العربية

وبالرغم من القوة البحرية الهائلة التى
لها البرتغاليون الى المحيط الهندى فانهم
يستطيعوا أن يوقفوا حركة الملاحة
عربية فى المحيط التاسع هذا بالاضافة الى
، الحكومة البرتغالية سمحت للبحارة
فراد بأن يمارسوا أعمال القرصنة ضد
ملاحة العربية لهذا السبب واصل
رتغاليون تقدمهم لاحتلال مالقا وجزر
هند الشرقية فى الشرق الأقصى لكى يمنعوا
بحار العرب من الوصول الى مناطق انتاج
توابل ذاتها فإذن كان هدفهم إزالة
احتكار التجارى من أيدى عرب البحر
المتوسط والخليج العربى الذين سيطروا على
زمام الحركة التجارية بين أوروبا واسيا

اضافة لذلك كان البرتغاليون مدفوعين فى
حركة الاكتشاف والتوسع هذه بروح
صليبية وسيطرت هذه الروح على عدد من
ضباط البحرية البرتغالية وابرزهم إفونسو
البوكيرك الذى بدأ حياته فى الجيوب
البرتغالية على سواحل المغرب ثم دخل الى
ميدان الصراع الصليبى المتجدد فى الشرق
واشترك فى حملة بحرية الى المحيط الهندى
عام ١٥٠٦م ومنها استمر فى قيادة الغزو
البرتغالى فى المنطقة

ادن الاستعمار البرتغالى كان يهدف
اضافة الى تحقيق اطماعه التجارية
والعسكرية الى خدمة الكنيسة عن طريق
بعثات تبشيرية عديدة استقرت فى الكنائس
التى بنيت جنبا الى جنب مع القلاع
البرتغالية فى هرمز ومسقط والبحرين كما
فكر البرتغاليون فى الاستيلاء والسيطرة على
منطقة باب المندب لتحقيق أهداف صليبية
محضة وكذلك لتثبيط همة المقاومة
الاسلامية فى الهند ، حيث أن البحر الأحمر
كان أكثر اغراء للبرتغاليين من الخليج
العربى لأنه يؤدى الى الأماكن المقدسة
الاسلامية (١٦) .فكان هم البرتغاليين أن
يقطعوا سبل الاتصال بين دولة المماليك وبين
مسلمى الهند سيما وان المماليك استعدوا
لمقاومة البرتغاليين فى المحيط الهندى ، لما
لحقهم من أضرار اقتصادية نتيجة اكتشاف
طريق راس الرجاء الصالح وعند فشل
البرتغاليين فى تحقيق تلك السيطرة على هذا
المنفذ ارتدوا الى الشرق ومنطقة الخليج

العربى وكانت هرمز والموانىء التابعة لها أول ما صادف البرتغاليين عند غزوهم للخليج عام ١٥٠٨م ، وقد شرع قائد الجيش البرتغالى إفونسو البوكيرك فى ضرب الحصار على جزيرة هرمز لكنه اضطر الى فكه عام ١٥١٤م حين حاصروا هرمز التى لم تلبث أن استسلمت ووافق حاكمها على دفع جزية سنوية وقبول حماية البرتغاليين واقامة قلعة برتغالية على الجزيرة

وفى عام ١٥١٥م بسط البرتغاليون نفوذهم على أغلب مدن الخليج العربى ومن ضمنها البحرين ولكن سيطرتهم على الخليج العربى لم تدم طويلا فقد أخذ نفوذهم يضعف تدريجيا إذ خسروا مواقعهم على الساحل وفى عام ١٦١٢ و ١٦١٥ انهزم اسطولهم الضخم أمام الانكليز فى معارك سورات (١٧)

٤ـ عوامل انهيار السيطرة البرتغالية فى منطقة الخليج العربى..

فى عام ١٦٢٥م أصبح البرتغاليون أعرابا فى منطقة الخليج العربى لكنهم بقوا رغم انحدارهم عن المكانة العالمية التى كانت لهم فى الخليج العربى خطرا عسكريا يهدد الانكليز ومستقبلهم فى الخليج وما لبثت مقاومتهم أن انهارت اذ تم فى عام ١٦٥٠م وبعد معارك شديدة اجلاؤهم عن منطقة الخليج العربى من قبل العمانيين بل وتعقبهم حتى سواحل الهند وافريقيا الشرقية (١٨)

وفى هذا الصدد نود أن نوضح عوامل تدهور القوة البرتغالية للخليج العربى فى نهاية القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر ومن ذلك أن تغير وضع البرتغال فى اوروبا كان له دور مهم فى انهيار حكمهم فى الخليج العربى وساحل شرق افريقيا والقارة الهندية فالبرتغال فقدت استقلالها وخضعت للتاج الاسبانى عام ١٥٨٠م وأصبحت لا تعدو كونها مقاطعة اسبانية ولم تسترجع استقلالها إلا فى عام ١٦٤٠م ولكن نفوذها فى الخليج استمر حتى عام ١٦٢٤ دون اتصال مع لشبونه وكانت السياسة البرتغالية فى الخليج فى هذه الفترة تخطط من قبل القادة العسكريين بالاتفاق مع القواعد البرتغالية فى الهند وعدن مما سهل على خصوم البرتغال انهاء حكمهم والسيطرة على قواعدهم وفى منتصف القرن السابع عشر لم يكن للبرتغاليين اى قاعدة عدا مستعمرتهم فى جوا ، ونتيجة لذلك أخذت البرتغال بعد هذه الفترة تركز على التجارة مع الصين وجنوب شرق اسيا وعلى التوسع فى أمريكا الجنوبية

ومن أسباب انهيار السيطرة البرتغالية الأخرى فى بحار الشرق عدم قدرتها وهى الدولة المحدودة المساحة والسكان السيطرة على امبراطورية ساحلية ضخمة امتدت من لشبونه الى كاليكوت ، كما واجه الأسطول البرتغالى مقاومة عربية بطولية فى كافة مواقعه وخصوصا فى مسقط وفى عام ١٥٠٧ حقق حاكم هرمز الشيخ سيف الدين انتصارا ساحقا على الأسطول البرتغالى وأجبر القائد البرتغالى على قبول معاهدة اعترف فيها البرتغاليون بحكمه رغم أن الحاكم البرتغالى فى الهند قد انتقم لهذ

حدى حين ارسل عام ١٥٢٢ أسطولا برا احتل هرمز وأحرقها إلا انه مع ذلك كله ه لابد من الاشارة أيضا الى الدور الذى ، به اليعاربة في عمان وجهودهم في صدى للبرتغاليين وتوحيد معظم قبائل لخليج تحت زعامتهم الدينية والسياسية . حقق الامام ناصر بن مرشد مؤسس رة اليعاربة في عمان نجاحا كبيرا في راعه ضد البرتغاليين تمكن به من طردهم بعض موانيء وحرر الخليج بل وانتزاع هد منهم عام ١٦٤٨ بدفع الجزية السنوية عمان واطلاق حرية الملاحة لجميع الأمم مياه الخليج والمحيط الهندى

ويمكن القول أن المقاومة العربية في لقة الخليج العربى ما فتئت تجابه رتغاليين ووقفت لهم بالمرصاد رغم ضعف كانياتها في تلك الفترة ، وفي مقابل المقاومة ربية فإن الاحتلال البرتغالى اتسم حشية المتناهية ضد السكان العرب حاولة اجبارهم على الارتداد عن الاسلام النصرانية كما سادت الفوضى والفردية في فوف القوات البرتغالية التى كان قادتها رين من أجل النهب والسلب والحصول المكاسب الشخصية مستخدمين وسائل شوة والخيانة وأدى ذلك كله الى الفوضى نهيار الاجتماعى وفقدان الفضيلة وكان ، من الأسباب التى ساعدت في انهيار ود البرتغالى في الخليج اضافة الى اعد الهجمات العسكرية التركية شاط الذى اظهرته اساطيلها وتهديدهم ق المواصلات البرتغالية في الخليج ربى ومن تم احتلال الأتراك للبحرين واستعادتهم للبصرة [١٩] وظهور النفوذ البريطانى وازدياد النشاط الهولندى بمعنى آخر ظهور قوتين بحريتين في المحيط الهندى في أوائل القرن السابع عشر هما الأسطول الهولندى والأسطول الانكليزى وتميز هذان المنافسان الاستعماريان بأنهما كانا أكثر إدراكا للمصالح التجارية وقد استطاعا أن يحظيا بمكانة أفضل عند الدول الأسيوية كما حدث بالنسبة لفارس كما اتصف البرتغاليون بروح التعصب والقسوة في معاملة الشعوب الأسيوية الافريقية ولم يكترثوا بتنظيم التجارة مع تلك الشعوب ، اضافة الى أن سياستهم كانت ترمى الى التوسع الاستعمارى بالقهر العسكرى واستغلال هذه القوة للحصول على موارد اقتصادية في حين أن القوى الاستعمارية الأخرى كالهولنديين والانكليز حين ظهروا في أوائل القرن السابع عشر اتبعوا سياسة جديدة يقصدون التجارة فيها أولا ثم تأتى بعد ذلك القوة الحربية لحماية تلك التجارة علاوة على ذلك فان البرتغاليين لجأوا الى إجبار الشعوب المقهورة على استخراج المواد الخام بالاضافة الى اعتمادهم على العبيد أو المرتزقة من الهنود الذين كانوا يشكلون أعدادا كبيرة في حامياتهم [٢٠]

واخيرا فان من العوامل التى أدت ايضا لتدهور القوة البرتغالية في الخليج العربى أن ملك البرتغال كان يحتكر تجارة السلع المربحة ولم يترك مجالا للبرجوازية التى كانت أكثر نشاطا في النظام الهولندى أو الانكليزى حيث أن تأسيس البرجوازية للشركات الاحتكارية يربط مصالح عديد من

الأفراد بحركات الاستعمار كذلك فان الاحتلال البرتغالي يفتقر الى وجود نظام دقيق في البحرية فتكررت حوادث التمرد والخلافات بين كبار الضباط وأخيرا فإن مصير البرتغاليين في الخليج العربي كان هو نفس مصير الحملات الصليبية فقد نجحت الامارات العربية في توحيد جهودها للقضاء على القواعد العسكرية التي بناها الأسطول البرتغالي وهكذا انهارت الآمال العريضة التي كان يرمى اليها الاستعمار البرتغالي عسكريا وسياسيا ودينيا

***

بعد هذا العرض نخلص الى انه لموقع الخليج العربي اثر كبير واهمية فقد كان ولا يزال شريانا حيويا للتجارة بل يمكن اعتبار النشاط التجاري الذي يمارسه سكان هذه المنطقة العامل المباشر للنمو والازدهار لمراكز العمران التي قامت فيها بحر داخلي عظيم الأهمية ولا يوجد بحر داخلي في العالم له نفس الأهمية العظيمة التي يتمتع بها الخليج العربي سواء بالنسبة للجغرافيين أو المؤرخين أو رجال السياسة فالخليج العربي له في تاريخ البشرية سجل حافل ، يرجع الى فجر التاريخ فبفضل موقعه على أحد الطرق الرئيسية بين الشرق والغرب اكتسب تلك الأهمية التي لا يعادله فيها بحر داخلي اخر

وكان الكشف عن طريق راس الرجاء الصالح في نهاية القرن الخامس عشر بداية عهد جديد في تاريخ النشاط التجاري في حوض الخليج فمنذ ذلك الحين أخذت أنظار

البحري الذي تم اكتشافه حديثا فأخذت تسعى للسيطرة عليه

والسبيل الى السيطرة على الخليج كان يعني أن تكون الدولة المسيطرة بحرية بالدرجة الأولى وبرزت الدولة البرتغالية في القرنين السادس عشر والسابع عشر وجاء استيلاء البرتغاليين على منطقة الخليج العربي عن عمد واصرار وكانوا كجند وغزاة لكي يفرضوا سيطرتهم على دوله المحتلفه وكان ذلك جزءا من برنامج ضخم تولى تنفيذه القائد إفونسو البوكيرك بهدف السيطرة على تجارة الهند وكان سبيل ذلك الاستيلاء على المنافذ البحرية التقليدية كالبحر الأحمر والخليج العربي وبوغاز ملقا وارغام التجار على اتخاذ طريق رأس الرجاء الصالح في سبيلهم الى البرتغال وأوروبا

وقبل ان يستولى عليه البرتغاليون كان الخليج العربي احد الطرق البحرية الرئيسية للتجارة الآسيوية ففيه كانت تمر بضائع الهند والصين وجزر الهند الشرقية وهي في طريقها الى أسواق إيران وأوروبا وفي طريقها الى أسواق الهند والشرق الأقصى وعلى سواحله قامت دول تجارية في صور مدن وازدهرت الحياة فيها ومنها البصرة والبحرين وسيراف وقيس وهرمز ولكن سرعان ما كانت تذوي ثم تندثر بمرور الوقت بسبب الأحداث التي كانت تعصف بـ واحدة تلو الأخرى كثورة القرامطة وسقوط الخلافة العباسية والغزوات المغولية وقيام الامبراطورية الصفوية وكان صدى اضمحلال تلك المدن يتردد في الفترة التي فيما للبرتغاليين اكتشاف طريق رأس الرجاء

القرن السادس عشر وعند ـك الوقت تحولت طرق التجارة الرئيسية ـن أوروبا وآسيا عن الخليج العربي والبحر ـأحمر الى المحيطات الجنوبية ورأس الرجاء ـصالح ولم تعد الى مجراها القديم ثانية ـبعد فتح قناة السويس في النصف الثاني ـن القرن التاسع عشر

وتحول مسارات التجارة عن طريق ـخليج العربي في القرن السادس عشر يعد ـربة قاصمة لدول المدن القائمة على ـواحله ولموانئ البحر المتوسط على حد ـواء مع حرمان الخليج العربي من المهمة ـرئيسية التي يقوم بها كطريق للتجارة بين ـشرق والغرب وبقي طوال قرن مجرد تابع ـن توابع المملكة البرتغالية وكانت السفن ـبرتغالية تسيطر سيطرة كاملة على مياهه ـصبحت هرمز كقاعدة برتغالية تتحكم في ـحله ، وتقف في وجه حركة التجارة الدولية ـه واليه

وعليه فان السيطرة البرتغالية التي ـتدت على مدى القرن السادس عشر يميزها الخليج العربي كممر بحري يربط الشرق ـغرب قد أغلق تماما وان أهميته كطريق ـجارة العالمية تدهورت تدهورا بالغا وانه ـصبح مجرد طريق مسدود وسوق محلية ـجارة البرتغالية سواء كانت تجارة ـبرتغال نفسها أو تجارة امبراطوريتها في ـوب آسيا

كما تمكن البرتغاليون من الاستيلاء على ـمسقط وصحار وهرمز والبحرين ووطدوا ـدامهم في مراكز أخرى على سواحل الخليج ـبصفة خاصة في القطيف ورأس الخيمة لكن سيطرتهم على الخليج لم تدم طويلا ، فقد أخذ نفوذهم يضعف تدريجيا وخسروا مواقعهم على الساحل وفي الوقت الذي ظهر فيه البريطانيون في الخليج كان عصر البرتغاليين قد أخذ في الأفول ذلك انهم كانوا قد زحزحوا من البحرين في عام ١٦٠٢ ومن رأس الخيمة في عام ١٦١٩ وفي سبيل زحزحتهم عن هرمز اتصل الشاه عباس بممثل شركة الهند البريطانية في جاسك في عام ١٦٢١ مقترحا توجيه حملة مشتركة ضد البرتغاليين وبموافقة مدير الشركة في سورات هوجم البرتغاليون في هرمز في عام ١٦٢٢ وكانت مهمة البريطانيين تحطيم الأسطول البرتغالي في مياه الخليج بينما كانت مهمة الشاه مهاجمة القلعة في هرمز ولم يمض شهران ونصف على بدء المعركة حتى سلم البرتغاليون وبذلك زحزحوا نهائيا عن الخليج

ويمكن القول ان نتائج النفوذ البرتغالي في الخليج العربي كانت تكمن فيما يلي

١ ـ محاولة البرتغاليين السيطرة على تجارة السلع الشرقية وحجب وصولها الى مصر والشام

٢ ـ تحالف البرتغاليين مع الاحباش ضد القوى الاسلامية

٣ ـ بداية التنافس بين القوى الاوروبية للسيطرة على تجارة الخليج العربي

وختاما ورغم كل ذلك فان الحاضر يرتبط بالماضي ولابد لنا نحن العرب اليوم أن نستفيد من تاريخنا ونضالنا العريق ضد الأطماع الاستعمارية وأن نجعل من تلك

الدروس صورة مشرقة لمستقبلنا ، فعلى دول الخليج العربى أن تستفيد من عبر ما حدث فى السياسة الدولية وتجد بوضوح ان الاعتماد على الدول الكبرى هو فى النهاية سياسة غير مجدية والبحث عن أمنها واستقرارها يأتى عن طريق التعاون العربى والتضامن وبناء القوة الذاتية وتنسيق الجهود العربيــة التى تهدف للتعـاون الحقيقى المخلص فقد رحل الملاح البرتغالى وذهب الشرطى البريطانى وبات الأمر فى العمل العربى المشترك وقد برهنت الأحداث على خرافة الأفكار القائلة بوجود دولة أجنبية حامية أو ضامنة لأمن الخليج العربى وانما هناك استعمار ومستعمرون وسعى لاحلال نفوذهم وتحقيق اطماعهم بأبخس الاثمان تيمنا بالمبدأ القائل ليس هناك من أصدقاء دائمين وانما مصالح دائمة

فالخليج العربى هو المنطقة البالغة الأهمية فى تاريخ وحاضر الأمة العربية ومستقبلها ويؤلف محورا هاما فى السياسة الدولية الحاضرة ، وبذلك يمكن القول بدون تردد ان نجاح التضامن العربى بين أقطاره يؤلف قوة عربية هائلة تعكس آثارها الايجابية على الموقف العربى والدولى ويمكن لهذه القوة إذا أحسن استخدامها وانتظم أمرها ان تصبح وحدها أكبر الكتل الرئيسية فى العالم

◇◆◇

الهوامش

(١) يقع الخليج العربي جغرافيا بين شبه الجزيرة العربية غربا وايران شرقا ومضيق هرمز وخليج عمان جنوبا والعراق شمالا . وللمزيد من المعلومات حول مساحته وابعاده انظر د صبري فارس الهيتي الخليج العربي دراسة في الجغرافية السياسية ، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٩ . ص ١٨

(٢) انظر الخريطة الخاصة بالخليج العربي

(٣) سليم طه التكريتي ، المقاومة العربية في الخليج العربي ، دار الرشيد للنشر ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ١٩٨٢ ، ص ١١

(٤) سالم سعدون ، جزر الخليج العربي ، دراسة في الجغرافية الاقليمية . دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨١ ، ص ٢٨

(٥) د ابراهيم شريف ، الشرق الأوسط ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد بغداد ١٩٦٥ ، ص ٢٣

(٦) S.A. Morrison, Middle East Survey, S.C.M. Press Ltd, London, 1954, p. 14.

(٧) جيمس فيرجريف ، الجغرافية والسيادة العالمية ، ترجمة علي رفاعة الانصاري ود محمد عبد المنعم الشرقاوي ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٥٦ ص ٢٩٧

(٨) د محمود علي الداود الخليج العربي والعمل العربي المشترك ، مطبعة الارشاد منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ١٩٨٠ ، ص ٣٢

(٩) د جمال زكريا قاسم الصراع العماني ـ البرتغالي في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، مجلة البحوث والدراسات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، العدد العاشر ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٣٣٩

(١٠) د صدقه يحيى فاضل الأهمية العالمية المعاصرة للخليج ودول مجلس التعاون مجلة التعاون ،الامانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربي السنة الثانية ، العدد الخامس ١٩٨٧ ، ص ٣٦

(١١) علي غنام احداث فاصلة في احلال النفوذ الأجنبي بالخليج العربي . مجلة الخليج العربي ، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، المجلد السابع عشر العدد ٢ السنة الثالثة عشرة ١٩٨٥ ، ص ١٠

[illegible]

(١٢) د جمال زكريا قاسم مصدر سبق دكره ، ص ٣٣٩

(١٣) S.B. Miles. The Countries and Tribes of the Persian Gulf, Frank Oass Co. Ltd, 1966, p. 145.

(١٤) د محمود علي الداود ، مصدر سبق دكره ، ص ٢٨

(١٥) د جمال حمدان ، استراتيجية الاستعمار والتحرير دار الهلال ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٦٥

(١٦) Sir Arnold T. Wilson: The Persian Gulf, Third Impression, 1959, p. 120.

(١٧) د محمود علي الداود العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي ١٥٠٧ ـ ١٦٥٠ مجلة كلية الآداب جامعة بغداد ، العدد ٢ ـ شباط ١٩٦١ ، ص ٣٣٩

(١٨) د صبري فارس الهيتي مصدر سبق دكره ، ص ٣٣

(١٩) صالح اوزبران الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ، مطبعة الارشاد ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، ١٩٧٨

(٢٠) د صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٢١

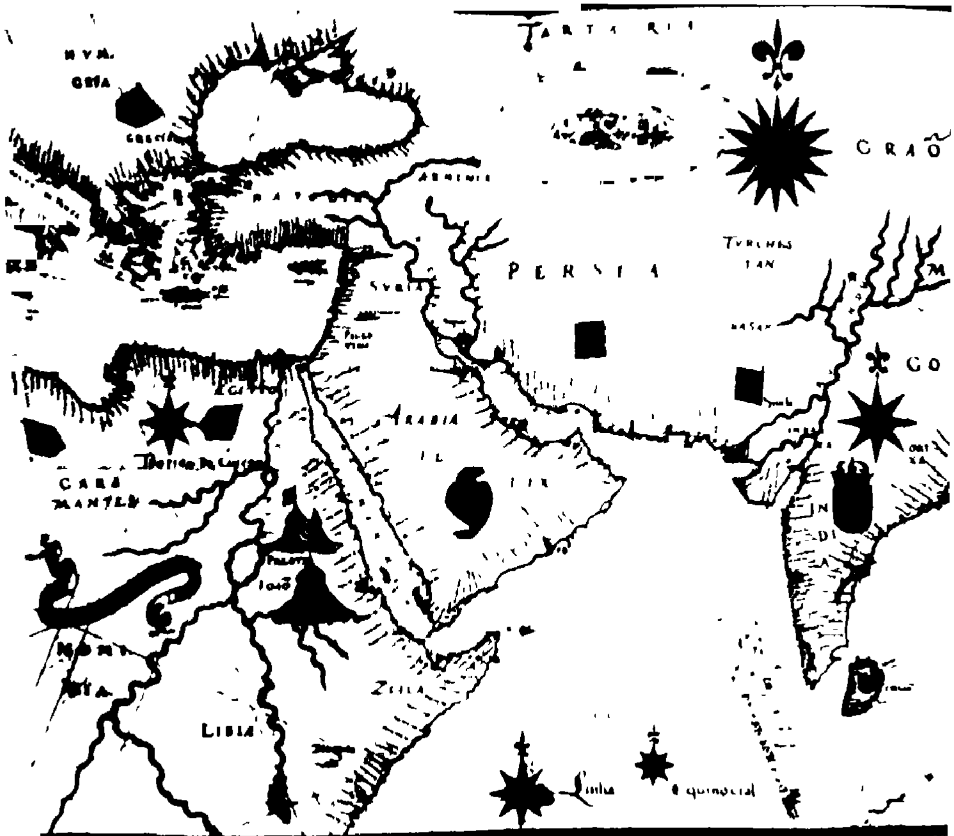
النظام الدولي الاقليمي في منطقة الخليج خلال فترة الاستعمار البرتغالي

درج العلماء في تحليل موقع الخليج من الصراعات الدول المعاصرة على تقبل مفهومين اساسيين الاول ويدور حول ان اهم منطقة الخليج لم تبرز في صورة واضحة لتعلن بصراحة ع موقعه كاحد عناصر القلب في التوازن الاستراتيجي الدولي ا خلال الاعوام العشرين الماضية وعلى وجه الخصوص في اعقا حرب الايام الستة والثاني ان هذه الاهمية تنبع اساسا م الثروة البترولية التى تتميز بها المنطقة [1] هذين المفهومين رء صحة كل منهما الا انه يجب ان نعيد النظر في حقيقة ما يتضم اي منهما من احكام عامة لا تقبلها النظرة التحليلية لتاريخ هد المنطقة

اهمية منطقة الخليج حقيقة تاريخية تنبع من نظر استراتيجية كلية وشاملة لمبدأ السيادة الدولية واذا استطع في هذه النظرة الكلية الشاملة ان نفصل بين الثابت والمتغير لكا بامكانية هذا التحليل ان يكتشف حقيقة التوظيف الاستراتيج للمنطقة ليس فقط على مستوى الماضي بل وكذلك في المستقب وباستقلال مطلق عن عنصر البترول وجودا او عدما

بقلم الاستاذ الدكتور حامد

[illegible]



... بناء نموذج تاريخي للتعامل بين المنطقة
... طار الدولي للسيطرة وفرض التبعية

... ى الى ارض وادي النيل . في هذه
... يجب ان يتحرك من يريد ان يخلق
... طورية عالمية
...) او ... الوسطى لا يجب الا
[illegible]

النوبة ايضا نحو الشرق والى حدود الهضبة
انها سياسة ... الذي يمثل ... ازاء
... غير ... من سواحل
ليبيا ... غربا وشمالا ... على العكس
من ذلك ... [illegible]
[illegible]

اخرى سيطرت على كبار القادة الرومانيين

(الاول) ان محور السيادة العالمية هو حوض البحر المتوسط

(الثاني) ان البحر المتوسط يمثل وحدة متكاملة لا تقبل التجزئة ومن يريد ان يسيطر على سواحله الشمالية يجب ان يتحكم في سواحله الجنوبية

(الثالث) ان حماية السيادة على البحر المتوسط تفترض التحكم في مصر التي تسمح وحدها بحماية «بحرنا» كما يقول قادة روما من تطرق عصابات الشرق الهمجية [٢]

بين هذين المفهومين تصارعت المدركات منذ اقدم العصور حتى اليوم فالعرب وبصفة خاصة مع فترة الحكم العباسي اتجهوا الى المفهوم الاول وسيطر على تعاملهم مع العالم ما قدمه الاسكندر الاكبر من مدركات والعثمانيون كانوا اقرب الى المفهوم الروماني وجاء اعظم قادة التاريخ في التعامل الاستراتيجي وهم البريطانيون فورثوا المفاهيم الرومانية بعد ان اضافوا اليها بعض العناصر الحاسمة العنصر الاول وهو ان السيطرة على البحر المتوسط تفترض التحكم في أمرين، الأول المداخل والثاني الجزر وهكذا لم يكتفوا بالتحكم في قناة السويس بل اضافوا جبل طارق وهم لم يتركوا جزيرة ذات اهمية في البحر المتوسط دون ان يضموا تلك الجزيرة إلى قواعد نفوذهم العنصر الثاني وهو النظرة الى البحر المتوسط على ان محور السيادة العالمية تفترض ان يحاط هذا المحور بقواعد للمساندة وبصفة خاصة قاعدتين، الاولى في منطقة الخليج والثانية في وسط افريقيا [٣]

هذا التطور العام للمفاهيم الاستراتيجية كان لا بد وان يعكس نفسه على الواقع الدولي للتعامل مع منطقة الخليج ما يعنينا في هذه الدراسة الموجزة ان نتناول رحلة الاستعمار البرتغالي كاحد نماذج وتطبيقات هذا التطور

عملية بناء النموذج التاريخي واهميتها في علمية المنهاجية الوصفية للتحليل السياسي: منطقة الخليج خلال فترة الاستعمار البرتغالي

قبل ان ننطلق في موضوع هذه الدراسه يجب منذ البداية ان نحدد المنهاجية التي سوف نتبعها وخصائصها وكذلك اهميتها في كل ماله صلة بعملية التنظير السياسي

فكرة بناء النموذج اصبحت متقبلة في جميع العلوم الاجتماعية والتاريخية بل انها في بعض فروع هذه العلوم وبصفة خاصة في علم الاقتصاد السياسي وما يرتبط به من التحليل التاريخي للظواهر الاقتصادية ارتفعت الى القمة واصبحت احد المداخل الاساسية للفهم، العلمي لموضوع التحليل ورغم ان علماء المنهاجية وبصفة خاصة خلال فترة العشرين عاما الماضية لا يزالون على غير اتفاق بمعنى النموذج وخصائصه من حيث البناء التجريدي الا ان هناك مجموعة من المسلمات التي لم تعد موضع مناقشة [٤]

اول هذه المسلمات ان بناء النموذج يفترض ثلاث حقائق يجب ان تكون واضحة في الذهن الامر الاول ويدور حول طبيعة العملية الفكرية التي تستتر خلف بناء

مودج بعض النظر عن طبيعة النموذج
وف نرى فيما بعد ان تطبيقاته عديدة
، معنى بناء النموذج في ابسط معانيه ان
دا ذهنيا يتجه الى تحويل الحقائق او
طيات الى مفاهيم بهذا المعنى فان
مودج قد يختلط بالنظرية او الافتراض الا
الامر الذي لا شك فيه انه اكثر من
راض من جانب واقل من نظرية من جانب
ر انه واقع قد تحول الى اطار يسمح
بهم من جانب وتبويب المعلومات او
احها من جانب اخر وهو قادر على ان
م بعملية التنظير الكلية الشاملة بادق
بيها من جانب ثالث الامر الثاني ويدور
ل جوهر الجهد المنهاجي الذي يفترضه
، النموذج فبناء النموذج لا يمكن ان
قق ويكتمل ان لم تسبقه عملية افراز
تغيرات من جانب وتحليل لحقيقة وضع
المتغيرات كما وكيفا بحيث تستطيع ان
ر بين المتغيرات الاصيلة المتحكمة في
قف هذه العملية التي قد تبدو لاول وهلة
ا تجريبية الا انها تجمع بين التعامل مع
ائع واطلاق ذلك التعامل بمعنى
اميكي حيث تتحكم في النتائج التي من
موعها يتكامل البناء الواقعي للموقف
مع التجريد في عملية النموذج الناحية
لية وهي ان النموذج لا تبدو وظيفته
لاقة في معناها الحقيقي الا اذا ادخلنا في
ليل المقارنة المنهاجية فالمقارنة بين
قف والتطورات سواء استنادا الى
ج واحد او الى نماذج متعددة هو وحده
ي يثبت الفاعلية العلمية لهذه المنهاجية
ذج الواحد يسمح ببناء التيبولوجية
سمح تعدد التطبيقات وتعدد النماذج

يقود الى ابراز المتغيرات ودلالة تلك المتغيرات في فهم حقائق التطور

النماذج بهذا المعنى عديدة ومتنوعة (٥) بل انها قد تتباين في توظيفها تبعا لكل باحث رغم ذلك نستطيع ان نميز في تلك النماذج بين تطبيقات ثلاثة اساسية

(اولا) النموذج التجريدي او الرياضي ويسود التحليل الاقتصادي ويبرز واضحا من حيث اهميته في مشاكل التخطيط تسوده اللغة الكمية وهو افتراضات نموذج تجريدي اي رغم انه يسعى للتعامل مع الواقع الا انه في بنائه يستطلع فقط عن افتراضات محددة ويكاد يقترب من هذا النموذج التطبيق المعروف والمنسوب الى ماكس فيبر

(ثانيا) النموذج التجريبي والذي ينطلق من الواقع في محاولة تبسيط ذلك الواقع واعطائه دلالة شكلية يغلب عليها الربط بين المتغيرات هذا التطبيق الثاني يسود العلوم الاجتماعية وبصفة خاصة بدأ يتغلغل في التحليل التاريخي منذ طرح موضوعه لفيف من العلماء في المؤتمر الدولي للعلوم التاريخية الذي عقد بروما عام ١٩٥٥

(ثالثا) ثم النموذج المعملي وهو الذي طرحته تقاليد التحليل العلمي للظاهرة السياسية هو يجمع بين التطبيقين الاول والثاني بسبب مختلفة جوهر هذا التطبيق هو ان السياسة وهي علم اجتماعي لا يستطيع ان يتحقق من صحة نتائجه بأي اسلوب من تلك الاساليب المتداولة في نطاق العلوم البحثية والتحقق من صحة النتائج ضرورة تفرضها عملية التحليل وقد وجد في

التاريخ المعملي الذي هو في حاجة اليه ومن ثم فهو يبحث في هذا التاريخ عن المواقف المماثلة او المتشابهة مع الوضع الحاضر ويجردها في نماذج بالمعنى الثاني ثم من خلال المقارنة مع الموضع المعاصر يستطيع ان يؤكد من صحة نتائجه سواء في حالة التطابق او في حالة الخلاف التطابق هو تأييد لصحة النتائج والخلاف هو دعوة للبحث عن اسباب التناقض وهو تفسير لهذا التناقض من منطلق فهم طبيعة الأزمنة التاريخية [٦]

الذي نحاوله في هذه الدراسة هو بناء نموذج بالمعنى الثالث موضوعنا هو تحليل النظام الدولي وموقع الخليج فترة الاستعمار البرتغالي ولنستطيع ان نفهم الاطار الفكري الذي تنبع منه دراستنا علينا ان نتذكر مجموعة من الحقائق أولى هذه الحقائق ان الخليج منذ بداية العصور الحديثة وعلى وجه التحديد منذ القرن الخامس عشر لم يملك اي ارادة اقليمية بل ظل يخضع لتلاعب القوى الدخيلة على المنطقة التي راحت تسعى لفرض نوع لها من السيادة العالمية ومن الطبيعي إزاء منطقة تملك أهميتها الاستراتيجية أن تسعى تلك القوى ذات الطموح العالمي الى فرض التبعية على منطقة الخليج والحقيقة الثانية هي ان نظم الهيمنة والسيطرة على المنطقة رغم تعددها تتمركز وتتمحور اساسا حول نماذج ثلاثة النموذج البرتغالي اولها يتبعه النموذج الانجلو سكسوني ثم نموذج الصراع المعاصر بين واشنطن وموسكو [٧] وهي نماذج ثلاثة كل منها يملك شكله المتميز ورغم ان هذه الدراسة سوف تقتصر على النموذج البرتغالي الا ان ابراز اوجه الخلاف مع النماذج الاخرى يسمح بابراز الثابت والمتغير في علاقة منطقة الخليج بالنظام الدولي الحقيقة الثالثة وتدور حول احد هذه المتغيرات الثابتة بل واهمها وهو البعد الاستراتيجي والجيوبوليتيكي لمنطقة الخليج هذا المتغير هو وحده الذي يجمع بين النماذج الثلاثة في نموذج واحد اكثر اتساعا ويدور حول وظيفة منطقة الخليج في الصراع حول السيادة العالمية ايضا هذا النموذج العام والكلي ليس موضوع هذه الدراسة ورغم اننا سوف نتعرض له بطريقة غير مباشرة وجزئية

ما المقصود بموقع منطقة الخليج من النظام الدولي وبصفة خاصة خلال فترة الاستعمار البرتغالي؟

منطقة الخليج تمثل اهمية استراتيجية خاصة سوف نتعرض لها تفصيلا على ضوء التعامل التاريخي مع المنطقة ولكن الذي يعنينا مؤقتا في بناء هذا النموذج والمرتبط بفترة الاستعمار البرتغالي تحديد معنى علاقة منطقة الخليج بالنظام الدولي الاهمية الاستراتيجية لا بد وان تخلق الاهتمام والضعف الذاتي لا بد وان يشجع الاحتواء وابتداء من هاتين الكلمتين نستطيع ان نلخص تاريخ منطقة الخليج في العصور الحديثة وابتداء من القرن الخامس عشر قد يكون هناك خلاف في التفاصيل وقد تتعدد العناصر الخاصة المتباينة وقد تختلف الاطراف المتعاملة، ولكن الجوهر يظل واحدا اهمية خلقت من المنطقة عند حدوث ضعف لا بد وان يشجع على الاحتلال او التحكم ولو تتبعنا مصدر هذا الاهتمام

ده قد تنوع وتعدد لم توجد امة حاولت
تكون لها سيادة عالمية معينة ولم تهتم
نطقة البرتغاليون ارتبط بهم الهولنديون
فرنسيون والبريطانيون واعقبهم الالمان
ن نعيش اليوم مرحلة يبرز فيها في صورة
طعة كل من الروس والامريكيون بل ان
سيبيين واليابانيين بدورهم لم يتركوا هذه
طقة دون اهتمام هذا التدخل في المنطقة
ن النظر عن مستواه ونماذجه لا بد وان
ق رابطة مباشرة بين التعامل في المنطقة
ظام الدولي السائد (٨)

لو تتبعنا تاريخ منطقة الخليج من حيث
لها مع القوى الدولية وابتداء من القرن
امس عشر نستطيع ان نميز في هذا
امل بين نماذج ثلاثة واضحة من حيث
صرها ومتغيراتها النموذج الاول وهو
تغالي الذي سوف نتناوله بالتفصيل في
فحات التالية النموذج الثاني وهو
يطاني ويستغرق قرابة قرن ونصف
، وصل الى كماله من حيث التحكم في
لقة مع اواخر القرن الثامن عشر وظل
، القرن التاسع عشر والنصف الاول من
ن العشرين هو وحده صاحب السيادة
سيطرة الحرب العالمية الثانية وضعت
لهذا النموذج من السيطرة حيث قوة
ة دولية تتحكم بشكل او باخر في
قة ومن ثم يكون من خلالها ربط المنطقة
ظام الدولي لتعاصر نموذجا اساسه
اح الاقطاب المتعاملة الولايات المتحدة
حاد السوفيتي ورغم ان السياسة
يكية انتهجت سلوكا اساسه محاولة
راد بالمنطقة والعودة من ثم الى النظام
يدى الا انها حتى هذه اللحظة لم تنجح

في ذلك

حرب الخليج هي في الواقع تعبير عن حقيقة هذه العلاقة بين المنطقة والنظام الدولي الذي يسود التعامل مع المنطقة لم يفهم اطراف الصراع تلك الحقيقة في بداية الصدام ولكنهم اكتشفوا عقب ذلك وعقب ان اضحى التراجع مستحيلا انهم ليسوا الا لعبة في يد الارادات الدولية (٩)

ولكن هذا يخرج بنا عن نطاق الدراسة

الاستعمار البرتغالي وخصائص النظام الدولي الاقليمي خلال القرن السادس عشر

السيطرة الحقيقية للبرتغاليين على منطقة الخليج اكتملت عام ١٥٥٩ وكان ذلك عقب الحملة التركية بقصد استرجاع البحرين من ايدي البرتغاليين والحاق هزيمة ساحقة بهم اذ تحرك اسطول تركي متجها نحو البحرين ليواجه اسطولا برتغاليا تسانده قوات عربية اعدها حاكم البحرين وهو الراس مراد الذي كان يحكم باسم شيخ هرمز واستطاع هؤلاء المتحالفون ان يوقعوا الهزيمة بالقوات التركية وان يفرضوا عليها الانسحاب بل ودفع مبلغ معين على سبيل التعويض (١٠) في ذلك الوقت اكتملت للبرتغال السيادة على منطقة الخليج دون منازع حقيقي

ا) على أن هذه السيطرة لم تتم دفعة واحدة ونستطيع أن نحدد وقائع متتابعة انتهت بتحقيق تلك السيادة واستغرقت قرابة نصف قرن كامل من الزمن

(اولا) اول خطوة في سبيل تحقيق هده السيادة وقد ارتبطت بتصريح دولي يؤكد هده الحقيقة كانت رحلة فاسكودي جاما الى الهند عن طريق راس الرجاء الصالح والتى انتهت بعودته الى لشبونة في سبتمبر ١٤٩٩ والتي احدثت دويا عظيما في مختلف الاوساط الاوربية وقد توج دلك بتصديق البابا على اللقب الدي خلعه على نفسه ملك البرتغال بأنه «سيد الفتح والملاحة والتجارة في الهند والحبشة وجزيرة العرب وفارس» (١١)

(ثانيا) وكان من الطبيعي ان تبحث السلطات البرتغالية عن مواقع اقدام لها في مختلف اجزاء الخليج لحماية مواصلاتها وتأمين نفودها في عام ١٥٠٧ كانت اول حملة هامة دات دلالة عندما اتجهت قوات برتغالية الى سواحل عمان وبصفة خاصة الى هرمز حيث رفض الحاكم الاستسلام فخضع لهجوم مدمر انتهى بان قبل الشيخ سيف الدين حاكم المنطقة ان يوقع معاهدة يصبح بمقتضاها تابعا للتاج البرتغالي بل وان يرفع العلم وعليه شارة الصليب (١٢) وكان دلك في سبتمبر ١٥٠٧

(ثالثا) اكتملت هده العملية بعملية اخرى عام ١٥١٥ دلك ان جزيرة هرمز لم تستقر فيها السلطة البرتغالية وخضعت لكثير من الاضطرابات بسبب الصدام المستمر بين اهالي المنطقة وكل من البرتغاليين من جانب واهل فارس من جانب اخر في عام ١٥١٥ استطاع الاسطول البرتغالي مرة اخرى ان يعيد احتلال الجزيرة واهمية احتلال هذه الجزيرة للمرة الثانية هي اعتراف حاكم ايران الشاه اسماعيل بهدا الاحتلال وابرام اتفاق مع القيادة البرتغالية أساسه

١ـ ان تقدم البرتغال مساعدة بحرية لايران لتمكن هده من غزو البحرين

٢ـ ان يقوم تحالف بين البرتغال وايران ضد تركيا بحيث يساعد بمقتضاه البرتغاليون اهل فارس في قمع التمرد ضد قواتهم في اكثر من موقع واحد بالخليج

هدا الاتفاق هو اعلان بقبول سياد البرتغال على المنطقة

(رابعا) على ان هدا الاتفاق كان خط دبلوماسيا دفعت البرتغال ثمنه غاليا عقد دلك فالاتفاق ضد العثمانيين هو تمكي لقوى اجنبية تحمل راية الصليب ضد قو. مهما وصفت فهي تمثل الاسلام والحك البرتغالي تمير بالقسوة والعنف مما دفع ا الرعية في الثورة وقد استغل دلك شيخ هره وقد استطاع تنظيم وتكتيل جميع القو ضد البرتغال وفعلا فاجأ هؤلاء الدي خضعوا لهزيمة حقيقية وكان لابد م حدوث رد فعل عنيف من جانب السا الجدد وهكدا ارسل اسطول برتغالى م الهند دمر المنطقة واستعاد هرمز حيث ام معاهدة جديدة عرفت باسم معاهدة ميناب ٢٣ يوليو من عام ١٥٢٣ بموجبها لم ت هرمز تخضع فقط للحماية البرتغالية وا اضحت تحت الحكم البرتغالي المباشر(١٣

ولم تكن هذه الاتفاقية سوى مقدمة له حقيقي للمنطقة

١ ـ في عام ١٥٢٦ حدثت ثورات جزئية بعض اجزاء مسقط لم، يتردد المستع البرتغالي في سحقها بقوة وعنف

٢ ـ كدلك فقد اصر على تحصيل جد

تاخرات الحرية المستحقة على حاكم رمز

١ ـ واستكمل ذلك بنفي الرئيس شرف الدين المستشار الاول لحاكم هرمز الى البرتغال

٤ ـ وبدأت اولى محاولات برتغالية بغض النظر عن فشلها لاحتلال البصرة الامر الذي يعني مد النفوذ البرتغالي إلى جميع اجزاء الخليج من جنوبه الى شماله

٥ ـ واكتمل ذلك بهزيمة الاتراك في مسقط على ايدي البرتغاليين عام ١٥٥٣ الصراع المباشر الصريح بين البرتغاليين والاتراك بدأ في عام ١٥٥٠ عندما ثار اهالي القطيف واعلنوا بانهم يضعون انفسهم تحت حماية الاتراك وعندئذ خرجت حملة برتغالية استطاعت طرد الاتراك من القطيف بل هددت البصرة واكتمل ذلك بصدام عنيف بحري في اغسطس عام ١٥٥٣ قرب مسقط بين الاسطول التركي والاسطول البرتغالي انتهى بهزيمة ساحقة للاتراك لم يعدل الاتراك رغم ذلك عن محاولاتهم في الحاق الهزيمة بالبرتغاليين وفعلا وفقوا في ذلك عام ١٥٥٩ حيث تمكنوا من استدراج البرتغاليين الى كمين والحقوا بهم خسائر فادحة رغم ذلك فقد اعاد البرتغاليون الكرة عقب وصول امدادات من هرمز بفضل مساعدة الحكام العرب في المنطقة استطاعوا ان يرغموا الاتراك على الانسحاب من البحرين عقب ان الحقوا بهم هزيمة نكراء

ولكن ما هي خصائص هذه السيطرة التي سمحت للبرتغال بان تتحكم في الواقع الخليجي خلال قرابة قرن كامل من الزمن ؟

نستطيع ان نحدد عناصر هذا النموذج حول ستة متغيرات اساسية

(اولا) القوة الضاربة واحدة ومنفردة وهي القوة البرتغالية

(ثانيا) القوة الضاربة تسعى لتدعيم مراكز نفوذها التجاري

(ثالثا) القوى المتصارعة في المنطقة وحول المنطقة ست قوى الى جانب البرتغاليين هناك البريطانيون والهولنديون من جانب ثم الفرس والاتراك والعرب من جانب اخر حيث المجموعة الاولى تسعى للتغلغل في المنطقة والمجموعة الثانية تمثل القوى الاقليمية التي تنتمي الى المنطقة وكان من الطبيعي ان تقف ضد ذلك التغلغل

(رابعا) القوة الاقليمية الوحيدة ذات الوزن هي قوة فارس

(خامسا) الارادة المحلية العربية مهلهلة وغير متجانسة

(سادسا) الاطار الدولي لم يكن يعرف خلال هذه الفترة مفهوم البحث عن السيادة العالمية

لفهم حقيقة الاطار الدولي للتعامل مع منطقة الخليج وكيف ترتبت على ذلك الاطار نتائج معينة من حيث خصائص الصراعات المحلية والاقليمية المرتبطة بهذه المنطقة يتعين علينا ان نتابع هذه الخصائص بشيء من التفصيل

أول هذه العناصر هو ان القوة الضاربة للمنطقة كانت واحدة ومنفردة بطبيعة الحال خلال الفترة الاولى نازعت السيادة قوى اخرى متعددة وسوف نرى ذلك تفصيلا فيما بعد كما تعرضنا له بايجاز فيما سبق ولكن منذ استقرت القوة البرتغالية وفرضت

احترامها على القوى الاخرى المحلية وغير المحلية لم يكن هناك منازع او اية قوة اخرى تستطيع ان تتحدى البرتغال وتلك السيادة التحدى ان وجد هو فقط محاولة لاثبات الوجود او انتزاع بعض التنازلات

قد يبدو لاول وهلة ان هذا القول مبالغ فيه خصوصا عندما نتابع الاحداث خلال الفترة اللاحقة لعام ١٥٥٣ التى نعتبرها لحظة وصول السيطرة البرتغالية الى قمتها من حيث الفاعلية ولكن الواقع ان هذا غير صحيح المتغير الذى خفف من حدة هذه السيطرة هو ان السياسة البرتغالية لم تكن ترمى من غزوها لمنطقة الخليج ان تجعل من ذلك عنصرا من عناصر سيادة عالمية البرتغال لم تكن تفكر فى ذلك ولم تكن تطمع فى ذلك هدفها الوحيد هو السيادة التجارية والتحكم فى التعامل الدولي المرتبط بالتبادل الاقتصادى اهمية المنطقة الاستراتيجية من حيث موقعها وقدرتها على التحكم فى عمليات الاتصال تظل قائمة ولكن السعى نحو التحكم فى النفوذ العالمي ليس واردا ومن ثم فان طبيعة الاستعمار البرتغالي لابد وان تختلف وسوف يبرر ذلك واضحا عندما نقارن بين الاستعمار البرتغالي خلال القرن السادس عشر والاستعمار البريطانى خلال القرن التاسع عشر لنفس المنطقة .

والواقع ان الاطار الدولي خلال هذه الفترة لم يكن يعرف ولا يدرك مفهوم البحث عن السيادة العالمية[١٤] فالدولة العثمانية لم تكن قادرة على مواجهة مثل هذه الفلسفة بل ويخيل الينا انها لم تعرفها فى اى مرحلة من تاريخها وبريطانيا كانت لاتزال بعد لم تكتمل فى اطارها الحركي وقدراتها الذاتية كقوة عالمية. ما عدا ذلك من قوى لم يكن سوى قوى ثانوية مفهوم الوكالة العالمية الذى يضفى على سياستها بعدا كليا من جانب واستراتيجيا من جانب اخر ومتكاملا من حيث عناصره من جانب ثالث وحيث الهيبة ترتفع لتصير متغيرا اساسيا من جانب رابع لم يكن بعد قد عاد الى الضمير السياسى عقب اختفاء الامبراطورية الرومانية والدولة العظمى الاسلامية وكان على الانسانية ان تنتظر حتى القرن التاسع عشر لتبرز هذه المفاهيم من خلال الدولة القومية هذه الحقيقة تخفف من وطأة المفهوم الاستعمارى ولكنها رغم ذلك تجعله يكتشف عن انيابه القبيحة فى اقسى صورها وحشية وهذا ما تميز به الاستعمار البرتغالي

ناحية اخرى جديرة بان تثير الانتباه وهى المتعلقة بالقوى المختلفة المتصارعة فى المنطقة وحول المنطقة فرغم ان الاستعمار البرتغالي كان هو صاحب السيطرة الا انها لم تكن من حيث الواقع مطلقة الهيبة والخوف من القوة البرتغالية لم توجد فى اى مرحلة من مراحل هذا الاستعمار حيث لم تتردد قوى اخرى عديدة من رفع راية التحدى ويجب ان نتذكر بصفة خاصة خمس قوى اخرى استطاعت كل منها فى حدود معينة ان تخلق صعوبات حادة ضد السيطرة البرتغالية

اولى هذه القوى والتى لا تنتمى الى المنطقة الانجليز لقد ادرك البريطانيون منذ فترة سابقة على الاستعمار البرتغالي اهمية المنطقة وخططوا لاخضاعها لنفوذهم ولكن باسلوب جوهره التدرج والحنكة وبعد

ـظر وقد وصلت تلك الحركة الى قمتها في
م ١٦٣٤ عندما بدا واضحا ان نهاية
ـرتغاليين قادمة وقد تصحح النزاع بين
ؤلاء والايرانيين ورغم ان اهل فارس طلبوا
ـ الانجليز مساعدتهم في طرد البرتغاليين
ـ اخر مواقعهم في مسقط بل وانتزعوا من
ـنجليز وعدا بذلك اذا بهدنة تعقد في
تصف عام ١٦٣٤ بين الطرفين لتعقبها
ليمات الى العاملين في الشركة الانجليزية
حياد التام ويتوج ذلك كله اتفاقية ودية
ـ الطرفين في ٢٠ يناير ١٦٣٦ القوة
ـانية وهي بدورها اجنبية لا تنتمي الى
ـطقة الهولنديون وهؤلاء بدورهم مثلوا قوة
ـبية ولكنها حتى نهاية الربع الاول من
ـرن السابع عشر لم تكن ذات فاعلية
ـيقية وان استطاعت ان تلعب في الماء
ـدر وبصفة خاصة في العلاقة بين ايران
ـريطانيا القوى المحلية والتي تنتمي الى
ـطقة ثلاث

ـيرانيون والاتراك والعرب اهم هذه
ـوى هم اهل فارس ورغم ان القيادة
ـيرانية كما سوف نرى فيما بعد تميزت
ـتقلب وعدم وضوح الرؤية ورغم ان قواتها
ـسكرية لم تكن على ذلك القدر من الفاعلية
ـيث يمكن القول بانها مثلت اضعف
ـناصر العسكرية خلال تلك الفترة الا ان
ـبابا معينة جعل منها عنصر اساسي في
ـلية التوازن بين القوى[١٥] ولعل اهم
ـ الاسباب هو ضعف الجانب العربي
ـم اهتمام السلطات العثمانية بتلك
ـطقة الامر الذي سمح لايران بالانتصار
القوات التركية في اكثر من مناسبة في
١٦٢٣ استطاعت الجيوش الايرانية

اقتحام العراق واحتلال بغداد الذي ظل
قرابة خمسة عشر عاما وحتى ١٦٣٨ وقبل
ذلك استطاعت ايران ان تسجل انتصارا
حاسما على الدولة العثمانية قرب تبريز في
عام ١٦١٨ هذه الانتصارات على الدولة
العظمى منحت ايران هيبة لم تكن من حيث
الواقع تملكها القوة العربية كانت مهلهلة
متناحرة لم تفكر في اي مرحلة من مراحل
هذا التطور في ان تتحدد او تكون جبهة واحدة
بل كانت لعبة في يد القوى الاخرى المختلفة
والتي رصدناها في خمس قوى اساسية ولعل
هذا هو الذي مكن البرتغاليين من ان
يسيطروا على المنطقة قرابة قرن كامل من
الزمان

ب) كيف انتهت السيطرة البرتغالية على النظام الاقليمي في منطقة الخليج ؟

سبق ورأينا كيف ان تحقيق السيطرة البرتغالية بحيث تستطيع التحكم في النظام الاقليمي في منطقة الخليج استغرق فترة من الزمن كذلك اختفاء هذه السيطرة كان في حاجة الى فترة معينة تتابعت فيها الوقائع لتنتهي بالاختفاء الكلي للاستعمار البرتغالي على هذه المنطقة

فلنتابع الوقائع لانها بدورها تفصح عن حقيقة وخصائص التعامل

(اولا) اولى هذه الوقائع التي تحكمت في تدهور الوجود البرتغالي هو فقد لشبونة لاستقلالها مع اندماجها في الدولة الاسبانية ضم البرتغال لاسبانيا في عام ١٥٨٠ كان يعني سيطرة المدركات والمصالح الاسبانية والواقع ان الحكومة الاسبانية باعتراف جميع المؤرخين لم تكن تدرك لا حقيقة الاستعمار البرتغالي ولا اهمية هذا

الاستعمار ومن ثم لم تخطط لا لتثبيت دعائمه ولا لنشر اطاره من حيث التعامل المحلى والاقليمي. وعندما استعادت البرتغال استقلالها عام ١٢٤٠ كان الموقف قد صفي تقريبا لغير صالح البرتغاليين وتبدو هذه الحقيقة واضحة لو تذكرنا امرين

١ - اول ما يجب ان نتذكره هو الهزيمة الساحقة التى انتزعتها بريطانيا عندما حطمت الارمادا الاسبانية في عام ١٥٨٨ وقد ترتب على ذلك ليس فقط تقلص القدرة الاسبانية بل والشعور بالنقص في مواجهة القوة البحرية الانجليزية

٢ - على ان اخطر ما يجب ان يعاب على السياسة الاسبانية الجديدة هو النظرة الى هذا الاستعمار على انه نوع من التبشير بالمسيحية متناسية حقيقة اهداف السياسية البرتغالية برز ذلك واضحا في الممثلين الرسميين الذين ارسلتهم اسبانيا لعمليات التفاوض المختلفة وبصفة خاصة مع ايران حتى ان الشاه عباس الذى في لحظة معينة كان متلهفا لوضع اسس نظام للتعامل مع القوة المستعمرة ضجر من الممثلين الكهنوت وكتب للسلطات الاسبانية[١٦] يذكرها بانه يفضل ان يرسل اليه رجل ذو قيمة يتفاوض معه بدل هؤلاء الكهنة لانه «اقدر على التفاهم مع مثل هذا الرجل بما يرضى جلالة ملك اسبانيا ويرضى الله اكثر من هؤلاء الكهنة «بل ويضيف ان رجل الدين متى خرج من صومعته اصبح كالسمكة التى اخرجت من الماء»

(ثانيا) كذلك يجب ان نضيف ان جميع القوى الدولية حاولت استغلال هذا الواقع الجديد والذى محوره الحقيقى عدم الفهم واختفاء الوعى لدى القيادة الاسبانية بحقيقة ووظيفة الوجود البرتغالي

١ - اول من حاول استغلال هذا الواقع هو الحكم العثمانى اذ خرجت حملة تركية الى مسقط يقودها على بك واستطاعت ان تفاجىء الحامية البرتغالية التى لم يكن امامها سوى الانسحاب المؤقت الى الداخل

٢ - واعقب ذلك في العام التالي حملة من الجانب الايرانى استطاعت محاصرة جزيرة هرمز ورغم ان هذه القوات طردت من الجانب البرتغالي الا ان هذا بدوره كان ايذانا ببدء حركة التحدى

٣ - ثم اعقب ذلك محاولة من الجانب الانجليزي وبطبيعة الحال كما عهدنا في السلوك الانجليزي لم تأخذ هذه المحاولة صورة الغزو المسلح وانما اخذت صورة رحلة قام بها مجموعة من المغامرين الانجليز ولكن السلطات البرتغالية تنبهت الى ذلك وشكت في ان يكون هؤلاء جواسيس لصالح الاستعمار البريطاني فقبضت عليهم واودعتهم السجن[١٧]

(ثالثا) على ان الضربة الحقيقية التى اعلنت بداية انحسار النفوذ البرتغالي وابتدا مرحلة تقلصه كانت في نهاية الربع الاول من القرن السابع عشر بدأت عام ١٦٢٠ عندما قام الايرانيون بمساعدة العرب المحليين بمحاصرة احد مواقع الاحتلال البرتغالي بالقرب من رأس الخيمة وتمكنوا من طرد البرتغاليين وفي نهاية العام اصطدم الاسطول البريطانى بالاسطول البرتغالي في معركة عنيفة انتهت بانتصار الاسطول الانجليزي في عام ١٦٢١ تم الاتفاق بين

نجلير والايرانيين على تنظيم قدراتهم
صد طرد البرتغاليين من هرمز وفي ٩
ـاير عام ١٦٢٢ بدأ الهجوم المشترك حيث
، العمليات البرية الايرانيون وتـولى
نجلير تدمير القوى البحرية وفي ٢٣ ابريل
تسلم البرتغاليون للانجلير لينتهي وضع
سيادة البرتغالية في منطقة الخليج بحيث
كن القول ان هذه السيادة انتهت من حيث
اقع عام ١٦٢٢ وبهذا تكون قد استمرت
ـ منازع حقيقي قرابة سبعين عاما

وقد اعقبت هذه الهزيمة مجموعة من
طورات كان لابد وان تنتهي بتصفية
مود البرتغالي من المنطقة نستطيع دون
ول في التفاصيل التاريخية ان نمير بصفة
صة بين هذه التطورات التي ترابطت
صول الى هذه النتيجة (اولا) التقارب
ايران والانجلير على حساب كل من
راك والبرتغاليين

نيا) انسحاب البرتغاليين الى مسقط
ستقرارهم فيها والعدول نهائيا عن محاولة
تعادة هرمز بل وعقد صلح مع الايرانيين
رف فيه البرتغاليون بانتقال هرمز الى
م وسيطرة شاه ايران

ثا) محاولة الايرانيين ملء الفراغ الذى
ثه انسحاب البرتغال بدأ بمطـالبة
جلير بمساعدة فارس اى التعـاون
سكرى سواء للتخلص من البرتغاليين في
قط او لضرب الاتراك في البصرة ورغم
نجداء ايران لصداقة بريطانيا فان
جلير تهربوا من هذه المساعدة

عا) وجاءت الضربة القاصية عندما
طاع العرب في عمان ان يتحدوا ويقوموا
اجمة مسقط عدة مرات انتهت بسقوطها
يناير ١٦٥٠ وارغام البرتغاليين على
الجلاء نهائيا عن المنطقة[١٨]

من الطبيعي ان يطرح الباحث عقب هذه المتابعة تساؤلا اساسيا ما هي الاسباب التي ادت الى فشل الاستعمار البرتغالي ؟

الاجابة على هذا الاستفهام تطـرح الخصائص الحقيقية لمختلف القوى التي تعاملت مع المنطقة خلال فترة القرن الذي كان موضع تحليل وبصفة خاصة منذ منتصف القرن السادس عشر حتى نهاية الربع الأول من القرن السابع عشر لقد رأينا ان القوة المسيطرة والسائدة كانت المقدرة البرتغالية رغم ذلك فان المتتبع للسياسة البرتغالية يلحظ بوضوح كيف انها تميزت بمتغيرات حكمت عليها منذ البداية بالفشل رأينا في مقدمة ذلك تبعية البرتغال لاسبانيا ولكن هذا لم يكن كافيا ، علينا ان نضيف الى ذلك ضيق افق القيادة البرتغالية والتي لم تفهم ان التجارة دون سيادة وسيطرة حقيقية تستند الى الهيبة من جانب والـوظيفة الحضـارية ولـو من منطلق الاصطناع والادعاء من جانب آخر لا يمكن ان تنتهي الا بالفشل اضف الى ذلك الخلافات الداخلية العنيفة بين القيادات حتى على مستوى التعامل المحلي ، ثم وحشية المستعمر البرتغالي وسوء استخدامه للسلطة الامر الذي خلق الكراهية المحلية واخيرا يجب ان نضيف عدم المقـدرة العسكرية وبصفة خاصة لو قورن البرتغال بالانجلير

هذا التساؤل يفرض تساؤلا آخر ولماذا رغم هذا الضعف الواضح لم تستطع المنطقة ان تواجه الاستعمار البرتغالي ؟ لقد

سبق وحددنا القوى المحلية بثلاث ايران وتركيا والعرب علينا ان نستبعد منذ البداية الجانب العربي الذي لم يحاول في أي مرحلة من مراحل الاستعمار البرتغالي أن يتكتل في ارادة وقيادة واحدة الا فقط في نهاية هذا الاستعمار في مسقط عندما استطاعت عمان ان تطرد وحدها فلول البرتغاليين كذلك تركيا لم تهتم حقيقة بهذه المنطقة ايران رغم بروزها كقوة اقليمية الا انها بدورها كانت تعاني من ثلاث نقائص عدم قدرة القيادة على ان تبلور نظرية واضحة للتعامل مع الأعداء من جانب ثم عدم وجود قدرة عسكرية حقيقية من جانب آخر اضف الى ذلك اختلال حقيقي في القيادة من جانب ثالث ولعل أخطر ما يمكن ان يعاب على هذه القيادة انها لم تفهم كيف ان واجبها كان ان تتكتل مع الجانب التركي من جانب والجانب العربي من جانب اخر لطرد القوى الأجنبية الدخيلة في محاولتها التغلغل الى المنطقة سواء في هذا البرتغاليون أو الهولنديون أو الانجليز على العكس من ذلك لقد وصل الأمر بشاه ايران ان راح يستجدي الصداقة الانجليزية بل وفي بعض الأحيان نفس البرتغاليين

ففي عام ١٦١٦ استقبل الشاه السفير دون جارسيا دي سلفيا في محاولة للتحالف ضد الاتراك بل في عام ١٦٢٥ تم عقد صلح حقيقي بين الجانبين اما عن التعامل مع بريطانيا فيكفي ان نتذكر كيف ارسل الشاه عباس سفيره نجدي علي بك الى انجلترا يحمل رسالة يقول فيها «ان ارسل نجدي بك لا ليطلب شيئا سوى مودة صاحب الجلالة وليأمر جلالته تجاره ورعاياه جميعا بأن يقدموا كيفما يشاءون الى بلاد فارس يبيعون أو يشترون أو يمارسون ما يحلو لهم من نشاط ولن يجرؤ أحد على ان يفرض عليهم شروطا من أي نوع»[١٩]

هذه المتغيرات التي فرضت على المنطقة نظاما للتعامل سوف يظل سائدا خلال جميع الفترات اللاحقة وحتى اليوم

خصائص التعامل في المنطقة :

قصة الاستعمار البرتغالي لمنطقة الخليج عامرة بالدروس والعبر فهي تفصح وبوضوح وصراحة عن مدى ضعف المنطقة وعدم قدرتها على فهم حقيقة الدور الذي تلعبه المنطقة والتي هي قادرة من خلاله على ان تصير عنصرا فاعلا في السياسة الدولية محور ذلك متغير عن اساسين التكتل بين القوى الاقليمية في مواجهة أي غزو اجنبي من جانب والقدرة على توظيف الأهمية الاستراتيجية للمنطقة في التعامل مع القوى الفاعلة في الاطار الدولي خلال هذه الفترة ورغم ضعف القوى الدولية الفاعلة لم تستطع القوى الاقليمية ان تتصدى للغزو الخارجي بأي وسيلة كانت القوى الدولية الفاعلة التي كانت لاتزال في المهد اذا استثنينا القوة البرتغالية لم تكن بعد قد وصلت الى مرحلة النضج الحقيقي حتى من حيث الادراك ايضا القوة البرتغالية بسبب ضعفها البنائي وعدم وضوح مدركاتها لم تكن قوة دولية تتطلع الى الوظيفة العالمية بمعنى السيادة والتوجيه والتحكم كانت كل اهدافها مصالح تجارية واقتصادية محدودة ونسبية رغم ذلك فالقوى الاقليمية بدت

ترنحة غير قادرة على رفع راية التحدي
لا هي تجمعت في قوة وارادة واحدة ولا هي
رتفعت عن مستوى الفرقة المحلية بل
سمحت للقوى الغازية في ان تصير عنصرا
ساسيا في التعامل الدولي مع المنطقة عقب
قرن السادس عشر

يصف أحد المؤرخين البرتغاليين اهمية
نطقة الخليج بقوله «هنالك ثلاثة مراكز
تشر المفاتيح الرئيسية لتجارة الشرق
السيادة على التجارة العالمية مالقا
لتحكمة في مضيق سنغافورة ثم عدن عند
حل ومخرج البحر الأحمر والمركز الثالث
و هرمز المتحكم في مضيق الخليج
عربي[٢] بل وتعتبر مدينة هرمز اهم هذه
راكز جميعها ثم يضيف «ولو سيطر ملك
برتغال على هذه المراكز الثلاث في الشرق
صبح سيد العالم على أن الأهمية
استراتيجية تتجاوز هذه الناحية حيث
ستمد عناصر اخرى من حيث كون هذه
نطقة تمثل عنصرا اساسيا من عناصر
حيط الهندي[٢١] وتخلق حلقة الوصل بين
حيط الهندي ومنطقة البحر المتوسط

هذه النواحي جميعها تدور حول البعد
حري لمنطقة الخليج ولكنها تبرز في
ورة أكثر خطورة من حيث البعد البري أي
حيث التعامل الدولي على مستوى
تصال البري ، فمنطقة الخليج اولا موقع
يبي للتحكم في المواصلات البرية
تصال القادم من الشرق والمتجه الى الغرب
ذلك القادم من الغرب والمتجه الى الشرق
د في هذه المنطقة موقعا متوسطا يسمح
توقف والاستعداد لاكمال رحلته هو
لة انطلاقة ولكنه كذلك موقع للترقب

وللاستمرار في رحلة طويلة في حاجة الى
ذلك لقد درج المؤرخون على الحديث عن
طريق الخليج كبديل لطريق البحر الأحمر
ومكمل له وبصفة خاصة قبل فتح قناة
السويس الرحلات العديدة عبر بادية
الشام او عبر صحراء سيناء عمرت تاريخ
العصور الوسطى والعصور الحديثة ولكن
هؤلاء المؤرخين ينسون مرحلة ثالثة تبدأ من
اليمن أو قرن افريقيا وتتجه عبر منطقة
الخليج الى اواسط أسيا بل وتصل الى
الصين وعاصمتها بكين

هذه الأهمية التجارية والاقتصادية
والتي مردها موقع منطقة الخليج سوف يقدر
لها ان تتحول خلال فترة الاستعمار
البرتغالي الى اهمية استراتيجية والظاهرة
التي تدعو الى الدهشة هي كيف فهم ذلك
قادة العالم العربي ولم يفهمها قادة
المنطقة لم يفهمها قادة ايران ولا القيادات
الهشة العربية ولكن مما يفرض على
المؤرخ التساؤل ان القيادة العثمانية خلال
القرن السادس عشر كانت في أوج قوتها ولم
تكن تواجهها اي قيادة اوربية قادرة على ان
تنازلها وهي امبراطورية كبرى تنتمي الى
المنطقة ورغم ذلك

(اولا) سمحت لايران ان ترتفع الى مرتبة
القوة الاقليمية القادرة على تحديها بل
واحتلال العراق بما في ذلك بغداد وان كانت
البصرة قد استطاعت ان تصمد ازاء ذلك
الغزو

(ثانيا) اهتمت بالبحر الأحمر وأطلقت
قواتها في جميع اجزائه حتى انه وصف بأنه
اصبح بحيرة تركية

(ثالثا) بل ووجد بها من فهم هذه الأهمية

فحاكم مصر سليمان باشا في فترة الابياع البرتغالي ادرك ببعد بظر اهمية الخليج العربي بالسبة للاستراتيجية العثمانية في الشرق بل وقام بحملة عسكرية عام ١٥٣٨ اتجهت الى شواطىء الهند ولكن هده الحملة فشلت ولم تكمل جهودها فنقلت قواته الى البحر الاحمر وهدا يعني ان الاهمية لم تكن واضحة بالقدر الكافي[٢٢]

وتكفي النزاعات والصدامات المحلية بين الأطراف الثلاثة المنتمية الى الاقليم حكام ايران من جانب ، والقيادة العثمانية من جانب ثان ، والزعماء العرب من جانب ثالث للتأكيد بأن القدرات الاقليمية لم تفهم ولم تدرك حقيقة الوظيفة الدولية والعالمية للمنطقة والقادرة على ان ترتفع لقدر الادراك الواعي لتصير متغيرا اساسيا في الصراع الاقليمي من حيث علاقته بالنظام الدولي للتعامل

ناحية اخرى تدعو لكثير من التساؤلات وهي خصائص الصراعات التي تدور في المنطقة وحول المنطقة ، هده الخصائص التي تبرز واضحة من متابعة احداث القرن الذي تعرضنا له في الصفحات السابقة لاتزال لم تتغير حتى عالمنا المعاصر ورغم اختلاف المتغيرات ، الأمر الذي يدعو الى طرح هذا التساؤل هل هده الخصائص تنبع من طبيعة الواقع الاقليمي الذي لايزال يفرض نفسه كمتغير ثابت ومتحكم في اطار التعامل المحلي والدولي ؟

نستطيع ان نميز في هده الخصائص بين خمسة عناصر اساسية

(اولا) فهي صراعات متعددة الأوجه بحيث يكاد يستحيل الفصل بخصوصها بين ناحية واخرى أو بعد وآخر ، هي صراعات شخصية من جانب وقومية أو ذات بعد جماعي من جانب ، حيث الناحية الاقتصادية تتداخل مع البعد السياسي بل والحضاري حتى ان محاولة فصل أي من ابعادها والتعامل بحياد واستقلالية هو امر صعب المنال ان تطبيق فلسفة الخطوة خطوة على الصراعات في منطقة الخليج يكاد يستحيل تصوره ، فالصراع حول منطقة شط العرب على سبيل المثال يملك بعده الاقتصادي الواضح ولكن تتداخل في ذلك البعد طبيعة الصراع الحضاري بين الجانب القاري والجانب العربي حيث يكاد يغلف هدا الصراع الحضاري نزعة دينية واضحة ولا صلة لها بموضوع الصراع ولو عدنا الى الفترة التي تعرضنا لها في هده الدراسة لوجدنا هده الحقيقة واضحة خلال المرحلة الاخيرة من مراحل الاستعمار البرتغالي عندما تقلص الوجود البرتغالي حول مسقط رغم ان هدا الصراع في جميع مراحله لم يغلفه طابع الدين أو عنصر الصدام بين المسلمين من جانب والمسيحيين من جانب آخر الا ان الحركة العمانية انطلقت من مفهوم الجهاد وكان العامل الديني هو اساس حركة الوحدة العمانية في مواجهة الوجود البرتغالي

(ثانيا) الصراع في منطقة الخليج تتداخل مظاهره وتعبيراته الواحد مع الآخر بل وتعود الى فرض عملية الترابط مع الصراعات الأخرى في الاقاليم والمناطق المحيطة بمنطقة الخليج لقد كانت جميع الصراعات حول منطقة الخليج تترابط بشكل واضح ومدهش ليس فقط مع المناطق المحيطة مباشرة

الخليج بل وتمتد في بعض نتائجها مظاهرها الى اجزاء بعيدة من الخليج في المحيط الهندي وافريقيا عندما استطاع حكام عمان التخلص من البرتغاليين في مسقط لم يترددوا في ان يتبعوهم في الهند شرق افريقيا الصراع بين البرتغاليين الانجليز في الخليج كان امتدادا بدوره صراع اكثر اتساعا في الهند وانعكست اثاره على الوجود الاستعماري لكلا الطرفين يضا في الهند[٢٣]

ثالثا) التداخل المستمر والثابت بين الصراعات المختلفة في منطقة الخليج مع الأزمات الداخلية والمتعلقة باوضاع امارات المنطقة من حيث علاقة القوى الحاكمة ذاتها فيما بينها ولعل خير نموذج لذلك هو وضع عمان خلال الربع الثاني من القرن السادس عشر وكيف أثر ذلك في تدعيم النفوذ البرتغالي في عام ١٥٢١ اتفق حكام البحرين والقطيف وبعض زعماء القبائل العربية على مداهمة الحاميات البرتغالية لكن في اللحظة الاخيرة شذ حاكم مسقط السبب الحقيقي في ذلك هو ان العثمانيين كانوا قد بدأوا يفكرون جديا في احياء الامامة ولكنهم لم يستطيعوا الاتفاق على زعيم ديني واحد

رابعا) على ان اخطر ما يميز الصراعات الخليجية هو الدور الخطير الذي تلعبه تلك الصراعات مع المشاكل الدولية والصراعات العالمية بدت منذ تلك الفترة حقيقة موقع الخليج من التوازنات الدولية رغم عدم ادراك القوى الاقليمية وبصفة خاصة الدولة العثمانية ويتجلى ذلك في أكثر من حقيقة

١ - فالصراع بين فارس والدولة العثمانية تبلور في تحالفات تبعد عن المنطقة وتتحدد فقط بهذا الخلاف ، فإزاء الصراع القوي الذي قد بين الباب العالي وكل من ملك اسبانيا وامبراطور النمسا لم يتردد شاه ايران في ان يعرض على هذا الاخير استعداده للتعاون معه ضد حكام القسطنطينية وقد ترتب على ذلك تجدد الحرب مع فارس من الجانب العثماني وكان وقتها يحكمهم السلطان سليمان القانوني قرب منطقة الخليج

٢ - في عام ١٦١٨ ورغم ان الاسبان الذين كانوا قد تولوا مسئولية السياسة البرتغالية كانوا قد بدأوا يفكرون جديا في الصدام مع الفرس الا ان ملك اسبانيا في محاولة واضحة لتطويع القيادة الايرانية عرض مبدأ التحالف بين البلدين على اساس مرابطة اسطول برتغالي عند باب المندب لمنع مرور التجارة بين مصر والولايات العثمانية من جهة والبحار الشرقية من جهة اخرى وفعلا عندما ابحر الاسطول الاسباني عام ١٦١٩ الى المحيط الهندي كان هدفه المعلن اقفال باب المندب في وجه السفن العثمانية ورغم ان اهدافه الحقيقية كانت ايضا اعادة السيطرة التجارية على منطقة الخليج

٣ - كذلك فقد سبق ورأينا كيف ان حكام عمان لم يتوقفوا عند مناهضتهم للبرتغاليين عند منطقة الخليج بل تابعوهم الى الهند وكذلك في شرق افريقيا

(خامسا) على ان اخطر ما نلاحظه هو عدم قدرة قيادات المنطقة على فهم امكانياتها باتباع سياسة اقليمية واضحة

١ - فحكام فارس لم يتعاملوا في أي موقف

خلال هذه الفترة مع القوى المحلية بحسن نية وارادة تعاون حقيقية ، ليس فقط مع الدولة العثمانية بل وكذلك مع القيادات العربية ومما لا شك فيه ان خصائص الساحل الشرقي اي العربي وبصفة خاصة خلال تلك الفترة شجعت على ذلك فهي منطقة قليلة السكان ولم يوجد بها حتى ولو في شكل مسقط دولة منظمة ولكن هذا كان ادعى لأن تتجه القوى المحلية القادرة على ذلك الى تكتيل القوى على العكس من ذلك فإن فارس لم تجعل تحالفها الا مع الاعداء الحقيقيين للمنطقة سواء الانجليز أو البرتغاليين

٢ ـ ولعل خير نموذج يعبر عن هذه الفرقة هو عندما حدث صدام حربي بين القوتين البرتغالية والعثمانية في عام ١٥٥٩ حول البحرين والغريب في هذا الصراع ليس فقط ان الفرس لم يمدوا اي نوع من المعونة الى القوات العثمانية لطرد المستعمر الاجنبي بل ان حاكم البحرين ورغم انه مسلم ظل مواليا للقيادة البرتغالية وقد كان ذلك أحد الاسباب الحقيقية في فشل العثمانيين وانسحابهم الى قواعدهم في البصرة

٣ ـ كذلك يجب ان نعترف بأن القيادة العثمانية لم تدرك اهمية وضع أسس سياسية للتعاون الاقليمي في مواجهة هذا التسلل الاوربي والذي كان يسيطر عليه ايضا مفهوم التبشير ويتجلى ذلك في أكثر من موقف واحد فحاكم هرمز المحلي العربي المسمى شرف الدين كان من بين من استنجدوا عام ١٥٤٦ بالدولة الاسلامية الكبرى بل وكتب الى والي بغداد التركي يغريه بمهاجمة البرتغاليين في هرمز وعندما اقتنعت بذلك الاستانة ارسلت قوة لم تتعد جهودها القيام بمظاهـرة بحريـة امام مسقط[٢٤]

٤ ـ ولعله مما يدعو للتساؤل كيف ان الخليفة العثماني لم يدرك مدى خطورة الأهداف التبشيرية خلف حركـات المد الاوربي في المنطقة وبصفة خاصة منذ تحرك الاسطول الاسباني في عام ١٦١٩ نحو منطقة الخليج لقد كانت القيادة مناصفة بين زعماء يمثلون الطوائف التبشيرية بهدف غزو فارس وجميع اجزاء المنطقة بما في ذلك العراق ومدينة البصرة على وجه التحديد وقادة عسكريين بل والغريب ان رجال الدين هم الذين كانوا يتحمسون الى الحرب والقتال ان الخليفة العثماني هو الذي تصدى للغزو الاسباني باسم التبشير لبلاد الاسلام في شمال افريقيا فلماذا لم يتصد بدوره لذلك في منطقة الخليج حيث وصلت حركات التبشير الى نفس مدينة الموصل ، ولماذا لم يجعل تعامله مع شاه ايران اساسه حركة التوحيد أو التعـاون بل وحتى الاستئصال كمقدمة لرسالة الجهاد ؟

استفهامات عديدة تطرح نفسها وبصفة خاصة ونحن نعيش اليوم خبرة مماثلة والواقع ان التماثل في الخبرة لا يقتصر على موضوع التعامل الدولي في المنطقة وحول المنطقة ، بل ان التماثل يقودنا الى نفس استراتيجية التعامل العسكري .

الهوامش

١ ـ انظر التفاصيل في حامد ربيع ، الابعاد الاستراتيجية لصراع القوى الكبرى حول الخليج العربي ١٩٨٣ ، ص ٤٧ وما بعدها ، كذلك لنفس المؤلف نظرية الامن القومي العربي ١٩٨٤ ، ص ٣٠٢ وما بعدها

٢ ـ المفاهيم الاستراتيجية التي نطرحها في هده الدراسة ورغم انها محدودة وقليلة الا اننا تناولناها بالتفصيل في محاضراتنا بمعهد البحوث والدراسات العربية خلال العامين الماضيين وسوف تبرز في مؤلف كامل خلال العام القادم بعنوان الابعاد الاستراتيجية للصراع العربي الاسرائيلي

٣ ـ انظر بهذا الخصوص الى جوار المرجع السابق ذكره المؤلفات التالية

LEYMAIRE, Ocean Indien, le Nouveau Coeur du Monde, 1981.

COMPREDON, SCHWEITZER, France, Ocean Indien, Mer Rouge, 1986.

DA LAGE, Alt., Yeux de Go En Mediterrane e Orientale, 1968.

٤ ـ التفاصيل يجدها القارىء في

CAFASNA, Storia e Modelli; le Pratica Storio grafica in De Luna, Alt., Glu Strussenti Dellericeria, Vol. II, 1983, P. 1381.

المصادر يجدها القارىء في نفس المرجع ص ١٣٧٩ ـ ١٣٨٠

٥ ـ قارن بايجاز

GRAWITZ, Me'thodes des Seilices Sociales, 1981, P. 493

٦ ـ انظر بالتفاصيل حامد ربيع نظرية التحليل السياسي مذكرات كلية الاقتصاد جامعة القاهرة ١٩٧٩ ص ٢٢٩ وما بعدها

تاريخ الخليج لايزال في حاجة الى دراسة جادة الى جانب مجموعة الدراسات التقليدية المعروفة والتي سوف نشير اليها فيما بعد كمصادر توثيقية ، فإن الخليج لم يخضع لاي دراسة معاصرة جادة تتميز بالاحاطة من جانب والتفصيل من جانب آخر تتعدى المنهاجية التقليدية من سرد للأحداث دون التحليل والغوص في المتغيرات الدفينة خلف الوقائع

انظر على سبيل المثال

مصطفى النجار ـ وآخرون ـ تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ١٩٧٤

ـ محمد رشيد النيل ـ الاهمية الاستراتيجية للخليج العربي ١٩٧٤

- فاروق عمر - تاريخ الخليج العربي ١٩٨٥

٨ - كذلك وفي نفس المعنى

RAMAZANI, The Gulf and the Strait of Hormuz, 1979.

لاحظ رغم ذلك التفرقة الجوهرية بالنسبة للنظام البرتغالي حيث انه لم يهتم بالسيادة العالمية والتي تجعل موقفنا يختلف عن موقف الكاتب السابق ذكره

٨ - ولعل هذا يوضح لماذا يمكن وصف النظام الدولي في منطقة الخليج بأنه نظام اقليمي ويفسر ذلك لماذا لا نستطيع ان نطلق كلمة نظام اقليمي على النظام الذي يسود حاليا الوطن العربي انظر نقدنا بخصوص هذا الاصطلاح الاخير الذي يحمله احد مؤلفات مركز دراسات الوحدة العربية في حامد ربيع الحوار العربي الاوربي ومنطق التعامل الدولي الاقليمي ١٩٨٣ - ص ٢٨٦ وما بعدها

٩ - في محاضرة عامة القيت في ابوظبي في شتاء عام ١٩٨٠ لفتنا نظر القيادات المسئولة الى احتمالات حرب الخليج وحذرنا من انها تنبع من مؤامرة دولية واسعة النطاق

AMIRSADEGHI, The Security of the Gulf, 1981.

AMINI, Political and Strategic Issues in the Gulf, 1984.

ABIR, Oil Power and Politics: Conflict in Arabia, the Red Sea and the Gulf, 1979.

١٠- تاريخ الاستعمار البرتغالي للمنطقة لم يخضع حتى الآن لأي دراسة جادة باللغة العربية في تحليلنا للوقائع استندنا الى مصادر ثلاثة اساسية وحيث كانت هناك خلافات بين هذه المصادر ابرزنا في معرض الاستدلال اسباب ترجيح رواية على اخرى المصادر التي استندنا اليها اساسا هي

- المصدر التقليدي والأجنبي والذي لايزال رغم مرور قرابة سبعين عاما على اصداره وهو مؤلف لوريمر والذي نشر باللغة العربية بعنوان «دليل الخليج» وقد اعتمدنا بصفة خاصة على الجزء الأول من القسم التاريخي طبعة قطر
- البحث الهام الذي قدمه صلاح العقاد بعنوان «دور العرب والفرس في مكافحة الاستعمار البرتغالي في الخليج» الى ندوة الدراسات العمانية في نوفمبر ١٩٨٠ بعنوان «حصاد» المجلد الرابع ١٩٨١ ، ص ٥٩ وما بعدها
- الدراسة التى ندين بها للمؤرخ العراقي محمود علي الداود، العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي ١٠٥٧ - ١٦٥٠ ، بمجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ١٩٦٠ ص ١ وما بعدها ويكمل ذلك بحث آخر لنفس المؤرخ بعنوان «تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي ١٦٣٠ - ١٧٦٠ نفس المجلة ، ١٩٨١ ، ص ٢٦١ وما بعدها

كذلك يستطيع الباحث ان يجد مصادر اخرى في المؤلف الثاني ص ١٠٥ ويغلب عليها الطابع العربي وفي المؤلف الثالث ص ٢٥ ويغلب عليها الطابع الاجنبي

ولكنها جميعها قديمة احدثها يعود الى بداية القرن العشرين . لاكمال هذه المصادر بتوثيق اكثر دقة واكثر حداثة يستطيع القارىء ان يعود الى
KELLY, Arabia the Gulf and the West 1980, P. 505-510.

١١ـ لوريمر ، م س ذ ص ٤٦ ـ ١١

١٢ـ مطابق نفس المرجع ص ١٣

١٣ـ نفس المرجع ص ١٥

١٤ـ انظر في معنى مختلف العقاد م س د ص ٦٧ حيث يرى في الصراع بين العثمانيين والبرتغاليين صورة لما سيكون عليه الصراع بين العثمانيين والبريطانيين وهذا ما يعني فهما مختلفا لحقيقة الاستعمار البرتغالي

١٥ـ انظر لوريمر ، م س ذ ص ٤٦ ـ٤٧

١٦ـ اورده لوريمر م س ذ ص ٣٠

١٧ـ انظر بالتالي ، نفس المرجع ص ٢١٨ ، ١٩ ، ٢٠

١٨ـ انظر ايضا نفس المرجع ص ٣٨ ، ٢٩ ، ٥٠ ، ٦٥ كذلك العقاد م س ذ ، ص ٩٣ وما بعدها الداود، العلاقات البرتغالية ، م س د ، ص ١٣ وما بعدها

١٩ـ انظر العقاد م س ذ وما بعدها

٢٠ـ اورده الداود ، تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي ، م س ذ ص ٢٦١

٢١ـ انظر من بين المصادر العديدة المراجع التالية MAZERAN, L' Ocean Indien, pour l' occident, 1987.

JAWATKAR, Diego Garcia in international diplomacy, 1982.

BHARGAVA, South Asian security after Afghanistan, 1985.

AHSAN, Strategic concepts of the Indian Ocean, 1981.

LABROUSSE, a. Ocean Indien et le Golfe Persique dans la strategie mondiale, in Rev. Iranienne, 1976, P. 43.

٢ـ انظر لوريمر ، م س ذ ص ٥٥ ، العقاد ، م س د ، ص ٦٥

٢ـ انظر العقاد ، م س ذ ص ٨٥ وما بعدها

٢ـ العقاد ، م س ذ ص ٦٥

ذلك نحيل القارىء الى المصادر التالية التي اغنت في بعض عناصر الدراسة
CABLE, Diplomacy at Sea, 1985, P. 120.

PECK, The United Arab Emirates, 1986, P. 26-27.

HAEGAN, WHEATCROFT, Zones of conflict, 1986, P. 44.

BEGARIE, Mare nostrum: esquisse d'une ge´ostrategie de le me´diterranie, in He´rodote, 1987, m°49, P. 31.

TRUVER, The strait of Gibraltar and the Mediterranean, 1980.

OZBARAN, The Ottoman Turks and the Portuguese in the Gulf, in Journal of Indian History, Vol. XXIV, 1945, P. 60-76.
SALDANHA, The Portuguese in the Gulf, in Journal of Bombay Royal Asiatic Society, Vol. XXIII, 1908, P. 37.
WILSON, The Gulf, an Historical Sketch, 1928.

10. This book was researched by Abdul Majeed Haseeb al Qaisi and published by the Ministry of Heritage & Culture of Oman Sultanate, 1977.

11. Tohfatul A'yan, p.20

12. See Dr. Farooq Omar. **Muqaddima fi Dirasat Masadir al Tareekh il Omani.** Baghdad, 1979, p. 102.

13. It is known that Ross was the British Agent in Muscat. **Annals of Oman** by Sirhan Bin Saeed. From Old Days until 1728, The Journal of the Asiatic Society of Bengal, Vol XLIII, Part 1 (1874)

14. Azkawi, Op Cit p.111

15. This book was published by the Ministry of National Heritage & Culture of Oman in 1983.

16. Published by George Percy Badger who is a competent historian relating to the history of Oman. (1806-1856). He has added an analytical historial preface dating upto 1871 under the title **History of the Imams & Syeds of Oman** by Salil Ibn Razik.

17. The author has consulted Lorimer's Gazetteer, Historical Pt 1 20, 21.

18. A new edition of the book was issued in 1978.

NOTES

1. Prof. C. Buckingham. **Some Observations About the Portuguese in Oman.** Proceedings of a seminar held in Oman. Matabi Sijill al Arab, 1981.p. 185.
2. Ibid, p. 187.
3. Prof. C. Boxer. Fresh Observations About Omanese-Portuguese Relations from 1613-1632. Omani Seminar Proceedings. Vol. 2. Matabi Sijill al Arab 1980, p. 210.
4. Portuguese Presence in Oman According to Local Omani Sources. Arabian Peninsular Studies Sources of the History of the Arabian Peninsula. Riyadh University Press, 1979. Vol 2 p. 116.
5. Nooruddin Abdulla Bin Hameed Al Salami **Tohfatul A'yan bi Seerat Ahle Oman.** 1394/1974. Vol. 1 p. 353.
6. S.B. Miles, **Countries & Tribes of the Gulf** Translated by Mohd Amin Abdullah, (Amon Printers, Cairo 3rd Reprint. 1986). p. 149.
7. Frederick Charles Danvers, **The Portuguese in India,** London, Vol 1 p. 354.
8. Sirhan Bin Saeed al Azkawi, **The History of Oman,** Extracts from the book "Kashf al Ghamma Al Jami ali Akhbar il Umma. Researched by Abdul Majeed Haseeb al Qaisi, Matabi Sijill al Arab, 1980, p. 77.
9. Ibid, p. 92

several Turkish documents dealing with Bahrain (see pp. 147-149).

A paper which deals with the Gulf resistance to the portuguese and their ejection therefrom has been published by the magazine Aafaq Arabiyya, Vol 10 No 3 1985 under the title **Tahrir Sahil Omab wa Inhiyar al Imbratoriya al Burtughaliyya Fissharq** by Dr Saleh Mohammed al Abid

There is another article by Dr Salah al Aqqad under the title **Dowr al Arab fi wal Furas fi Mukafaha il Istimar al Khaleej** which has been published in the proceedings of a seminar on Omanese studies Vol 4 (1980) In the author's own words the paper deals with the difference between the method adopted by the Arabs generally and the Omanis in particular in resisting the Portuguese on their own whereas the Persians in spite of their having a strong government and large territories compared to Oman they resisted the Portuguese in alliance with foreign powers (See p 59)

Portuguese conflict is an article by Dr. Abdul Wahab Qaisi under the title "Mawqif al Osmaniyyin minal Ghazw il Burtughali lil Miyahil Arabiyya" published in Majallat Al Khaleej il Arabi, Basra, Vol 12, No 1 (1080), pp 45-53. It deals with Ottoman-Portuguese confrontation and its consequences.

Dr Tariq Nafi al Hamadani has discussed the philosophy of the Ottoman-Portuguese conflict in his article, **The Ottoman-Portuguese Conflict: A Fresh View**, in the Magazine Manshoorat Markaz Dirasat Al Khaleej il Arabi of Basra University 1985, pp 185-198. The main theme of the paper is that the Ottoman-Portuguese conflict went through phases, religious, political and economic although it is difficult to separate these phases in water-tight compartments as they intermingle with one another Nevertheless it is possible to say that the first phase in this conflict had a religious base in as much as the Portuguese adopted a religious pretence to cover their expansionist greed in the east while the Ottomans also adopted it to gain Muslim support in defence of their holy places and the countries surrounding these holy places.

In due course the conflic assumed a political and econo mic character as the Portugues wanted bases where they coul stabilise and make their pre sence felt in the east Thereafte they switched over to economi gains even as the Ottomans pai back in the same coin in promo tion of their own interests.

There are several studie which deal with the Portugues invasion of specific areas in th Arab Gulf such as the one b Ahmed al Anani under the cap tion, **The Portuguese in the Gul & Surrounding Areas in the 16tl & 17th centuries** published in A Watheeqa Vol 2,No 4, Jan 1984 in this the writer has traced th Portuguese ambitions in the re gion and the circumstances o their final ejection from th Gulf in the middle of the 17tl century. In the same strain th magazine Al Watheeqa pub lished an article in its issue Vo 1, no. 1 of July 1982 under the title **Saf'hat Min Tareekh al Nufooz il Burtughali fil Bahrain.** It dealt with Portuguese operations in the region incorporating

various phases of the Portuguese invasion of the Gulf

Dr. Jamal Zakaria Qasim's book **Al Khaleej al Arabi: Dirasa li Tareekh il Imarat il Arabiyya fi Asr il Tawasso al Ourobbi al Awwal 1507-1840,** Dar il Fikril Arabi, Cairo 1985 is considered a book mainly dealing with the history of the Portuguese invasion of the Gulf The author has devoted two chapters to it and followed up the events of the decline of the Portuguese Empire in the east up to the end of the 18th century The author has drawn copiously from the main Portuguese sources, books and memoranda

A book which deals extensively with the Arabs of Oman and their relations with the Portuguese is titled Dowlat al Ya'ariba fi Oman wa Sharq Afriqiyya lil Fatra Min 1624-1741 by Ayisha Ali Sayyar (Darul Quds), Beirut 1975) The writer has traced the development of the power of the Ya'riba and their pursuit of the Portuguese not only in the Arab Gulf but out of the eastern waters in general

In addition to the books mentioned there are several published studies of the Portugues in the Gulf from various angle the first of these being a pape about "Al Marahil al Oula l Wujood al Burtughali fi Sharq Jaziratil Arabiyya" by Abdu Aziz Mohammed al Shinnaw This was published as a part c the proceedings of the Confer ence of Historical Studies of th Eastern Arabian Peninsula hel at Dowha, Qatar, in Part 2 1976 It deals with the arrival c the Portuguese in the east in th late 15th century and covers th period up to the middle of th 16th century but let it be note that it is more in the nature of general survey than an analysi

Then there is a paper by D Abdul Aziz Mohammed Aw under the heading **Al Ihtila Arabi li Mawani Al Jazira Arabiyya** published in t magazine Al Mo'arrikh Al Ar bi No. 29, Vol 12 (1986) pp 1 26 The author deals with t Portuguese invasion of the Ar Gulf coast in the first half of t 16th century and the Ottom Portuguese conflict in the regi basing his study on vari sources relevant to the subje

Among the writings wh throw light on the Ottom

until the last decades of the 20th century We have already alluded to these books such as **The Arab Gulf** by Arnld Wilson, **The Countries & Tribes of the Gulf** by Miles and Lorimer's **Gazetteer** etc.

The interest of Arab scholars in the Arab Gulf region surged in the last few decades although most of their studies were centred around the 19th & 20th centuries. The 16th and 17th centuries received scant attention until the appearance of the book: "Dirasaat fi Tareekhil Khaleejil Arabi Al Hadees wal Mu'asir," Part 1 Kuwait Publications Series, 1978 as it dealt with the 16th century and upto the middle of the 17th century. But this book relied on well known secondary sources and not on original Portuguese and European sources. Inspite of it the book covers new ground such as a study of the Arab powers which came to prominence in the Arab Gulf in the 19th & 20th centuries and the conditions in which they took shape.

There is a book by the title of **Al Tanafus Al Dowali fil Khaleejil Arabi 1622–1673.** Al Maktaba al Asriyya, Beirut, 1981 by Mustafa Aqeel al Khateeb al Khateeb. It was actually a thesis for the Master's degree and hence it has drawn from various good books and documents connected with the history of the Gulf of the 17th and 18th centuries and hence a good beginning for the students of history of this period

Among the books which have been published about the Portuguese in the Arab Gulf is one by Nawal Hamza Yusuf al Sairati, under the title **The Portuguese Influence in the Arab Gulf in the 11th Hijra/16th AD century.** Riyadh, 1983 for which the writer was granted a Master's degree from the College of Sharia & Islamic Studies, King Abdul Aziz University. It is clear from her thesis that she considered religious zeal as the motivating factor in geographical expeditions and in the Ottoman reaction to it. Although the writer has tried to paint a picture of the spirit of resistance displayed by the people of the Gulf against the crusading Portuguese the source material is secondary and very little has been taken from the original sources dealing with

pp.617-630

Nuno De Silva has dealt with the same theme in his article **Observations on the History of Bahrain in the Portuguese Period 1521-1602 published in the Bahraini magazine Al Watheeqa Vol 5/No 8, Jan 1986. pp 124 to 130. However, the author has reviewed the events of the Portuguese invasion of Bahrain as a description without any analysis of the same.**

A notable study is by Dr. R.D. Barthust under the title Maritime Trade & Imamate Government: Two Principal Themes in the History of Oman upto 1728 in The Arabian Peninsula, edited by Derek Hopwood, London, 1972 pp 89-106

The writer has dealt with this subject in detail in this study which he presented to the Oxford University as a doctoral thesis in 1967 under the title **The Ya'rubi Dynasty of Oman,** Linacre College, Oxford University, Mar 1967 Chapter Three of the study deals with the ejection of the Portuguese from the Gulf The fourth chapter deals with the *pursuit of the* Portuguese overseas These are based on unpublished British sources.

The Ottoman Province of A Hasa in the 16th & 17th Centui ies by J.E Mandaville publishe in the American Oriental Socie ty No 90 (1970), pp 486-51 contains a lot of informatio about Portuguese-Ottoman re lations in the Arab Gulf durin the 16th century based on un published Ottoman source which is of great assistance t scholars in understanding th nature of Ottoman activities i that area at that time

Source-Material & Arab Studies:

There is no doubt that tl Portuguese invasion of Ar homelands in the 16th centu marked the beginning of a lo colonial phase to which t Arabs fell a prey in the succee ing centuries To most hist rians this phase also marks t beginning of modern Arab h tory Its importance is obvio as there are many Europe sources covering the period a ter it Unfortunately our kno ledge of this period is mai based on European writers w were delegated to the Arab G

Portuguese and other European powers in the Gulf and the motive power behind their moves in the 16th and 17th centuries.

It would be profitable here to refer to a number of studies and research papers which deal with the Portuguese invasion as they concentrate on a great deal of historical literature about the subject, scarcely available in Arab sources Among these is **Ancient Trade Centres of Gulf**, The Geographical Journal Vol X 1897 by Arthur W. Stiffe which deals with the means which the Portuguese employed to occupy the Omani coast (See pp 615-617)

There are two studies which deal with the Portuguese invasion and expansion in the Arab Gulf and the Indian Ocean regions during the 16th century by G A. Ballard The first is under the **The War of the Arabian Sea, 1925** and the second **The Century of Portuguese Supremacy in the Indian Ocean** published respectively in The Mariner's Mirror in their January and October issues of 1925.

There are two special studies dealing with the development of the Ottoman naval power in combating the Portuguese Navy in the Indian Ocean and the Arab Gulf. The first one is Andrew C Hess and entitled **The Evolution of the Ottoman Seaborne Empire in the Age of the Oceanic Discoveries, 1453-1525** as published in The American Historical Review Vol LXXXV (Dec 1970) and the second is by Longworth Dames under the title **The Portuguese & Turks in the Indian Ocean in the 16th Century** published in the journal of the Royal Asiatic Society, Part 1 (April 1921). The second study concentrates a great deal on the Portuguese-Ottoman naval confrontation in the eastern waters in general and in the Arab Gulf in particular They depend mainly on Ottoman sources.

There are certain studies which deal with Portuguese domination over some areas of the Arab Gulf and trace its growth in various phases during the 16th and 17th centuries, for instance, the paper **The Portuguese in the Bahrain Islands, 1521-1602** by J H.D Belgrave, Journal of the Royal Central Asian Society, Vol XXII (1935)

sion of the Gulf he has depended mainly on the documents of the British East India Company and its other official publications [17]

The book of Wilson is a unique source of information about the Gulf as it devotes as many as three independent chapters about the arrival of the Portuguese in the Gulf and the conflict which raged between them and the British and the ejection of the Portuguese from the Gulf The value of the book is enhanced as it contains a list of source-material about the Gulf although the Arabic translation omits this list

In addition to these major publications about the Gulf the book **The ottoman Turks and the Arabs** 1511-1574 by G.W F.Stripling (The University of illinois Press, Urbana, Illinois 1942 offers some valuable information about the initial phases of the Portuguese invasion of the Gulf although it was published in the early forties[18]. Its list of references is also very valuable

Several recent publications have also discussed the subject of Portuguese expansion in the east and the history of the Gul such as **The Portuguese Sea borne Empire, 1514–1825** b C.R Boxer, London 1969, **Th Anglo-Portuguese Rivalry in th Gulf 1615-1635** by the sam author; **Chapter in Angl Portuguese Relations in the Gu 1615-1635** edited by G Pr stage (Watford), 1935,pp. 46 130, **The Rise of Portugue Power in India, 1497-1550, Lo don** 1967 by R S. Whitewa The last-mentioned deals wi the early period of the Port guese invasion of the easte waters and particularly of tl Arab Gulf waters

Here one may mention t book **In Search of Spices** Sonia E Howe *translated* Mohd Aziz Raf'at (Al Nah Library, Cairo 1957) This is old reference dealing with t Portuguese interest in spi which is considered to be t incentive for them and for t other European powers la on. The book **Carracks, C vans and Companies** by Ni Streens Gaard (Denmane 19 is considered a qualitative ju in the study of economic hist as it is a result of a long stud the economic activities of

centuries Its importance lies in the fact that it is based on original Portuguese material and their translations into other European languages. The Portuguese in India by Frederick Charles Danvers, 2 Vols, London, 1894 is considered complementary to the abovementioned book This is because it not only deals with the events of Portuguese invasion and their usurpation of the Gulf in the 16th and 17th centuries but it also continues with the study of Portuguese history until the 18th century.

The 20th century witnessed several European studies which became popular with scholars dealing with the modern history of the Gulf The Countries and Tribes of The Gulf London, 1919 by S B. Miles was translated into Arabic whose 3rd Edn was issued in 1986. The translator was Mohammed Amin Abdullah The Gazetteer of the Gulf by Lorimer, Calcutta, 1908 was translated into Arabic by the Translation Bureau of the Qatar Court which published both the Historical and Geographical Prts. The Gulf by Arnold Wilson was published in London in 1928 and its Arabic translation by Dr. Abdul Qader Yusuf was published in Kuwait. A second translation of the same followed in 1981 by Mohammed Amin Abdullah.

Miles' book is considered one of the earliest European publications dealing with the Portuguese invasion of the Gulf drawing from Portuguese sources Besides it paints the picture of Arab resistance to the Portuguese.

In any case there is the Gazetteer of the Gulf by Lorimer which was compiled at the instance of the British Govt of India formally in two parts, Historical & Geographical in the year 1908. It was reprinted in 1915 and 1970. Initially its circulation was limited to British official circles for several years and was not available to the general public until the fifties of this century. This book is considered to cover a wider canvas than the book of Miles because it deals with the events of the Gulf from the beginning of the 16th century to the first few years of the 20th century. In the matter of his dealing with the events of the Portuguese inva-

Serjeant what he had borrowed from the Ms "Tabaq al Halwa". The latter told him that he could not use it in his above-quoted book as he had no idea that such a thing existed It seems that the British scholar realised the value of this Ms and based his study entitled "Omani Maritime Activity on the Southern Coast" on this Ms He presented his paper in a symposium of Omani Studies held in 1980 which was published in the proceedings of the symposium under the caption "Omani Studies" in 1981, Vol 8 (pp 113-137)

In any case this paper is considered very useful in relation to Omani naval activity against the Portuguese in the 17th century

Source-material & Foreign Studies

When the Portuguese reached the Middle-East and subdued a large number of places in it, their expansion attracted the attention of the Europeans who wanted to know the secret behind the expansionism of such a small state as Portugal and of its policies in eastern waters They got various Portuguese writing such as documents, book memoranda and travelogue translated Perhaps the mos important of these is the boo by Faria Sousa which was trans lated into English from Portu guese and published at the en of the 17th century Similarl the "Commentaries of Albu querque" and "The Travels o Tixiera" were also translatec These translations became th basis on which several easter studies were conducted particu larly covering the Arab Gul from the 18the century till to date I would specially like t mention the book, "The Histor of the Discoveries, Conquest and Establishments Made b the Portuguese in the East In dies," which was publishe anonymously without even th date under the title," Moder History Being A Continuatio of Universal History, Bool XIII."

This is considered an impor tant book because it contain detailed accounts which are nc to be found in any other boo about the Portuguese invasio of the Gulf and its variou phases in the 16th and 17t

ni fil Fat'h il Osmani" by Qutubuddin al Nahrawali who died in the last decade of the 16th century, provides us important information about the arrival of the Portuguese in the east and about their moves in the Red Sea except that it does not shed any light on the events of the Arab Gulf at all.

We should refer here to the Omani records which although were written at a time when the Portuguese influence in the east increased, they provide no useful information on the Arab Gulf region. However, the book "Al Howliyyat Al Hadramiyya" translated by R.B Serjeant under the title "The Portuguese of The South Arabian Coast", Beirut, 1974 is an exception

This book has dealt with the arrival of the Portuguese at Hormuz and their domination of it. It acted as the base of their influence in the region (pp. 43, 44) It has also dealt with the Ottoman moves against the Portuguese in the Arab Gulf in the middle of the 16th century (pp 109-110).

It appears that Serjeant was not aware of Omani texts which were no less important than the ones he has quoted in his book particularly as he deals with the period of decline of Portuguese power and of the British and the French in their roles. The text which we would like to bring to his notice is a manuscript of the Yemeni historian Abdullah Bin Ali Bin Muhammad Bin Abdullah Bin Ahmed Al Wazeer who died in 1147 or 1148 H/1734-35 A D. He wrote under the heading "Tabaq al Halwa wa Sihaf al Mann wa Salwa." Prof Abdullah Muhammad Al Habashi has published texts from this Ms under the title, "Al Burtughaliyoon Ala Sahil il Bahr al Ahmar· Texts of Unpublished Yemeni Manuscripts" published in Majallat al Arab, G I 2, 9th year, Jul/Aug 1974, pp 18-37. The texts published in this Ms might as well be an appendix of Serjeant's Book particularly because the Yemeni historian has watched the Portuguese moves along the Red Sea coasts and the Arab Gulf in the 17th century.

It is worth mentioning that Prof Al Habashi has said (margin p. 18) in the texts published in the magazine Al Arab in 1974 that he pointed out to Prof.

the Portuguese control and the ejection of the Portuguese finally therefrom by Sultan Bin Saif in 1059/1649-50 A D [14]

There is a book known as "Qisas wa Akhbar Jarat fi Oman"[15] which is attributed to Abi Suleiman Bin Muhammad Bin Amer Bin Rashid al Ma'wali. (died after 1783 A D) A comparison of this book with "Kashf al Ghamma" shows the extent of his reliance on the latter to the extent of literally quoting verbatim therefrom Yet there is some information in Kitab al Ma'wali which is not contained in Kashf al Ghamma In any case the book is important in as much as it recounts the wars fought by Imam Nasir Bin Murshid against the Portuguese until Muscat was liberated in 1650.

The book "Al Fat'h al Mubeen li Seerat al Sada al Busaeediyyeen"[16] by Hameed Bin Muhammad Bin Razeeq" and another by the name of "Tohfatul A'yan Bi Seerat Ahli Oman" by Nooruddin Abdullah bin Hameed al Salimi" provide us with information similar to other Omani sources about the relations between Imam Nasir and the Portuguese These tw authors are like other Omai sources and do not constitute main source of information at out early Portuguese activiti and their invasion of the Gulf a the beginning of the 16th cen tury

While we are on the subjec of Arab sources we should pe force refer to other than Omar sources which are important t the subject

In this connection the book "Tohfatul Mujahideen Fi Ba' Ahwal il Burtughaliyeen" b Zainuddin al Malabari A Moabbiri (d in 10th centur H/16th century A D) invest gated by Lopez (Lisbon 1898) i considered an important ol Arab source dealing with th Portuguese influence in the Ir dian Ocean It also explains th aims of the Crusades and othe economic goals which goade the Portuguese to cross th Cape of Good Hope Althoug the book of Zain al Abideen i notable for its observations an analysis it has referred to th Arab Gulf and the souther Arabian peninsula ver sketchily.

The book "Al Barq al Yama

the participation of the Imam of Oman, Muhammad Bin Ismail in the popular resistance to Portuguese occupation, whether at the beginning of this occupation or when the revolution broke out in Muscat, Qariyat, Sohat and Qalhat in 930H/1523 A D, where as the foreign sources have reported it[7]

As we have mentioned earlier the Omani sources abstained from mentioning the events of the Portuguese occupation of Omani ports until the arrival on the scene of Imam Nasir Bin Murshid in the year 1624 and the beginning of conflict with them until they were finally ousted from Muscat in 1650 A D, except for incidental references to them as "oppressors" because the tributes which Oman collected passed on to their control[8] The second reference is to the Portoguese occupation of Sohar in 1025H/1616 A D[9].

Much information became available after the arrival of Imam Nasir Bin Murshid when he clashed with the Portuguese but this is confined to a single source which is "Seerat al Imam Nasir Bin Murshid al Yarabi" by Abdullah Bin Khalfan Bin Qaisar[10] who was a contemporary of Imam Nasir Bin Murshid al Ya'rabi, so he wrote his history and biography. The sources which relate to a period later than Ibn Qaisar throw copious light on the first two decades of Imam Nasir's reign. Salimi says[11] about this period: "We have written about the life of this Imam in a manner not written before because some of his friends (Ibn Qaisar) had written about facets of his life but did not record the past except for what was revealed in decrees and judgements."

From a comparison of the book "Kashf al Ghamma al Jami' li Akhbar il Umma," by Sarhan Bin Saeed Al Azkawi with the book of Ibn Qaisar it becomes clear that the former relied heavily on the latter despite the fact that Azkawi made several changes in the accounts of Ibn Qaisar by adding and deleting from them without acknowledging the source.[12]

In spite of it the book "Kashf al Ghamma"[13] which continues to deal with events upto 1728 is considered the only source about the retrieval of Muscat from

"Haqayiq al Akhbar Un Duwal il Bihar," Cairo 1312H. He summarised what appeared in Sidi Ali's book about the Portuguese-Ottoman confrontation in the Arab Gulf in the middle of the 16th century in pages 547 to 550.

The importance of another book, "Tohfatul Kibar Fi Asfar il Bihar", Istanbul, Naval Press, 1329 by Mustafa Bin Abdullah Haji Khalifa, known as Jalabi writer (d 1067H/1656 A D) is no less than that of the book of Sidi Ali. It throws light on the Ottoman naval activity in the Mediterranean and the Arab Gulf in the 16th century This makes it a better and more detailed source for one who wants to write about the naval history of the Gulf of that century.

As for Arab sources, particularly Omani, it was expected that it would provide adequate information about the situation in the Gulf in the 16th and 17th centuries equal to that provided by contemporary Portuguese sources but unfortunately such hopes have been belied. That is because the Omani sources have almost neglected the events of Portuguese invasion of the Ara Gulf altogether although th Portuguese showed up in th Gulf waters in 913H/1507 A I and this phenomenon continue until the arrival of Imam Nas Bin Murshid al Ya'rabi i 1034H/1624 A D It appea that the Omani writers ignore this event for several reasons fc the following reasons as state by Suleiman Mohammed a Ghannam [4] –

1 The people of Oman a pointed out by Salimi[5] do n care to record historical even for their own sake but mentio these in the context of the bio raphies of the Imams and discussion of religious issu such as decrees etc.

2. The Omani writers fe that the Portuguese invasion their ports and their conseque domination of them was hum liating to them and hence d liberately avoided recording i However they enthusiastical recorded at least the last pha of the ouster of the Portugue from Oman[6].

It should be noted that th Omani sources have made r mention of the Portugue occupation of Omani ports or

and their brutality towards the populace of the Arab Gulf.

Arab and Turkish Sources:

It is not only the Portuguese naval commanders who left behind an account of their campaigns in the Arab Gulf such as those contained in the memoranda of Albuquerque and Andrada Such accounts have been handed down by Ottoman naval commanders as well such as Sidi Ali Rais who was commisioned to lead the Ottoman fleet in 960H/1553 A D. His task was to retrieve the Ottoman ships anchored in Basra and send them on to Egypt. Having accepted this task, Sidi Ali proceeded to Basra by way of Aleppo and Baghdad reaching here on the last day of 961H/3 Feb 1554. He started getting the ships repaired to be taken to Egypt but enroute he encountered the Portuguese fleet in the Arab Gulf and skirmishes ensued between them. The Ottoman fleet suffered defeat at the hands of the Portuguese and due to the contrary winds prevailing then, the remaining ships headed for the Indian coast. Thereafter Sidi Ali Rais headed for Constantinople which he reached in Rajab 964H/Marsh 1557, A D.

Sidi Ali has described all these events in his famous book "Mir'at al Mamalik, Dar Sa'adat, Iqdam" Printing Press C, Istanbul 1313. This is considered the greatest Turkish source not only about the Ottoman-Portuguese conflict in the Arab Gulf in the middle of the 16th century but also about the Ottoman naval efforts in eastern waters.

The Hungarian orientalist Vambri translated the book "Mira'at al Mamalik" under the title "The Travel and Adventures of the Turkish Admiral Sidi Ali Rais In India, Afghanistan & Persia During The Year 1553-1556 (London 1899)." It should be, however, noted that this translation overlooks certain expressions which perhaps were not understood by the translator. This makes the English version somewhat vague.

Amir Alai Ismail Sarhang made use of this book in authoring his book under the title

"The Portuguese Asia" by Fariyay de Sousa and translated into English by John Stevens and published in London in 1695 is considered an important source about the Portuguese invasion It was published in three parts and contains a detailed history of the Portuguese influence in the Arab Gulf, the Indian Ocean, the southern Arabian peninsula and the Red Sea However, Sousa shows out and out prejudice in favour of the Portuguese and utter bigotry towards the Muslims He, therefore, exaggerates the picture about Muslim casualties in their fight against the Portuguese He paints the Portuguese acts of savagery and terrorism as acts of bravery and heroism His accounts should, therefore, be treated with a great deal of reserve and compared with other contemporary records

In addition to these memoranda, books, commentaries and original Portuguese books there are important travelogues which are rich in information The most important of these is "The Travels of Pedro Teixiera", translated by William F. Sinclair (London Haklyut Society, 1902) Then comes the travelogue "The Relations of the New Route Father Manuel Godinho Took From India to Portugal In The Year 1663" Whose English digest was published by David Lee in 1663 under the title Portuguese Voyages, 1498-1663 (London) 1947, Pp 20, 21, 333 – 360

These two travelogues have been very useful as they refer to the weakening of Portuguese influence in the region of Arab Gulf and at the same time they warn against the advent of other European powers in the area and of their putting an end to the Portuguese presence in the east

Here we are particularly concerned with the Italian travelogue, "The Travels of A Noble Roman to East Indies and Arabian Desert", London 1665 by Pietro Della Valle

The importance of this travelogue lies in the fact that it was written at about the same time as that of Ruy Freyre De Andrada and hence they can be compared and investigated wherever there is a tendency to exaggerate Portuguese victories

tury. Nevertheless, the writer shows political bias in favour of the Portuguese while describing their extremist position in their policy towards the local population

Here we have but to refer to another important book "A Spaniard in the Portuguese Indies," Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1967 by Martin Fernandes Vikaro and published by James Mckenna, Cambridge, Massachusettes in 1967.

This book is considered an important source-material about the early decades of the 16th century because the information contained in it is complementary to that contained in "The Commentaries .." & "The Book of Barbosa." In this book we find a reference to the reign of terror spread by the Portuguese among the populace when they entered the towns of the Arab Gulf, particularly the Omani towns even as they tried to dominate them as they contained great riches and wealth. (See for instance pp. 81-87)

I have not yet alluded to the most important source published by the Portuguese dealing with the first decades of the 17th century. It is "Commentaries of Ruy Frere De Andrada," edited with an introduction by C.R. Boxer (George Routledge & Sons Ltd, London, 1930). The importance of this book is due to the fact that its writer held a number of posts in the Portuguese fleet operating in the Arab Gulf in 1619. He had established his headquarters in Muscat and recovered Sohar, Dubai and Khor Fakkan from Iranian occupation. He had also conducted a number of raids on the Arab coast of the Gulf. While he was known for his enthusiasm and his military acumen he was also noted for his cruelty and oppression. His shocking deeds in the Gulf spanned over 13 years from 1619 to 1632 and earned for him a permanently sullied reputation.[3]

In any case this book gives us detailed information about the Portuguese military operations in the Arab Gulf at that time and the attitude of the local powers towards the Portuguese.

travelogues or original books

"The Commentaries of Great Alfonso Dalbuquerque," translated by Walter de Grav Birch, London, Haklayut Society 1881 was published in 4 parts and deals with the events concerned with Portuguese invasion Obviously these memoranda contain an exaggerated panegyric of their heros and of the great deeds performed by the Portuguese in the east They speak of sieges, battles and the slaughter of the "enemies" galore It is wellknown about Albuquerque that his treatment of the Omani coastal towns was barbaric. He not only attacked Khor Fakkan but in the manner of other Omani towns, ransacked it and cut off the noses and ears of a great many civilians The Portuguese exhibited cruelty and bigotry towards the people of the area [2]

In any event these memoranda are not devoid of a wealth of information about the Arab Gulf and its residents including its towns situated on the coast

The basic books written by the Portuguese in the first ha of the 16th century contain detailed description of th towns overlooking the India Ocean and the Arab Gulf i addition to a description of th events connected with the inva sion "The Suma Oriental (Tome Pires An account of th East, From the Red Sea t Japan" written in Malacca (India in 1512-1515, 2 Vols, Lor don, Haklyut Society 1944, b Tome Pires and Duarte Barbos contains only scanty informa tion about the Arab Gulf and is even disappointing Howeve "The Book of Duarte Barbosa "An Account of the Countrie Bordering on the Indian Ocea & their Inhabitants" complete about the year 1518 AD wa translated by Mansul, Long worth Dames, Vol I (Londo Haklyut Society), is very valu able because it combines h long personal experience in th east and has many accurat observations Barbosa has de scribed a great number of towr of the Arab Gulf on either sid of it, east and west. This is (great importance as it gives u an intimate picture of the towr as they were in early 16th cen

scholars with the contents of the main records of the East India Company and saved them much toil They are truly a perennial source of information about the 17th century

The "Calendar of State Papers, Colonial Series, East India, China & Persia Series 1622" by Noel Sainsbury and "Selections From State Papers, Bombay regarding the East India Company's Connection with the Gulf with a summary of events, 1600-1800 Calcutta (1908) are considered complementary to the important publications quoted earlier and are an important source in the study of Portuguese activity in the Gulf during the 17th century in the context of its relationship with other local and foreign powers

The "Annals of the Honourable East India Company 1600-1810," 3 Volumes London 1810 by John Bruce are considered an important source of information with reference to Gulf history which relate to Portuguese invasion of and expansion in this region in the 16th and 17th centuries based on the letters of the British East India Company

Among the important Britisl documents published is "A Chronicle of Carmelites in Per sia and the Papal Missions of th 17th & 18th Centuries " in tw volumes, London 1939 whicl were published anonymousl but they contain several subject which are intimately connecte with the position of the Portu guese in the Gulf and abou their decline due to the rise o the Omani power No historia can afford to neglect these docu ments if he is interested in th history of this region

Other Portuguese & other sources

The foreign source-material particularly the Portuguese constitutes the backbone of th study of the history of the inva sion and domination of th Arab Gulf by the Portugues particularly in view of the abs ence of any information abou the Portuguese invasion i Omani sources A scholar therefore, has no alternative bu to refer to these source whether they be memoranda

No. 1 of Jul 1982 p 149 published the text of an Ottoman document addressed to Murad Shah, the Ruler of Bahrain dated 28 Zil Hajja 966H/1559 AD It informs him of Ottoman displeasure at the siege of Bahrain laid by Mustafa Pasha, the Ruler of Al Hasa without their consent They adopted certain measures to replace him by another person so that the Portuguese did not have a chance to cause damage to those territories

The thesis which deals with the subject more substantially is the one prepared by C H Amber under the title "The Ottoman Naval Direction during the Rule of Sultan Suleiman I, 1520-1566" which he submitted to Cambridge University in 1970 and deals with the Portuguese-Ottoman conflict in the 16th Century Essentially it revolves round a translation of Ottoman documents on the subject maintained in various Ottoman archives This is where lies the importance of this thesis for the writer has therein translated all the orders issued to the Ottoman governors in Basra including details of preparations, ec nomic and military, for cc fronting the Portuguese in t Gulf (See for example doc ment Nos 77 to 81 on pag 94-98

Published British Documents

The documents published William Foster at the beginni of the 20th Century under t title The English Factories India in 13 volumes covering t period 1618 to 1669 are con dered the foremost Briti documents which throw light different Portuguese activities the Gulf during the 17th centu and of the rivalry between t Portuguese power on the o hand and the other Europe powers on the other They a also an important source rel ing to the development of On ni-Arab resistance at whc hands the Portuguese influen in the Gulf ended in the midc of the 17th century It would possible to compare the forei texts with the Arab-Omani te: which have started prolifer ing Without a doubt the documents have acquainted t

siege of this port The third appendix contains two letters written by Dom Noronha in Hormuz dealing with Turkish activity on the coasts of the Arabian peninsula These two letters give us an idea of the political, economic and military history of the Indian Ocean and the Arab Gulf in the 16th Century and of the serious concern of the Portuguese and the Ottomans with those areas through which Asian merchandise reached the Mediterranean coast

Published Turkish Documents

Turkish documents published ıbout the Arab Gulf and about he confrontation between the)ttomans and the Portuguese re still scanty and do not serve ıe purpose Perhaps there is ɔme information about this ıbject in the publication of a udy by Dr. Ahmed Foad al lutawalli under the title "Al ahriyya al Othmaniyya Wal urtughaliyya Fil Qarnil Aashir Hijri/Al Sadis Ashar al Miladi a Dau il Wataiq il Osmania." the magazine Majallat Kulliatil Uloom il Ijtimaiyya (College of Social Sciences (Saudia), 1980. Nevertheless, i seems that the title is more imposing than the subject matter it contains It does not contain much information about the Gulf. Except for two documents which have been translated into Arabic and which have been addressed to Sidi Ali, the Commander of the Ottoman Fleet, it contains nothing new

There is a report prepared by Professor E Orhenlo in Turkish and translated into Arabic by Dr Hussain Ali Al Daqooqi under the title "A Report on The Ottoman Attack on Bahrain in 1559" and published in the magazine" The Gulf & the Arabian Peninsular Studies." Vol 6/No 24 oct 1980 The report was written by one who had participated in the attack. It throws some light on the beginning of the invasion and its causes and the countermeasures adopted by the Portuguese to keep the Ottomans away from Bahrain

The Bahraini magazine "Al Watheeqa" in its issue Vol 1

to the Portuguese King about the Portuguese attack on the Arab Gulf in 1545."

In fact these three appendices throw some light on the initial Portuguese attempts to gain control over the Arab Gulf region. More importantly they contain information about the local Arab powers of the region at that time and their role in resisting the Portuguese as in the case of Al Maghamis, the rulers of Basra.

4. "The Ottoman Turks & the Portuguese in the Arab Gulf, 1534-1581." by Saleh Ozbaran as translated by Dr. Abdul Jabbar Naji and published by the Centre of Arab Gulf Studies, Basra University (Irshad Press, Baghdad, 1979).

The importance of this study does not lie in the little information it contains as a summary of his doctoral thesis submitted to the School of Oriental & African Studies at the London University in 1969 concerning the Portuguese-Ottoman conflict in the Arab Gulf which is fairly welknown to the scholars but it lies in the appendices attach by the author to the stud These are actually the transl tions of important Portugue letters which require a thorou study if one is to throw light the Arab Gulf region of tho times.

The first appendix is a lett by Dom Manuel de Lima, t Governor of Hormuz to D. Ju de Castro, the Governor of I dia datelined Hormuz 23 Ju 1547. This letter contains impo tant information about Port guese movements in the Gu their monitoring of Ottom movements and their strength the Gulf. The Ottomans ev tried to gain some closeness the Portuguese. This they did delegating an Arab merchant Haj Fayyad to carry a letter the Portuguese Governor Hormuz, De Lima. This lett explained that the Ottoman a thorities intended to contin their commercial movements the Arab Gulf.

The second appendix (pp 7 80) contains a letter written Hormuz on 30 Oct 1552 whi describes the Ottoman Tu

These contain information about Portuguese oppression and tyranny let loose in the region by their officials and the reactions which it generated among the locals. These letters also provide an insight into Portuguese plans to close the Arab Gulf for Arab shipping besides their making a clean sweep of Arab homelands politically, economically and religiously

In spite of the fact that these documents contain a pro-Portuguese point of view, nevertheless, it is possible to derive from them information which bridges the gaps in Arabic sources However, a little caution has to be exercised

It is worthy of mention that Dr Bu Sharab published these documents several times They appeared for the first time in the magazine Al Manahil (Moroccan) No 26 volume 10, March 1983. pp 32-83 They appeared for the second time in the magazine Al Khaleej al Arabi, published by the Centre of Arab Gulf Studies, Basra University Vol 16 No 1, 1984, pp 31-46 Again it was published in the magazine Al Watheeka Bahrain, Vol 5, No. 10, Jan 1987, pp 144-181

3 Musahama al Masadir wa Wataiq al Burtuggralia fi Kitabat Tareekh il Bahrain Khilal al Nisfil Awwal Minal Qarn il Sadisa Ashara" by Dr Ahmed Busharb was published in "Al Watheekah" of Bahrain in Vol 2 No 4, Jan 1984, pp 118-140 "

This study deals with the conditions prevailing in the Arab Gulf in the first half of the 16th Century, particularly in Bahrain, Qatif and Al Hasa. However, the actual importance of this study lies in the appendices which are three in number The first one is entitled· The Portuguese Expedition Against Bahrain as Described in the Letter of the Governor of Hormuz of 1529 " The second one is entitled," A letter from Rais Ruknuddin, Chief Minister of Hormuz to Rais Sharaf, the deposed minister of Hormuz about the attempts made by the King of Hasa to gain control over Bahrain, Qatif and Basra " The third appendix is about· "Letter from Bernard De Souza

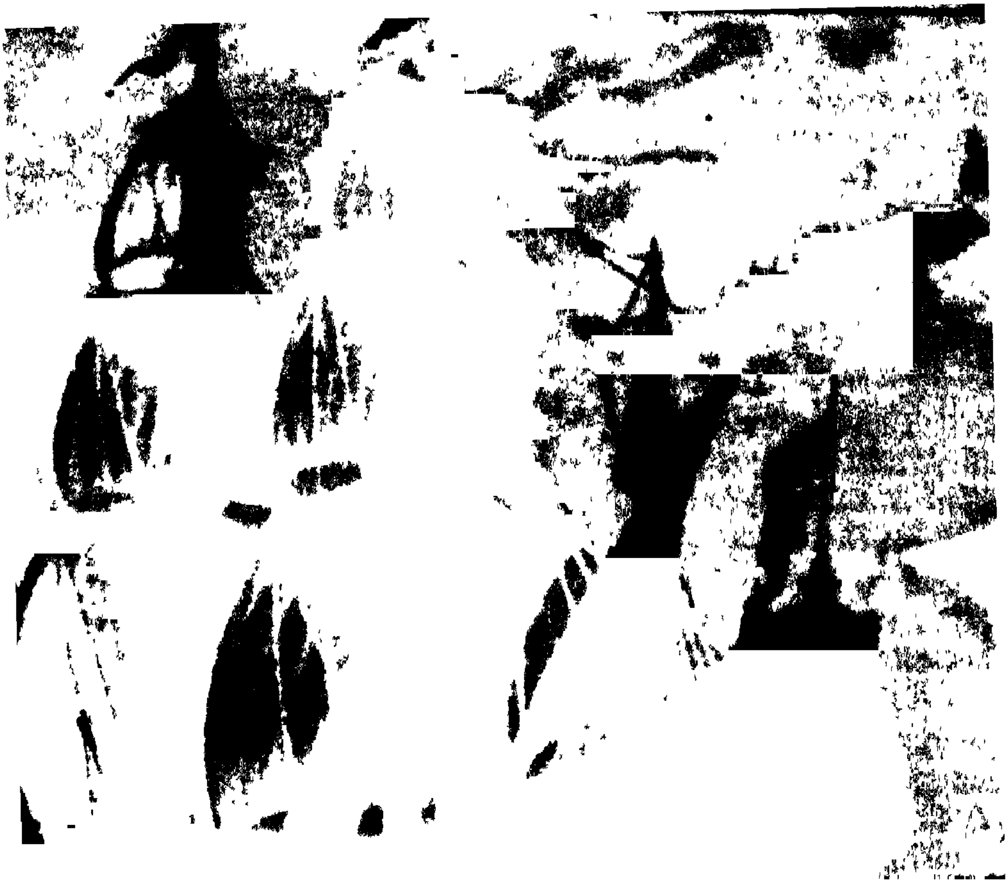
Then I have devoted similar attention to the source-material and researches concerning the subject both foreign as well as Arab.

Published Portuguese Documents

1 Tareekh al Khaleejil Arabi fil Wathaiq al Burtughaliyya (The History of the Arab Gulf in Portuguese Documents) This is a collection of chapters translated from the book of Baros about Asia. This has been published by the Arab Gulf Documents Committee This book talks about the arrival of the Portuguese in the Gulf and their confrontation with the ports situated along its shores It then deals with the arrival of the Ottomans in the region and their naval expenditions to it in the middle of the 16th Century. However, it should be noted that this book shows obvious bias. It seeks to justify everything that the Portuguese did by way of destroying and sabotaging the ports of the Gulf It is therefore, necessary for us to remember while reading this book, as stated by Buckingham, the reasons which impelled writer to adopt the various ide and assumptions as presented the book [1] In spite of it, t book is very useful in studyi the history of the region and researching the various pieces information about it, particul ly because there are no conte porary Arabic records for t period which can be relied up to yield a coherent record of t Portuguese invasion of the G in its various phases

2 "Musahamatul Wataiq Burtughaliya fi Kitab Tareekhil Ghazw li Sawah Maghrib wal Bahr il Ahmar Khaleejil Arabi wa ma Tuwl Anho Min Rudood F'il" (T Role of Portuguese Docume in the Writing of the History Portuguese Invasion of Coasts of Morocco, the Red & the Arab Gulf And T Reactions Which it Generate

In this study Dr Ahmed Sharab has collected several ters and agreements preser in the National Archives of P tugal about the various pha of the Portuguese invasion domination of the Arab G



his study has been divided several parts, the first part g a digest of published ıments, Portuguese, Otto- and British. In this task I greatly assisted by the pub- ons of the Centres of Study ırab Gulf countries which took the lead in this regard. This study analyses the description of contemporary Arabic and fore- ign sources which were close to the events attending the Portu- guese invasion of the Gulf while it tries to present a general picture about these sources.

A STUDY OF THE PUBLISHED SOURCES & DOCUMENTS ABOUT THE PORTUGUESE INVASION AND CONTROL OF THE ARAB GULF:

BY DR. TARIQ NAFI AL-HAMADANI



Considerable advances were made in this subject at th beginning of the recent times particularly during th interval which followed the British invasion of the Ara seas despite the fact that a large part of it is sti shrouded in ambiguity and needs to be investigated. It i known that a number of scholars who have studied thi subject have, to a certain extent, drawn on foreig sources and depended on them more than on local Ara writings which were either scanty or were silent abou this invasion, such as the Omani sources. In any case research into these Arabic or foreign sources wi certainly help the scholar in having a better understand ing of the history of the Arab Gulf. This is what propose to do in this study which aims at essentiall defining the sources which have a documentary lin with the Portuguese invasion of the region and its study

- FERRAND, Gabriel, **Instructions nautiques et routiers arabes et portugais des XV^{e} et XVI^{e} siocles,** 3 vol., Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1921-1928

- KAMMERER, Albert, La Mer Rouge, l'Abssinie et l'Arabie depuis l'Antiquito, in **Memoires de la Socioto Royale de Geographie d'Egypt,** XV, 3 part , 451 p.

- KHORY, Ibrahim, Tr & Exp , **As-Sufaliyya "The Poem of Sofala by Ahmad Ibn Magid",** (Junta de Investigacoes Cientificas do Ultramar, Serie Separatas CXL VIII), Coimbra, Centro de Estudos de Cartografia Antiga, 1983

- TAYLOR, E G R , **The Haven-Finding Art,** London, Hollis & Carter, 1956

- TIBBETTS, G R , Arab Navigation in the Red Sea, **The Geographical Journal,** CXXVII, 3, 1961, pp 322-334.

- ——————, **Arab Navigation in the Indian Ocean before the Coming of the Portuguese,** London, The Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, 1981

- VERLINDEN, C., Vasco da Gama in het licht van zijn Portuguese en Arabische voorgangers, in **Mededelingen van de Koninklijke Vlaamse Academie voor Wetenschappen, Letteren en Shone Kunsten van Belgio,** XIX, 4, 1957, pp. 3-21.

REFERENCES

- AHMAD, S. Maqbul, IBN MAJID, in **Dictionary of Scientific Biography**, vol. IX, New York, Scribner's Sons pp. 35-37.

- ————————, IBN MADJID, **The Encyclopaedia of Islam**, 2nd ed

- ALVARES, Francisco, **The Prester John of the Indies**, 2 vol. Tr. Lord Stanley of ALDERLEY, Cambridge, Cambridge University Press, 1961.

- AXELSON, Eric, **South-East Africa 1488-1530**, London-New York, Toronto, Longmans, Green and Co, 1940.

- ————————, **Portuguese in South-East Africa 1488-1600**, Johannesburg, C Struik (PTY), 1973.

- BOXER, C.R., **The Portuguese Seaborne Empire 1415-1825**, London, Hutchinson, 1969.

- CRONE, G R., **The Discovery of the East**, London, Hamish Hamilton, 1972.

- DA GAMA, Vasco, **A Journal of the First Voyage 1497-1499**, Tr. & ed. E.G. RAVENSTEIN, London, The Hakluyt Society, 1898.

this data Hence the Tables of the Pole Star for different positions occupy great importance in books concerning navigation

In order to measure the altitude of the star in the Red Sea, the Arab Gulf or the Indian Ocean, the Arab sailors used one of the two following instruments

A gadget known as Kamaal and a wooden Instrument called Khashaba However the degrees marked on it were divided into 8 parts as against the degrees measured in astronomy

In his book Kitab al Fawayid Ibn Majid has described the various steps in measuring the altitude This detail shows how scientific he was in his methodology and its rules. Ibn Majid not only explains the process of measurement step by step but also describes the various factors which may lead to errors in measurement and how to guard against them so that the safety of the ship is not endangered, he says:

The process of measurement is beset with difficulties and hence requires alertness. If you have just woken up from sleep you should first wash your and eyes with coldwater should adopt a proper seat There should be a thin between the star being m sured and the instrument Khashba Similarly tl should be a line separating waterline and the Khashba Your position should be ste

Some keep both eyes c and some keep one eye o The correct thing to do r keep the right eye open close the left eye. Meas ments should be taken with right hand and not with the if erroneous readings are to avoided

This history of science am the Arabs is in need of comp tion by way of detailed scien studies which take into acc all aspects of Ibn Majid's sc tific writings especially tl that concern navigation astronomy These should supported by background sc tific information which insp these writings and the orig aspects of his scientific exp mentation so that Ibn M may take his rightful place in scientific heritage of the Ar

These 7 planets concern sea navigation but the fixed stars provide guidance and direction Hence the guiding marks at sea are better than a whole lot of men even if they knew the latitude longitude, degrees etc but did not know the rising of the guiding stars There are many stars which have correctly guided us but we have not come across any astronomers who know them I have given them names and made use of them in practise which is more than what 50 books can tell me about them in theory (page 46)

On the other hand, practical experience constitutes the basis of any scientific methodology An experiment repeated many times can yield dependable results which alone can be safely accepted The writings of Ibn Majid amply prove the extent of his faith not only in experimentation but its repetition so that the inference drawn can form a scientific basis for methodology.

This is clear in his book Kitab al Manafi' wherein he says: "We have quoted examples of good measurements but if any of you are to quote any of these unknown stars, you should do so only after repeated experiments and without any error or shortcoming in it. It is possible that one of you has experimented correctly and measured accurately but if he repeatedly obtains the same result then only he should apply the formula When repeated readings of selected measurements indicate variations of a quarter, one-eighth or one-third I mention the degree of accuracy and the limits in my writings. I have stated these limitations in Sharh al Zahabiyya. (pp 48, 49)

In navigational parlance among the Arabs the word measurement means the science of determining the latitude by measuring the azimuth of stars Its aim is to determine the position of the ship on the high seas.

The measurement of the azimuth of the star was an important navigational function and consisted of the following steps:

The sailor measured the altitude of a particular star at a specific time and derived the altitude of the Pole Star from it. The position of the ship on the high seas was calculated from

sary to revise his early writings in the interests of the scientific spirit

He says in his book Kitab al Fawayid In early life we went about as ignoramuses learning by mistakes and through experience even as we discovered the errors of earlier writers and their lack of precision (p 36)

This critical spirit pervades the writings of Ibn Majid at many places Both in Al Qasida al Zahabiyya and Kitab al Fawayid, Ibn Majid refers to the mistakes committed by a great many sailors in fixing the latitudes and longitudes and analyses the causes of these mistakes and how to avoid them so that one is in a position to know the location of his ship with exactitude in the open sea

In the same book Ibn Majid treats the subject of the faulty knowledge of the navigators about the skies and the rising of stars. He says· If you ask them, when does . rise, they reply 'in such and such country' That is not the expected reply You ask them· When does rise whether you are in Ceylon or in Gilan . . (reverse of page 31).

Ibn Majid's knowled astronomy was two fold, tl tical and practical In his Kitab al Manafi' he cri some astronomers for the of theoretical knowledge for their not actually ca out practical meteorol observation and calculati

Actually some astronom the middle centuries of had published star alm without actually measuri various data themselves that they had done w change the data publish Ptolemy by a few degree minutes Similarly some had manufactured astrono globes had followed the pattern until Abdur Rahm Sufi (391H/903 AD-376 AD) pointed out their defe his book "Suwar al Kawa Sabita"

As a sailor Ibn Majid fe the practical aspect of nomy was more importan theory and more profi Hence he felt that in many the navigators were more l ledgeable than theore astronomers Ibn Majid to it in his book Ki Fawayid as follows:

diplomacy and economics is much greater than his relevance to the field of geographical exploration

* * * * * * * * *

In this second part of the paper we shall review the major features of scientific thinking discernible in the writings of Ibn Majid particularly in scientific methodology and its application A clear example of the scientific spirit of Ibn Majid is seen in his critical approach and independence of judgement in regard to the astronomical and navigational writings of famous earlier writers. Ibn Majid has criticised the opinions of Mohammed Bin Shadhan

Suhail Bin Aban and Lais Bin Kahlan, all of whom had stated that the value of declination in the north and south during navigation in respect of Pleiades and Orion was 30 Z (a unit of measurement at that time) Ibn Majid rejected this view saying it did not accord with his practical experience In his book Al Fawayid, Ibn Majid says:

"The earlier writers made a serious error in the determination of Zam i e , 30 Z We h proof to the contrary borne by experiment and logic accepted by one and all S of these we included in Shar Zahabiyya Here is an expla tion

Firstly, if the ship procee in two segments of the Zo and another in Scorpio then value of the declension will 30 Z In other cases when ships are in different segm the declination will be 18 Z. paint a uniform value of decl tion would be wrong

Secondly (Here is a techn description of the varying val of declination according to variation in the segments of Zodiac and proximity or ot wise of the ships to the l around them These details on page 39 of the book quot

Another example of the entific temper of Ibn Maj shown in his continually revi and rectifying the faults mistakes of earlier writers his book Kitab al Fawayid, Majid says that he had previo ly written a book under the t of Hawiyat al Ikhtisar Fi Us I'lmil Bihar in his early yo and since then he found it nec

The mention of the passage of years mentioned by Ibn Majid does not bear out the conclusion reached by Ibrahim Khori when he said "His professional commitment to navigation ended in 900H and thereafter he was unable or unwilling to undertake any seafaring" p 19

Secondly Ibn Majid was not merely alive in 906H 1501 AD but in full control of his faculties He continued to be a sailor and actively pursued his avocation contrary to Ibrahim Khori's claim that "he was unable or unwilling to undertake any seafaring" The best proof thereof is his poem itself, his preoccupation with astonomy and its application to navigation

A comparison of this poem with Ibn Majid's other previous writings indicates that Ibn Majid was fired with the same scientific zeal, intellectual keenness and depth of knowledge and experience about seafaring which distinguished his previous writings There is nothing to indicate any impairment of his intellectual faculties in regard to navigation or astronomy

Thus Ibn Majid and Vasco Da Gama reached Calicut in less than four weeks and withou[t] any obstacle No sooner tha[n] Vasco Da Gama reached th[e] Indian shores that he face[d] myriad problems whose solutio[n] required all his diplomatic ski[ll] and finesse For instance he wa[s] forced to sell all his merchandis[e] at a loss He also faced enor mous difficulties in buyin[g] spices because of the oppositio[n] of Muslim and Arab merchant[s] there

Vasco Da Gama quickly real ised that the only solution lay i[n] eliminating the competition o[f] Muslim and Arab merchants i[f] the Portuguese authority was t[o] be imposed on the India[n] Ocean This would be possibl[e] by obtaining softer and mor[e] appropriate terms for trade a[t] all Portuguese centres of activ ity Vasco Da Gama concen trated all his activity to realis[e] this aim He even advised Kin[g] Manuel to adopt this policy an[d] ask all Portuguese sailors there after to implement this policy

Thus the Portuguese mono polised the spice trade only 2[0] years after Vasco Da Gama's voyage to India Today it i[s] obvious that the importance o[f] Vasco Da Gama in the field o[f]

would he know anything about their expeditions to Africa in view of the fact that the first Portuguese expedition under Vasco Da Gama took place between 1497 and 1499 Hence Ibrahim Khori is of the opinion that all Sifala verses which mention the Portuguese are interpolations.

Thirdly, the number of verses in the Sifala Poem (A place-name).

Ibn Majid has mentioned in his Sifala poem that it has 701 verses but the only manuscript which contains it (i.e , the Leningrad Manuscript) has 807 verses It shows an interpolation of 107 verses according to Ibrahim Khori.

Fourthly: Lack of homogenity in the Sifala Poem·

Ibrahim Khori thinks that the homogenity in the poem which shows up in a group of verses belonging to one pattern is not consistently maintained which indicates their importation.

This is a gist of the point of view of Ibrahim Khori as contained in his commentary on the English translation of the Sifala Poem but the part which concerns us in this paper is the relationship which existed between the Portuguese and Ibn Majid and the opinion of Ibrahim Khori that Ibn Majid was very old and that he had withdrawn into the interior of Arab lands when the Portuguese set sail for the Indian Ocean p 25.

In my opinion the argument advanced by Ibrahim Khori denying any relationship between Ibn Majid and Vasco Da Gama is weak. This may be rejected for the following reasons:

Firstly, if we concede the statement of Ibn Majid of 900H/1495 AD that he was considerably advanced in age and even on the threshold of death as stated in his book "Taqseem Mintaqa al Maa" even then he was alive in 906H/1501 AD. He stated as follows in his Quintet:

> My verses these reached this level
> In the year 906 (H)
> Of the years of Hijra
> The beginning of New Year
> & the month of Ramadan.

ing comment:

Kanka-This is originally a Tamil word meaning a scholar of mathematics or astronomy or a writer The word Malimo appears to be a distortion of Moa'llim which in Arabic parlance means a guide in navigation Malimo Kanka, therefore, refers to a title and not a name Arabic sources and not European sources tell us about the name of this Teacher Kanka It was Shahabuddin Ahmed Bin Majid whom Vasco Da Gama referred as a "rich treasure"

As I mentioned at the beginning of this paper, it was in the year 1983 that the Centre of Studies of Old Maps at Coimbra in Portugal published an English translation of a poem by Ibn Majid alongwith commentary. The poem was written by Ibn Majid in Sifala and the translation and commentary are by Ibrahim Khori. So far as my knowledge goes it is perhaps the latest study on Ibn Majid.

The basic theme presented and defended by Ibrahim Khori is that the Sifala Poem of Ibn Majid was distorted and interpolated. According to hir 106 verses in this poem hav been added which were nc there in the original Ibrahir Khori bases his argument on th following premises

Firstly about the date of th poem:

Ibrahim Khori says that Ib Majid had referred to the Sifal poem in the Golden Vers which he had written in 880H 1475 AD i.e , 22 years befor Vasco Da Gama's voyage t Africa

Secondly, the old age & deat of Ibn Majid.,

Usually Ibn Majid, in his writ ings, mentions a lot of dates an the last two of them are 900H 1495 which appear in the boo "Taqseem Mintaqa al Maa" c 'A Division of the Area c Water' & Urjooza Mukhamma sa of 906H/1501 AD Howevei in 906H/1501 AD Ibn Majid ha stated that he had become to old and was awaiting death Ibrahim Khori, therefore, com es to the conclusion that if Ib Majid had become so old at tha time then he would not hav contacted the Portuguese no

bute irresponsibility to Ibn Majid and also made him create the story of his addiction to drink.

Let us revert to Portuguese sources mentioned earlier for their evaluation. According to Castanehda, Vasco Da Gama reached Malindi on 15 April 1498 AD. On 21 Apr the King of Malindi placed at his disposal the services of a Gujrati navigator by the name of Kanka.

De Baros, however, gives us a different story with a few embellishments. According to him, during the stay of Vasco Da Gama in Malindi, his ship, which was the main ship in the fleet, was visited by a few people among them being a Muslim by the name of Malimo Kanak of Gujrat. He was the one selected by Vasco Da Gama to be with the Portuguese expedition to India. He was the one who briefed Da Gama about the coast of India on a map showing the lines of latitude and longitude. Vasco Da Gama, in his turn, showed to this guide the astrolabe, one made of wood and the other of metal. The navigator guide, however, was not very impressed seeing them. In this connection De Baros writes: The navigators in the Red Sea employed copper instruments with triangles and sextants to measure the azimuth to the sun and stars as aids to navigation. He adds: The Indian navigators navigate with the aid of certain stars both in the northern and the southern hemispheres. Certain stars are well known in their positions in the middle of the sky from east to west. They do not measure the azimuth by these instruments but by different ones. The guide showed an instrument made of three planks of wood of a certain kind.

In the opinion of Vasco Da Gama this guide was like a treasure of gold. The voyage from Malindi to Calicut was completed without a mishap in 20 days.

A comparison of Arabic and Portuguese sources presents us a difficulty: How can Kanka or Malimo Kanka refer to Ibn Majid? In order to reconcile the obvious anomalies in the various sources I have the follow-

Secondly It is difficult to imagine that Vasco Da Gama would risk his expedition by staking it at the hands of a person not in full control of his faculties being in a drunken state This is a reasonable presumption because the contemporary historians have all referred to that dangerous position on the East African coast including Nahrawali and how several Portuguese attempts to cross it met with failure

Nahrawalı says. "It was a stormy place where ships could not be steady. They used to get broken and none used to survive. Successive attempts used to fail and hardly anyone survived to resume his voyage to the Indian Ocean. p 185".

I feel it would be reasonable to reject the thesis about drinking bouts between Vasco Da Gama and Ibn Majid which recurs frequently. Thirdly: The Portuguese were searching for a sea-route to India. Their repeated attempts to cross the East African coast to the Indian Ocean failed. They badly needed an expert navigator who could extricate them from th East African coast and the guide them to India.

Ahmed Bin Majid was such competent seaman who wa used to the seas in that region. was therefore natural for th Portuguese to seek his assis ance particularly after Vasco D Gama had seen for himself th extent of his knowledge in astro nomy, weather instruments an maps

If Ibn Majid agreed to guid the Portuguese to India, it is t be expected, as many Portu guese ships in the 16th Centur had Arab captains. Moreove at that time, neither Ibn Maji nor any of his contemporarie could anticipate the economi diplomatic and military co sequences of his guiding th Portuguese to India by the sea route The Portuguese ha appointed Ibn Majid to perfor a specific task and he, in turr performed it well with precisio and thoroughness. The result of Ibn Majid's action did nc show up until after 50 years c his death. This is what mad Qutub al Din Nahrawali attr

Apr for Calicut along with the navigator lent by the King of Malindi," p. 46

2 The writings of Portuguese historians of the 16th Century such as:

a. Khao de Baros
b Fernao Luis Castanehda
c Damiao de Juis

These three Portuguese historians have mentioned the name of the navigator who led Vasco Da Gama to Calicut De Baros calls him Malimo while Castanedho and De Juis call him 'Kanka'. This part of the voyage has also been described in an Arabic source in a book named "Al Barq al Yamani fil Fath al Osmani," by Qutub al Din al Nahrawali. (917H/1511 AD)-(990H-1582 AD). The following is the text as quoted by Gabriel Frand

"They continued to meet death at that point and there was none who could guide this party to the Indian Ocean They were still trying to discover an outlet through which they could circumvent it when a knowledgeable person told them of an expert navigator Ahmed Bin Majid who was known to A Amalandi his great Europea friend with whom he used t have drinking-bouts. He tol the Portuguese how to over come the obstacle while he wa drunk. He told them not t come close to the bank at tha particular point but to penetrat deep into the sea and then com back to the coast avoiding th high waves. They were thus abl to save their boats from destruc tion and tackle the India Ocean in full strength."

The importance of this sourc lies in the fact that irrespectiv of whether it be Arab or foreig it mentions for the first time th name of the navigator wh guided Vasco Da Gama However, in my opinion, Qutu al Din erred in narrating wha actually happened for the fo lowing reasons:

Firstly: The story of Vasco D Gama inviting Ibn Majid for drinking bout is an afterthough not mentioned by any Arab c European historian befor Nahrawali. At best it is a con jecture made 50 years after th death of Ibn Majid.

he had heard it from him He had emphasised that Dakovillao had visited all centres of Portuguese activity in the ocean as follows:

Firstly — The Arab Ports along the length of the East African coast as Sifala, Mozambique, Kilwa, Mombasa, Malandi etc

Secondly — Aden

Thirdly — Hormus

Fourthly — Calicut, Cannanore, Goa Moreover Francisco Alvares had carried the report of Dakovillao addressed to King Jan II at Lisbon and delivered it to him

The voyage of Vasco Da Gama was the first important task carried out during the rule of King Emmanuel (1495-1521 AD). He was succeeded by Jan II on the Portuguese throne. Vasco Da Gama was chosen to lead the expedition and be responsible for it.

Firstly, the Portuguese knew in advance that he would sail via the East African coast to India It was decided that he woul[d] follow in the footsteps of hi[s] predecessor Dakovillao wh[o] had traversed the route te[n] years earlier

Secondly, the Portugues[e] needed a seasoned diplomat an[d] competent negotiator more tha[n] a trained sailor to deal with Zamorin, the King of Calicut

On 8 July 1497 AD the Portuguese expedition set sail from Lisbon under the command of Vasco Da Gama. On 2 Mar 1498 he reached Mozambique and on 15 Apr, Malindi At Malindi, Vasco Da Gama appointed a navigator who guided him to Calicut for the first time

Our information about this period is based on two main sources These are.

1. The Log Book of Vasco Da Gama covering this leg in particular which is very brief and does not give any indication about the identity of this navigator. The text merely reads are follows:-

"Left Malindi Monday 24

Ptolemy's Map of 100-170 AD Dakovillao and Afonso de Baifa sailed in a Portuguese ship to Egypt and after reaching Alexandria made for Cairo in the company of a group of Moroccans from Fez and Tilemsi who were on their way to Aden The Portuguese sailed to Aden from Suez along with these Moroccans At Aden Dako and Baifa separated Baifa alone went in the direction of Abyssinia but died on the way Dakovillao went from Aden to India on an Arab ship until he reached Cannanore. The voyage took a month This ship was on its way back to India carrying the Indian Haj pilgrims. During this trip Piro Dakovillao learnt the elements of navigation in the Indian Ocean making use of the monsoon winds Once he reached India Dako visited the following cities· Cannanore, Calicut, Goa. This was ten years before the visit of Vasco Da Gama. Moreover Dakovillao returned from India directly to the East African Coast, to be more exact, to Sivala and travelled from there along the African coast upto Suez on an Arab ship and then on to Cairo.

At Cairo a letter was awaiting him from King Jan II ordering him to proceed to Abyssinia. Before leaving Cairo for Abyssinia he sent a report to the King about his trip to India according to the evidence of Francisco Alvares . In this report Dako had given to the King a detailed description of the eastern coast of Africa and the names of towns from where it was possible to cross the seas to reach Calicut Most probably this report had reached the King as Vasco Da Gama basically followed this route. A short while after Dakovillao reached Abyssinia its King arranged for him to stay there permanently and did not permit him to return to Portugal Thus he spent the remaining years of his life in Abyssinia During his stay there he met Francisco Alvares who functioned as the official priest from 1529-1527 AD. at the Portuguese Embassy in Abyssinia. He is the same person who had conveyed to Portugal the details of Dakovillao's voyage the way

FIRSTLY: ***The relationship between Ibn Majid and the Portuguese in the discovery of a sea-route to India as paving the way for a fresh look at the subject in view of a new study published on him in Portugal in 1983.***

SECONDLY: ***To project aspects of scientific thinking in his writings bearing on the sciences of navigation and astronomy.***

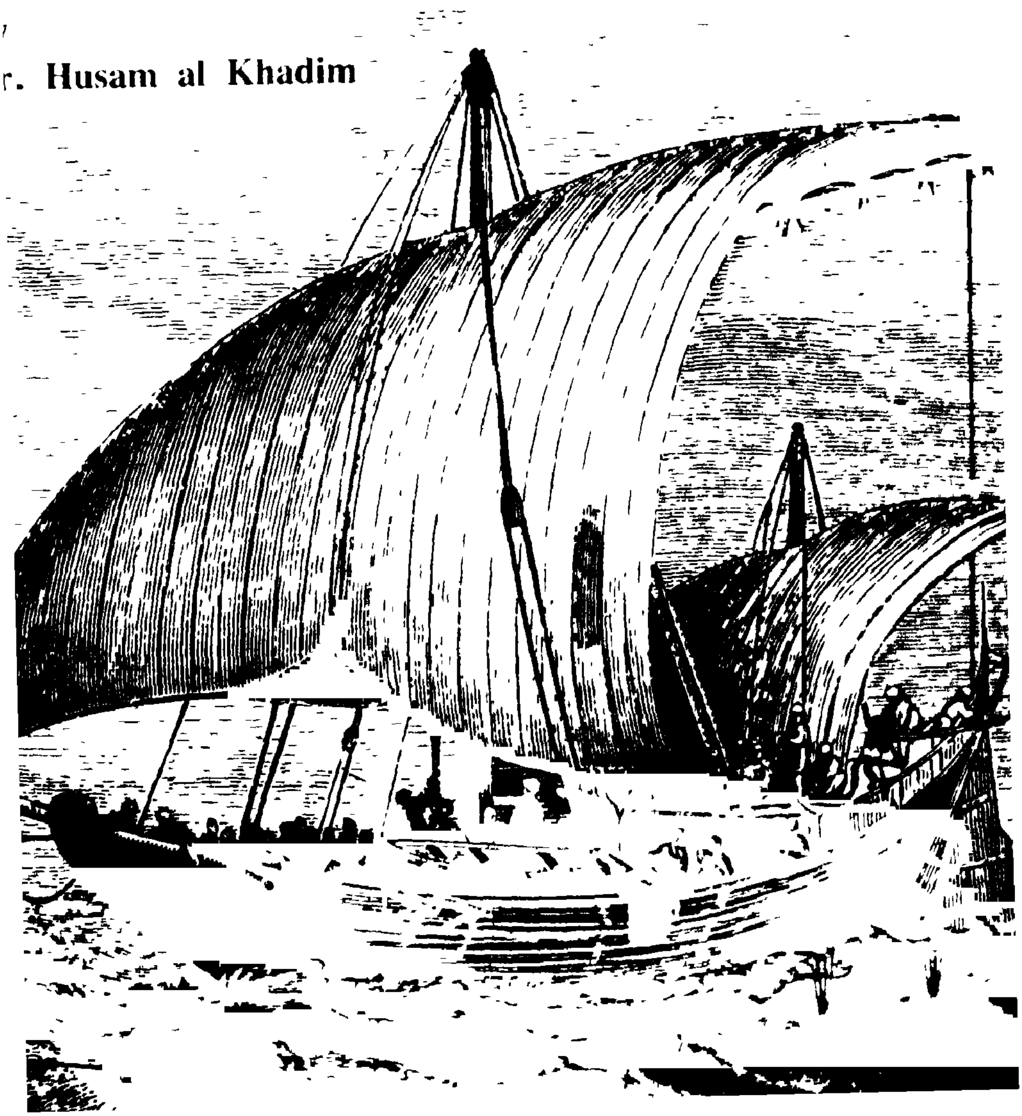
On 7 May 1487 AD P D Villao and Afonso de Baifa sailed from the port of Sanatarem charged by King Jan II the Portuguese King (1453-1495 AD) with the task of mounting an expedition to discover a sea-route for spices and also pay a visit to Abyssinia Piro Dakovillao was conversant with Arabic as he had stayed in North Africa, particularly in Tilemsi and Fez where he had represented the King of Portugal.

These two representatives, during their journey, used a map prepared by Father Moro of Venice. This map was dated 1460 AD and was noted for its accuracy particularly in respect of Abyssinia and East Africa. The reason was that the travellers and missionaries of the 15th Century had collected a wealth of accurate information about this region Besides, the map also contained geographical information which was not well known previously about this part of Africa.

With regard to the Arabian Peninsula it was much better than its predecessors in several respects It was almost accurate about the general shape of the peninsula though lacking in inner details In the earlier maps only Makka and Madina were shown in their correct position. The Arab Gulf, however, was not accurately shown as it was merely a reproduction of

IS ROLE IN THE DISCOVERY F A SEA-ROUTE TO INDIA AND VIDENCE OF SCIENTIFIC HINKING IN HIS WRITINGS

r. Husam al Khadim



IBN MAJID

Shahabuddin Ahmed Bin Majid, the sailor-astronomer was born in Julfar-Ras al Khaima about 839H/1435AD and died in 906H/1501AD. His role in the Portuguese discovery of a sea-route to India and its political and economic consequences continue to evoke debate and discussion among the ranks of scholars and historians even today.

At the same time, in view of the importance of the Portuguese discovery of a sea-route to India and the resulting economic, diplomatic and military consequences, the studies relating to Ibn Majid mostly centre round his relationship with the Portuguese and his navigational assistance to Vasco Da Gama [1460 AD.-1524 AD] in finding a sea-route to India. What has not received attention is the scientific importance of his writings particularly in the field of navigation and astronomy and his relevance to the history of science of the Arabs.

Hence this study discusses two points:

is the call given by the Custodian of the Two Holy Mosques. It is a declaration which places an enormous task before the historians and information officials in expounding its importance and in mounting a corrective campaign to raise the slogan of Islam alone in supersession of all other slogans until the great dream of a comprehensive Islamic unity becomes a reality for all. Such a realisation will come in the name of Islam alone; it will have but one motto, that of Islam and it will have but one purpose and that is the glorification of Islam.

May Allah Grant Us Success.

Abdullah Bin Khalid Al Khalifa

unity of community. It was natural, under the circumstances, for the enemies of Islam, to strike against these two sources of its power. As I have stated earlier, these efforts were channelised in two directions.

First: To shake the foundation of religion:

[illegible]

Several doubtful creeds, dogmas and thought-currents crept into the system of faith. Many of them came in the garb of Islamic slogans and mottos although they were as far away from Islam as could be. Other currents of thought sprouted ostensibly to combat these various dogmas and to defend Islam. These creeds adopted new appellations and the result was that scores of wars broke out on grounds of doctrine with undiluted ferocity and violence. The true mingled with the false and no one was able to distinguish between those who wanted to harm Islam and those who wished it well.

Second: To rake up racial slogans:

[illegible]

Conflicts for power and authority broke out among various races and a single community was divided into multiple warring fronts with Muslims rising against brother Muslims. The strength of unity was dissipated and the advancing Islamic wave was halted. The field was now cleared of the moilised forces of Islam and their place was taken by enemy forces who advanced this time with alertness and understanding, promoting the fires of sedition and intrigue. This they did continuously so that these embers were not extinguished. It was a disaster for the community.

In a few words these are the reasons of strength and of weakness in Islamic ranks and this is why the call has come for unity in ranks and for abandoning the many different names and designations. This is a rightful and just call. This

information agencies who participated in the conference and among those who followed the preceedings of this great meet. This guidance or opinion emanating from the Ruler of Saudi Arabia, the cradle of Islam, needs to be followed up diligently by the Islamic leaders in their future planning so that it is incorporated in it. The Conference was attended by the leading figures of information from all Islamic States and it is up to them to give a sense of direction to this important facet of the life of the contemporary individual.

In spite of the fact that Islam had to confront throughout its history, destructive wars and invasions in quick succession nevertheless, these wars could not bring any harm to it nor could they shake its firm roots. What harmed it now and then was the internal attacks launched against it from within its fold. Military defeats which the Muslims suffered during some phases of history were the result of defeats wich they had suffered in their own ranks previously. The enemies of Islam grasped this fact very well and hence their energies were directed to splitting the Muslim ranks. This split was mainly directed against two basic pillars of power of the new state, namely, the unity of religion and the unity of community. The people who condemned Islam had various religions and codes of belief. The Arabs, prior to the advent of Islam, were a group of warring tribes deeply split by slogans, antecedents of birth and ancestral pride. The nations which opposed Islam were weakened by internal wars as between various races, communities, regulations and other contradictions. With the advent of Islam it issued a clarion-call for adopting a single religion, a single Deity and absolute equality between all. It called for forswearing communalism and discord. It made all Muslims a single community with a single faith. Thus it made them an invincible force before whose thrust nothing could stand. The strength of Islam, therefore, lay in the unity of faith and the

IN THE NAME OF GOD THE BENEFICENT, THE MERCIFUL

A WORD ABOUT THIS ISSUE

By

H.E. SHAIKH ABDULLAH BIN KHALID AL KHALIFA

In his address to the First Conference of the Ministers of Information of the Islamic world held recently in the Kingdom of Saudi Arabia, the Custodian of the Two Holy Mosques, King Fahd Bin Abdul Aziz raised an issue of great importance. He referred to the persistent application of the term 'Wahabis' by the historians to the citizens of the Kingdom and emphasised that a stress on subsidiary epithets tended to deviate from the great designation of Islam and its lofty banner under which all of them rallied since all were essentially Muslims. It is a unique and great designation which imparts distinction to all. This is the name which all should bear with pride and selfesteem.

This statement of the Ruler of The Kingdom of Saudi Arabia found an echo among the standard bearers of Islamic

Page

English Section

CONTENTS

AL-WATHEEKAH

A Half-Yearly Journal Published by

The Historical Documents Centre

The State of Bahrain

Devoted to The Heritage, Thought and History of

Bahrain And The Gulf

Editor-in-Chief

Shaikh Abdullah Bin Khalid Al-Khalifa

Issue No. 14 – 7th Year
Jumadi Al Thania 1409 A.H. – January 1989 A.D.

Bahrain P.B. 28882

Telephone — Historical Documents Centre —
664854

All Correspondence to be Addressed to The Editor-in-Chief

IN THE NAME OF GOD,

THE BENEFICENT,

THE MERCIFUL



7th Year No: 14
Jumadi Al Thani 1409 A
January 1989 A.D.